حسين قاسم العزيز

البابكية

(الانتفاضة ضد الخلافة العباسية)

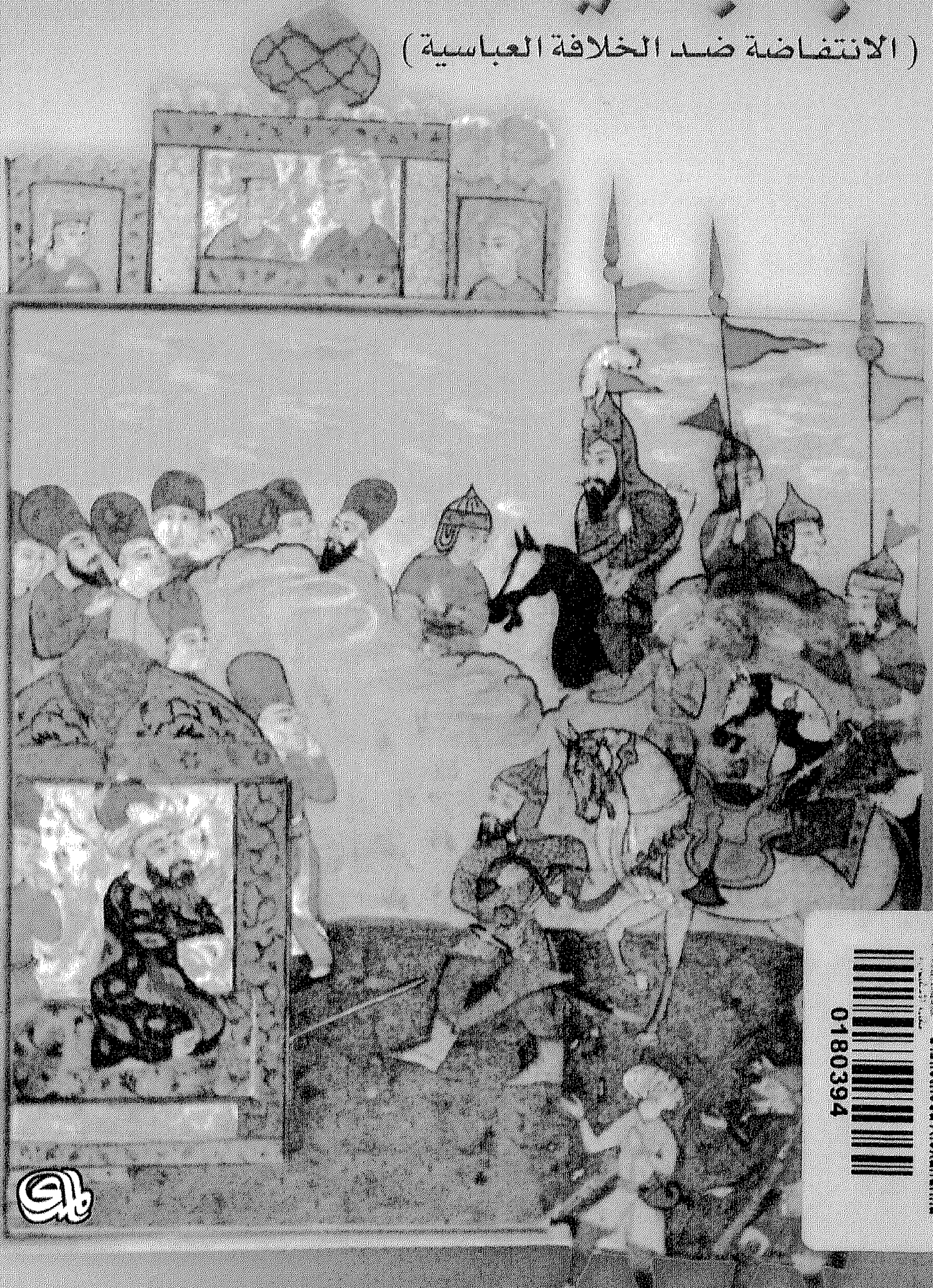

Bibliotheca Alexandrina
01180394

909.097
492 ح ا
ب

البابكية

Author : Houseen Kasem Al Aziz
Title : AL Babikia
Al- Mada :P.C.
First Edition :year 2000
Copyright © Al- Mada

اسم المؤلف : حسين قاسم العزيز
عنوان الكتاب : البابكية
الناشر : المدى
الطبعة الأولى : سنة ٢٠٠٠
الحقوق محفوظة

دار المدى للثقافة والنشر

سوريا - دمشق صندوق بريد : ٨٢٧٢ أو ٧٣٦٦
تلفون : ٢٧٧٦٨٦٤ - ٢٣٢٢٢٧٥ - ٢٣٢٢٢٧٦ - فاكس : ٢٣٢٢٢٨٩

Al Mada Publishing Company F.K.A. Cyprus
Damascus - Syria , P.O.Box . : 8272 or 7366 .
Tel: 2776864 - 2322275 - 2322276 , Fax: 2322289
E - mail : al - madahouse @ net.sy : البريد الالكتروني

All rights reserved. No parts of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system , or transmitted in any form or by any means ; electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior permission, in writing, of the publisher.

حسين قاسم العزيز

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

٤٩٤٢٧

البابكية

مقدمة

دراسة موجزة
للموضوع ولمصادر البحث

البابكية أو انتفاضة الشعب الاذربيجاني ضد الخلافة العباسية حدث مهم لا في تاريخ القفقاس في القرون الوسطى فحسب ، وإنما في حياة الخلافة كلها . ولم تأت هذه الأهمية من طول المدة التي استغرقتها ولا من سعة الأراضي التي شملتها ولا من كونها خاتمة انتفاضات الخرّمية الجسام فقط ، وإنما أيضاً لما لها من آثار جسيمة في كيان الخلافة العباسية ، حيث زعزعت ذلك الطود الشامخ ونخرته فتركته خاوياً عاجزاً عن أن يقف على قدميه أو يستعيد ما كان له من سابق عز وهيبة وجلال وسلطان ، فكانت الانتفاضة كزوبعة هوجاء مدمرة عصفت بشجرة باسقة مهيبة تركتها منخورة ضعيفة .

والخلافة العباسية وإن خرجت منتصرة من حروبها مع البابكيين ، لكنها فقدت عزها وهيبتها وجلالها حتى تجرأ الكندي المسيحي على التهكم بالعلماء المسلمين وفي قصر الخليفة المأمون بالذات ملوحاً بانهزام الجيوش العباسية أمام قوى بابك ، بل وتجرأ الغلمان الأتراك على الخلفاء أنفسهم فيما بعد وكان نشوء واستقلال الامارات الاقطاعية في الأطراف هو أسلوب تطور الاقطاع ونمو اللامركزية نتيجة فقدان هيبة الخلافة وضعف السلطة المركزية . ولئن تعرضت الخلافة في السابق إلى انتفاضات وإرهاصات ، إلا أن جلال السلطان وهيبة الخلافة لم يتعرضا لسوء ، أما من جراء

الانتفاضة البابكية فإن السوء شمل الخلفاء أنفسهم إذ أصبحوا ألعوبة بيد الأتراك ، الذين أصبحوا ذوي شأن نتيجة شعورهم بأهمية دورهم في القضاء على الانتفاضة . ولحق الضرر بالخلافة ذاتها حيث اقتطعت أجزاء من تلك الامبراطورية الواسعة لتتكون منها إمارات ذات كيانات اقطاعية وراثية مستقلة فعلياً وذات ارتباط ديني بالخلافة (حيث ظل الاعتراف بالخليفة العباسي أميرا للمؤمنين فقط . وكان نشوء هذه الإمارات أسلوباً لتطور الاقطاع ونمو اللامركزية) .

تناول موضوع الانتفاضة مؤرخو العصور الوسطى بأسلوب يتفاوت بين خفة التهجم عليها وحدته سواء من أدركها منهم أو من تلاهم ، وغالبيتهم تعرضوا لها بايجاز عدا الطبري ومن نقل عنه كابن الأثير وقد اختلفوا في الجوانب التي تطرقوا إليها فبعضهم تكلم عن الفعاليات الحربية وآخرون عن حياة بابك وغيرهم عن نشاط الخُرْمية وجلهم تطرقوا إلى موضوع الانتفاضة عرضا إلا واقد بن عمرو التميمي الذي ألف كتابا ـ كما يخبرنا ابن النديم(١) ـ عن حياة بابك ، لكن هذا الكتاب لم يصل إلينا مع الأسف . ولقد تميزت كتابات مؤرخي العصور الوسطى بالطابع المعادي للانتفاضة لأن المؤرخين كانوا يكتبون ما يلائم أذواق الحكام والامراء وذوي اليسار من الناس ، وهؤلاء هم الذين يكرمون الكتاب على مؤلفاتهم ، وكان لخوف المؤرخين من السلطة ولانحدارهم الطبقي ولعدم تعرفهم على الأساس الحقيقي لانتفاضات الجماهير ـ وذلك منتظر من مؤرخي تلك الحقبة ـ ولسيطرة الأوهام وتضليلات السلطة الاقطاعية ، كان لكل ذلك أثر في موقفهم المعادي من الانتفاضات فكانوا يتهمونها بشتى النعوت والصفات الكريهة ويلحقون بها تهماً وأباطيل لكي يبرروا قساوة السلطة عند التنكيل والبطش والافناء بجماهير الشعب المنتفضة . وأقوى حجة دامغة وأكبر ذريعة تتخذ لستر الأعمال الوحشية ، هي اتهام المنتفضين بمقاومة الدين الإسلامي والعنصر العربي والأخلاق الفاضلة .

والعلماء البرجوازيون الحاذقون الحاقدون على الانتفاضات الجماهيرية كرروا اتهامات مؤرخي العصور الوسطى رغم ادراكهم أن تلك الروايات الضعيفة مدسوسة وهم يبرقعون نواياهم ببهرجة علمية براقة وذلك باستخدام أسانيد مؤرخي القرون الوسطى المعادية ، فتراهم يرددون فرية الاباحة ومشاعية الزوجات والليالي الماجنة وأطلقوا عليها الشيوعية (كذا!) .

والملاحظ أنهم لا يهتمون بحال الشعوب وما تلاقيه من تعسف واستغلال فعندما يبحثون مواضيع الجزية والخراج والضرائب الأخرى يوجهون جل اهتمامهم إلى مسميات الضرائب وكميتها وتاريخ وضعها وتطورها ومقاديرها العامة والخاصة . ولكن ما هو تأثيرها في حياة الناس ؟ هل كانت مذلة مهينة ومرهقة ؟ . لقد قام المستشرقون الغربيون بأعمال عظيمة في إحياء المخطوطات العربية ونشرها وبذلوا جهوداً جبارة ، ولكن مع تلك الأعمال الجسيمة كانت تتسرب مفاهيم وآراء العلماء البرجوازيين في معاداة الحركات الجماهيرية ، ولقد بهرت أسماء لامعة مثل نولدكه وفلوكل وكريمر وموللر وميور وغيرهم ، أنفاس بعض المؤلفين السوفيات فوقعوا في شباكهم نتيجة اعتمادهم في دراساتهم على مؤلفات هؤلاء العلماء ، ولربما كان لجهل البعض منهم اللغة العربية عذر في اجترارهم للتهم التي استخلصها المستشرقون الغربيون من بعض مصادر القرون الوسطى ، ولا يخفى أن المصادر السنية وخاصة الحنبلية هي أشد المصادر عداء للفرق والمذاهب الإسلامية وغير الإسلامية على أساس أن السلطة كانت دائماً تحتضن المذهب السني بينما مصادر المعتزلة والخوارج والشيعة والاسماعيلية تعتبر مصادر فرق مناهضة للسلطة .

لقد دأب الكتاب الايرانيون خطأً على اعتبار بابك ثائراً قومياً إيرانياً نادى بتحرير ايران وتخليصها من نير الاستعباد الأجنبي على أساس أن آذربيجان مقاطعة ايرانية وان بابك والخرمية ايرانيون صرف[٢] . وخير ما تلاحظ هذه الآراء لدى صديقي[٣] وخليلي[٤] ونفيسي[٥] . وفات هؤلاء أن بابك عراقي الأصل (والده من المدائن) ومولده ومنشأه في آذربيجان (أمه آذربيجانية) والخرمية من أجناس مختلفة كالايرانيين والديالمة والآذربيجانيين ومن غيرهم .

لم يعن ـ مع الأسف ـ بأمر هذه الانتفاضة المهمة عناية جديرة بحقها ، فليس هناك كتاب مخصص لها (وما عدا كتاب حياة بابك الذي ألفه واقد والذي لم يصل إلينا وما عدا كتيب صغير ألفه تومارا[٦] ونبذة مختصرة في كتيب صغير ألفه يامبولسكي[٧] ، وإنما هنالك أبحاث عرضية في بطون المصادر والمراجع والموسوعات وفي المجلات ، وإذا استثنينا جوزي[٨] وتومارا ويامبولسكي وبونيياتوف[٩] ، فإن أكثر البحوث والمقالات خالية من التحليل العلمي النزيه ويكثر فيها التشويه ومسخ الحقائق

وتنطلق من وجهة نظر معادية . فلأجل إكمال الصورة الحقيقية لواقع الانتفاضة ، بقدر ما هو متيسر من المصادر والمراجع ، وضعنا نصب أعيننا دراسة الانتفاضة وحياة قائدها من جوانب مختلفة بأسلوب علمي من وجهة نظر عربية لتضاف إلى أبحاث من وجهات نظر مختلفة ولا يمكن أن تكون هذه الدراسة كاملة ما لم يعثر على كتاب واقد بن عمرو التميمي وما يعثر عليه في المستقبل من مصادر تعود للمنتفضين أو المعبرة عن وجهة نظرهم أو القريبة إليهم[١٠] .

إن أهم القضايا التي عالجها البحث هي التالية :

١ ـ ما علاقة (البابكية) الخرمية بالمزدكية ؟ وهل هناك أهداف لدى المنتفضين لاعادة المجد الكسروي والديانة الزرادشتية ؟ أم أن الخرمية غطاء ايديولوجي لمعارضة الفلاحين الثورية ضد الاستغلال الاقطاعي في القرون الوسطى ؟ هل للقضية علاقة بمعالجة الأراضي ؟

٢ ـ هل للعوامل الاقتصادية من أثر في سوء معاملة العرب لأهل البلدان المفتوحة (أهل الذمة ، الموالي) واحتقار السلطة والارستقراطية العربية للشعوب المغلوبة ؟ وهل الشعوبية ـ بطابعها التقدمي في العصر الأموي حينما نادت الجماهير بالمساواة بين الشعوب ، وبطابعها الرجعي حينما تبنتها الارستقراطية الايرانية لتحقير شأن العرب القدامى بدافع من تعارض مصالحها مع مصالح الارستقراطية العربية حول النفوذ ، هل كانت الشعوبية رد فعل لتلك المعاملة ؟

٣ ـ ما علاقة احترام مركز المرأة الذي نادى به المزدكيون ومن ثم الخرميون بالإباحة والمجون والاستهتار ؟

٤ ـ مدى تطبيق البابكيين للأهداف التي سعى إليها الخرميون ؟ .

كانت الانتفاضة واحدة من أعظم انتفاضات الفلاحين الجماهيرية ، ولئن ساهمت فيها فئات أخرى مختلفة ، لأسباب تتعلق بها وبمجمل وضع الانتفاضة فإن ذلك لم يغير من طبيعتها كنضال طبقي ضد الاستغلال الاقطاعي وما يرتبط به من تسلط حكومي ، لأن غالبية المنتفضين هم من الفلاحين المرهقين بأوزار الاستغلال الاقطاعي والجور الحكومي معاً وقد رفعوا راية النضال بوجه السلطة والاقطاع معا هادفين التحرر من ربقة عبودية الخنوع الاقطاعي والاستغلال الوحشي ومن الضرائب الجائرة واتخذوا تعاليم

الخرمية الدينية (التي هي فرقة دينية متطورة عن المزدكية في العهد الإسلامي) غطاء آيديولوجيا وسلاحاً فكرياً لانتفاضتهم الاقتصادية الاجتماعية بوجه الاقطاع والسلطة الممثلة لمصالحه فهي وان اتخذت الإطار الديني شكلاً لمعارضتها الثورية إلا أنها في مضمونها انتفاضة اقتصادية اجتماعية (من حيث الأهداف التي سعت إليها والقاعدة التي اعتمدت عليها) . وإن نكران طابعها الطبقي وتصوير مضمونها بالعنصرية والطائفية[١١] والقومية[١٢] يتناقض وأهدافها في التحرر من الجور الاقطاعي وفي تحسين أحوال المساهمين فيها معاشيا وفي احترام مركز المرأة المتدني . إن فرية إعادة المجد الساساني والدين الزرادشتي أريد بها إثارة المسلمين على المعدمين المنتفضين ولتشويه حقيقة الانتفاضة القائمة لأسباب اقتصادية واجتماعية والمتعارضة أهدافها مع مصالح الارستقراطية الاقطاعية والسلطة . واليوم يحلو للكتاب البرجوازيين تكرار تلك المعزوفة لاخفاء طابع الانتفاضة الطبقي . ولكن جل الجهد المبذول يتلاشى أمام الحقائق الناصعة التي تبرز بين طيات المصادر لتعلن عن التعسف والجور والاستغلال .

لما كانت البابكية قد اتخذت تعاليم الخرمية إطاراً ايديولوجياً لنضالها فقد تحتمت الضرورة لدراسة القضايا الفلسفية والدينية لمعرفة تطور البابكية الخرمية عن المزدكية ، والإطلاع على الديانة الايرانية وما نجم عنها من حركات وفرق دينية مناهضة كالمانوية والمزدكية ، ولتمييز الزندقة عن الخرمية ، هذا بالاضافة إلى دراسة القضايا الاقتصادية لمعرفة تطور أساليب الانتاج وتأثيرها في تغيير العلاقات الاجتماعية ما ينجم عنها من أزمات وأثرها في التطور التاريخي للحركات الفكرية والاجتماعية . ومن الطبيعي أن الدراسات الماركسية-اللينينية التي قامت على التحليل العلمي الدقيق لحوادث التاريخ ، واستخلصت نتائج باهرة في تحديد الطابع الطبقي في النضال المستمر بين المستغلين والمستغلين في كل العهود وأوضحت الأشكال التي اتخذتها المعارضة الثورية ضد الإقطاع في القرون الوسطى والغطاء الايديولوجي للحركات المناهضة . إن هذه الدراسات تعطي إمكانية جيدة لتفهم العلاقات الاجتماعية بصورة صحيحة وترشد إلى طبيعة التطور التاريخي وعلله الحقيقية وإلى تحديد طابع كل حركة أو انتفاضة أو ثورة كما وتفتح آفاقاً واسعة لتحليل الحوادث تحليلاً علمياً .

الفصل الأول

تحليل المصادر والمراجع
المبادىء الأيديولوجية
والحركة البابكية

لم ينصرف البحث إلى دراسة الفعاليات الحربية للانتفاضة فقط ، وإنما توسعت الدراسة لتشمل الظروف الاقتصادية والاجتماعية لجميع المساهمين في تلك الانتفاضة لمعرفة الدوافع الحقيقية ولما كانت الخرمية فرقة متطورة عن المزدكية تحتم دراسة المزدكية والمجتمع الذي نشأت فيه والديانة الزرادشتية التي ناهضتها المزدكية . لهذا امتد البحث من القرن الثاني الميلادي إلى القرن التاسع الميلادي ثم نظرة سريعة على القرون الثلاثة التي أعقبت نهاية الانتفاضة .

ودراسة هذه الحقبة الطويلة بمواضيعها المختلفة أوجبت ضرورة الاطلاع على مختلف أنواع المصادر التاريخية والدينية والفلسفية والاقتصادية . ولما كانت آذربيجان وأرمينيا قد أحتلتا من قبل الرومان ـ البيزنطيين والساسانيين ومن ثم من قبل العرب فقد دخل تاريخ شعوب هذه البلدان ضمن تاريخ تلك الدول[١٢] فكان علينا أن ندرس تاريخ الحروب الرومانية البيزنطية ـ الساسانية والفتوحات الإسلامية . ولما كانت مصادر ومراجع البحث كثيرة ومتشعبة فإننا سنقتصر الكلام على تلك التي عنيت بأمور الانتفاضة مشيرين أحياناً إلى غيرها .

لا يخفى أن اذربيجان منقسمة إلى شمالية وجنوبية وأن الكلام إذ يدور الان حول آذربيجان بصورة عامة فعند البحث لوحظت الأماكن حسب تقسيماتها الادارية بدقة .

لم تقتصر ميادين الانتفاضة على اذربيجان لوحدها بل امتدت رقعتها إلى الأجزاء الشرقية من أرمينيا وإلى الشمال الغربي من ايران لهذا كان من الضروري الاطلاع بقدر المستطاع على المصادر الايرانية والارمنية والسريانية لعمل موازنة بينها وبين المصادر الاسلامية وإن كانت لا تختلف عنها بطابعها المعادي للانتفاضة . مما لا يخفى

على أحد أن أقرب المصادر العربية إلى سلطة الخلافة هي المصادر السنية وهي المعبرة عن لسانها في أغلب الأحيان وأشد المؤرخين السنيين تعصباً ضد الفرق المناهضة هم الحنابلة أما مصادر الفرق الأخرى فأقل غلوا في تعصبها ضد المنتفضين على السلطة . وإذا خفف المؤرخ السني من حدة تهجمه على المنتفضين اتهم بالمروق عن فرقته .

كانت فترة الانتفاضة الطويلة مليئة بالحوادث الجسام والحروب المفزعة ولقد صور الشعراء تلك الأحداث والأماكن والأشخاص بروائع من الصور الشعرية الفنية ، ولئن كان الشعراء متملقين متزلفين للسلطة وإلى الحكام والقواد وصوروا الحوادث والانتصارات من وجهة نظر السلطة الحاكمة فإن تلك الأشعار التي تمتلئ بها دواوين الشعراء مليئة بأسماء الجبال والوديان والمعارك المهمة ولهذا درسنا دواوين الشعراء أبي تمام حبيب بن أوس الطائي[١٤] ، والبحتري أبي عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى[١٥] ، وعلي بن الجهم[١٦] وغيرهم بالإضافة إلى مطالعة ديوان الحماسة[١٧] فيما يخص الأشعار المتعلقة بانتفاضات أخرى ومطالعة كتب أدبية أخرى كالبيان والتبيين للجاحظ[١٨] والكامل للمبرد[١٩] والعقد الفريد لابن عبد ربه[٢٠] والأغاني لأبي الفرج الأصبهاني[٢١] ، وما تزخر به بطون المصادر التاريخية المختلفة وقد جمعنا القصائد في ملحق ألحقناه في آخر البحث .

تنقسم مصادر البحث إلى عربية وفارسية وأرمنية وسريانية . والعربية هي التي كتبت باللغة العربية سواء كان المؤرخون عرباً أم سواهم ، وأما الفارسية والأرمنية والسريانية فهي التي كتبت بلغات أهلها . ولما كان مؤرخو القرون الوسطى لا يعنون بالتاريخ لذاته ولما كانوا يلمون بمعارف عديدة ـ على الأغلب ـ فإنهم كانوا يحشرون مواضيع مختلفة مع المواد التاريخية كالفقه والأدب والفلسفة والفلك والتنجيم ، لهذا قلما تخلو المصادر من التنوع وهذا ما يخلق الصعوبة أحياناً في تحديد المصادر بالنسبة إلى موضوعاتها .

أ ـ المصادر العربية: وبصورة عامة يمكن تصنيفها إلى تاريخية ودينية وأدبية وجغرافية . والمصادر التاريخية هي التي تعنى بصورة أكثر بالحوادث التاريخية وأهم مؤرخي هذه المصادر حسب تسلسلهم الزمني :

ابن قتيبة الدينوري ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، المعروف بابن

قتيبة ، ولد في عنفوان الانتفاضة البابكية (في عام ٢١٣ هـ أو ٢١٥ هـ/ ٨٨٩ م) وهو ايراني الأصل مؤرخ وأديب ولكنه يعنى بالقضايا الأدبية أكثر من اهتمامه بالحوادث . ولهذا فإنه لم يرتب كتابه عيون الأخبار(٢٢) على تسلسل الحوادث أما بقية كتبه كالمعارف(٢٣) وأدب الكاتب(٢٤) وأنساب العرب في كتاب المغرب وملوك الشام والحيرة(٢٥) والشعر والشعراء(٢٦) فتطغى عليها القضايا الأدبية ، وأما كتاب الإمامة والسياسة المنسوب إليه فمشكوك بأمره وله كتاب «فضل العرب»(٢٧) غير مطبوع أوضح فيه رده على الشعوبية وأنكر دعواهم للمساواة بين الشعوب واحتقرهم رغم ايرانيته ولربما لتوليه قضاء الدينور أثر في ذلك ثم عدل عن رأيه واعتبر جميع الشعوب متساوية .

البلاذري ، أبو العباس ، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود توفي عام ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢ م وأصله على الأغلب من ايران مؤرخ البلاط العباسي كان يتعمد الدقة في اسناد الرواية ، وكتابه فتوح البلدان(٢٨) ، لم يسر فيه وفق تسلسل الحوادث وإنما قسمه حسب البلدان والمقاطعات ، وهو حافل بتاريخ الفتوحات الإسلامية وصيغ الأمان ومقادير الضرائب ويتطرق إلى الخراج ويعدد الاقطاعات التي اقطعت في عهود مختلفة (كما في الصفحات ٣٤٦ ـ ٣٨٤) ويتكلم عن نزوح القبائل العربية واستيطانها في الأماكن الجديدة . ومع أنه من أقرب الناس عهداً إلى الانتفاضة حيث كانت في أيام شبابه فإنه لم يكتب عنها إلا تلميحاً . أما كتابه أنساب الاشراف(٢٩) ، فاستفادتنا منه بالنسبة للانتفاضة محدودة .

الدينوري ، أبو حنيفة ، أحمد بن داود . (توفي عام ٢٨٢ هـ/ ٨٩٥م) ختم الدينوري كتابه الأخبار الطوال(٣٠) بوفاة الخليفة العباسي المعتصم ومع ذلك فإن الحوادث المذكورة عن الانتفاضة البابكية رغم الاخطاء والاختلافات فإنها مقتضبة وقليلة التحامل على قائد الانتفاضة وجماعته .

اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب المعروف بابن واضح الاخباري . (متوفى بعد ٢٩٢ هـ) . ألف كتابه التاريخ(٣١) على التسلسل الزمني ويقول ليسترنج بان اليعقوبي انهى كتابه التاريخ في سنة ٢٦٠ هـ/ ٨٧٤ م(٣٢) وتنتهي حوادثه ـ كما أشار بونيياتوف ـ بسنوات ٨٧٢ ـ٨٧٣ م(٣٣) . وكتاب التاريخ اهتم

بالفتوح والضرائب وانتفاضات الشعوب ويحتوي على تفاصيل جديدة ومهمة عن ولاة وعمال البريد والخراج في ارمينيا وآذربيجان وفيه ذكر عن حوادث الانتفاضة باقتضاب وكمؤرخ شيعي لا يتحامل بشدة على معارضي السلطة . امتازت كتاباته بخفة تهجمها على الانتفاضة وعلى بابك .

الطبري ، أبو جعفر ، محمد بن جرير بن زيد بن خالد بن كثير الآملي الأصل (من طبرستان في شمال ايران) ولد بآمل أثناء الانتفاضة المازيارية وبعد سقوط البذ مركز الانتفاضة البابكية بعامين (حيث ولد في عام ٢٢٤ هـ) وتوفي في عام ٣١٠ هـ[٣٤] ويعتبر بعد أبي حنيفة الدينوري من أقل المؤرخين السنيين تحاملاً على بابك ويمتاز كتابه ، تاريخ الرسل والملوك[٣٥] الذي ألفه على السنين ، بكثرة تفاصيل حوادث فعاليات الانتفاضة ولا سيما في أعوامها الأخيرة وهذا ما تنتقص إليه المصادر الأخرى المعاصرة لتاريخ الطبري . لكن الطبري لم يهتم بالسنوات السابقة لمجيء بابك كما وأنه غير دقيق في اختيار رواياته إذ يحشر الشيء ونقيضه ويأتي بالغث والسمين ولكن رغم ذلك فإن بين طيات صفحات تأريخه الكثير من المعلومات المفيدة لا عن تاريخ الانتفاضة البابكية والانتفاضات الخرمية فحسب بل وحتى تاريخ ايران في عهد الأكاسرة وذلك لمعرفته اللغة الفارسية ومطالعته الخداي نامه[٣٦] الذي ترجمه ابن المقفع عن الفارسية ، وغيرها من الكتب المترجمة . والطبري فقيه وأديب ومحدث ومؤرخ وتلمس أثر ذلك في مؤلفاته المختلفة . (بدلاً عن الخداي نامه كتب الباحث الهندي خدابخش ـ (الحضارة الإسلامية ـ ص ١٧٧ ـ ٨) خطأ : الشاهنامة) .

المسعودي ، أبو الحسن ، علي بن الحسين بن علي الهذلي البغدادي متوفى ٣٤٦ هـ/ وكتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر[٣٧] ذو أهمية تاريخية من ناحية أنه كان يقرن الحوادث التاريخية بمشاهداته الشخصية وإن كان يصدق كل ما يسمع . وقد زار مناطق الخرمية وشاهد طوائفهم وكتب ما شاء له خياله أن يكتب . أما الحوادث التاريخية فإنه قلما يعنى بتدقيقها وكتبه في الحقيقة خليط بين الجغرافية والتاريخ والأدب والأساطير كما في التنبيه والاشراف[٣٨] وأخبار الزمان[٣٩] . وفي كتابه مروج الذهب أخبار وافية عن أسر بابك وجلبه إلى سامراء وإعدامه إلا أن طابع الارتباك واضح عليها كما وأنها تخلو من التحامل على الانتفاضة وقائدها . ولا أعلم سر

إعجاب خدابخش الهندي بالمسعودي حتى اعتبره أعظم من الدينوري والبلاذري والطبري[٤٠] .

الأصبهاني ، أبو عبد الله ، حمزة بن الحسن ، ايراني متعصب ضد العرب ، ولد حوالي ٢٧٠ هـ وتوفي حوالي ٣٦٠ هـ صاحب كتاب تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء[٤١] ، يعتقد محفوظ ، حسين علي ، أن هذه التسمية ناقصة ويجب أن تكون (تواريخ سني ملوك الأرض والأنبياء أولي الأمر)[٤٢] . وقد أخطأ سمينوف Simo-nov في تسمية الكتاب (في كتابته بالروسية)[٤٣] . وكتاب تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء على صغره واختصاره له أهميته ، كما لاحظ لويس[٤٤] ، لأن مؤلفه أطلع على مصادر ايرانية كثيرة وخاصة حول تاريخ الساسانيين .

ابن النديم ، أبو الفرج ، محمد بن اسحق الوراق البغدادي . ويعرف أيضاً بابن أبي يعقوب النديم ، توفي ٣٨٥ هـ/ ٩٩٥م . ويعتبر كتابه الفهرست[٤٥] موسوعة علمية عني بكل أبواب المعرفة في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي تكلم فيه عن لغات العالم المعروفة في زمانه وأسلوب كتابتها وعن الشرائع والنحو والأدب ويسمي كل باب مقالة وتنقسم هذه الأبواب إلى ٣٢ فرعاً ويسمي كل فرع فنا وقد احتوى هذا الكتاب على دراسات ـ وان لم تكن كاملة ومنظمة ودقيقة ـ مفيدة لا يمكن الاستغناء عنها . لقد خصص ابن النديم الباب التاسع للمذاهب والمعتقدات وفي الفرع الأول من هذا الباب تكلم عن المانوية والمزدكية والخرمية وعن بابك . لكن ابن النديم خلط بين المزدكية والخرمية حيث سمى المزدكية بالخرمية الأولى . وقد اعتمد قسم من المؤرخين والباحثين على كتابات ابن النديم كثيراً ويعتبر العالم الألماني فلوكل[٤٦] أول من استخدم أقوال ابن النديم . لقد كتب ابن النديم عن حياة بابك منذ مولده حتى توليه قيادة الفرقة الخرمية وختمها بحفل زواج بابك من أرملة القائد السابق جاويدان ، أما بعد ذلك فقد لزم ابن النديم الصمت والسبب كما يبدو أنه اعتمد فقط على مصدر واحد (نسبه إلى واقد بن عمرو التميمي) ربما تنتهي معلوماته إلى هذا الحد . ورغم تحامل واقد فإن الرواية غنية بأحداث قلما تطرق إليها الآخرون وقد رسمت صورة لحالة الخرمية قبل تولي بابك قيادتها . انتهت حياة ابن النديم في نهاية القرن الرابع وقد اعتبرنا كتابات مؤرخي القرنين الثالث والرابع الهجري أهم المصادر لأنها أقرب

عهداً إلى حوادث الانتفاضة وهناك مصادر مهمة كثيرة رجعنا إليها تعود إلى أزمان متأخرة من أجل ضبط التواريخ والأسماء والمواقع وقد استفدنا كثيراً من كتاب العيون والحدائق وهو لمؤلف مجهول[٤٧] ورغم صغره واختصاره (طبعت فصول منه ولا تزال الفصول الباقية غير مطبوعة) فهو يحتوي على معلومات دقيقة ، كما وأن كتاب الكامل في التاريخ[٤٨] لابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الجزري (١١٦٠ ـ ١٢٣٣م) غني بتفاصيل حوادث الانتفاضة وهو وإن اعتمد على سابقيه إلا أن لديه تفاصيل إضافية عن الحوادث وعن أسر بابك ومحاكمة الافشين لم تكن موجودة لدى من سبقه من المؤرخين .

أما المصادر الدينية وهي التي تعنى بالأمور الفقهية والمالية والفرق الدينية فهي مهمة من ناحية دراسة الأحوال الاقتصادية والاجتماعية وإن كانت غير معبرة بصورة دقيقة عن واقع الحال لأن السلطة ما كانت تتقيد بما يفترضه رجال الدين وكان الفقهاء مختلفين حسب مذاهبهم ويحاولون التوفيق بين النصوص وبين رغبات السلطان ورغم ذلك فقد زودتنا كتبهم بمواد غزيرة عن الضرائب وكمياتها وأنواعها وعن الخراج والاقطاع ومعاملة أهل الذمة . لقد وجه ليون كيتاني Leone Ceatani[٤٩] وبيكر G.H.Becker[٥٠] وولهاوزن J.Wellhausen[٥١] نقدهم الشديد إلى فقهاء المسلمين واعتبروهم مزورين لواقع الحال . وقد استنكر دننت تهجم هؤلاء على الفقهاء ويرى بأن الفقهاء والمؤرخين المسلمين كانوا يبذلون الجهد في محاولة رسم ما كان جارياً بالفعل في الولايات المختلفة[٥٢] ، ويرى لوكيكارد بأنه لا يمكن أن يؤخذ بصورة موثوقة بأن السياسة التطبيقية قد اتبعت جداول الفقه بالتفصيل[٥٣] . أهم المصادر الدينية التي تعنى بالأمور المالية هي . ـ كتاب الخراج[٥٤] للقاضي أبي يوسف ، يعقوب بن ابراهيم (١١٣ هـ ٧٣١ م/ ١٨٢ هـ ـ ٧٩٨ م) ، وكتاب الخراج[٥٥] ليحيى بن ادم بن سليمان القرشي الأموي بالولاء (متوفى ٢٠٣) ، وكتاب الأموال[٥٦] للقاسم بن سلام ، أبو عبيد (١٥٤ هـ ـ ٢٢٤ هـ) ، واختلاف الفقهاء[٥٧] للطبري ، والأحكام السلطانية[٥٨] للماوردي ، أبو الحسن ، علي بن محمد بن حبيب (٤٥٠ هـ ١٠٥٨م) . وأما الكتب الدينية التي تعنى باختلاف الفرق الإسلامية وغيرها –وهذه مهمة بالنسبة لدراسة تاريخ الفرق الخرمية من ناحية منشئها وتطورها وأهم كتب الفقهاء والمتكلمين

التي تبحث في الفرق- هي مقالات المسلمين[٥٩] للاشعري ، أبو الحسن ، علي بن اسماعيل ، (٢٦٠ هـ/ ٨٧٤ م - ٣٢٤ هـ/ ٩٣٦ م) ، وكتاب التنبيه والرد[٦٠] للملطي ، أبو الحسين محمد بن أحمد (متوفى ٣٧٧ هـ/ ٨٨٩ م) ، وكتاب الفرق بين الفرق[٦١] للبغدادي ، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله (متوفى ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧م) وهو من متكلمي الأشعرية وقد اعتمد على الأشعري كثيراً ويذكره دائماً بـ قال أستاذنا الجليل أبو الحسن... والبغدادي قليل العناية بتدقيق الحوادث والأماكن والأسماء وكتابه مفعم بالشتائم والردود المقذعة على الخرمية وبابك ولقد صدق الرازي ، فخر الدين إذ قال عنه إنه شديد التعصب على المخالفين ولا يكاد ينقل مذهبهم على الوجه الصحيح[٦٢] . فإذا كان هذا حاله مع الفرق الإسلامية فكيف يا ترى يكون موقفه مع غيرها ؟ . لقد حشا كتابه بتهم وأباطيل ضد البابكية وهو الذي ابتدع رواية «الليلة الماجنة التي يطفئ فيها الخرميون النور ويبتزون النساء (كذا)» وظلت تتكرر هذه الفرية بعده . ولا يختلف عنه كثيراً الاسفراييني أبو المظفر ، محمد بن طاهر ، صاحب كتاب التبصير بالدين وتمييز الفرقة الناجية من فرق الهالكين[٦٣] . ومن الكتب المهمة عن الفرق كتاب الملل والنحل[٦٤] ، للشهرستاني ، أبو الفتح محمد ، بن عبد الكريم ولد ٤٦٩ هـ/ ١٠٧٧ م وتوفي ٥٤٨ هـ/ ١١٥٣ م ، وفيه أبحاث غزيرة عن المانوية والمزدكية ، إلا أن الشهرستاني قد أغفل أمر بابك نهائياً ويقول فلوكل إن الجميع كانوا ينتظرون منه أن يكتب عن بابك[٦٥] ، والشهرستاني أخف لهجة في نقده للفرق من سابقيه ومع ذلك فإن الرازي ، فخر الدين يتحفظ في الاعتماد على كتاب الملل والنحل ويقول بأن الشهستاني كان متحاملاً على الفرق لأنه نقل معلوماته عن البغدادي الذي كان شديد التعصب على المخالفين[٦٦] . ومن كتب الفرق أيضاً كتاب اعتقادات فرق المسلمين والمشركين[٦٧] ، للرازي ، فخر الدين وهو مقتضب جداً . وكتاب تلبيس ابليس[٦٨] لابن الجوزي ، أبو الفرج ، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن حمادي القرشي التيمي البكري ، الحنبلي (٥١٠ هـ ٥٩٧هـ) ، ويعتبر كتابه نقد العلم والعلماء أو كما هو مشهور تلبيس ابليس عبارة عن ردود مقذعة عنيفة على أصحاب الفرق والبدع وهو كحنبلي شديد الحقد على الفرق السنية الأخرى فما بالك بغيرها وكتابه يحتوي على حوادث مبتسرة هزيلة مخطوءة .

وأما المصادر الجغرافية فقد عنيت بوصف البلدان وطرق المواصلات فيها وأبعاد المسافات بالفراسخ (الفرسخ = ٨ كيلومتر) بين المدن وثروات البلاد والضرائب المستحصلة وأحوال الناس ووصف معاشهم ولغاتهم وأسواقهم وعاداتهم وهي ذات مواضيع نافعة ولكثرتها سنكتفي بذكرها وأهمها كتاب البلدان(٦٩) لليعقوبي ومختصر كتاب البلدان(٧٠) لابن الفقيه ، أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني (ألفه بعد ٩٠٢م) ، وكتاب المسالك والممالك(٧١) لابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (متوفى ٩١٣م) ويمكن اعتبار كتاب الخراج وصنعة الكتابة(٧٢) لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي (متوفى ٣٣٧ هـ) من الكتب الجغرافية أيضاً وقد ألفه حوالي ٩٢٨م(٧٣) ، والرسالة الثانية(٧٤) للخزرجي ، أبو دلف مسعر بن المهلهل ، الذي زار المناطق الشرقية وتجول في أرمينيا وآذربيجان في ٣٠ ـ ٤٠ القرن العاشر الميلادي وقد لاحظ بأن المحمرة من الخرمية يعقدون أعلامهم على جبل البذ(٧٥) . في عام ٩٣٣ م كتب الاصطخري ، أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي كتابه مسالك الممالك(٧٦) وقد نقله عن صور الأقاليم للبلخي وفي عام ٩٥١ م باشر ابن حوقل محمد العمل في مؤلف الاصطخري وأخرج كتابه المسالك والممالك(٧٧) ، معتمداً على صور الأقاليم أيضاً . لقد أشرنا في حينه إلى كتب المسعودي التي هي أقرب إلى الجغرافية من التاريخ . وبين أعوام ٩٨٥ ـ ٩٩٧ م كتب المقدسي ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر (ولد ٩٤٦ ـ وتوفي ١٠٠٠ م) كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم(٧٨) وأعظم عمل جغرافي قام به الحموي ، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت (ولد ٥٧٤/٥٧٥ هـ ١١٧٩ م وتوفي ٦٢٦ هـ ١٢٢٩ م) حيث لخص معلومات البلاذري والطبري والجغرافيين السابقين وأضاف إليها مشاهداته الشخصية في كتابه معجم البلدان(٧٩) . أما المصادر الأدبية التي ذكرت سابقاً فقد أفادتنا في عكس جوانب من الانتفاضة وفي دراسة الشعوبية .

ب ـ المصادر الفارسية: وهي التي كتبت بالفارسية وهذه قليلة ومتأخرة عن عهد الانتفاضة حيث كان القرنان الثالث والرابع عصر المؤلفات العربية وبعدها بدأت الترجمة والتأليف بالفارسية .

وقع بأيدينا مصدران أحدهما (سياست نامه ، أو سير الملوك)(٨٠) ألف في نهاية

القرن الخامس الهجري (٤٨٥ هـ) والثاني (تاريخ طبرستان)[٨١] ألف في بداية القرن السابع الهجري (٦١٣ هـ/ ١٢١٦م) . ألف كتاب سياست نامه ، وزير السلجوقيين ألب أرسلان وملكشاه ، نظام الملك ، الخواجة أبو علي الحسن بن علي . وقد ترجم زاخودير هذا الكتاب ترجمة جيدة إلى اللغة الروسية[٨٢] كما وأن هيوبرت دارك Hu-bert Dark قد اعتنى بطباعة السياست نامه اعتناء جيدا[٨٣] . يحتوي هذا الكتاب على مواضيع كثيرة خصصت للهراطقة (من الباطنية والخرمية والمزدكية) وتطرق إلى انتفاضات الخرمية ومنها البابكية وقد أشار إلى أن خرمية جرجان رفعوا أعلاماً حمراء (أي محمرة)[٨٤] في عهد الخليفة المهدي . وقد اتهم الخرمية ، مكررا أقوال سابقيه ، بالمجون والاستهتار وهتك الأعراض . وفائدته تنحصر في ذكر تفاصيل الانتفاضة البابكية التي لم ترد عند الطبري وغيره من مؤرخي القرنين الثالث والرابع . وألف كتاب تاريخ طبرستان ، ابن أسفنديار بهاء الدين محمد بن حسن ، وقد طبع باعتناء عباس اقبال بمجلدين[٨٥] وترجمه إلى الانكليزية عن نسخة محفوظة بالمتحف البريطاني ـ براون ـ Browne[٨٦] وهو وإن كان من المصادر المتأخرة إلا أنه غني بحوادث طبرستان وخاصة انتفاضة المازيار وخرمية طبرستان ولو أنه يتوسع في خياله حتى تصبح الحوادث التاريخية قصصاً مسلية كما في قصة إفشاء المازيار إلى عبد الله بن طاهر سر مؤامرة الافشين لتسميم الخليفة المعتصم حيث لعب خيال ابن اسفنديار فيها دوراً واسعاً ، إذ كيف تيسر للمازيار وهو في الأسر أن يعلم باليوم الذي سيقدم فيه الأفشين على الأمر ؟ وكيف يسمي المازيار الواثق والمتوكل وهما لما يسميا بهذين الاسمين بعد ؟ ولم يخف ابن اسفنديار عداءه للمنتفضين قط .

جـ ـ المصادر الأرمنية والسريانية: نظرا لامتداد رقعة الانتفاضة إلى الجزء الشرقي من أرمينيا ومساهمة قسم من الشعب الأرمني في الانتفاضة كان لزاماً علينا أن ندرس أحوال الشعب الأرمني وتاريخه في العهود السابقة وفي أيام الانتفاضة لمعرفة العوامل والدوافع التي أدت إلى مساهمة الأرمن بتلك الانتفاضة وفي غيرها والمصادر العربية غنية المواد حول أرمينيا وسكانها وخيراتها وولاتها وانتفاضاتها ولكن تلك المصادر تعكس انطباع المؤرخين العرب فقط . أن أهم المصادر الأرمنية التي استخدمت في البحث هي : تاريخ الخلفاء[٨٧] لمؤلفه كيفوند . فارتابيد (المعلم) والذي عني بعرض

مآسي الشعب الأرمني وما قاساه من اضطهاد وظلم من بين مجمل تاريخ القفقاس منذ ٦٦١ ـ ٧٨٨ م فقد وصف حرق الأمراء الأرض في كنيسة ناخجيفان من قبل الأمويين وتلاشي مقاومة أبناء الشعب بعد فقدان الأمراء الإقطاعيين الأرمن حيث وصف حالة الشعب البائس بأنهم أصبحوا كالأنعام المقدمة للذئاب وليس أمامهم إلا أن يلتجئوا بزفراتهم وآهاتهم إلى السماء (ص ٢٣ ـ ٢٤) . لقد أمدنا كيفوند بمعلومات عن فداحة الضرائب وحرق المدن وعن الانتفاضات في العهد الأموي وأوائل العهد العباسي . ويعتبر تاريخ أغوان[٨٨] لمؤلفه كاكانكاتفاتسي ، موسيا من المصادر المهمة لا عن تاريخ أرمينيا فحسب ولكن عن القفقاس برمته ولا سيما القسم الثالث منه ويعطي هذا القسم معلومات طيبة عن بابك (أو بابان أو باب ـ كما تسميه المصادر الأرمنية) والحروب العديدة التي خاضها وكان يطلق عليه صفة الوحش والقاتل وجميع الصفات التي تنم عن عدائه لبابك ولجماعته وقد بين الصلات التي توطدت بين بابك وفاساك أمير سونيك وعن زواج بابك بابنة فاساك بعد وفاته وكان يعتبر بابك ايرانيا كأغلب المؤرخين الأرمن ، وقد أعطى تفصيلات عن سهل بن سنباط وعلاقته ببابك . وعلى قلة المعلومات التي يعطيها فاردان في كتابه التاريخ العام[٨٩] فانه لا يخفي حقده على بابك واتهمه بأنه ادعى الخلود وتصور بأنه ايراني من بغداد . وأما المؤرخ ميخائيل السرياني[٩٠] ، والذي تحدث عن غزو بابك لأراضي أرمينيا ، فإنه يطلق على بابك ، كما يطلق عليه الأرمن لقب المهدي ، ولا بد وأن هذه التسمية تلتقي بصورة ما مع الفرضية الخاطئة التي أطلقها أبو حنيفة الدينوري من أن أصل بابك يعود إلى أبي مسلم ، وتنسج الروايات في الخيال على أن أحد أحفاد أبي مسلم سيكون المهدي المنتظر والذي سيأخذ بثأر جده . وتحت تأثير هذه الرواية وقع ولا بد المؤرخون الأرمن وميخائيل السرياني ، والمعلومات التي يعطيها ميخائيل عن غزو بابك لأراضي أرمينيا غير موضحة وانما تتكلم بصورة عامة .

المراجـع:

قدمت الدراسات الماركسية اللينينية الكلاسيكية ، التي قامت على أسس علمية وتحاليل دقيقة لتاريخ البشرية ، استنتاجات عظيمة تسلط أضواء كشافة على أحداث

الماضي وتنير السبيل للتوصل إلى حلول سليمة . وفي دراسة ينتظر منها أن تكون شاملة لانتفاضة فلاحية في القرون الوسطى لا غنى لها عن تلك الأبحاث الأصلية في دراسة التطور التاريخي للبشرية .

وكم كان هادياً لنا في دراسة مشكلة التملك الإقطاعي للأرض ، ذلك التحليل الرائع الذي دبجه انكلز ، ف . في رسالته التي بعث بها إلى رفيقه ماركس ، ك . (حزيران ١٨٥٣ م)[٩١] يقول : « إن انعدام الملكية الخاصة للأرض يصبح مفتاحاً لفهم الشرق بأجمعه . وفي هذا يكمن أساس تاريخه السياسي والديني كله . ولكن لماذا لم تصل شعوب الشرق إلى مرحلة التملك الخاص للأرض بل ولا إلى التملك الاقطاعي ؟ يخيل إلي أن ذلك يفسر بشكل أساسي بالمناخ وبطبيعة الأرض وبصورة خاصة في منطقة الصحراء الكبرى التي تمتد من الصحارى عبر بلاد العرب ، الفرس ، الهند ، التتر حتى أعالي الجبال الآسيوية . إن الشرط الأول للزراعة هنا هو طريقة الارواء الصناعية وهو أما أن تقوم به الجماعة أو المحافظة أو الحكومة المركزية »[٩٢] . وهذا ما أكده ماركس ، ك . في بحثه الممتاز عن التملك البريطاني في الهند بقوله : « إن الظروف المناخية وطبيعة السطح... جعلت نظام الارواء الاصطناعي بالقنوات ومنشآت الري أساساً للزراعة في الشرق »[٩٣] .

لماذا اتخذ البابكيون تعاليم الخرمية إطاراً ايديولوجياً لنضالهم ؟ هذا السؤال قد عثرنا على جوابه في مقولة انكلز في كتابه « الحرب الفلاحية في ألمانيا » ، والذي كان خير معين لنا في تفهم مشاكل فلاحي الشرق . يقول انكلز ، ف . « اتخذت المعارضة الثورية للاقطاع في القرون الوسطى أشكالاً مختلفة طبقاً لظروفها الزمنية ، بشكل متدينين ، بشكل هرطقة مكشوفة ، وبشكل انتفاضة مسلحة »[٩٤] . لما كان الظلم والاستغلال والإرهاق مستمراً فلماذا كان الفلاحون لا ينتفضون دائماً ؟ ولماذا لا ينضمون بأجمعهم للانتفاضات ؟ هذان السؤالان المعقدان واللذان توقف عليهما مصير الانتفاضة البابكية وجدنا تفسيرهما في مقولة انكلز ، ف . حيث أرجع احجام الفلاحين عن الانتفاضات إلى ما تعودوه من خنوع لأجيال عدة... الخ[٩٥] .

في المراجع التي اتبعت الأسلوب العلمي في مناقشتها للأحداث التاريخية مواد غزيرة عن تاريخ ايران والقفقاس كأبحاث بيكولفسكايا في كتابها « مدن ايران في

مستهل القرون الوسطى »[٩٦] ، وكتابها (بيزنطية وايران على مشارف القرن السادس والسابع »[٩٧] ، ومقالها في كتاب تاريخ ايران من الأزمان القديمة إلى نهاية القرن الثامن عشر »[٩٨] ، وإن كنا لا نتفق مع بعض آرائها ، والتي لا يتسع المجال لذكرها هنا ، حيث ادرجت في البحث ، فإن كتاباتها عن تاريخ ايران قبل الإسلام تتسم بالأصالة والجدية ، ولا شك أن معالجة دياكانوف لمشكلة المرأة الايرانية والحركة المزدكية في كتابه (مختصر تاريخ ايران القديم)[٩٩] قد أظهرت مبلغ العناية التي بذلها في مراجعة مختلف المصادر والمراجع والنصوص المهمة . ومن المواضيع التي اعتمدنا دراستها عن الحركة المزدكية مقال سمينوف ، ا .ا . في « مجلة مسائل التاريخ والدين والإلحاد »[١٠٠] عن المزدكية وهو مقال ممتع رغم أن سمينوف يسمي الخرمية بالمزدكية الجديدة وهذه التسمية تجدها في كتاب « تاريخ القرون الوسطى »[١٠١] أيضاً . وعلى الرغم من أن كتاب ايفانوف مختصر فإنه يحتوي بين دفتيه على حوادث متسلسلة تتسم بالتركيز والتحليل العلمي الدقيق ، وقد أفادنا بآرائه لا عن تاريخ ايران ما قبل الإسلام فحسب ، بل وحتى في دراسة الانتفاضات التي قامت في العهود الإسلامية ومنها الخرمية والبابكية . فقد حلل ببراعة سبب فشل الحركة المزدكية (أن الحركة المزدكية أضعفت بظروفها ، لأنها لم تستطع أن تعارض بنظام اجتماعي ، ذلك الذي ناهضته ، كائناً ما كان تقدمياً ، وشملت فقط قسماً من السكان الكادحين ـ خاصة من أصل فارسي ـ مع ذلك هذه الحركة عزلت نفسها عن الحلفاء ـ جماهير الشعوب غير الايرانية المظلومة »[١٠٢] . وقد لاحظ ايفانوف[١٠٣] بصواب أن نجاح الخلافة في حروبها قد أعان الاقطاعيين على خيانة بابك ، هؤلاءالذين انضموا في البداية إلى المنتفضين[١٠٤] .

ولا تخلو أعمال وأبحاث العلامة بارتولد والباحث كريمسكي والاستاذ الراحل بيلاييف ، وهي غزيرة ، من فوائد اعانتنا على تفهم أحوال شعوب ايران واذربيجان وارمينيا في العهد الإسلامي ، فقد لاحظ بيلاييف أن الانتفاضة المنظمة تحت شعارات الفرق الخرمية الدينية نشدت المساواة الاجتماعية وتعميم الملكية[١٠٥] . ولا يقل قيمة عن ذلك كتاب زاخودير (تاريخ القرون الوسطى الشرقية « الخلافة والشرق الأدنى »)[١٠٦] ، وكتاب « تاريخ بلدان الشرق الأجنبية في القرون الوسطى »[١٠٧]

حيث فيهما أبحاث قيمة عن تاريخ بلدان الشرق الأوسط مدروسة على أضواء التحليل العلمي ومثلها أبحاث ياكوبفسكي في «تاريخ ايران منذ الأزمنة القديمة حتى نهاية القرن الثامن عشر» وفيه دراسات ضافية عن انتفاضات الخرمية والبابكية . وفي «العراق في حدود القرنين ٨ - ٩» وهي أعمال الدورة الأولى للمستعربين[١٠٨] ، ومقاله الممتع عن انتفاضة المقنع في مجلة الاستشراق السوفييتية «انتفاضة المقنع ، حركة الناس المرتدين اردية بيضاء»[١٠٩] .

وهناك دراسة ممتعة لتاريخ القفقاس وردت في بداية كتاب تاريخ الاتحاد السوفييتي[١١٠] وفيها تحليل المجتمع القفقاسي في العهود المختلفة من الرق والاقطاع وتشمل دراسة الحالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، ومن الدراسات المهمة بحث الاستاذ بوليانسكي رغم أنه غير مختص بتاريخ الشرق الإسلامي ويجهل العربية فإنه قدم أبحاثاً اقتصادية لتاريخ هذه البلدان في القرون الوسطى في كتابه «التاريخ الاقتصادي للبلدان الأجنبية في عهد الاقطاع»[١١١] ، إلا أن بوليانسكي ظل لا يفرق بين ضريبة الخراج وضريبة الجزية حتى نهاية العصر الأموي إذ اعتبر بوليانسكي خطأ الجزية ضريبة على الأرض والخراج ضريبة على الرأس . صحيح - كما لاحظ دنت[١١٢] - أن الجزية أو الخراج يعنيان الضريبة بصورة عامة لو ذكرا مفردين ، ولكن في أواخر العهد الأموي تحدد مفهوم الضريبتين . ويعتقد بوليانسكي أن الفتح العربي سارع في تطوير الاقطاع ، ولكننا نرى العكس وهو أن الفتح العربي الذي أراد أن يفرض الارستقراطية القبلية قد جعل الاقطاع يسير بوتائر أبطأ . ومن أجل أن يبرهن على فضل العرب في انتشار التجارة وازدهارها في مختلف الربوع ، ضرب مثلاً على استعمال كلمة بازار ظانا بأنها عربية بينما هي ليست بعربية وكان الحري أن يذكر انتشار كلمة تعريفة العربية وبقالية العربية .

لقد كتب الباحث الأرمني ليو مجلدات ضخمة عن تاريخ ارمينيا[١١٣] تناول فيها لا تاريخ ارمينيا فحسب ، وإنما كل ما يتعلق بتاريخ ارمينيا من أحداث وصلات من قريب أو بعيد . ومن المؤسف أن تغلب العناية بالكمية على الدقة العلمية فتاريخ أرمينيا الذي كتبه ليو قليل التحليل ضعيفه ويسرد روايات مؤرخي القرون الوسطى على علاتها دونما تمحيص أو تدقيق أو تعليق ، بل ويردد مفترياتهم وأساطيرهم . فعلى

سبيل المثال لا الحصر كتب هذا الخلط العجيب عن منشأ الخُرَّمية في آذربيجان وعن قيادتها حيث يذكر عن جاويدان أنه كان يدعى المهدي (لم تطلق عليه هذه التسمية إلا عند مؤرخي الأرمن حيث كانوا يطلقونها على قادة الخرمية في آذربيجان) ثم قتل وجاء من بعده هارون (المعروف لدى غالبية المصادر أن بابك تولى قيادة الخرمية بعد جاويدان) وقتل هارون وجاء من بعده بابك[١١٤] . ويعتبر ليو الانتفاضة البابكية ايرانية ، شأنه شأن مؤرخي العصور الوسطى الأرمن (لكن الانتفاضة الفارسية لم تنل أي شيء من انتصار الامبراطور تيوفيل)[١١٥] ، كما وأنه يردد تهم العلماء البرجوازيين عن مشاعية النساء لدى البابكيين ويبتكر لها مسميات فيسميها الشيوعية القديمة أو البدائية[١١٦] (كذا!) . وفي محاضرة ألقاها الأكاديمي السوفييتي الأرمني ماناندیان وطبعت بكراس باسم «الانتفاضات الشعبية في أرمينيا ضد السيطرة العربية»[١١٧] يكرر تسمية الانتفاضة الآذربيجانية «بانتفاضة الفرق الفارسية»[١١٨] ، وأن بابك دعا نفسه بالمهدي[١١٩] ويقول عن الانتفاضة أنها سعت إلى مشاعية الملكية والنساء وإلى الإطاحة بالحكم العربي وإقامة الامبراطورية الفارسية السابقة[١٢٠] .

كان المنتظر من كتاب يؤلفه الآذربيجانيون عن تاريخ بلادهم أن يكون ينبوعاً صافياً غزيراً بمعرفة أحوال البلاد وتاريخها دقيقاً في معلوماته ومتأكداً من صدق رواياته ، ولكننا وجدنا والألم يحز في نفوسنا أن كتاب تاريخ أذربيجان[١٢١] رغم العناية والجهود التي بذلت لإخراجه بحلة قشيبة ، جاء ثانوياً مبتسرا جزر المعلومات وغير دقيق حتى في تعيين موقع البذ - مركز وقلعة البابكيين - حيث جعلها «على منحدرات سبلان الشمالية»[١٢٢] وهذا الجبل يقع إلى الشمال من اردبيل جنوب نهر قره سو بينما تقع البذ جنوب نهر أراكس (أرس) وشرق رافده كيرخسو ، ويذكر عن وادي هشتادسر أنه يقع قرب مراغة[١٢٣] بينما جبل ووادي هشتادسر يقعان إلى الشرق من البذ ، ويذكر بأن الخرميين تعاقدوا مع الجورجيين[١٢٤] وليس هناك من مصدر أو مرجع واحد - سوى يامبولسكي - أشار إلى ذلك ، كما وأنه يردد اتهام الخرميين بالمرحين والمبتهجين[١٢٥] .

من الأبحاث الطريفة عن معتقدات الأرمن الدينية والحركات الهرطقية التي ظهرت في أرمينيا أبحاث أمين . ن . أو . «مختصر دين ومعتقدات الأرمن الهرطقية» ، ولا

تقل أهمية أبحاث العالم الروسي فازيليف المختص بشؤون بيزنطية[١٢٦] وقد أمدنا بمعلومات طيبة عن الحروب البيزنطية ـ العباسية وأشار إلى إيواء الامبراطور تيوفيل لفلول الخرميين الذين التجأوا إليه بعد انكسارهم في معركة همذان ٢١٨ هـ ، وأشار إلى رسالة بابك إلى امبراطور بيزنطية التي يناشده فيها توجيه جيوشه لمحاربة المسلمين لتخفيف الضغط عليه ، وقد اعتمد الباحث الروسي المتدين فازيليف على روايات الطبري كثيراً . ومينورسكي V.Minorsky في مؤلفه القيّم « دراسات في التاريخ القفقاسي » Studies in Caucasian History »[١٢٧] تكلم عن حياة وعادات ولغات وتقاليد سكان بلاد القفقاس وقد أمدنا بمعلومات دقيقة عن اللهجات الآذرية والتالشية في آذربيجان وعن أحوال القاعدة التي اعتمدها بابك في نضاله ضد الخلافة[١٢٨] وكذلك في تحقيقاته للمخطوطات التي نشرها (فصل من تاريخ الباب وشيروان ـ فصل باب الشادية من كتاب جامع الدول ، وحدود العالم Hudud Al-Alam)[١٢٩] .

ترجم العالم الانكليزي سيل G.Sale القرآن إلى اللغة الانكليزية[١٣٠] وكتب مقدمة في حوالي ١٣٢ صفحة ختمها بملاحظاته عن التاريخ الإسلامي وقد تطرق فيها إلى انتفاضات الخرمية في إيران وما وراء النهر وفي آذربيجان(١٢٩ ـ ١٣٠) وهو يعتمد على المسعودي وابن العبري[١٣١] كثيراً وقد علل تسمية بابك بالخرمي والخرم دين (أما لأنه كان من المحل القريب من آذربيجان المعروف بـ خورم Khorrem أو لأنه سن دين المرح) ثم يقول بأنه لم يعثر على أي تعاليم بشر بها ولكن يقال بأنه لم يعلم بأي دين معروف في آسيا[١٣٢] .

من الأبحاث الوصفية لجغرافية بلدان الخلافة الشرقية اعتمدنا على الكتاب القيم (أرض الخلافة الشرقية -The Land of the Eastern Caliphate, Lon-don, 1905) لمؤلفه ليسترانج ، كي Lestrange Guy وقد استفدنا منه في التعرف على طبيعة أراضي إيران وآذربيجان ووصف جبالها وطرقها وفيه خرائط جيدة لتلك البلدان نقلنا بعضاً منها . لقد اعتمد ليسترانج على المصادر العربية وخاصة اليعقوبي والمسعودي وبدرجة أساسية ياقوت الحموي . ولا يقل أهمية كتابه « بغداد (الطبعة الانكليزية ـ لندن ١٩٠٠ ، وترجمة كوركيس عواد باسم : « بغداد في عهد الخلافة

العباسية » ، بغداد ، ١٩٣٦) ، لدراسة الاقطاع والأنظمة المتبعة لجمع الضرائب المختلفة من جزية على النفس وخراج على الأرض وعشر على التجارة وعلى الأرض . ولدراسة معاملة أهل البلد المفتوح الموالي ممن أسلم منهم وأهل الذمة ممن بقي على دينه من أجل ذلك راجعنا أيضاً مؤلفات العلماء الغربيين والتي أولت المواضيع الآنفة الذكر العناية الجيدة من الدرس والتحصيل وأن كانت تنطلق من وجهة نظر معينة وأنها لم تعن بوقع الضرائب على السكان وتأثيرها فيهم بقدر ما اهتمت بالأسس القانونية والفقهية وجذور وتطور تلك الضرائب وتحديد مقاديرها وأهم المؤلفين الذين رجعنا إليهم فون كريمر Alfred Von Kremer الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية(١٣٣) Cultur- geschichte De Orients Untre Denghalifen, Wien, 1975 وترتون Tritton A.S. « أهل الذمة في الإسلام »(١٣٤) The Caliphs and Their Non-Muslim Subjects, London, 1930 ودنت (« الجزية والإسلام » - النسخة الانكليزية والترجمة العربية) ، ولوكيكارد « الجزية الإسلامية في العهد الماضي » .

ويعتبر كتاب « إيران في عهد الساسانيين Iran sous les Sassanides, . Paris 1936(١٣٥) لمؤلفه كريستنسن ، آرثر Christensen A من المؤلفات النافعة والمراجع المعول عليها في تاريخ ايران لما قبل الإسلام . فقد بذل كريستنسن جهوداً مضنية لأكثر من ثلاثين عاماً في التقصي والبحث المتواصل مشذباً ومضيفاً حتى أخرجه ملما بدقائق الحوادث . وقد أمدتنا الدراسات التاريخية - الأدبية والفنية بأبحاث ومعلومات مفيدة رغم تحيزها ضد الانتفاضات الشعبية مثل دراسات كل من دوزي (« موجز تاريخ الإسلام » ترجمه عن الفرنسية كيمنسكي ، بطرسبرغ ١٩٠٤) وميور Sir William Muir (« الخلافة نهوضها ، انحطاطها وسقوطها » The Caliphate, Its Rise, Decline and Fall(١٣٦) ، الذي أشار إلى محاورة الكندي لعلماء المسلمين في قصر المأمون ، وقد قام ميور بترجمة تلك المحاورة إلى الانكليزية ونشرها باسم (« محاورة الكندي » - The Apology of Al Kindy)(١٣٧) ، وموللر (« تاريخ الإسلام » ترجمته من الألمانية إلى الروسية مدنيكوفا)(١٣٨) ، وبالرغم من أن موللر سخر من تفسير فلوكل لكلمة خرم حسب

المعنى الفارسي بماجن ومستهتر واعتبر ذلك لا يعدو كونه نكتة مدرسية(١٣٩) ، فانه (موللر) لم يتورع عن اتهام «الشيوعيين ـ كذا حسب تعبيره ـ الذين قادهم بابك الفارسي» بالقساوة ومشاعية الزوجات»(١٤٠) ، وآرنولد . Arnold T.W («الخلافة» ، The Caliphate, Oxford, 1924) ، وبراون Browne, Edw («تاريخ الأدب الإيراني من الفردوسي إلى سعدي» A Literary History of Persia from Firdawsi to Sadi)(١٤١) تناول فيه قسطاً من انتفاضات الخرمية معتمداً على الـ «سياست نامه» ، وتراث إيران The Legacy of Persia لنخبة من المستشرقين الانكليز ، لاحظنا فيه الديانة الفارسية ومحاكمة الافشين ، حيدر بن كاؤوس ، ونيكلسون .Nicholson, R «تاريخ الأدب العربي A Literary History of the Arabs(١٤٢) ، وجب Gibb H.A.R الاحتلال العربي لآسيا الوسطى The Arab Conquest of Central Asia(١٤٣) و«دراسات عن المدنية في الإسلام» Studies of the Civilisation of Islam(١٤٤) وفيه فصل عن الشعوبية والزندقة (ص ٦٢ ـ ٧٢) . ويتحدث جب عن الصراع بين الشعوبية والعرب فيقول «كان الصراع في القرنين الثاني والثالث الهجري لا صراعاً بين مدرستين للأدب ولا حتى صراع القوميات السياسي ولكنه كان صراعاً من أجل تحقيق أهداف الحضارة الإسلامية» ، والعالم المجري كولدتسهير ، إجناس .Goldziher I في كتابه («الدراسات المحمدية» Mohammadanische Studien) وكتابه («العقيدة والشريعة في الإسلام»(١٤٥) ، ترجمة علي حسن عبد القادر وآخرين ـ القاهرة ـ ١٩٤٦) ، والعالم الألماني بروكلمان Brockelmann «تاريخ الشعوب الإسلامية»(١٤٦) ، وأستاذ الفارسية في جامعة كامبردج ليفي روبن Levy Reuben («تركيب الإسلام الاجتماعي» The Social Structure of Islam)(١٤٧) ، والباحث الهندي أمير علي Ameer Ali (مختصر تاريخ العرب» A Short History of the Saracens)(١٤٨) ، وخدابخش الهندي «الحضارة الإسلامية»(١٤٩) . إن مقالة مارغليوث Margoliouth في الموسوعة الإسلامية المختصرة Short Encyclopedia of Islam بعنوان «الخرمية»(١٥٠) دلت على كثرة المصادر العربية التي رجع إليها بالإضافة إلى إشعار أبي تمام والبحتري ، إلا أنه لم يناقش رواياتها

كثيراً . ومن المراجع الغربية المهمة التي رجعنا إليها أبحاث المستشرق الانكليزي لويس برنارد Bernard Lewis «أصول الاسماعيلية» The Origins of Ismailism (ترجمه إلى العربية جلو ، خليل أحمد والرجب ، جاسم محمد)(١٥١) ، و«العرب في التاريخ» The Arabs in History, London, 1950(١٥٢) ، ولا تخلو أبحاث العالم لويس من بعض التحليلات الصائبة اقتبسنا منها ما يشابه الحالة في الانتفاضة الخرمية فقد نقلنا مقولته حول احترام مركز المرأة الاسماعيلية وموقف المسلمين من تلك الحرية حيث قال «أعتقد أننا يمكننا أن نرفض بدون تردد الرأي القائل بأن الاسماعيليين قد طبقوا شيوعية النساء . وتعلمنا الكتابات الدرزية بأن الاسماعيليين قد منحوا المرأة مركزاً سامياً وحراً لم يمنحه إياها أهل السنة المعاصرون ، وربما كانت هذه الحرية النسبية للنساء الاسماعيليات هي التي تمثلت لاعين أهل السنة دعارة محضة»(١٥٣) . لقد اعتمدنا هذا التحليل البارع في الرد على اتهام الخرميين والبابكيين بمشاعية الزوجات ، لكن أبحاث لويس مفعمة بوجهة النظر البرجوازية . من الكتب الشيقة التي امتازت بدقة التحليل العلمي الماركسي هو كتاب : نبذة عن تاريخ المادية في القرون الوسطى ، والمترجم إلى اللغة الروسية لمؤلفه الباحث من ألمانيا الديمقراطية هيرمان لي(١٥٤) ورغم أن لي قد عني كثيراً بالفلسفة والفلاسفة ، لكن تحاليله الرائعة قد ساعدتنا كثيراً في تفهم وتحليل قضايا مهمة بالنسبة للفتوحات والضرائب ومعاملة الشعوب المغلوبة وإن لم نتفق معه في بعضها .

دأب المؤلفون العرب ، إلا ما ندر ، على تتبع خطى الباحثين البرجوازيين في كتابة أبحاثهم ونظرتهم للحركات المناهضة للسلطة نتيجة دراساتهم الغربية وكثرة انتشار مؤلفات العلماء والباحثين الغربيين بلغاتها الأصلية والتي يجيدها الكثيرون أو المترجمة إلى العربية ، وقلما تظهر أبحاث تاريخية تتسم بالتحليل العلمي والمنزه عن التحزب والروح الشوفينية والطائفية . إن انتهاج الأسلوب اللاعلمي من قبل جمهرة من الباحثين العرب يعزى إلى تصديقهم روايات مؤرخي العصور الوسطى دون تمحيص أو تدقيق أو تعمق في معرفة مدى اتصال هذا المؤرخ أو ذاك بالسلطة وإلى أي فرقة أو مذهب ينتمي كما ويرجع إلى ضيق الأفق والانحدار الطبقي وتهيب الرجعية والرأي المتزمت ومحاباة السلطة البرجوازية الرجعية . ورغم كل ذلك يعثر الإنسان أحياناً على

كتابات نظيفة تعالج مواضيع حساسة بأسلوب منزه . إن أبحاث الأديب والمؤلف العراقي الآلوسي عن الشعوبية في أثره الأدبي الرائع «بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب»(١٥٥) دلت على أصالة وتجرد ، وقد تتبع أثره المؤلف المصري أحمد أمين في بحثه عن الشعوبية في «ضحى الإسلام» ، ولا تخلو كتابات طه حسين ، التي تغلب عليه النزعة الأدبية رغم اعدادها لمواضيع تاريخية ، من لمسات إنسانية ومحاولات جريئة لمعالجة قضايا حساسة وسط مجتمع ديني متحمس كما يلاحظ ذلك في «الشيخان ، أبو بكر وعمر بن الخطاب» و «مرآة الإسلام» و «الفتنة الكبرى ، ١ - عثمان بن عفان ، ٢ - علي وبنوه»(١٥٦) . إلا أن كتابات طه حسين يعوزها التحليل الدقيق وتوضيح الرأي فبين تلافيف المحسنات البيانية يطوي فكرته بحيث يتعذر على القارئ البسيط إدراك مرامه . ولقد كان لجرجي زيدان الفضل في توجيه الأنظار نحو الآثار الأدبية والتاريخية ويعتبر كتابه (تاريخ التمدن الإسلامي)(١٥٧) من المراجع الأدبية والتاريخية التي يمكن رغم قدمها أن يعول عليها أحياناً ، وبجهود مضنية أخرج رستم ، أسد كتابه (الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب)(١٥٨) ، وقد اعتمدناه في مواضيع العلاقات العربية البيزنطية وانتفاضة توما الصقلي . وتمتاز كتابة حمزة عبد اللطيف (ابن المقفع)(١٥٩) وعمر فروخ (ابن المقفع)(١٦٠) بأبحاث طيبة .

إن الكتب الآنفة الذكر قد عكست لنا وجهة النظر العربية لأحداث القرون الوسطى ولا يمكن الاستغناء بأي حال من الأحوال عن وجهة نظر وانطباعات العرب المعاصرين عن أحداث الماضي سواء المنصفين انصاف المتحررين من قيود النظرة الضيقة أو الرجعيين أو التقدميين . يعتبر كتاب توما ، أميل (العرب والتطور التاريخي)(١٦١) محاولة ناجحة في تحليل الحوادث التاريخية تحليلاً ماركسياً علمياً ولكن توما كان يحث الخطى مسرعاً من الماضي السحيق ليصل إلى تاريخنا الحالي بكتاب ليس بكثير الصفحات مما ترك وراءه فجوات واسعة لم يتطرق إليها . هذا إلى أننا لم نتفق معه في قوله (وخلال القرنين الأولين من قيام الامبراطورية العربية الإسلامية تحطم الاقطاع أو على الأصح إقطاع فارس وبيزنطة)(١٦٢) فكيف تحطم الاقطاع ؟ لقد كان الاقطاع في بدء نموه إلا أن الفتح الإسلامي وما تلاه ومحاولة السلطة العربية فرض الارستقراطية القبلية قد جعل الاقطاع يسير بوتائر أبطأ .

يعتبر الباحث اللبناني المتأمرك فيليب حتي ، من أكثر الكتاب العرب تسلكاً للنهج الغربي ولا سيما في الولايات المتحدة . ويعتبر كتابه (تاريخ العرب ، موجز)[١٦٣] وكتابه (تاريخ العرب ، مطول)[١٦٤] ، الذي وضعه بالاشتراك مع جرجي ، ادورد ، وجبور ، جبرائيل) من الأبحاث التي تعكس وجهة النظر البرجوازية وقد اعتمد حتى على زيدان ، جرجي كثيراً . أما المراجع العربية التي اتسمت بشدة كراهيتها للحركات الشعبية وبشوفنيتها وطائفيتها ، والتي رجعنا إليها في مواضيع مختلفة من التاريخ الاسلامي ، فتعود إلى مؤلفين من أقطار مختلفة مثل : العدوي ، ابراهيم أحمد (الدولة الإسلامية وامبراطورية الروم)[١٦٥] وأحمد ، محمد حلمي محمد (الخلافة والدولة في العصر العباسي)[١٦٦] وشبلي ، أحمد (في قصور الخلفاء العباسيين)[١٦٧] وعبد العال ، محمد جابر (حركات الشيعة المتطرفين)[١٦٨] ، وشريف ، محمد بديع (الصراع بين الموالي والعرب)[١٦٩] هؤلاء أنكروا على الشعوب قيامها بوجه السلطة ورددوا مشاعية الزوجات واعتبروا المانوية والمزدكية والخرمية أقامت الشيوعية . وتعتبر كتابات الباحث المصري ، حسن ، ابراهيم حسن (تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي)[١٧٠] ذات مستوى واطيء في التحليل وكذلك مؤلفات الخربوطلي ، علي حسني (تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي)[١٧١] و(الدولة العربية الإسلامية)[١٧٢] وكذلك مؤلف زيدان ، عبد الكريم (أحكام الذميين والمستأمنين)[١٧٣] وكراس الآنسة رحمة الله ، مليحة (معاملة أهل الذمة في العصرين الأموي والعباسي The Treatment of the Dhimmis)[١٧٤] والذي حاولت فيه أن تنكر الاضطهاد والإرهاق الذي كان يتلقاه أهل الذمة ، رغم اعتراف الفقهاء بذلك . من الأبحاث الاقتصادية التي يعتمد الرجوع إليها بحث الدوري ، عبد العزيز (تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري)[١٧٥] وبحث العلي ، صالح أحمد (التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري)[١٧٦] فإن أبحاثهما ذات أهمية وخاصة الفترة التي تناولها العلي .

أما المراجع التي كتبت عن الانتفاضة البابكية أو عن بابك ، سواء كانت الكتابة بصورة مستقلة أم ضمن مواضيع مؤلفاتهم لكن بصورة تفصيلية ، فمحدودة .

وأول من تطرق للموضوع العالم الألماني فلوكل ، غوستاف Flugel, G الذي

كتب بحثاً عن بابك في مجلة جمعية الاستشراق الألمانية تحت عنوان (بابك ، أصله ومبدأ مقاومته Babek, Seine Abstammung und Erstes Auftreten, ZDMG[١٧٧] تناول فيه نشأة الخرمية وأصل تكوينها وسبب تسميتها . والواجب الذي وضعه فلوكل نصب عينيه ـ كما يقول ـ أن يصف أظلم ناحية (أي نشأة الخرمية) أي بداية وأسس هذه الظاهرة ليهتدي بها وليعطي تثميناً صحيحاً لتلك الحوادث[١٧٨] . لكن الحقيقة هي أن فلوكل سعى إلى التشهير بالحركة وطعنها ، فوصم أنصار بابك بـ (الفاقدين للأخلاق ؟)[١٧٩] وقال عن الخرمية أنها نشأت عن الكلمة الفارسية (خرم) وتعني مرح وخرمي تعني مستهتر[١٨٠] ، وقال عنهم ـ مستخدماً أقوال ابن النديم (حيث قام هو بتحقيق ونشر الفهرست ـ كما ذكرنا ـ) ـ ولهم مشاركة في الحرم والأهل لا يمتنع الواحد منهم من حرمة الآخر ولا يمنعه[١٨١] . ولا مجال هنا لذكر المناقشات الدائرة حول مصطلح الخرمية[١٨٢] والتهم التشهيرية ، فقد عالجها البحث بصورة كافية . لقد استخدم كتاب كثيرون كلمات فلوكل في توجيه الطعن للحركة قاصدين التشهير بالشيوعية العلمية الحالية ، لأن هؤلاء الكتاب يعتبرون محاولات المزدكية والخرمية لمعالجة مشاكل الفلاحين وتوزيع الأرض المشاعية عليهم اعتبروها شيوعية (حسب مفاهيمهم!) .

في عام ١٩١٣ صدرت الموسوعة الإسلامية باللغة الألمانية ـ Enzyklopaedie Des Islam[١٨٣] ـ وفيها مقال عن بابك تحت عنوان (بابك رئيس الفرقة الخرمية Babek: Haupt Der Khurramiten sekte)[١٨٤] ، ولقد اعتبر المقال الاسم معربا عن بابك الايرانية . والمقال قصير وقد اعتمد رواية ابن النديم عن نشأة بابك ورواية الطبري عن الحوادث ويشتمل على بعض الأخطاء والتي منها اعتباره تاريخ سقوط البذ يوم ١٨ رمضان ٢٢٢ هـ يصادف ٢٦ نيسان ٨٣٧م[١٨٥] ، بينما هو يصادف ٢٤ آب ٨٣٧ م . ثم يذكر المقال (وبالرغم من الأمان الذي أعطى لبابك فان المعتصم أمر بقتله وتعذيبه)[١٨٦] والمعروف أن بابك رفض الأمان بشمم . في عام ١٩٢١ م ، نشر جوزي ، بندلي صليبه في باكو في مجلة أخبار جامعة باكو الحكومية ، مقالاً عن بابك باسم بابك والبابكية ، وهي أول محاولة لدراسة الموضوع بأسلوب علمي ، لكن المقال على قصره يحتوي على أخطاء تاريخية وعلمية : فهو يعتبر خرمية

جرجان مازياريه[١٨٧] وهو بهذا ينقل خطأ البغدادي ، أبو المنصور (الفرق بين الفرق) دونما تمحيص ، كما وأنه يطلق كثيراً وبصورة خاطئة تعابير علمية حديثة على أحداث قديمة فهو يصف المزدكية والخرمية بالشيوعية والحزب الشيوعي والتعاليم الشيوعية[١٨٨]... الخ . ولم يحاول تصحيح أخطائه عند كتابته لموضوع بابك في كتابه (من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام ـ باللغة العربية)[١٨٩] .

في عام ١٩٣٦ م صدر في موسكو كتيب صغير تحت عنوان ـ (بابك) لمؤلفه تومارا ، وهذا أول مطبوع يظهر للوجود مخصص بصورة كاملة لبابك والانتفاضة البابكية ، ويعتبر الكتيب أكثر توفيقاً في تحاليله العلمية من أبحاث جوزي . يقول تومارا أنه لم يواجه مشاعية النساء طيلة تاريخ الحركة الخرمية بل وحتى القادة كانت لكل واحد منهم زوجة واحدة . ويقول بأن النساء الخرميات حررن من عبودية المنزل ونالت المرأة الاختيار الحر لزوجها[١٩٠] .

لكن بحث تومارا عدا قصره قليل التحاليل ويحتوي على أخطاء تاريخية عالجنا الكثير منها في البحث ونذكر البعض على سبيل المثال لا الحصر . يقول تومارا أن الخرميين الديالمة لم يعاونوا جيرانهم الاذربيجانيين[١٩١] ، ويعلل ذلك بمقولة انكلز حول أحجام الفلاحين في العصور الوسطى عن الانتفاض نتيجة تعودهم الخضوع وإقلاعهم في أماكن عديدة عن استعمال السلاح...الخ والواردة في بحثه عن الحرب الفلاحية في ألمانيا ص ٣١ . ولكن مقولة انكلز كمبدأ عام صحيحة غير أنها لا يمكن أن تستخدم لنكران حقيقة تاريخية حيث أشار كثير من المؤرخين إلى مساهمة الديالمة . ويذكر تومارا أن تيوفيل استأنف في عام ٨٣٦ م هجوماً على الجيوش العباسية ويقول بأن هذا الهجوم مع الهجمات السابقة لم يخفف الضغط عن بابك[١٩٢] بينما تشير المصادر إلى رسالة بابك التي وجهها إلى امبراطور بيزنطة المتردد يحثه فيها على مهاجمة الحدود الإسلامية ويخبره بأن الخليفة أرسل إلى اذربيجان كل جيوشه حتى طباخه وخياطه ، ولكن الامبراطور الحاقد على كل انتفاضة شعبية لم يحرك ساكناً إلا في عام ٨٣٧ بعد اندحار الانتفاضة وسقوط البذ . ويردد تومارا معزوفة/ كلمة (الخرمية) تعني بالعربية أناساً مرحين ذوي حياة ماجنة[١٩٣] . وفي أيام العدوان الفاشستي الهتلري الغاشم على أراضي الاتحاد السوفياتي عام ١٩٤١ م صدر في باكو كراس صغير بـ (٤٢ صفحة)

باسم انتفاضة بابك (نبذة مختصرة) لمؤلفه يامبولسكي اتسم بقلة مناقشته للروايات المختلفة وعدم تعرضه لحوادث عديدة تتطلب الشرح والتفصيل حول مناقشة أصل بابك والحياة العامة للخرميين ، فإن البحث قد عالج مواضيع عديدة بتحاليل علمية أوفر من سابقيه ولو أنه على ما يظهر قد طالع نصوص المصادر العربية مترجمة إلى لغات أخرى وأنه أورد آراء دون أن يسندها إلى مصدر يذكر بأن المتنفضين اتحدوا مع إخوانهم الأرمن والجورجيين(١٩٤) . ولا نعلم من أين جاء بالجورجيين ؟ . ومن المؤسف أن يصور يامبولسكي بابكا بالفاتك حيث يردد تهم مؤرخي العصور الوسطى ومفتريات العلماء البرجوازيين عنه فقد كتب عنه /أول شيء عمله بابك حينما أصبح على رأس الخرمية ، نظمهم للابادة الجماعية لأنصار الخليفة العائشين في ذلك الوقت في آذربيجان/(١٩٥) . أن بابك لم يأمر بالقتل الجماعي لأنصار الخلافة وإنما أمر بمهاجمة الحصون وتدميرها وأن وجود آلاف الأسرى في معسكره عند سقوط البذ لينفي صفة الفتك الجماعي .

وفي نفس العام كتب ابراهيموف أطروحة عن نضال الشعب الاذربيجاني (باللغة الاذربيجانية) وفي عام ١٩٤٣ م أصدر ابراهيموف وتوكارجفسكي تحت عنوان (بسالة ورجولة الاذربيجانيين) ، وفي عام ١٩٤٤ م كتب ابراهيموف عن بابك وقد خصصت كتابات ابراهيموف لتمجيد خرمية آذربيجان .

كتب الدوري ، عبد العزيز في عام ١٩٤٥ بحثا طريفاً عن بابك والانتفاضة الاذربيجانية وعن المازيار وتمرد منكجور الفرغاني في آذربيجان وقد عالج المواضيع معالجة طيبة فاستخدم مصادر عديدة ، ولم يكن البحث مستقلاً وإنما كان متعلقاً بالخليفة المعتصم في كتابه (العصر العباسي الأول)(١٩٦) وقد نهج الدوري نهجاً جديداً في بحثه لم يؤلَف لدى الباحثين العراقيين ولكن الدوري ، وهو المتتبع لخطى أساتذته المستشرقين الغربيين وقع في أخطاء رغم تظاهره باتباع الأسلوب العلمي فاستنتج أن أسباب الانتفاضة هي كره الشعب للحكم العربي ، واستخلص بأن أهداف البابكيين كانت مجرد محو الدين الإسلامي والقضاء على السلطان العربي لإعادة الدين المجوسي والمجد الساساني . ولم يتوان عن استخدام أقوال مؤرخي العصور الوسطى المعادية لإثبات وجهة نظره .

إن فرية اعادة المجد الساساني والدين الزرادشتي أو المجوسي ، التي أطلقها

مؤرخو القرون الوسطى ، أريد بها إثارة المسلمين على المعدمين المنتفضين ولتشويه حقيقة الانتفاضة القائمة لأسباب اقتصادية واجتماعية والمتعارضة أهدافها مع مصالح الارستقراطية الاقطاعية والسلطة . واليوم يحلو للكتاب البرجوازيين تكرار تلك المعزوفة لاخفاء طابع الانتفاضة الطبقي . ولكن جل الجهد المبذول يتلاشى أمام الحقائق الناصعة التي تبرز بين طيات المصادر لتعلن عن التعسف والجور والاستغلال . إن نكران طابع الانتفاضة الطبقي وتصوير مضمونها بالعنصرية والطائفية والقومية يتناقض وأهدافها في التحرر من الجور الاقطاعي وفي تحسين أحوال المساهمين فيها معاشياً وفي احترام مركز المرأة المتدني . لقد انكر الدوري العامل الاقتصادي الذي حرك الشعوب للانتفاض ، لذا ظل الدوري وهو المعجب بآراء المؤلف الايراني صديقي Sadighi G.H.[١٩٧] يستخدم أقوال مؤرخي القرون الوسطى في حصر الانتفاضة في إطار العنصرية والطائفية وظل يكررها في مؤلفاته مثل (دراسات في العصور العباسية المتأخرة)[١٩٨] و(مقدمة في صدر الإسلام)[١٩٩] و(الجذور التاريخية للقومية العربية)[٢٠٠] و(الجذور التاريخية للشعوبية)[٢٠١] . ولقد اعتمد الدوري بعض آراء جوزي الخاطئة حيث وقع في اخطائه حول ما زيارية جرجان مثلاً .

صدر في عام ١٩٤٨ مقال في مجلة العالم الإسلامي The Muslim World للباحث الامريكي رايت Edwin Wright تضمن العددين الأول والثاني من التسلسل الدوري الثامن والثلاثين بعنوان بابك البذي والأفشين خلال أعوام ٨١٦ - ٨٤١ Babek of Badhdh and al- Afshin during the Years 816- 841[٢٠٢] تناول البحث فيه انتفاضة بابك منذ نشأتها حتى اندحارها - في العدد الأول من المجلة ثم محاكمة الافشين وما تعلق بها من قضية المازيار - في العددين الأول والثاني - وينقل رايت Wright روايات ابن النديم والمسعودي وغيرهما نقلاً يكاد أن يكون تاماً ، وهو قليل التعليق والمناقشة وأول من نبه إلى أن ابن النديم ينفرد بذكر بلال آباد كموطن لوالدة بابك ، حيث تذكر المصادر الأخرى موضعاً آخر[٢٠٣] . ويعتقد رايت أن بابك دعا إلى المتعة والفرح لأن فلسفته (خرم) السرور[٢٠٤] .

كتب العالم التشيكي ليرجي تسيبك في عام ١٩٥٢ م بحثاً في مجلة الشرق الجديد عن بابك/ بابك الشخص الذي ارتعش أمامه الخلفاء Irzi Ceipek, Babek,

Muz Pred Kterym Se- Trasli Chalifove, Novy Orient, Praha, 1952, S. 163-4. وفي عـام ١٣٣٣ شـمـسي المصادف ١٩٥٤ م أصدر الكاتب والباحث الإيراني نفيسي ، سعيد ، كتيباً صغيراً عن بابك باسم بابك الخرمي (بابك خرم دين دولار آذربيجان ، تهران ١٣٣٣) وهو عبارة عن مقالاته السابقة ، وقد جمع نفيسي مقتبسات من مصادر مختلفة وهو كغالبية الايرانيين يعتبر بابك بطلاً قومياً إيرانياً وقد ترجم كتابه إلى الاذربيجانية باسم (اذربيجاني قهرماني بابك خرم دين ، باكو ١٩٦٠) وهي النسخة التي اعتمدنا عليها .

صدر في دمشق في عام ١٩٥٧ كتاب (في التاريخ العباسي ، الجزء الأول) لمؤلفه مصطفى شاكر وفيه بحث عن بابك ضمن الكلام عن الخليفة المعتصم . والمؤلف ترسم خطى الدوري في مؤلفه (العصر العباسي الأول) حتى كاد أن يكون (في التاريخ العباسي) صورة طبق الأصل من (العصر العباسي الأول) وإن حاول مصطفى ، شاكر التخلص من النظرة الشوفينية والطائفية ، فقد وقع في نفس أخطاء الدوري .

في عام ١٩٥٨ م صدرت أعداد من مجلة بازمافيب Pazmaveb (وبازمافيب بالأرمنية تعني روايات عديدة) في البندقية بإيطاليا وفيها مقالات لـ (كورديان) ، حايك .Kurian H (باللغة الأرمنية) تحت عنوان بابك وسهل بن سنباط/ صفحة من تاريخنا في القرن التاسع(٢٠٥) وقد قسمت المقالات إلى ثلاثة أقسام ، القسم الأول عن بابك ، والقسم الثاني عن علاقة بابك بسهل بن سنباط والقسم الثالث عن عيسى بن اصطيفانوس ، وقد جمع فيها أقوال مؤرخي العصور الوسطى الأرمن والسريان . هذا بالإضافة إلى استخدام نصوص من الترجمة الانكليزية لحوادث ٨٣٣ ـ ٨٤٢ م من خلافة المعتصم من كتاب الطبري وقد قامت بهذه الترجمة آلمه مارتن في سنة ١٩٥١م ، ولم يناقش كورديان .Kurdian H إلا في القليل النادر .

كتب بونيباتوف ، ضياء الدين موسايفيح في عام ١٩٥٩ م مقالات عديدة نشرت تباعاً في مجلة أخبار اكاديمية العلوم الاذربيجانية السوفييتية المجلد الخامس عشر الاعداد الثاني والثالث والخامس والسابع والتاسع عن : منكجور ، مصطلح الخرمية ، محل وموقع مدينة وقلعة البذ ، بابك وبيزنطة ، ومعلومات جديدة عن موقع قلعة شاكي ، وكتب في عام ١٩٦١ مجدداً في نفس المجلة ، المجلد السابع عشر في

العددين الأول والرابع عن : كتاب تاريخ أغوان ، وعن مدينتي وقلعتي البذ وشاكي . وقد اتسمت كتاباته بالتحليل الماركسي العميق ودلت على مبلغ الجهد المبذول في التقصي والبحث بأناة وصبر وحيث مكنته معرفته للعديد من اللغات الأوروبية بالإضافة إلى العربية والفارسية والتركية ولغته القومية الاذربيجانية والروسية ، مكنته من الإحاطة بالمصادر المختلفة ، فجاءت مناقشاته للآراء المختلفة دقيقة ومتزنة . وفي عام ١٩٦٥ صدر كتابه : آذربيجان في القرون السابع ـ التاسع (٢٠٦) وجاء حافلاً بالمعلومات وقد خصص الفصل الخامس (وهو الأخير) لحركة جماهير آذربيجان ضد الخلافة ، تناول فيه بالتفصيل حياة بابك والفعاليات ومنشأ مصطلح الخرمية ، وقد تطرق إلى كل صغيرة وكبيرة مسندة ومعززة بأقوال المؤرخين وقد الحق بالكتاب ملحقاً لما ترجمه من نصرص مختلفة إلى اللغة الروسية .

صدرت في عام ١٩٦٠ طبعة جديدة للموسوعة الإسلامية (النسخة الانكليزية The Encyclopedia of Islam, New Edition, V, 1, Leiden. London, 1960, p. 844. وفيها مقال عن بابك ومن الطبيعي أن المقال لا يختلف كثيراً عما كتب في النسخة الألمانية (١٩١٣م) سوى أنهم حاولوا تصحيح تاريخ سقوط البذ فوقعوا في الخطأ مجدداً حيث ذكروا ٩ رمضان ٢٢٢ هـ/ ١٤ آب ٨٣٧م والصحيح هو ١٨ رمضان ٢٢٢ هـ/ ٢٤ آب ٨٣٧م .

هوامش الفصل الأول

(١) الفهرست ـ طبعة فلوكل ـ ليبزك ١٨٧١ ـ ٧٢ جـ ١ ص ٣٤٣ . القاهرة ـ ص ٤٩٤ .
(٢) لاحظ بونيياتوف ـ آذربيجان في القرن السابع ـ التاسع ص ٣٥ ـ ٣٦ .
(٣) G.H. Sadighi, Les Mouvements Religieux Iraniens, Paris, 1938.
(٤) خليلي ، عباس ، إيران واسلام . طهران ، ١٣٣٦ (باللغة الفارسية) .
(٥) نفيسي ، سعيد ، اذربيجان قهرماني بابك خرم دين (بالأذربيجانية) .
(٦) تومارا ، م ، بابك ، موسكو ، ١٩٣٦ .
(٧) يامبولسكي ، ز . اي . ، انتفاضة بابك ، باكو ، ١٩٤١ .
(٨) جوزي ، بندلي صليبه ، بابك والبابكية ، أخبار الجامعة الباكوية الحكومية ، نمرة ١ ، باكو ، ١٩٢١ (باللغة الروسية) و «من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام» ، دار الروائع ، بيروت .
(٩) مجموعة مقالات في مجلة أخبار أكاديمية علوم آذربيجان السوفييتية ، الأعداد ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٧ ، ٩ (١٩٥٩ـ١٩٦١) ، وآذربيجان في القرون السابع ـ التاسع ، باكو ، ١٩٦٥ م (باللغة الروسية) .
(١٠) وحتى يعثر على تلك المصادر تظل دعوة الدكتور طه حسين تناشد المؤلفين (وأيسر ما يجب على المؤرخ المحقق أن يسمع أو يقرأ ما تحدث به أو كتبه المنهزمون والمنتصرون جميعاً) ـ الشيخان ـ ص ٨ ـ ٩ .
(١١) يصر الدوري ، عبد العزيز في مختلف كتبه على اعتبار الانتفاضة سعت لاحياء الدين المجوسي ولاعادة مجد ايران الساساني .
(١٢) كما يصور ذلك بعض المؤلفين الايرانيين ولا شك أن الحركة القومية لم تكن معروفة بعد في القرون الوسطى .
(١٣) تاريخ الاتحاد السوفييتي (بالروسية) ، القسم الأول ، موسكو ، ١٩٦١ ، ص ٤١ .
(١٤) ديوان أبي تمام ، بشرح الخطيب التبريزي ، وتحقيق محمد عبده عزام ، جزءان ، القاهرة .
(١٥) ديوان البحتري ، طبعة هندية ١٣٢٩ هـ .
(١٦) ديوان علي بن الجهم ، بتحقيق خليل مردم بك ، دمشق ١٩٤٩ م .
(١٧) ديوان الحماسة ، مختصر شرح العلامة التبريزي ، جزءان ، القاهرة ، ١٩٥٥ م .
(١٨) البيان والتبيين ، بتحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٣٦٩ هـ .
(١٩) طبعة ليبزك ، ١٨٦٤ م .
(٢٠) بتحقيق محمد سعيد العريان ، ط ٢ ، ثمانية أجزاء ، القاهرة ، ١٩٥٣ .
(٢١) ٢١ جزءاً ، القاهرة ، ١٩٠٤ م .
(٢٢) ٤ مجلدات طبعة كوتنكن ، ١٨٩٩ م ، والقاهرة ، ١٩٢٥ ـ ١٩٣٠ م .

(٢٣) طبعة رغوتينغين ، ١٨٥٠ م ، والقاهرة ، ١٩٦٠ م .
(٢٤) طبعة ليدن ، ١٩٠٠م ، والقاهرة ، ١٣٠٠ هـ .
(٢٥) طبعة كوتا ، ١٧٧٥ م .
(٢٦) طبعة دي غويه ، ليدن ، ١٩٠٤م .
(٢٧) نقل عنه الألوسي ، محمود شكري ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، القاهرة ١٩٢٣ ، جـ ١ ص١٦٩ ، ١٧١ ، ونشره كرد علي ، محمد بأجمعه ضمن كتاب رسائل البلغاء .
(٢٨) طبعة ليدن ١٨٦٦ م .
(٢٩) جـ ١ ، القاهرة ١٩٥٩ ، جـ ٤ و جـ ٥ ، القدس ١٩٣٦ ، جـ ١١ ، باعتناء اهلوارت ، ليدن ١٨٨٣ م .
(٣٠) باعتناء جورجاس ، ليدن ، ١٨٨٨ م ، ووضع فهارسه وقدم له كراتشكوفسكي في ليدن ، ١٩١٢م .
(٣١) جزءان ، طبعة ليدن ، ١٨٨٣ م ، طبعة ليدن ، ١٨٨٣ م ، ٣ أجزاء طبعة النجف ، ١٣٥٨ هـ .
(٣٢) كي ليسترنج ، بغداد ، ص ٢٦٩ . Le Strange, Guy, Bagdad, London, 1900, P.269 .
(٣٣) بونيياتوف ، آذربيجان في القرون السابع ـ التاسع ، باكو ، ١٩٦٥ ، ص ٨ (باللغة الروسية) .
(٣٤) انظر ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٤٠ .
(٣٥) طبعة دي غويه ، ليدن ، مطبعة بريل ١٨٧٩ ـ ١٨٨٥ م ، وطبع القاهرة بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ در المعارف ، القاهرة ١٩٦٠ م .
(٣٦) حول ذلك لاحظ دنت ، دانيل ـ الجزية والإسلام ، (الترجمة العربية) ص ٤٧ .
Dennet, Danel G..Conversation and the Poll Tax in Early Islam, Cobridge, 1950.
(٣٧) طبعة القاهرة ، ١٩٥٨ م .
(٣٨) طبعة ليدن ، ١٨٩٣ .
(٣٩) طبعة القاهرة ، ١٩٣٨ .
(٤٠) خودابخش ، الحضارة الإسلامية ، ترجمة الخربوطلي ، علي حسني . القاهرة ١٩٦٠م ، ص ١٧٩ .
(٤١) طبعة ليبزك ، ١٨٤٤ م ، وطبعة برلين ١٣٤٠ هـ/ ١٩٢١ ـ٢م .
(٤٢) في مقالة عن الاصبهاني حمزة بن الحسن ، مجلة سومر ـ مجلد ١٩ ـ بغداد ، ١٩٦٣ ، ص ٨٥-٦ .
(٤٣) فقد ذكر سمينوف اسم الكتاب تاريخ سنين ملوك الأرض والانبياء ، وهذا خطأ مطبعي كما نظن . لقد ذكر ذلك في مجلة مسائل التاريخ والدين والالحاد ، العدد ٥ لسنة ١٩٥٨ ص ٣٥٥ .
(٤٤) لويس ، برنارد ، أصول الاسماعيلية ، ترجمة جلو ، خليل أحمد والرجب ، جاسم محمد ، القاهرة ، ص٥٤ . The Origins of Ismailism, Bernard, Lewis
(٤٥) طبعة ليبزك ، ١٨٧١ ـ ١٨٧٢ م وهي طبعة فلوكل ، وطبعة القاهرة ، مطبعة الرحمانية .
(٤٦) حيث حقق وطبع كتاب الفهرست .
(٤٧) Historia Chalifatus Al- Motasimi. C. Sandenbergh, Matthissen, Luduni Batvorum, E.J. Brilli, 1849 وهو كتيب صغير لا تتجاوز صفحاته ٧٥ صفحة من القطع الصغير لمؤلف مجهول يظن أنه من القرن الرابع الهجري والكتيب هو الجزء الثالث من تاريخ الخلفاء من كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق .
(٤٨) المطبعة الأزهرية ، القاهرة ، ١٣٠١ هـ ، وطبعة القاهرة أيضاً ، ١٩٣١ ـ ١٩٤٠ .
(٤٩) كايتاني ، ليون ، حوليات الإسلام ، ميلانو ، ١٩١٢ جـ ٥ ص ٢٨٠ ـ ٥٣٢
Leon Caetani, Annali Dell, Islam, Melano, 1912 V. pp. 280-532.
انظر دنت ، دانيل ، الجزية والإسلام (مترجم) ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ٣٣ .
Daniel, G. Dannet, Conversation and the Poll Tax in Early Islam, P. 33.
(٥٠) G.H. BECKER - Die Enststehung Von USR and Harag Land in Agypten "Islamstudien, 1 p. 219, Z.A.XVIII, 302-303

انظر دنت ، الجزية والإسلام ، ص ٤١ .

(٥١) J. Wellhausen, Das Arabische Reich und Sein sturz, Berlin, 1902 وقد ترجمت الكتاب إلى الانكليزية Margaret Grahamweir The Arab Kingdon, and its Fall, Calcutta, 1927 وإلى العربية يوسف العش ، الدولة العربية وسقوطها ، دمشق سنة ١٩٥٦ ، وأيضاً محمد عبد الهادي أبو ريدة (تاريخ الدولة العربية إلى نهاية العصر الأموي) ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

انظر دنت ، الجزية والإسلام (مترجم) ، ص ٢٩ . وقد اعتمدنا النسخة التي ترجمها يوسف العش .

(٥٢) الجزية والإسلام ، (مترجم) - ص ٤١ .

(٥٣) لوكيكارد ، الضريبة الإسلامية ، ص ٧٢ .

Frede Lokkegaard, Islamic Taxation in The Classic Period, Copenhagen, 1950. p.72.

(٥٤) طبعة بولاق ، ١٣٠٢ هـ ، وطبعة القاهرة ، ١٣٨٢ هـ .

(٥٥) طبع القاهرة ، ١٣٤٧ هـ/١٩٢٨ م وقد ترجم الكتاب إلى الانكليزية Ben Shemsh, Aharon باسم Taxation in Islam طبع ليدن ، ١٩٥٨ م ، وقدم له كويتن Goitein وذكر في مقدمته (أن كتاب أبي يوسف أعمال قضائية بينما كتاب يحيى إنما هو كتاب حديث) . إلا أن تسمية الكتاب وما احتواه من أمور مالية تدلان على أن الكتاب مخصص لمعالجة الأمور المالية وما الأحاديث المروية إلا لاثبات وجهات النظر .

(٥٦) طبع القاهرة ، ١٩٥٣ .

(٥٧) نشره شاخت ، ليدن ، ١٩٣٣م .

(٥٨) القاهرة ، ١٩٦٠ م ، والأحكام السلطانية لأبي يعلى الحنبلي (٤٥٨ هـ) ، القاهرة ، ١٣٥٧ هـ .

(٥٩) طبعة ريتر ، الاستانة ١٩٢٩ ، ١٩٣٠ .

(٦٠) القاهرة ، ١٩٤٩م .

(٦١) القاهرة .

(٦٢) مقال لفخر الدين الرازي طبعه وعلق عليه بول كراوس

Kraus, Paul, Les "Controverses" de Fakhr Al- Din Razi, B.I.E. VIX 205 F F und 212 F F. لاحظ - لويس - أصول الاسماعيلية (مترجم) - ص ٦٤ .

(٦٣) القاهرة ، ١٩٤٠ م .

(٦٤) طبعة القاهرة ، ٤٨ ، ١٩٤٩ م .

(٦٥) مجلة جمعية الاستشراق الألمانية ، بابك ، ٥٣١

Flugel, G., Babek, Seine Abstammung and Erstes Auftreten, ZDMG, 1869, S. 531.

(٦٦) انظر الهامش ٦٢ .

(٦٧) (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ، ١٩٣٨ .

(٦٨) القاهرة .

(٦٩) نشره دي غويه ، ١٨٩٢ .

(٧٠) ليدن ، ١٣٠٢ هـ .

(٧١) ليدن ، ١٣٠٦ هـ/١٨٨٩ م .

(٧٢) ليدن ، ١٩٢٧م .

(٧٣) ليدن ، ١٣٠٦ هـ/١٨٨٩م .

(٧٤) رسالة أبي دلف الثانية ، موسكو ، ١٩٦٠ .

(٧٥) م . ن . (المصدر نفسه) ، ص ١٣ .

(٧٦) باعتناء دي غويه ، ١٨٧٢ .

(٧٧) ليدن ، ١٨٧٣ .
(٧٨) باعتناء دي غويه ، ١٨٧٧ .
(٧٩) بيروت ، ١٩٥٠ .
(٨٠) طبعة باريس ، ١٨٩١ .
(٨١) انظر عنه أعمال بارتولد ، القسم الأول ، موسكو ، ١٩٦٣ ، ص ٦٢٦ .
(٨٢)موسكو ، ١٩٤٩ .
(٨٣) طهران ، ١٣٤٠/١٩٦٢ م .
(٨٤) النص الفارسي ، ص ٢٩٠ ، والترجمة الروسية ص ٢٢٤ .
(٨٥) طهران ، ١٣٢٠ ش ، ١٩٤١ م .
(٨٦) ليدن ، لندن ، ١٩٠٥ .
(٨٧) ترجمه عن الأرمنية بيترمان ، سانتبطرسبرغ ، ١٨٦٢ .
(٨٨) توجد ترجمتان للكتاب من الأرمنية أحداها ترجمة باتكانوف ، ك إلى الروسية وقد اعتمد على نسخة شاخاتوني الخطية فقط ، والأخرى ترجمة داوست j.F. Dowsett إلى اللغة الانكليزية The History of the Caucasian Albanians, by Movses Dasxuranci, London, 1961.
ويثمن بونيياتوف ترجمة داوست لأنها اعتمدت على أكثر من ٤٠ نسخة خطية في مكتبات العالم ، بونيياتوف ، اذربيجان في القرون السابع ـ التاسع ص ١٢ .
(٨٩) التاريخ العام ، فاردان ، ترجمه من الأرمنية أمين ، ن ، موسكو ١٨٦١ .
(٩٠) Kurdian H. Papek e Sahlibn sunbat. Pazmaveb. Venice, 1959, p. 15
(٩١) رسالة انجلز إلى ماركس ، حزيران ١٨٥٣ ، كارل ماركس وفريدريك انجلز ، الرسائل المختارة موسكو ، ١٩٥٣ ص٧٤ـ٥ .
(٩٢) م ، ن ، ص ٧٤ ـ ٥ .
(٩٣) كارل ماركس وفريدريك انجلز المؤلفات المجلد التاسع الطبعة الثانية ص ١٣٢ .
(٩٤) انكلز الحرب الفلاحية في ألمانيا ، موسكو ، ١٩٥٢ ـ ص ٣٤ .
(٩٥) م ، ن ، ص ٣١ .
(٩٦) موسكو ، ١٩٥٦ .
(٩٧) موسكو ـ لينينغراد ، ١٩٦٤ .
(٩٨) لينينغراد ، ١٩٥٨ .
(٩٩) طبعة موسكو ، ١٩٦١ .
(١٠٠) العدد ٥ ، موسكو ، ١٩٥٨ .
(١٠١) لمؤلفه الاستاذ سمينوف ، ف . ف . موسكو ، ١٩٦١ .
(١٠٢) موجز من تاريخ ايران القديم ، موسكو ، ١٩٥٢ .
(١٠٣) م ، ن ، ص ٣٠ .
(١٠٤) م ، ن ، ص ٤٠ .
(١٠٥) تاريخ بلدان الشرق الأجنبية ، ص ٢١٦ .
(١٠٦) موسكو ، ١٩٤٤ .
(١٠٧) موسكو ، ١٩٥٧ .
(١٠٨) موسكو ـ لينينغراد ، ١٩٤٨ .
(١٠٩) موسكو ـ لينينغراد ، ١٩٤٨ .
(١١٠) موسكو ، ١٩٦١ .
(١١١) موسكو ، ١٩٥٤ .

(١١٢) الجزية والإسلام .
(١١٣) يرفان ، ١٩٤٧ .
(١١٤) م . ن . جـ ٢ ص ٤٢٧ .
(١١٥) م . ن . جـ ٢ ص ٤٣٦ .
(١١٦) م . ن . جـ ٢ ص ٤٣٧ .
(١١٧) يرفان ، ١٩٣٩ .
(١١٨) م . ن . ص ٢١ .
(١١٩) م . ن . ص٢١ .
(١٢٠) م . ن . ص٢١ .
(١٢١) المجلد الأول ، باكو ، ١٩٥٨ .
(١٢٢) م . ن . ص ١١٨ .
(١٢٣) م . ن . ص ١٢٠ .
(١٢٤) م . ن . ص١٢٠ .
(١٢٥) م . ن . ص ١١٧ .
(١٢٦) لندن ١٩٥٣ ، وانظر مقاله الممتع عن اذربيجان في الموسوعة الاسلامية م ١ ، ص ١٨٨ .
The Encyclopaedia of Islam V.1, p. 188.'
(١٢٧) دراسات في التاريخ القفقاسي ، ص ١١٢ -١١٣ .
(١٢٨) حدود العالم The Regions of the World لندن ، ١٩٣٧ وقد قدم له بارتولد ونشره وترجمه بالانكليزية مينورسكي . وتوجد نسخة خطية لحدود العام مع فهارس لبارتولد في مكتبة لينينغراد . .
(١٢٩) القرآن ، لندن ، ١٨٥٧ .
The Koran, Commonly Called the Al- Coran of Mohammed.
(١٣٠) ابن العبري ، غريغوريوس (م . ٦٧٤ هـ/١٢٨٦ م) أبو الفرج ابن هارون ، تاريخ مختصر الدول ، طبعة أوكسفورد ، ١٦٦٣ وطبعة بيروت ١٨٩٠ م .
(١٣١) سيل ، القرآن ، ص ١٣٠ .
(١٣٢) تعريب الدكتور مصطفى طه بدر ، القاهرة ، ١٩٤٧م . (لقد ترجم خدابخش كتاب فون كريمر من الألمانية إلى الانكليزية تحت عنوان (الحضارة الاسلامية) في الجزء الأول من كتابه المسمى Constributions to the History of Islamic Civlisation وعنه ترجم الدكتور مصطفى طه بدر إلى العربية .
(١١٣) ترجمة حسن حبشي ، القاهرة ، ١٩٤٩ .
(١٣٤) ترجمة يحيى الخشاب ، القاهرة ، ١٩٥٧ .
(١٣٥) ادنبره ، ١٩٢٤ .
(١٣٦) لندن ، ١٨٨١ .
(١٣٧) - (بيتبرغ) ، ١٨٩٥ .
(١٣٨) ص ١٦٩ .
(١٣٩) ص ١٩٥ .
(١٤٠) ط ٣ لندن ، ١٩٢٠ .
(١٤١) ترجمة محمد كفافي وجماعته ، القاهرة ، ١٩٥٩ .
(١٤٢) لندن ، ١٩٢٣ .
(١٤٣) لندن ، ١٩٢٣ .
(١٤٤) بوسطن ، ١٩٦٢ .

(١٤٥) ترجمة نبيه امين فارس ومنير البعلبكي ، بيروت ، ١٩٤٨ .
(١٤٦) ط ٢ ، كامبردج ، ١٩٥٧ .
(١٤٧) نيوريورك ، ١٩٥٥ .
(١٤٨) ترجمة علي حسني الخربوطلي ، القاهرة ، ١٣٨٠ هـ/ ١٩٦٠ م .
(١٤٩) ليدن/بريل ، ١٩٥٣ .
(١٥٠) القاهرة ، ١٩٤٧ .
(١٥١) ترجمة نبيه امين فارس ، بيروت .
(١٥٢) أصول الاسماعيلية ، ص ٢٠٣ .
(١٥٣) ترجمة كرلوفا ، ز ، ف . وساتس أي . أ . ، موسكو . ١٩٦٢ .
(١٥٤) تحقيق الأثري ، محمد بهجت ، القاهرة ، ١٩٢٣ .
(١٥٥) القاهرة ، ١٩٥١ ، ١٩٥٣ .
(١٥٦) ٥ أجزاء ، القاهرة ١٩٠٢ ـ ١٩٠٥ .
(١٥٧) جزءان ، بيروت ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ .
(١٥٨) ط ٢ القاهرة ، ١٩٤ .
(١٥٩) بيروت .
(١٦٠) ترجمة من الانكليزية إلى العربية نقولا ، جبرا ، حيفا ، ١٩٦٢ .
(١٦١) م . ن . ص ٣٦ .
(١٦٢) ط ٢ بيروت ، ١٩٥٤ .
(١٦٣) ط ٢ ، بيروت .
(١٦٤) القاهرة ، ١٩٥٨ .
(١٦٥) القاهرة ، ١٩٥٩ .
(١٦٦) القاهرة .
(١٦٧) القاهرة ١٩٥٤ .
(١٦٨) القاهرة ، ١٩٥٤ .
(١٦٩) القاهرة ، ١٩٥٣ .
(١٧٠) القاهرة ، ١٩٥٩ .
(١٧١) القاهرة ، ١٩٦٠ .
(١٧٢) بغداد ، ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٣م .
(١٧٣) بغداد ، ١٩٦٣ .
(١٧٤) بغداد ، ١٩٤٨ .
(١٧٥) بغداد ، ١٩٥٣ .
(١٧٦) ص ٥٣١ ـ ٥٤٢ .
(١٧٧) م . ن . ص ٥٣١ .
(١٧٨) م . ن . ص ٥٣١ .
(١٧٩) م . ن . هامش ص ٥٣١ .
(١٨٠) م . ن . ص ٥٣١ .
(١٨١) كتب بونيياتوف ، ز . بحثاً قيماً ناقش فيه مصطلح الخرمية في مجلة أخبار الاكاديمية الاذربيجانية السوفييتية ، العدد ٣ لسنة ١٩٥٩ .
(١٨٢) المجلد الأول ، ليدن ـ لايبزك ، ١٩١٣ .
(١٨٣) م . ن . ص ٥٦٨ ـ ٩ .

(١٨٤) م . ن . ص ٥٦٩ .
(١٨٥) م . ن . ص ٥٦٩ .
(١٨٦) بابك والبابكية ، ص ٢٠٥ .
(١٨٧) م . ن ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ .
(١٨٨) القدس ، ١٩٢٧ .
(١٨٩) بابك ، ص ٢١ ـ ٢٢ .
(١٩٠) م . ن ص ٨٨ ـ ٩ .
(١٩١) م . ن . ص ١١٨ .
(١٩٢) م . ن . هامش ص ٧ .
(١٩٣) انتفاضة بابك ، ص ١١ .
(١٩٤) م.ن ص ١٩ .
(١٩٥) بغداد ، ١٩٤٥ .
(١٩٦) Les Mouvements Religieux Iranians, Paris, 1937
(١٩٧) بغداد ، ١٩٤٥ .
(١٩٨) بغداد ، ١٩٤٩ .
(١٩٩) بيروت ، ١٩٦٠ .
(٢٠٠) بيروت ، ١٩٦٢ ، وقد كتبنا رداً عليه في مقالنا (الشعوبية) في مجلة الغد العدد الثالث ، براغ .
(٢٠١) مجلة الآداب اللبنانية العدد الثالث ، اذار ١٩٦٥ .
(٢٠٢) عدد كانون الثاني ١٩٤٨ ، واشنطون .
(٢٠٣) م . ن . ص ٤٩ .
(٢٠٤) م . ن . ص ٤٩ .
(٢٠٥) Kurdian H., Papek e Sahl Ibn Sunbat, Pazmaveb, Venice, 1958.
(٢٠٦) باكو ، ١٦٥ م .

الفصل الثاني

الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي
للبلدان الشرقية الخاضعة للنفوذ العباسي
(إيران - أذربيجان - أرمينيا)

البابكية
انتفاضة الشعب الاذربيجاني ضد الخلافة العباسية
٢٠١ هـ/٨١٦ م ـ ٢٢٢ هـ/٨٣٧ م[١]

قامت في بداية القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي ، انتفاضة واسعة في اذربيجان وفي القسم الشمالي الغربي من ايران وفي جزء من ارمينيا ، ضد الخلافة العباسية واستمرت حوالي (٢٠) عاماً ناضلت الشعوب فيها تحت قيادة الشاب الباسل بابك ، نضالاً مستميتاً من أجل الحرية .

ولم تكن الانتفاضة وليدة الصدفة وإنما لها جذورها التاريخية ، فهي كسائر انتفاضات الخرميين ، وليدة تراكمات أحقاد المستَغَلين من فلاحين وبقية شغيلة المدن وصغار المتكسبين ، من باعة وتجار ، الذين كانوا يعانون أيضاً ، كالفلاحين ، من شدة قساوة الاستغلال الاقطاعي والتعسف والجور الحكومي .

ولكي ندرك الأسباب الموضوعية للانتفاضة علينا أن ندرس تاريخ الحركات الخرمية التي هي فرقة متطورة عن المزدكية ، وندرس تاريخ وأحوال الشعوب المساهمة في الانتفاضة ، ولهذا فإننا سنعود القهقرى ونتوغل في التاريخ ليتسنى لنا تتبع تطور كفاح هذه الشعوب ونضالاتها من أجل رفاهها وتحررها واستقلالها والدور التقدمي الذي لعبته في كفاحها ضد التسلط الأجنبي والاستغلال المحلي والأجنبي .

ويقيناً أننا سنواكب ، في هذه الفترة الطويلة ، سير تطور وسائل وأساليب الانتاج وتغير العلاقات الانتاجية ، ومشاهدة اثر كل ذلك في بناء المجتمع وتكوينه

السياسي والاجتماعي وتشخيص الصراع الطبقي والمفاهيم التي تستغل في تلك الميادين ، حتى إذا بلغنا عصر الانتفاضة البابكية تيسر لنا تحديد العلاقة بين الحاكمين المتمثلة بسلطة الخلافة العباسية وبين المحكومين المتمثلة بالشعوب المحتلة .

لهذا سيتناول بحثنا في الفصل الثاني الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي لبلدان ايران ، آذربيجان وارمينيا في أواخر العهد الساساني وفي عهد الفتوحات الإسلامية ، أي الراشدي ثم في العهد الأموي وبداية العهد العباسي .

الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للبلدان الشرقية الخاضعة للنفوذ العباسي (ايران، آذربيجان، أرمينيا):

١ ـ الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي قبل الفتح الإسلامي:

آ ـ في ايران:

كانت ايران قبل الفتح الإسلامي امبراطورية تحكمها الارستقراطية الايرانية وعلى رأسها العائلة الساسانية ، ودينها الرسمي الزرادشتية ، وتركيبها الطبقي كان مجتمع العبيد ثم تحول إلى مجتمع للاقطاع . فلقد ورثت الامبراطورية الساسانية تقاليد ونظم امبراطورية العبيد السابقة حيث استمر مجتمع العبيد سائداً لفترة طويلة في العهد الساساني حيث كان التقسيم الطبقي للمجتمع الايراني هو الآتي : ـ السادة الارستقراطيون ملاك العبيد وهم الطبقة السائدة والحاكمة والمستغلة وعلى رأسهم السلالة الساسانية . والعبيد وهم الطبقة المسودة المضطهدة المستغلة ومعهم الفلاحون الأحرار المنضمون إلى مشاعيات (مزارع مشاعية) والذين كانت حريتهم وأراضيهم مهددة دوماً من قبل الارستقراطية ، وهنالك الرحالة المتجولون مع ماشيتهم في ربوع البلاد وهناك أيضاً كادحو المدن ، غير أن التناقض الطبقي الأساسي كان بين الارستقراطية والعبيد . ثم بدأت تختلق في رحم ذلك المجتمع ـ مجتمع العبيد ـ نواة المجتمع الجديد (مجتمع الاقطاع) وبرزت للوجود في أواخر العهد الساساني بواكير النظام الاقطاعي بعد أن بلغت التناقضات أشدها في نهايات عهد العبيد . يذكر الأستاط ايفانوف ، م . س . أنه (من أول الساسانيين حتى القرن الخامس كانت علاقات العبودية منتشرة على نطاق واسع وبصورة رئيسة بين سكان ايران الأحرار

وكذلك الارتباطات القبلية ، ولكن وسط السكان الأحرار نشأت عملية التمايز الطبقي فغالبيتهم تحولوا إلى طبقة الفلاحين التي بدأت تستغلها تدريجياً الارستقراطية الاقطاعية مالكة الأرض والارستقراطية مالكة العبيد وكبار رجال الدين والعسكريون[٢] .

هناك وثائق وآثار نجد صداها في أدبيات ومصادر فارسية[٣] عن ظهور الاقطاع وفي مصادر عربية كثيرة ، كالحوار بين الملك بهرام بن بهرام بن هرمز والموبذ حول الضرائب[٤] ، ومحاورة قباذ مع عجوز حول شريكها في البستان[٥] ، وتنظيمات كسرى الأول ـ انو شروان ـ المالية[٦] .

لقد أصبح التركيب الطبقي للمجتمع الايراني في الفترة الأخيرة من الحكم الساساني هو الآتي : ـ السادة الارستقراطيون ملاك الأراضي ومعهم صغار الملاك ـ الدهاقين ـ وعلى رأس الجميع الأسرة الساسانية الحاكمة وكانوا جميعاً الطبقة السائدة (حكام الولايات وقادة الجيش والقضاة وكبار رجال الدين من هذه الطبقة فقط) المستغلة المضطهدة لابناء الشعب ، والطبقة الثانية طبقة الفلاحين المسودة المستغلة المضطهدة ومعهم سائر الشغيلة من كادحي ابناء الشعب والعبيد . وبالرغم من بقاء بعض ملاك العبيد فإن التناقض الطبقي الأساسي في العهد الأخير هو التناقض بين الملاك وبين الفلاحين .

لقد دفع الهبوط الاقتصادي ارستقراطيي ـ أشراف ـ ايران ، مالكي الاعداد الهائلة من العبيد ، إلى تشغيل عبيدهم في الزراعة ، ومنحهم قليل من الحرية ، فلقد أصبحت الزراعة أكثر مجالاً للكسب ، وهذا مما ساعد بصورة عامة على ظهور ازمة العبيد[٧] وأدى إلى التحول إلى الاستغلال الجديد ـ الاستغلال الاقطاعي ـ .

غير أن النظام القديم ـ نظام العبودية ـ لم يختلف تماماً ، بل ظل سائراً نحو نهايته والفساد ينخر في كيانه ويرافقه خلفه ـ النظام الجديد (النظام الاقطاعي) محتلاً مواقعه التي انحسر عنها ، لقد كان نظام الرق يلفظ أنفاسه ، لأنه أصبح عائقاً للتقدم الاقتصادي ومسبباً الضعف للسادة ومالكي العبيد . وكان النظام الاقطاعي ـ وريث مجتمع العبيد ـ في بداية نشوئه وتطوره . وبسبب تداخل نظام الرق مع نظام الاقطاع ، يحاذر كثير من المؤرخين من تحديد صفة المجتمع الساساني[٨] لأن النظام

القديم كان في نهايته والنظام الجديد في دور بدايته ولا سيما في العهود الأخيرة حيث استمرت علاقات العبودية في مناطق غير كثيرة من ايران مع نشوء ونمو العلاقات الاقطاعية . يعتبر لويس المجتمع السابق (للحركات الدينية الهرطقية) مجتمعاً اقطاعياً وقد (تحطم ذلك البناء الاقطاعي القديم) ، ولا شك أن لويس قد أخطأ في افتراضه أن المجتمع السابق لظهور الفرق الدينية المناهضة للزرادشتية مجتمع اقطاعي وقديم[٩] . والخربوطلي في اعتماده على كريمر قد وقع في الخطأ نفسه[١٠] .

لقد عانى الشعب الايراني طيلة عهود الرق الظلم والاستغلال الطبقي حيث مارس الارستقراطيون أبشع أنواع الاستغلال بارهاقهم جماهير الشعب بمختلف أنواع الأعمال الشاقة والاذلال وساقوا الجماهير بأعداد هائلة ، إلى الحروب ، التي كانت تقام سواء بين العائلات الارستقراطية الايرانية المتناحرة أو بين الامبراطوريتين الايرانية والرومانية ووريثتها البيزنطية . وفي ختام كل حرب ، يسوق السادة المنتصرون أعداداً هائلة من أسرى الحرب ليضيفوهم إلى عبيدهم .

ولما أصبح هؤلاء العبيد لا يدرون ربحاً لاسيادهم ، بدأ الأسياد يفكرون بوسائل جديدة للربح ، بدأوا يفكرون بامتلاك الأراضي الواسعة وكثيراً ما كان الأكاسرة ـ الملوك الساسانيون (يهبون الأراضي ويقطعونها للامراء وخاصتهم ومن لاذ بهم)[١١] ، وتحول السادة ملاك العبيد إلى طبقة ملاك الأراضي وهكذا تحول الاستغلال الطبقي من العبيد إلى طبقة الفلاحين ، والذين بدأوا يفقدون حريتهم في زراعة الأراضي مشاعاً ، أي تغيرت العلاقات الانتاجية لتغير القوى المنتجة ، ولم يسلم العبيد ـ طبعاً ـ والرحّل وكادحو المدن وبقية الساكنين في المدن من حرفيين وباعة وصغار التجار ـ من تحمل اوزار وظلم السادة الاقطاعيين ، وأصبح السادة أعداء لأقسام واسعة من جماهير الشعب . لقد أدى سلب الأراضي من الفلاحين وتسليمها إلى الاقطاعيين إلى تحطيم المشاعية وتردي أحوال الفلاحين ، لاسيما وأن الضريبة كانت تقع عليهم ـ على جماهير الشعب ـ وحدهم وكانوا ملزمين بدفع الضرائب إلى الحكومة وإلى السادة الاقطاعيين وكان يقوم بجبايتها الدهاقين[١٢] . ونتيجة لهذه الأوضاع المزرية هاجر الفلاحون إلى أقاصي البلاد تاركين الأراضي للاسياد هرباً من الضرائب . ومهما تكن الأسطورة التي يرويها المسعودي عن محاورة الموبذ للملك عن فحوى كلام البوم فإن

في هذه الأسطورة تصويراً لاستياء الناس من توزيع الأراضي على المقربين من الملك (نعم أيها الملك عمدت إلى الضياع فانتزعتها من اربابها وعمارها وهم أرباب الخراج ومن تؤخذ منهم الأموال فاقطعتها الحاشية والخدم وأهل البطالة وغيرهم)[١٣] .

لقد كان للاستغلال الاقتصادي والارهاق الجسدي اثر في تنشيط المانوية والمزدكية - وهي حركات ومعارضات شعبية باطار ديني - بين جموع المستائين بسرعة وأصبحت الأخيرة - المزدكية - وهي حركة فلاحية ضخمة - أول احتجاج لجماهير فلاحي إيران ضد الاستغلال ، فتذكر بيكوليفسكايا بأن مختلف جماعات الفلاحين[١٤] ساهمت في الحركة المزدكية . وكانت جموع الشعب تعاني من قساوة وظلم الملوك[١٥] ، واستغلال الارستقراطيين الفظيع . وكان الملوك يسندون الارستقراطيين ورجال الدين ، لينالوا تأييدهم ، فأعفوهم من الضرائب (وألزموا الناس الجزية ما خلا أهل البيوتات والعظماء والمقاتلة والهرابذة والكتاب ومن كان في خدمة الملك)[١٦] ويرى زاخودير : - ان إصلاحات كسرى الأول الفت بصورة رئيسة لصالح أشراف الفرس... ولهيئة عليا من تجار ومرابي المدينة المنحدرين بدرجة كبيرة من العسكريين السريان .[١٧] ويرى زاخودير أيضاً : - إن هذه الإصلاحات عنت إقامة علاقات الانتاج الاقطاعية في ايران ، بعد سحق الحركة المزدكية ، فالفلاح المتحرر تحول إلى فلاح تابع[١٨] .

وكانت الأراضي موزعة بين الأسر الارستقراطية والمعابد ورجال الدين وكان أوسعها للأسرة المالكة الساسانية . يروي ابن حوقل محاورة بين الملك قباذ وعجوز منعت طفلاً من تناول فاكهة من بستانها : - فسألها قباذ : لماذا ؟ فقالت العجوز لنا فيها وفي جميع الباغ (البستان) شريك غائب كريم ويقبح بالشريك الحاضر خيانة الشريك الغائب . قال قباذ : - ومن الشريك ؟ قالت : الملك قباذ له فيها قسمة[١٩] .

لقد ارهقت جماهير الشعب بالضرائب الفادحة كالخراج والجزية وهدايا أعياد النوروز[٢٠] والمهرجان[٢١] وتشير المصادر إلى أن ضريبة الخراج على الأرض كانت حتى عهد انو شروان بطريقة المقاسمة (عينية) ولكن قباذ حاول مسح الأراضي وتحديد الضريبة بالنقود ، تحت تأثير الحركة المزدكية غير أنه توفي قبل انجاز هذا العمل فتم في عهد خلفه أنو شروان الذي وضعت الضريبة في زمانه مقدرة بالنقود وهي كما وردت في الطبري : - وكان الذي وضعوا على كل جريب ارض من مزارع الحنطة

والشعير درهما وعلى كل جريب ارض كرم ثمانية دراهم وعلى كل جريب ارض رطاب[٢٢] سبعة دراهم وعلى كل أربع نخلات فارسي درهماً وعلى كل ست نخلات دقل[٢٣] مثل ذلك وعلى كل ستة أصول زيتون مثل ذلك[٢٤] . ويرى ابن حوقل[٢٥] والماوردي[٢٦] وياقوت الحموي[٢٧] ان المسح تم في عهد قباذ وانه هو الذي نظم الخراج ، وهم في ذلك مخطئون إذ ان تنظيم الخراج تم في عهد انو شروان وأصبح الخراج (مساحة) مقدراً بالنقود . يذكر الدينوري : ـ (قالوا وكانت ملوك الأعاجم يضعون على غلات الأرض شيئاً معروفاً من المقاسمات النصف والثلث والربع والخمس إلى العشر على قدر قرب الضياع من المدن وعلى حسب الزكاء والريع فهَمَّ قباذ باسقاط ذلك ووضع الخراج فمات قبل أن يستتم المساحة فأمر كسرى أنو شروان باستتمامها فلما فرغ منها أمر الكتاب ففصلوها ووضعوا عليها الوضائع...)[٢٨] وبالرغم من أن هذا التنظيم المالي أخذ بعين الاعتبار وضعية الأرض وقربها وبعدها عن المدن عند تحديد مقدار الضريبة ، فإن هذا الاسلوب في الضريبة (مساحة) انفع للدولة من اسلوب (المقاسمة) الذي يعتمد على أخذ الحصة من المحصول الحقيقي ، ولهذا لا نتفق مع البروفسور سمينوف ف . ف . في قوله : ـ بأن انو شروان خرج بدروس من الحركة المزدكية ولهذا وجد من الضروري إعادة النظر في نظام جباية الأرض من أجل تلافي النواقص[٢٩] . إن أهداف أنو شروان كانت زيادة واردات الدولة وحصر الضرائب بالفلاحين وبقية الكادحين وإعفاء الارستقراطيين منها (واسقطها عن أهل البيوتات والمرازبة...)[٣٠] ، ولا يمكن أن تصدر عنه بوادر التساهل مع الشعب . إن تنظيمه للضرائب جاء تتمة لأعمال والده ـ الذي باشر المسح ولم يتمه كما يقول المسعودي[٣١] .

وأما الجزية وهي على الرأس فيذكر الطبري : ـ (والزموا الناس الجزية... صيروها على طبقات اثني عشر درهماً وثمانية دراهم وستة دراهم وأربعة)[٣٢] وهنالك ضرائب العشور على التجارة وعلى الحرف . والضرائب بصورة عامة كانت ثقيلة ومجحفة وكان الشعب يسام صنوف العذاب والانتهاك عند جبايتها[٣٣] وبالاضافة إلى الضرائب المجحفة والجور الذي يرافق جبايتها فإن على جماهير الشعب القيام بأعمال شاقة وبالمجان (السخرة) وكانت توجه اليهم الاهانات والتحقير .

وكان للحروب اللصوصية التي تنشب بين الايرانيين والرومان[٣٤] ومن ثم مع البيزنطيين ، آثارها السيئة في جماهير الفلاحين وسائر كادحي المدن ، حيث كانوا وقود تلك الحروب ، وكانوا العدة الجاهزة ، ومنهم كانت تجبى الضرائب الباهظة[٣٥] لسد نفقات الحروب . وإذا حلت الهزيمة ببلادهم سيقوا عبيداً إلى بلاد الرومان ـ بيزنطة ، كما كان يساق إلى إيران اسرى الحرب من الرومان والبيزنطيين ، وجلهم تسلب حريتهم ويحولون إلى عبيد يعملون في مزارع (الأشراف) الارستقراطيين[٣٦] .

إن المجتمع الايراني في العهد الساساني تحول من مجتمع العبيد إلى مجتمع الاقطاع وكان للحركة المزدكية أثر في ذلك ، وعنت تنظيمات انو شروان المالية نشوء العلاقات الاقطاعية وركزت نفوذ الاقطاعيين . وزعزعت المزدكية الكيان الساساني ولهذا ساعدت شأنها شأن الحروب الايرانية البيزنطية (التي أوهنت الامبراطوريتين الايرانية والبيزنطية وزادت في نفور شعبيهما من تسلط الطبقة الحاكمة وجورها) على هدم صرح الامبراطورية الايرانية المتداعي ويسرت للعرب الفتوحات)[٣٧] .

ب ـ في آذربيجان وارمينيا

تعرف اذربيجان السوفيتية الحالية ، قديماً باسم البانيا[٣٨] ، وأما مقاطعة اذربيجان الجنوبية ، أو الايرانية الحالية ، فتعرف باسم اتروباتينا[٣٩] (آدورباداكان) وأخيراً آدربايكان[٤٠] .

أما أرمينيا[٤١] فتعرف بهذا الاسم منذ القدم ، ولكنها كانت تشمل على أراضي أوسع مما هي عليه الان حيث كانت تمتد إلى شمال نهر الفرات .

وكانت تسود بلاد آذربيجان وارمينيا العبودية (مجتمع العبيد) حتى القرن الرابع الميلادي[٤٢] . وقد عانت بلاد القفقاس من الاستغلال الطبقي في عهد العبودية بالاضافة إلى أنها كانت مسرحاً للحروب الرومانية ـ الايرانية وكان أهل البلاد من جراء ذلك عرضة للقتل والسلب والنهب وكانوا تحت قبضة السادة ملاك العبيد والمغتصبين الأجانب غير أن تطور الزراعة واستخدام المعادن بكثرة ونمو التجارة ـ في القفقاس ـ أوجد الامكانات للانتقال إلى العهد الجديد ـ عهد الاقطاع ـ وذلك بخلق الأزمة لمجتمع العبيد ، عندما أصبح هنالك تعارض بين القوى المنتجة وبين العلاقات

الانتاجية . لقد اختلق في رحم مجتمع العبيد ـ نواة النظام الجديد ـ المجتمع الاقطاعي ، بنشوء السادة ملاك الأراضي ـ الاقطاعيين ـ وبظهور الفلاحين ـ الفاقدين لحريتهم وأراضيهم وذلك لتطور الزراعة وخاصة زراعة الكروم في آذربيجان (البانى) وتطور الحرف وانتشار التجارة في ارمينيا[٤٣] ـ خلق الظروف لنشوء المجتمع الاقطاعي ، فالسادة ملاك العبيد بدأوا يعيدون النظر في طرق ووسائل الانتاج (كما شاهدنا في ايران) وأخذوا يوجهون اهتمامهم نحو استثمار الأراضي في الزراعة فبدأوا يؤجرون أراضيهم للفلاحين وكذلك للعبيد ، ومما أدى إلى تحول الاستغلال الطبقي من العبيد إلى الفلاحين . كان الأحرار في أرمينيا والبانيا يطلق عليهم (آزاتي) وغير الأحرار يطلق عليهم انازاتي[٤٤] وقد ذكر اليعقوبي عن اشراف ارمينيا (...ثم كان الاشراف من أهل البلد يقال لهم الأحرار)[٤٥] وذكر ياقوت (وسئل بعض علماء فارس عن الأحرار الذين بأرمينية لم سموا بذلك ؟ فقال هم الذين كانوا نبلاء بأرض ارمينية قبل أن تملكها الفرس ثم أن الفرس اعتقوهم لما ملكوا واقروهم على ولايتهم)[٤٦] . ان استيلاء ملاك العبيد على الاراضي المزروعة والمراعي ومجاري المياه والقنوات وامتلاكهم لها قد خلق الظروف المناسبة لتطور المجتمع وانتقاله إلى طور جديد . ولكن نشوء ونمو الاقطاع في آذربيجان وارمينيا رافقه استمرار بقايا مجتمع العبيد في أماكن ليست كثيرة غير أن الطابع العام للمجتمع أصبح اقطاعياً[٤٧] . إن حب السيطرة والأنانية وحب الانفراد بالسلطة والاستقلال المحلي لدى الملاك الاقطاعيين وبتشجيع من الطامعين الروم والايرانيين ، دفعهم إلى خيانة مصالح البلاد بقيامهم بالحروب اللصوصية المهلكة فيما بينهم مما إدى إلى ضياع استقلال البلاد وأصبح تاريخ هذه البلاد ضمن تاريخ أمم كثيرة[٤٨] .

وأصبحت البلاد لأحقاب طويلة تابعة لايران وللرومان وبيزنطة ، فالطبري يذكر عن اردشير مؤسس الدولة الساسانية : ـ ثم سار من موضعه إلى همذان فافتتحها وإلى الجبل وآذربيجان وارمينية[٤٩] . ويذكر حمزة الاصفهاني عن كسرى انو شروان : ـ واسكن في كل طرف قائداً يقطعه من الجيش وأقطعهم من ما يلي ذلك الصقع ضياعاً وجعلها من بعدهم وقفا على أولادهم فقد صار نسل أولئك إلى هذا الوقت حفظة لارجاء الحائط[٥٠] وفي الطبري صورة رسالة موجهة من كسرى انو شروان إلى فاذوسبان

آذربيجان هذا نصها : ـ من الملك كسرى بن قباذ إلى واري بن النخيرجان فاذوسبان آذربيجان وارمينية وحيزها ودوبناوند وطبرستان وحيزها ومن مثله سلام...[٥١] ، وفي ذلك إشارة واضحة لتبعية آذربيجان وارمينيا لايران في عهد انو شروان ، بينما كان ما يقارب خمس ارمينيا تحت سيطرة الروم منذ عهد شابور الثالث الذي عقد اتفاقية مع الامبراطور ثيودوسيوس[٥٢] .

لقد ظلت بلاد القفقاس نهبا للغزاة الطامعين ومسرحاً للحروب اللصوصية بينهم وكانت الحروب تلقى تشجيعاً من الأمراء الاقطاعيين وكبار رجال الدين من أجل تثبيت واستمرار استغلالهم لجماهير الشعب . لقد جلب الاحتلال الاجنبي والحروب المستمرة البؤس والشقاء وأحل الخراب والدمار بالبلاد بينما كسب السادة المحتلون وسرقوا كل خيرات البلاد . ولدينا خير صورة للنهب والاستيلاء والاثراء الفاحش على حساب الشعب المحتل يرويها نظام الملك عن قائد (سباهسالار) ولاه كسرى أنو شروان اقليم آذربيجان حيث يعدد ما لديه من النقود والأواني والمنقولات والحلي بما قيمته (٣,١٠٠,٠٠٠ دينار) ومن الخيل والبغال (٣٠ ألفاً) ومن الغنم (مائتا ألف) ولديه (١٧٠٠ عبد تركي ورومي وحبشي) ولديه (١٤٠٠) جارية عدا الأملاك والعقارات والخانات في العراق وخراسان وفارس واذربيجان[٥٣] فهذه الصورة وإن كانت ارقامها لا قيمة لها تاريخياً كما يقول كريستنسن[٥٤] ، إلا أنها صورة تعبيرية عن ثراء الولاة الفاحش المتأتي من سرقة الشعوب .

لقد استغل الفاتحون بلاد القفقاس أبشع استغلال يعينهم في تنفيذ مآربهم الاقطاعيون والرومانيون ، ولكن عندما قلص الغزاة من سلطة الأشراف المحليين ، أوقف الأشراف (الاقطاعيون) مساندتهم للغزاة وانضموا إلى حركة التحرر الشعبي ضد المحتلين محاولين استغلال ذلك التذمر لاغراضهم[٥٥] .

وهكذا نجد ، عندما التهبت في ٤٥٠ م انتفاضة شعبية في ارمينيا ، انضم اليها الاحرار (الأمراء الاقطاعيون ـ في ارمينيا)[٥٦] ولقد انتشرت هذه الانتفاضة في جورجيا وآذربيجان (الباني)[٥٧] . ولكن ايران جددت سيادتها على القفقاس بسبب تنافس الامراء المحليين الذين حرموا البلاد من الاستقلال ومن استغلال الفرص السانحة للاستقلال وأصبحت البلاد مسرحاً للحوادث الدامية وللنهب والسلب من قبل الامبراطوريتين المتخاصمتين على احتلال القفقاس ، ايران وبيزنطة ، ولقد التجأتا

أخيراً ، في نهاية القرن السادس إلى عقد اتفاقية بينهما لاقتسام القفقاس لتضعا حدا للحروب التي انهكت قواهما وأصبحتا ، ايران وبيزنطة ـ كما يقول العدوي ـ تئنان من الخور والانهاك كما بقيت قصة حروبهما معلقة فصولها عند هذا الحد إلى أن أتم الإسلام فصلها الأخير(٥٨) .

لقد وهنت الدولتان وضعفتا وجلبتا البؤس والشقاء لشعبيهما ولشعوب البلدان المحتلة من قبلهما ، لقد عقدتا الاتفاقية لتنعما بسلب خيرات البلدان بهدوء وسلام ، ولكن ذلك السلام كان الهدوء الذي يسبق العاصفة فقد داهمت الامبراطوريتين قوى الإسلام الزاحفة واحتلت جيوش العرب الغازية بلاد ايران وتوابعها واحتلت الجيوش العربية توابع بيزنطة ، فأزالت من الوجود الامبراطورية الايرانية وقلصت نفوذ بيزنطة في الشرق الأدنى .

٢ ـ الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في العهدين الراشدي والأموي:

في العهد الراشدي:

تعرضت بلاد ايران وبلدان القفقاس لفتوحات العرب المسلمين في النصف الأول من القرن السابع .

وكان للحروب الدامية أثرها في تلك الربوع التي أصبحت ميداناً للحروب المستعرة بين العرب الفاتحين والامبراطوريتين المتداعيتين ، الايرانية والبيزنطية حيث كانت أولاهما تلفظ أنفاسها الأخيرة ، ولهذا حشدتا كل ما تستطيعان جمعه من الجيوش ، للابقاء على النظام المهترىء والسلطة المتداعية . ولكن الضربات المتلاحقة للجيوش الغازية الفتية شجعت العرب على مواصلة الزحف للاجهاز على الجيوش المنهارة ومن أجل الحصول على المزيد من الانتصارات والاستحواذ على خيرات البلدان الغنية(٥٩) .

وتم القضاء على الامبراطورية الايرانية الساسانية وتقلصت ممتلكات بيزنطة ، بل تهددت أراضيها الخاصة .

ولقد كان من نتائج هذه الحروب الدامية في بلدان ايران وآذربيجان وارمينيا أن

تحطمت السلطة الساسانية وزالت امبراطوريتها وانهارت بقايا نظام العبودية ، بسبب مقتل وهروب الكثير من الاشراف مالكي العبيد ، غير أن المجتمع ظل محتفظاً بالرقيق والذين ازداد عددهم من أسرى الحروب وأصبح العرب السادة الجدد ، وتحولت إيران من امبراطورية حاكمة إلى ممتلكات تابعة وأصبح أهلها الرعية وهم مادة المسلمين[٦٠] وانتقلت تبعية اذربيجان من النفوذ الايراني إلى الاستحواذ العربي ، وكذلك أصبحت ارمينيا تحت النفوذ العربي وانحسرت ظلال ايران وبيزنطة عن مواقعها السابقة وأصبح أهل البلدين الرعية[٦١] .

لقد كانت لهذه الفتوحات بالرغم من السلب والدمار والهلاك والكوارث التي رافقتها ، فوائد في تحرر البلدان من بقايا قيود النظم والتقاليد العتيقة[٦٢] والاستغلال الفظيع ومن بقايا مجتمع العبودية وفي التحرر من تقييدات ومضايقات الديانات المتعفنة الجامدة المتحجرة كاليهودية والمسيحية والزرادشتية وغيرها ، ومن تسلط الامبراطوريات الجائرة وأدت هذه الفتوحات إلى نمو وازدهار التجارة[٦٣] . ومما تجدر ملاحظته في هذا الصدد أن الإسلام الذي رافق ظهوره وجود تحولات في المجتمع العربي وخاصة في الحجاز (ذكر انكلز ، فردريك : لقد ترافقت الانعطافات التاريخية مع تغيرات في الدين ، بقدر ما يجري الحديث هنا عن الأديان العالمية الثلاثة التي وجدت حتى الآن البوذية ، المسيحية والإسلام)[٦٤] ، قد خلق شعوراً لدى الشعوب المضطهدة ، التي تقاسي الظلم والاستبداد والطغيان الحكومي والجور والاستغلال الاقطاعي ، بأن العرب قد يأتون بحلول لإنقاذها من أوضاعها المزرية[٦٥] . ولكن الفاتحين العرب لم يقصروا أهدافهم التي ساروا من أجلها لفتوح البلدان على نشر الدين الإسلامي وإنما على أهداف أخرى وهي الاستحواذ على البلدان واستغلالها ، يقول كولد تسهير : وقد هش العرب للدين الجديد ورحبوا به على اعتبار أنه ذريعة لحركة الفتح هذه ، التي كانت تدعو إليها الضرورات الاقتصادية[٦٦] . ولهذا فحتى تلك المكاسب ، التي سبق وأن ذكرناها كنتيجة للفتوحات ، سرعان ما فقدت رونقها وأهميتها بعد أن مارس الفاتحون أساليب الاستغلال بوحشية ولا سيما في العهد الأموي ، حيث بلغ الانتهاك أقصاه وأصبحت حالة الفلاحين وبقية كادحي المدن لا تطاق .

لقد تيسر احتلال ايران بعد احتلال العراق ، أما ارمينيا فقد زحفت إليها جيوش الخلافة العربية لأول مرة في سنة ٦٤٠م(٦٧) واستولت على العاصمة دفين ، وأما آذربيجان الايرانية فقد غزيت سنة ٦٤٢ م . هذا في المراجع الاجنبية . أما المصادر العربية فعن اذربيجان السوفييتية وأرمينيا تذكر سنوات الغزو ١٨ هـ ، ٢٠ هـ ، ٢٢هـ وحتى ٢٥ هـ . ويتراءى لي أن هذه حملات جيوش متعددة وامدادات كان الخلفاء يبعثونها لاخماد الانتفاضات .

دوافع الفتوحات:

لم يكن دافع الفتوحات فرض العقيدة أو نشر الديانة الاسلامية فقط ، كما يحلو للبعض حصر ذلك ، وإنما كان غرض الفتوحات هو الاستيلاء وفرض السيطرة والحصول على المغانم بالدرجة الأولى فالبلاذري يذكر : ـ قالوا لما فرغ أبو بكر من أمر أهل الردة رأى توجيه الجيوش إلى الشام فكتب إلى أهل مكة والطائف واليمن وجميع العرب بنجد والحجاز يستنفرهم للجهاد ويرغبهم فيه وفي غنائم الروم فسارع الناس إليه من بين محتسب وطامع وأتوا المدينة من كل أوب فعقد ثلاثة ألوية(٦٨) . ويروي أبو تمام شعراً لحكيم بن قبيصة الضبي :

فما جنة الفردوس هاجرت تبتغي ولكن دعاك الخبز أحسب والتمر(٦٩)

كانت غالبية الجند ، من الجزيرة العربية القاحلة ، دفعتهم الحاجة للالتجاء إلى الجيش بعد تعذر الغزو في الجزيرة العربية لوجود سلطة حاكمة لها جيش ، ـ حيث أصبح الجيش ، الوسيلة الوحيدة للاكتساب والرفاه والغنى لابناء الصحراء الجرداء المقفرة ، وبعد أن قلت أهمية طرق القوافل التجارية المحاذية للبحر الأحمر(٧٠) . ويشير كولد تسهير إلى أهمية المركز الاقتصادي لبلاد العرب في البواعث التي دفعت العرب بالقيام بالفتوحات(٧١) . وقد أشار أيضاً : ـ ولم يكن هذا الفتح موجهاً نحو المثل الأعلى وحده ، لأن كنوز المدائن ودمشق والاسكندرية لم تسمح طبيعتها بايجاد ميول للزهد والتقشف(٧٢) . وفي نفس المعنى كتب طه حسين : ـ ونحن نعلم أن العربي يفكر في الغنيمة كلما فكر في الحرب(٧٣) . وقد لاحظ بأن الحاجة المادية هي التي دفعت بالعرب لفتح الامصار وليست الاثرة الدينية والتعصب(٧٤) ، ويشير الدوري إلى

أنه (من خطل الرأي أن نظن بأن هذه الفتوحات كانت لفرض العقيدة الدينية على الشعوب الأخرى بل كانت سبيلاً للعرب ليحققوا حياة أفضل وليتبوؤوا مكانة أسمى ولئن دخلت الشعوب الأخرى في الإسلام فإن ذلك كان عملاً ذاتياً تلقائياً وبصورة متدرجة . إن الفتوحات نشرت السيادة للعرب)[٧٥] ، ورأي الدوري صحيح فقد انتشر الإسلام في ايران واذربيجان ببطء وكان الدافع لاعتناق الإسلام هو أمل الشعوب في التخلص من الضرائب الفادحة (وقد تحقق جزئياً (الجزية فقط) ولمدة قصيرة اعادها الامويون) وتزلف الارستقراطيين المحليين للسادة الحكام .

١ ـ ايران في العهد الراشدي:

لقد كان العهد الراشدي بالنسبة لايران عهد حروب وغزو وفتوح ولم تهدأ الحالة إلا في فترة (الفتنة) الحروب الداخلية التي شملت أواخر أيام الخليفة عثمان بن عفان وطيلة أيام الخليفة علي بن أبي طالب . وتنعدم ، في المصادر العربية ، الدقة في ضبط تواريخ الفتوح فكل مؤرخ يذكر عن حادثة واحدة عدة تواريخ وقد يناقض بعضها البعض . فابن الاثير يذكر عن فتح قومس وجرجان وطبرستان مثلاً : ـ قيل كان فتحها سنة ثمان عشرة وقيل ثلاثين زمن عثمان[٧٦] ثم يذكر نص العهد الذي أعطي إلى أهل بهرذان ـ من نفس المنطقة ـ (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى النعمان بن مقرن أهل ماه بهرذان أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وأراضيهم لا يُغيَّرون عن ملة ولا يحال بينهم وبين شرائعهم ولهم المنفعة ما أدوا الجزية إلى من وليهم على كل حالم في ماله ونفسه على قدر طاقته وما أرشدوا ابن السبيل وأصلحوا الطرق وقروا جنود المسلمين ممن مر بهم فآوى اليهم يوماً وليلة ووفوا ونصحوا فان غشوا وبدلوا فذمتنا منهم بريئة ـ وكتب في المحرم ـ تسعة عشر)[٧٧] . على أن الثابت أن نهاية يزدجرد الثالث ـ آخر ملوك الساسانيين ـ واحتلال ايران قد تمت في عهد الخليفة الثالث عثمان .

والسؤال الذي يتبادر إلى الأذهان هو عن تأثير الفتح في التركيب الاجتماعي في ايران . مما لا شك فيه أن الفتح العربي لم يحدث تغييراً في التركيب الاجتماعي ، لأنه لم يمس طرق ووسائل وأسلوب الانتاج ولم يغيرها ولم تتغير تبعاً لذلك العلاقات

الانتاجية وقد أشار ياكوبفسكي إلى أن (الاحتلال العربي لم يجلب معه إلى إيران شكلاً اجتماعياً جديداً)[٧٨] . لهذا لا يمكننا أن نتفق مع بارتولد في قوله : ـ (وأما في ايران وفي تركستان فقد أبطل الإسلام ، كما سنرى في الفصل الآتي نظام الطبقات القديم وامتلاك الاراضي الواسعة وحدث مثل هذا في بلاد الأرمن كذلك)[٧٩] ، لأن الاقطاع ، الذي بدأ ينمو ويتطور في أواخر الحكم الساساني ، قد ظل هو النظام الاجتماعي السائد في إيران في العهد الاسلامي ، ولو أن الاقطاع لم يسر بوتائر أسرع بل أبطأ في تطوره وذلك لأن العرب تسلطوا على الارستقراطيين المحليين مالكي الأراضي وجعلوهم دونهم وقللوا من امكانات توسيع نفوذهم ، ولهذا السبب أيضاً ، لا يمكننا أن نتفق مع بوليانسكي الذي يرى أن الاحتلال العربي كان سبباً في خلق الظروف لتطور الاقطاع ، حيث كتب (على هذا المنوال وجدت الامكانات الاقتصادية والاجتماعية لاجل تطوير الاقطاع . وبصورة أوسع أصبحت الخلافة دولة اقطاعية . ومن أهم عواقب الاحتلال العربي خلق الظروف لتطوير الاقطاع)[٨٠] ، اننا لا نستطيع أن نتفق مع بوليانسكي لان الاحتلال العربي أخرّ سير نمو الاقطاع وتطوره حتى القرنين التاسع والعاشر الميلادي ، لأن العرب أرادوا فرض نظام الارستقراطية القبلية (رؤساء ـ شيوخ القبائل) وهذه المحاولة وإن لم تنجح ولم تقض على الاقطاع غير أنها جعلت الاقطاع يسير بوتائر أبطأ . إن العرب لم يقضوا على الاقطاع بل ساعدوا على استمراره بمنح الأشخاص العاملين للدولة الاسلامية ، القطائع ، من الأراضي المفتوحة ، ولو أن هذه القطائع لم تكن لتكتمل فيها شروط التملك الاقطاعي للارض فقد ذكر بارتولد : ـ إلا أنها لم تكن تقطع هي والذين يعيشون عليها كما كان في اوروبا في القرون الوسطى وفي روسيا في القرن التاسع عشر بل كانت تقطع وحدها[٨١] . وأما بقايا نظام العبودية فكانت تعاني التفسخ والانحسار قبيل الفتح لاشتداد تناقضات العبيد مع السادة عند نشوء الاقطاع ، وكان الفتح العربي عاملاً في الاجهاز على السادة ملاك العبيد ـ اشراف ايران ـ من قتل منهم أو هرب ـ ولكن المجتمع الايراني احتفظ بالرقيق وأصبح السادة الآن العرب .

فالطابع العام المتميز للمجتمع الايراني ابان وبعد الفتح العربي هو الاقطاع ـ حيث ظل المجتمع الاقطاعي الايراني هو هو في العهد الراشدي لان الفتح العربي الاسلامي لم

يجر تغييرات طبقية بالاضافة إلى أنه لم يخفف من الضائقة الاقتصادية ولم يجر تبدلات في النظم المالية[٨٢] .

ولهذا فإن آمال ابناء الشعوب التي وضعوها في تحسين أحوالهم ، على الفاتحين قد تلاشت ، لاسيما وقد أعاد الفاتحون للدهاقين[٨٣] ما كان لهم من سابق اعتبار وواجبات ، حيث بدأوا ، كسابق عهدهم ، بجمع الضرائب من السكان . هكذا وجد أبناء الشعوب أن آمالهم قد بنيت على سراب من الوهم .

٢ ـ ايران في العهد الاموي:

عند انتقال السلطة للامويين ـ وهم ممثلو الارستقراطية القبلية العربية ـ حلت النكبة بجماهير الشعوب المحتلة ومنها الشعب الايراني . يذكر ايفانوف ، م . س . : ـ وكانت هذه الفترة من أصعب الأوقات على سكان ايران ، حيث كانت ايران واحدة من أعظم الولايات المظلومة[٨٤] . لقد مارس الامويون أبشع أنواع الاستغلال والاضطهاد وعاملوا الناس بازدراء واحتقار وزادوا كمية الضرائب وأخذوها ممن أعفوا من دفعها ـ بعد إسلامهم[٨٥] ـ ووضعوا أختام الرصاص في أعناق الموالي وأهل الذمة من الفلاحين مكتوباً عليها أسماء محلاتهم لكي لا يهربوا من دفع الضرائب . وأعادوا الضرائب القديمة كضرائب أعياد النوروز والمهرجان والضرائب على الحرف والصناعات[٨٦] ، وبدأوا بالاستحواذ على الأراضي ، حيث انتقلت ملكية اخصب الأراضي إلى الأسرة الحاكمة[٨٧] ، وبهذا خلقت الظروف لنشأة أجنة التملك الفردي المكتملة فيها شروط التملك الاقطاعي والتي ستظهر في العصر العباسي ـ القرنين التاسع والعاشر ـ أما الاقطاع[٨٨] فقد ظل يسير بوتائر أبطأ . وكان من جراء الحكم التعسفي الجائر والمبني على احتقار الشعوب ونهب خيراتها والمستند على المرازبة والدهاقين[٨٩] ـ الذين كان عليهم جمع الضرائب من الشعب ، وطبيعي ، ما كانوا لينسوا أنفسهم في اغتنام الفرص للاثراء على حساب الشعب ـ أن تدهورت الحالة وانهار اقتصاد البلاد وشلت جميع مرافق البلاد الاقتصادية ، وكان على دافع الضريبة البائس ـ كما يقول ولهاوزن ـ ولا ريب أن يدفع مبلغاً لا يقل عن قيمتها في عهد الساسانيين[٩٠] . جاء في الكامل لابن الاثير : ـ وقال كعب الاشقري وقيل رجل من جعفي :

كل يوم يحوي قتيبة نهبا ويزيد الأموال مالاً جديداً
بأهلي قد ألبس التاج حتى شاب منه مفارق كن سودا
دوخ الصغد بالكتائب حتى ترك الصغد بالعراء قعودا[٩١]
فوليد يبكي لفقد أبيه وأب موجع يبكي الوليدا[٩٢]
كلما حل بلدة أو أتاها تركت خيله بها أخدودا[٩٣]

وهذا خير وصف للمصائب التي كانت تحيق بالشعوب من جراء الحروب التي كانت تشنها الخلافة على البلدان ، وإن كان الوصف على بلاد الصغد وليس على إيران . يعتبر جوزي ، . بندلي ، أن لبني أمية الفضل على الأمم المغلوبة وإن الاجراءات التعسفية إنما اضطر إليها الخلفاء المتأخرون لحاجتهم إلى الأموال[٩٤] . ولكن الفضل الذي يعزوه جوزي إلى بني أمية إنما يجب أن يعود ـ كما شاهدنا سابقا ـ إلى الفتوحات في عهد الراشدين . يقول جوزي : ـ معاذ الله أن أنكر فضل بني أمية على الأمة العربية وبعض حسناتها على الأمم المغلوبة كالفرس مثلاً الذين ألغوا بينهم النظام القديم المبني على تفاوت الطبقات وساووا بينهم في الحقوق والواجبات[٩٥] .

إن كتابات جوزي لا تخلو مع الأسف من أمثال هذه الأخطاء والتناقضات فالأمويون أعادوا ضرائب النوروز والمهرجان منذ أيام معاوية بن أبي سفيان[٩٦] وفرضوا الجزية على من أسلم وهذه ـ كما يقول ابن سلام ـ من أعظم الأمور[٩٧] ، وقد تسلطوا على الشعوب وأذاقوها مر العذاب ونهبوا خيرات البلدان وأغرقوا القارات بسيول من الدماء وساقوا الأحرار أسرى وباعوهم عبيدا ، متذرعين بأن تلك الحروب لله ، ولكنها في الحقيقة وكما عرفها ابن عبد العزيز -الخليفة الأموي- كانت للغنيمة[٩٨] . وإذا نظرنا إلى الخلفاء جميعهم وجدناهم مطبقين سياسة البطش والغدر والنهب عدا عمر بن عبد العزيز الذي اعتبر شاذاً عن الخط العام ، إذ أن بعض محاولاته في التخفيف من وطأة الضرائب الثقيلة عن كاهل الأمم المغلوبة ـ بالرغم من عدائه لأهل الذمة ـ لم تنل رضا من تلاه من الخلفاء واعتبرت محاولته شذوذاً عن الخط العام لسياسة الأمويين المالية ـ لاحظ كتب يزيد بن عبد الملك إلى عمال عمر بن عبد العزيز في العقد الفريد[٩٩] .

وقد كان من جراء الانتهاكات الفظيعة والاستغلال المرهق والاجراءات التعسفية أن انتفضت الجماهير الايرانية وانضمت إلى انتفاضات عديدة ، فانضموا إلى الخوارج الذين كانوا ـ كما قال عنهم بيلاييف ، ي . آ . : في طليعة الثورات الشعبية ضد الأمويين ممثلي الارستقراطية العربية[١٠٠] ، ومعبرين عن أوسع الطبقات الغاضبة لسكان العراق وغرب ايران[١٠١] ، وقد علل كولد تسهير انضمام الموالي إلى الخوارج (بسبب ميول الخوارج الديموقراطية وثورتهم على مظالم الامويين)[١٠٢] وبذلك فتحوا الطريق كما يشير ولهاوزن ، : ـ فقبلوا الموالي في جماعتهم وجيشهم[١٠٣] ، فانضموا إلى أنصار أبي مريم[١٠٤] ، وأنصار أبي عبيد الله الماحوز[١٠٥] ، ومع الخريت بن راشد الناجي[١٠٦] ، ومع قطري بن الفجاءة[١٠٧] الذي انفصلوا عنه عند جيرفت[١٠٨] ، إلى عبد ربه[١٠٩] ، وقد انضمت جموع غفيرة من الايرانيين إلى حركة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث[١١٠] ، قائد الجيش الأموي في سجستان ، الذي استغل سخط الجيش من مواصلة الحرب في سجستان لتحقيق أغراضه الشخصية ولكن الحركة توسعت فشملت جموع الساخطين على الحكم الأموي وأعلنت محاربة الوالي القاسي المتعطش للدماء ، الحجاج بن يوسف الثقفي ، (والي العراق في عهد عبد الملك بن مروان وابنه الوليد) ، وخلعت الخليفة عبد الملك بن مروان . «لم يعترفوا بخلافته في العراق» وأرغمت الجماهير ابن الاشعث على عدم المهادنة ومواصلة الحرب فقد ساهم الايرانيون في جيش ابن الاشعث ضد الجيش الاموي في العراق ، فالاساوره والسيابجة[١١١] «قوى ايرانية تهادنت مع العرب عند الفتوح» التحقوا بجيش الطواويس[١١٢] «جيش ابن الاشعث» . ويذكر الطبري بأن عدد الموالي بلغ مائة ألف في جيش عبد الرحمن عند دير الجماجم[١١٣] ويعلل فون كريمر مساندة الموالي لابن الاشعث كرد فعل لفرض الجزية على الموالي بعد اسلامهم[١١٤] ولاشك أن هذا العامل مباشر لسخط الموالي الذين تراكم لديهم السخط والغريب أن ولهاوزن لا يقر فون كريمر على رأيه هذا ، إذ يعتبر ولهاوزن مساهمة الموالي مع أسيادهم العرب كتقليد لواجبات المولى ، وبهذا ينكر ولهاوزن العامل الاقتصادي[١١٥] . كما وساهم الموالي في ثورة الحارث بن سريج . وكان الحارث من المرجئة ـ وهم الموالون للسلطة الأموية ـ ولكن برغم كونه من المرجئة ، فإن الأوضاع المزرية والانتهاكات الفظيعة لابسط الحقوق ، دفعت به لقيادة

ثورة تحت شعار الغاء الجزية عن المسلمين الجدد واستلام العطاء كبقية المسلمين من العرب ، ورفع راية سوداء انضمت تحتها ، لا جموع الفلاحين المعدمين من بلاد الصغد وخراسان فحسب ، بل وحتى الدهاقين[١١٦] في أمل استعادة سيطرتهم السابقة[١١٧] مما اضطر السلطة الاموية لارسال خيرة جيوشها للقضاء عليها[١١٨] . لقد ساهم الموالي في العديد من الانتفاضات الشيعية وغيرها ثم انخرطوا في صفوف الدعوة العباسية ويذكر الطبري أنه في سنة ١٠٠ هـ كان من بين الاثني عشر نقيباً اربعة من (الفرس) والبقية عرب[١١٩] ، (ذكر الخربوطلي أن عددهم خمسة وهو ينفرد وحده بهذا الرقم)[١٢٠] . وغالبية جيش ابي مسلم كما نعلم من الايرانيين . وكانت الجماهير المساهمة في الانتفاضات والثورات تنشد تحسين أوضاعها المزرية وظروفها الاقتصادية السيئة ورفع الحيف وانتهاك الحرمات عنها[١٢١] . قال أبو الصيداء صالح بن طريف ـ : وكان في الوفد الذي وصل إلى دمشق من خراسان ـ للخليفة عمر بن عبد العزيز ـ : عشرون ألفاً من الموالي يغزون بلا عطاء ولا رزق ومثلهم قد أسلموا من أهل الذمة يأخذون بالخراج ؟[١٢٢] .

وقال رجل من عبد القيس أثناء حروب الحارث بن سريج :

تولت قريش لذة العيش واتقت	بنا كل فج من خراسان اغبرا
فليت قريش أصبحوا ذات ليلة	يعومون في لج من البحر أخضرا[١٢٣]

٣ ـ آذربيجان وارمينيا في العهد الراشدي:

أدت الفتوحات العربية في أذربيجان وارمينيا إلى إزالة السلطة الايرانية والبيزنطية وأحلت محلها السلطة العربية ، وقد أشرنا إلى تضارب آراء المؤرخين العرب حول سني الفتح[١٢٤] ، فالبلاذري يذكر الفتوح في عهد الخليفة عمر بن الخطاب بقيادة حذيفة اليمان[١٢٥] ثم بقيادة عتبة بن فرقد السلمي[١٢٦] ثم يذكر غزوة للمغيرة بن شعبة سنة ٢٢ هـ ويروي بعد ذلك (أن المغيرة غزا آذربيجان سنة ٢٠ هـ ففتحها ثم انهم كفروا فغزاها الاشعث بن قيس[١٢٧] ، وكذلك الطبري يذكر عن حوادث سنة ٢٢ هـ (ففيها فتحت آذربيجان)[١٢٨] ثم يذكر رواية أخرى (قال كان فتح آذربيجان سنة ١٨ من

الهجرة بعد فتح همذان والري وجرجان)[١٢٩] وقد ورد في صيغة الامان الذي أعطي لأهل اذربيجان (...... وكتب سنة ١٨)[١٣٠] وأما تاريخ الامان الذي أعطي لموقان فهو سنة ٢١ هـ[١٣١] . لقد بينا أن هذا التضارب بين المؤرخين العرب يعزى إلى أنه لم تكن هناك حملة واحدة وإنما حملات عديدة نتيجة للانتفاضات العديدة التي قام بها سكان القفقاس . فالبلاذري يذكر عن عتبة بن فرقد أنه واجه انتفاضات (وانتفضت عليه نواح فغزاها فظفر فغنم)[١٣٢] ثم يذكر عن آذربيجان في حوادث سنة ٢٠ (ثم انهم كفروا فغزاها الاشعث بن قيس)[١٣٣] ويذكر ابن تغري بردي عن حوادث سنة ٢٨ هـ (وفيها غزا الوليد بن عقبة اذربيجان)[١٣٤] ويذكر أيضاً عن حوادث سنة ٢٩ هـ (وفيها نقضت آذربيجان فغزاهم سعيد بن العاص حتى افتتحها ثانية)[١٣٥] . وبرغم تلك الحملات والغزوات الدموية فإن الخلفاء العرب المواجهين مقاومة الجماهير الشعبية العنيدة لم يتيسر لهم تثبيت أقدامهم رأساً بصورة وطيدة وقد أدت تلك الحروب الى تمزيق الامراء الاقطاعيين المحليين واحلت محل الكثيرين منهم ارستقراطيي القبائل العربية الذين ورثوا بسرعة (التبعية الاقطاعية على الفلاحين)[١٣٦] وانتقلت ملكية الاراضي إلى القبائل العربية النازحة بالإكراه أو الشراء أو الالجاء ، ذكر البلاذري :ـ قال الحسين بن عمرو وأخبرني واقد أن العرب لما نزلت آذربيجان نزعت إليها عشائرها من المصرين والشام وغلب كل قوم على ما أمكنهم وابتاع بعضهم من العجم الارضين وألجئت اليهم القرى للخفارة ، فصار أهلها مزارعين لهم[١٣٧] ، وقد حاول البلاذري أن يلطف وقع هذا العمل فاستدرك بأن الأراضي التي أخذها المحاربون العرب من السكان الاصليين لم تعتبر ملكاً خاصاً للمحاربين . وقد اعتبر لوكيكارد ، تبرير البلاذري هذا ليس أكثر من احتجاج متأخر على سلب المحاربين العرب لاراضي السكان المحليين(*) . أما امراء ارمينيا وامراء كارتلي (القسم الشرقي من جمهورية جورجيا) فقد استطاعوا الحفاظ على مراكزهم ونفوذهم بدفع الضرائب[١٣٨] . لقد كانت فترة العهد الراشدي في القفقاس فترة حروب احتلال[١٣٩] وقمع انتفاضات جماهيرية واستحواذ اراض من الملاكين الاقطاعيين وانتقال ملكيتها إلى رؤساء القبائل (الارستقراطية القبلية) وكان

(*) الضريبة الإسلامية ، ص٣٤ .

المجتمع يسوده نظام الاقطاع الناشئ الآخذ بالتطور (البطيء) وكان الاستغلال الاقطاعي لا يزال مقروناً باستغلال العبيد .

٤ ـ القفقاس في العهد الأموي:

ساءت أحوال جماهير الشعب القفقاسي ، بعد انتقال السلطة إلى الامويين ، أكثر مما كانت عليه سابقاً ، وذلك لان الامويين مارسوا سياسة الشدة في تثبيت مركزهم في بلاد القفقاس فاغرقوا البلاد في بحار من الدماء وأحلوا البؤس والشقاء في تلك الربوع ، كما وأنهم استحوذوا على أخصب الأراضي وحولوها املاكاً لهم ، يذكر البلاذري : ـ قال الحسين كانت ورثان قنطرة... فبناها مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وأحيا أرضها وحصنها فصارت ضيعة له ثم قبضت مع ما قبض من ضياع بني أمية فصارت لام جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور... وكانت المراغة تدعى اقراهروذ وكان أهلها ألجؤوها إلى مروان فابتناها وتألف وكلاؤه الناس فكثروا فيها للتعزز وعمروها ثم انها قبضت مع ما قبض من ضياع بني أمية وصارت لبعض بنات الرشيد)[١٤٠] ، ونتيجة للاستحواذ والالجاء ظهر بسرعة ملاكون عظام من الارستقراطية العربية ولم يستغلوا الفلاحين المحليين فقط ولكن الآفاً كثيرة من الأسرى العبيد كذلك[١٤١] . لكن ذلك التملك لم يكن شاملاً كل بلدان القفقاس ، فقد احتفظ غير قليل من أمراء أرمينيا بأراضيهم ، ولم تكتمل فيه شروط التملك الاقطاعي ، وكان من جراء تسلط الامويين أن ساءت الأحوال الاقتصادية لبلدان القفقاس حيث اصابها التدهور والهبوط الاقتصادي وكان لاغتصاب الاراضي وفداحة الضرائب وسوء طرق جبايتها وإجبار الناس على دفع الضرائب نقودا (من الفضة) بدلاً من المحاصيل ، كان لكل ذلك الأهمية في التدهور ، ولقد أصبح الفلاحون وهم غالبية السكان يواجهون منتهى الضيق والشدة[١٤٢] ، ويصور ذلك المؤرخ الارمني كيفوند بعد حرق الأحرار (الأمراء) الارمن : ـ (بعد هذا عندما حرمت بلادنا من عوائل النخارايين (الأحرار ـ الأمراء الارمن) أصبح سكانها كالأغنام أمام الذئاب)[١٤٣] . ولقد استطاع جامعو الضرائب العرب الاستيلاء تقريباً ، بمدة قصيرة على كل ذهب وفضة القفقاس بالاضافة إلى الهدايا من الخيول والبغال والملابس الفاخرة التي كان يقدمها الامراء للوالي العربي[١٤٤] ، الذي كما يصوره

كيفوند : ـ قبل كل شيء عند وصوله إلى ارمينيا عذب الكثيرين وبالاكراه قادهم إلى التعاسة(١٤٥) .

لقد كان الطابع العام للمجتمع القفقاسي في ظل الحكم الأموي ، مجتمعاً اقطاعياً آخذا بالتطور والنمو البطيء عن الاقطاع المبكر ، ولكن لم تكن كافية بعد أشكال تطورات التملك الاقطاعي ، لكن بذور (جنين) شروط التملك الاقطاعي قد ظهرت . لقد طبق في القفقاس الاستغلال الطبقي الاقطاعي كما واستغل العبيد استغلالاً واسعاً . إن الذي مكن للامويين استمرار بقائهم في القفقاس هو : أولاً : سياسة البطش والارهاب (كحرق الامراء في كنيسة ناخجيفان)(١٤٦) . ثانياً : حرمان الجماهير الشعبية من القيادة المخلصة الوفية لمصالح الشعب ، ثالثاً : تمزق البلاد وتنازع الامراء الاقطاعيين المحليين فيما بينهم . غير أن حكم البلاد كان شاقاً ، فقد جابه الامويون انتفاضات جماهيرية عارمة صاخبة تطلب اخمادها اراقة الغزير من الدماء وكان يصاحب اخماد الانتفاضات الجماهيرية ، عادة مجازر وحشية فظيعة ، فعندما التهبت في ٧٠٣ م الانتفاضة الجماهيرية في ارمينيا (بنفس الوقت قامت انتفاضة جماهيرية في اذربيجان) ضد والي الخليفة تم القضاء عليها ، خدع العرب حوالي (٨٠٠) اقطاعي من أمراء أرمينيا(١٤٧) وآذربيجان واقتادوهم إلى كنيسة في مدينة ناخجيفان وأغلقوا من دونهم الأبواب وأشعلوا النار بالكنيسة وأحرقوهم(١٤٨) .

إن أعمال القمع الوحشية وتقليص نفوذ الامراء الاقطاعيين دفع بهم إلى الانضمام إلى صفوف الشعب المقاوم آملين توسيع نفوذهم والتخلص من ربقة الاجنبي . وهذا التحالف المؤقت لم يغير من طبيعة الصراع الطبقي في القفقاس فلقد كان الشعب القفقاسي ينتفض ضد السلطة العربية وضد الأمراء الاقطاعيين وحتى ضد رجال الدين . لان ابناء الشعب كانوا يقاسون من هؤلاء مجتمعين ، ولكن الأحوال قد ساءت في الفترة الأخيرة من الحكم الأموي لدرجة شمل السخط مختلف الفئات وكل الطبقات ، لهذا انضم الامراء إلى الثورات الشعبية . وفي ختام الحكم الأموي قامت (٧٤٨م ـ٧٥٠م) انتفاضة شعبية ضخمة يسرت ، بدورها ، للعباسيين الاجهاز على الحكم الأموي(١٤٩) .

٣ ـ الاقطاع

نشأ في المجتمعات الايرانية القفقاسية ، كما مر بنا ، نظام جديد ، نتيجة عوامل اقتصادية ، هو نظام الاقطاع[١٥٠] ، فلقد أدى تفاقم التناقضات ، في المجتمع العبودي ، بين القوى المنتجة وبين علاقات الانتاج (الاجتماعية) القائمة آنئذ ، إلى الانتقال إلى الأسلوب الجديد (الاقطاعي) في الانتاج ، إن الذي يحدد الضرورة التاريخية لهذا الانتقال من الأسلوب العبودي إلى الأسلوب الاقطاعي هو طابع ومستوى تطور قوى الانتاج في المجتمع العبودي نفسه ، كما ويحتل الشكل الأعلى للصراع الطبقي ، الثورة الاجتماعية ، دوراً خاصاً كبيراً في التقدم الاجتماعي ، الثورة التي بنتيجتها يجري تحطيم النظام الاجتماعي القديم وتتم اشادة نظام اجتماعي جديد أكثر تقدمية . وكان نشوء الاقطاع في المجتمعات الايرانية ـ القفقاسية في فترة ما قبل الفتح العربي . إن نظام الاقطاع هذا لم تكن لتتوفر فيه شروط التملك الاقطاعي ، ولم يكن مشابهاً تماماً للاوروبي .

وقد أوضح انكلز ـ في رسالته إلى ماركس ـ إن السبب يعود إلى المناخ وطبيعة الأرض : « إن انعدام الملكية الخاصة للأرض يصبح مفتاحاً لفهم الشرق وفي هذا يكمن أساس تاريخه السياسي والديني كله . ولكن لماذا لم تصل شعوب الشرق إلى مرحلة التملك الاقطاعي ؟ يخيل إلي أن ذلك يفسر بشكل أساسي بالمناخ وبطبيعة الأرض وبصورة خاصة منطقة الصحراء الكبرى التي تمتد من الصحارى عبر بلاد العرب ، الفرس ، الهند ، التتر حتى أعالي الجبال الآسيوية . إن الشرط الأول للزراعة هنا هو طريقة الارواء الصناعية وهي إما أن تقوم به الجماعة أو المحافظة أو الحكومة المركزية »[١٥١] .

لقد كان الاقطاع في بداية نشوئه وآخذا بالتطور رويدا رويداً محتلاً الأماكن التي ينحسر عنها مجتمع الرق ، الآخذ بالانحلال نتيجة أزمته . ثم أخذ الاقطاع يتلكأ في نموه وتطوره نتيجة الفتوحات العربية وما تلاها من الحكم الراشدي والأموي وجزء من العهد العباسي الأول ، وذلك بسبب محاولة العرب فرض نظام الارستقراطية القبلية ، المألوف لديهم ، بنقل ملكيات واسعة من الأراضي المحتلة إلى رئاسة القبائل . وهذه

المحاولة لم تقض على نظام الاقطاع ، كما خيل لتوما [١٥٢] ، ولكنها جعلته يسير بوتائر أبطأ ، وذلك : (١) لان السلطة العربية حاولت ـ كما قلنا ـ فرض الارستقراطية القبلية ونقل ملكية الأراضي المستحوذ عليها إلى القبائل بدلاً من الافراد ، وقد تيسر لها ذلك في بادىء الأمر لحد ما . (٢) انتقلت ملكية أراضي العائلة المالكة والدولة والارستقراطية المقاومة إلى الدولة (العربية) ـ الصوافي ـ وقد جرى اقطاع اقسام منها بعدئذ . (٣) أصبح المتعاقد مع الفلاحين في الأراضي المفتوحة (صلحاً) ـ حسب شروط الصلح (الأمان) ـ السلطة ، وبهذا أصبحت الضرائب مع ما يتبعها من التزامات منصوص عليها ـ واجبات مفروضة من الدولة . (٤) أصبح السيد المالك في الأراضي المحتلة (عنوة) الدولة وليس الملاك السابقون ، وبهذا فإن الضرائب والواجبات الالزامية المتعلقة بها تقدم للسلطة ، وفي هذه الحالة تتطابق اجرة الأرض (أو الريع) مع الضريبة ـ كما يقول ماركس[*] . (٥) قوة سلطة الخلافة المركزية وسكنى الملاكين في العاصمة أضعف إمكانية توسع نفوذ الملاك وتطوير ملكية الأرض لزمن ما ، ولكن لا يمكن التصور بأن الاقطاع الناشىء قد تلاشى أو غير موجود أو حرم من إمكانية تطوره . والملاحظ أن كارل ماركس يطلق على أسلوب الانتاج في آسيا في القرون الوسطى (أسلوب الانتاج الآسيوي) ، يطلق ذلك في مؤلفاته أحياناً ليدل على وجود فروق بين النظام الاقطاعي في الشرق عن الغربي النموذجي . وفي مناقشة ممتعة لهذه الموضوعة عالج العلامة فاركه ذلك في الفصل الأخير من كتابه[**] ، مبيناً أنه بالرغم من عدم توفر الامكانات الواسعة لدراسة تاريخ الشرق لماركس كما كان متيسراً له ولرفيقه انكلز عن الغرب ، فإن ماركس كان مصيباً في هذه التسمية ليميز بين نظام الاقطاع الآسيوي والاوروبي النموذجي . لقد ورث العرب الفاتحون التبعية الاقطاعية على الفلاحين مما اضطرهم إلى أخذ الكثير من نظم المجتمع وشرائعه والاستعانة بموظفين أجانب[١٥٣] ، ولهذا جاءت حلول العرب وطرق معالجتهم لقضية الأراضي وللضرائب وفي معاملة الناس ، في كثير من الأحوال ، مطابقة أو مشابهة لما هو متعارف عليه مع بعض التغييرات التي اقتضتها التطورات الزمنية ، فتلك الحلول والتنظيمات ليست

(*) كارل ماركس ، رأس المال ، م ٣ ، كارل ماركس وفردريك انكلز ، المؤلفات ، م ٢٥ ، القسم الثاني ، ص ٣٥٤ .

(**) فاركه ، مختصرات حول مشاكل الاقتصاد السياسي الرأسمالي ، موسكو ١٩٦٥ ، ص ٢٥٨ ـ ٢٨٢ .

بساسانية أو بيزنطية بحتة ولا عربية صرف وإنما هي ساسانية أو بيزنطية بقالب عربي .

إن توزيع الأراضي ونقل ملكيتها إلى القبائل (الارستقراطية القبلية) واكبه توزيع الأراضي على الأفراد(١٥٤) واستحواذ أفراد من الارستقراطية العربية على أراض واسعة وبهذا ساهم العرب في تكوين الملكيات الخاصة (لم تكتمل فيها شروط التملك الاقطاعي) بالاضافة إلى الملكيات العامة كأراضي الصوافي(١٥٥) والحمى (١٥٦) وباقي ممتلكات الدولة(١٥٧) . ولهذا فإن الاقطاع وإن تلكأ في سيره إلا أن السلطة العربية ساهمت بنفس الوقت في تكوين الاملاك الخاصة التي سيكتمل فيها شرط التملك الاقطاعي في العهد العباسي ـ القرن التاسع والعاشر الميلادي ـ حيث أصبح الاقطاع فيها يعني حق التصرف بالأرض ومن عليها بعد إن كان الاقطاع يعني قبل القرن التاسع حق استئجار الأرض . إن الأراضي في العهدين الأموي والعباسي كانت تمنح للعاملين في الجيش والدولة وللمقربين للخلفاء كما وقد أقطعت للمقربين في عهد الفتوح(١٥٨) . وتعج المصادر بذكر القطائع التي منحت من قبل النبي محمد ، سواء أراضي مفتوحة كخيبر(١٥٩) والجرف والقناة(١٦٠) (قرب المدينة) أو لم تفتح بعد كالتي منحت لتميم الداري(١٦١) أو من قبل الخلفاء من بعده فأبو بكر(١٦٢) وعمر بن الخطاب(١٦٣) وعثمان(١٦٤) وعلي بن أبي طالب(١٦٥) قد اقطعوا الأراضي . ويعلل أبو يوسف ذلك بأنه « أعمر للبلاد وأكثر للخراج »(١٦٦) وكانت هذه القطائع أغلبها تقتطع من أرض الصوافي ، والتي صادرتها السلطة العربية ، وتتكون الصوافي (من كل أرض كانت لكسرى أو لاهله أو لرجل قتل في الحرب أو لحق بأرض الحرب أو مغيض ماء أو دير بريد)(١٦٧) (وردت دير بريد عند البلاذردي محرفة (أو دير يزيد)(١٦٨) وقد نقلها دنت عن البلاذري (دير يزيد)(١٦٩) .

ويرى ولهاوزن بأن الرسول والخلفاء من بعده (أبو بكر وعمر) كانوا يعطون قسماً من أراضي الدولة على شكل قطائع Allod ليست عليها واجبات ولعلهم كانوا لا يعطونها بصفة اقطاعيات(١٧٠) Fiefs . إن مقولة ولهاوزن صحيحة ويؤيده فيها لويس الذي ذكر : وسمح للمسلمين بامتلاك الاراضي خارج بلاد العرب ومنحت

الدولة الكثيرين منهم أراضي تعرف باسم القطائع[١٧١] . وكانت الصوافي تحت تصرف الدولة وقد توسع الخليفة عثمان بن عفان في تقسيمها على المقربين إليه مما أوغر صدور الناس عليه . أما في العصر الأموي فقد توسع التملك الفردي على حساب أملاك الدولة حتى شملت القطائع الحمى التي سلمت للقبائل العربية . وبسبب التوسعات في الأملاك الفردية في العهد الأموي اختلقت (بذور) شروط التملك الفردي الاقطاعي التي ستظهر في العصر العباسي ولا تخلو المصادر من ذكر القطائع التي وزعت في العصر الأموي .

وأما في العصر العباسي الأول فقد توسع الخلفاء في توزيع الأراضي على القواد ورجال الدولة المقربين إليهم ، حتى أن الطبري يعزو بناء الجانب الشرقي من بغداد -الرصافة- بسبب إقطاع القواد هناك[١٧٢] .

وقد تصرف العرب حيال الأرض في وضع الضرائب عليها وتصنيفها حسب عائديتها وموقف أهلها عند الفتوح ، فالأراضي التي افتتحت صلحاً تترك بأيدي أهلها وتكون خراجية[١٧٣] ويكون أهلها أهل ذمة[١٧٤] ان لم يسلموا ، أما إذا أسلموا عند الفتح فتكون عشرية وتبقى بأيديهم[١٧٥] . . وأما الأراضي التي تفتح عنوة فإذا أبقاها الخليفة بأيدي أهلها فتكون خراجية[١٧٦] وإذا وزعها على الفاتحين فتصبح عشرية[١٧٧] وكذلك إذا أوقفها لمصالح المسلمين[١٧٨] وأما الأراضي التي تمتلك عفواً دون قتال ودون صلح ، لجلاء أهلها خوفاً ، فتصبح وقفاً وتكون خراجية وهي التي تدخل ضمن الفيء[١٧٩] ، وأما الصوافي إذا قسمت بين الفاتحين فتكون عشرية[١٨٠] وكذلك إذا أوقفت لصالح المسلمين[١٨١] أما إذا تركت بأيدي أهل البلد فتكون أرضاً خراجية والفرق بينها وبين الأرض الخراجية التي افتتحت صلحاً هو أن أصحاب الأراضي الصلحية يستطيعون بيع وإيجار أراضيهم[١٨٢] أما في الأراضي المصادرة ـ الصوافي ـ فالفلاحون لا يملكون ذلك الحق لأن الأرض أصبحت للدولة[١٨٣] ـ ملكاً عاماً .

وهناك طرق أخرى ، غير الاقطاع (المنح) ، حصل رجال الارستقراطية العربية بها على الأراضي ، ذلك عن طريق احياء الأرض الموات[١٨٤] (أراضي مهملة أو مغمورة بالأحراش أو المياه) ، أو الشراء ، أو الالجاء[١٨٥] ، لكن القطائع كانت أوسع وكان اقطاع الأرض على نوعين : ١ ـ اقطاع تمليك ، ٢ـ اقطاع ايجار .

علاقة السلطة العربية بملاك الأراضي

اختلف موقف ملاك الأراضي في ايران وفي القفقاس من جيوش الفتح ، فبعضهم قاوم وكان مصير غالبية المقاومين الهلاك والبقية وقعوا في الأسر فاسترقوا أو هربوا إلى بلاد أخرى وقد صودرت أملاك جميع المقاومين . وقسم هادن العرب واستسلم للفاتحين وعقد صغار الملاك اتفاقيات مع المحتلين نالوا بموجبها امتيازات حافظوا بها على مراكزهم المتزعزعة ، واستطاعوا الحصول على موافقة بجمع الضرائب من السكان وتسليمها للسلطة(١٨٦) وبذلك يستطيعون تحرير انفسهم وأراضيهم من الضرائب(١٨٧) ، ورفع مكانتهم الاجتماعية . وقد أشار بارتولد إلى أن هذه الامتيازات الاقتصادية والاجتماعية التي نالها الدهاقين كانت عاملاً في رضى الدهاقين بزوال خطورتهم السياسية(١٨٨) ولهذا استمر ملاك الأراضي باستغلال الفلاحين والعبيد المشتغلين في الزراعة استغلالاً طبقياً كالسابق - إلا أنهم لم يجدوا الفرصة لتوسيع نفوذهم - وكانت السلطة لا تتدخل في شؤونهم وأعمالهم الخاصة(١٨٩) . لأن السلطة العربية سعت إلى تثبيت سلطانها بواسطة الملاك أصحاب الأراضي واعتمدت ، من أجل ذلك ، عليهم كثيراً ، فكان الملاك الأدوات الطيعة لتثبيت التسلط الأجنبي ، وكانا بعيدين عن التحسس بمشاكل بلادهم ومتقربين إلى السادة الحكام . وقد أشار ولهاوزن إلى أن دهاقين خراسان كانوا على استعداد حسن نحو الوالي أسد عبد الله القسري(١٩٠) . ولهذا نجد عدم مساهمة الملاك في الانتفاضات التي كان ينضم إليها المستغلون من أبناء الشعوب سواء أكانت الانتفاضات خارجية أم شيعية أم قيادتها عربية أم تكون خاصة بأبناء الشعوب . ولم ينضم الارستقراطيون إلى الثورات والانتفاضات إلا بعد أن شملتهم مساوىء الاحتلال ، ولاسيما في أواخر العهد الأموي ، حيث ازدادت مضايقة السلطة لهم بازدياد تسلطها والذي كان يعيق توسع نفوذهم الاقطاعي على المستغلين ، وامتدت اليهم يد الاستغلال بالتنظيمات المالية المستحدثة وبعد أن زحف اليهم الملاك العرب للاستيلاء على أراضيهم حين ذاك انضم الكثيرون منهم إلى صفوف الشعب في ثوراته آملين طرد العرب واستعادة سابق نفوذهم الاقطاعي واستغلالهم الواسع للجماهير . أما الملاك العرب (الارستقراطية القبلية) فكانوا أصحاب الحظوة والنفوذ

لدى السلطة وكانوا يدفعون ضرائب بسيطة (العشر أو نصف العشر) وقد ذكر أبو يوسف : « فأما القطائع فما كان منها سيحا فعلى العشر وما سقي منها بالدلو والقرب والساقية فعلى نصف العشر »[١٩١] . وقد علل أبو يوسف ذلك : « لما يلزم صاحب الاقطاع من المؤونة ، في حفر الأنهار وبناء البيوت وعمل الأرض »[١٩٢] . وكان الملاك العرب ينالون مساعدات مالية من الدولة عند استلامهم قطائع من الأرض ولاسيما الموات منها[١٩٣] . وكان الكثير من الملاك من المقربين للخلفاء إن لم يكونوا من العائلة الحاكمة . وفي العصر العباسي ازداد اعتماد السلطة على الملاك المحليين والعرب ، فإزداد جور واستغلال الملاكين للفلاحين وزادت الهوة بين الارستقراطية المحلية وبين أبناء الشعب . وقد توسع العباسيون في اقطاع الأراضي للمقربين إليهم من الارستقراطية الأجنبية والعربية . وبدأ الاقطاع يسير في تطوره بوتائر أسرع وبدأت تبرز شيئاً فشيئاً الأملاك الاقطاعية وخاصة في نهاية القرن التاسع وكان من نتيجة التناقض بين الملاكين والفلاحين أن اتسمت الانتفاضات الجماهيرية بصفاتها الطبقية حيث ساهمت فيها جموع المستغلين وغالبيتهم من الفلاحين ـ ثورات وانتفاضات الخرّميين ـ أما الارستقراطية (الثرية المترفة) المالكة للأراضي فكان أفرادها مع السلطة الحاكمة إلا قليلاً .

وضعية الفلاحين

شاهدنا كيف كانت وضعية الفلاحين سيئة في العهد الساساني ، وكيف كان للفلاحين أمل في تحسين أحوالهم عند تغير السلطة ، ولكن الاحتلال العربي وإن قضى على الكثير من الأشراف الايرانيين (الارستقراطيين الايرانيين) مالكي العبيد والأراضي الواسعة ، وأدى إلى إلغاء مراتب الناس الاجتماعية باعتبار أن الايرانيين أصبحوا هيئة اجتماعية واحدة دون العرب السادة ، غير أن التقسيم الطبقي للمجتمع بقي هو هو حيث بقي هناك مستغلون وهم الملاك (المحليون ـ الدهاقين والعرب) ومستغلون وهم الفلاحون ومعهم العبيد (وقد ازداد عددهم بسبب الحروب) وشغيلة المدن والكسبة والرحّل والصيادون . ولهذا بقي المستغلون يئنون من الاستغلال الطبقي والتسلط الحكومي ، يضاف إلى ذلك الازدراء والتحقير والاعمال الاجبارية وإعالة المحتلين[١٩٤] .

هذا في العهد الراشدي ، أما في العهد الأموي فقد حلت بجماهير الفلاحين الواسعة مختلف صنوف العذاب والاستغلال والاهانات (كان الامويون يحتقرون المهن - ومنها الزراعة) من قبل السادة ملاك الأراضي والذين جلهم كانوا من الامويين[١٩٥] أو من المقربين اليهم أو من رؤسائهم المحليين - الدهاقين ، الأحرار والأمراء - الذين تحالفوا مع السادة الجدد لاستغلال الفلاحين بأوحش الأساليب - . لقد قاسى الفلاحون من الضرائب الفادحة (ازدادت نسبتها عما كانت عليه في العهد الساساني) حيث أعيدت الضرائب السابقة (هدايا النوروز والمهرجان)[١٩٦] التي ألغيت لفترة ما[١٩٧] ، والقساوة في تحصيلها ، وقاسوا من الاجحاف في الحقوق وعدم المساواة ومن السخرة في الأعمال الخاصة والعامة والتي منها العناية بالطرق والجسور والأسواق والإرشاد والضيافة[١٩٨] - ضيافة أبناء السبيل ومن يمر بهم من جنود المسلمين ، وهذا ما كان مترتباً على أهل الذمة[١٩٩] الذين كانت غالبيتهم تشتغل بالفلاحة[٢٠٠] ، بل وحتى الموالي كانوا يسامون الخسف والهوان ، فقد ختمت على رقابهم بالرصاص وعلى أذرعهم أسماء قراهم ومواطن سكناهم لكي لا يتهربوا من الضرائب الفادحة ، وحتى إسلامهم لم ينجهم من جشع الولاة والحكام الامويين للمال[٢٠١] ، لكن دنت لا يتفق مع الرأي القائل «بأن السلطة هي التي أبقت ضريبة الرأس على من أسلم في خراسان» وإنما يرى بأن الوكلاء المحليين هم الذين عمدوا إلى ذلك خشية انتشار الاسلام الذي يهدد مصالحهم ، وإن نصر بن سيار عمد إلى أن يصحح هذا الوضع الخاطىء الذي ينطوي على الظلم[٢٠٢] . ولكن المصادر تشير إلى صرخات الاحتجاج التي كانت تصل الولاة عن سوء الجباية ولهذا يمكننا أن نقول أن ما قام به نصر إنما هو تدارك متأخر للخطر الناجم عن الاحتجاج العام الصارخ على مظالم الأمويين المالية وليس كما تصور دنت ، الذي يحاول نكران العامل الاقتصادي الذي دفع الموالي للانضمام إلى الدعوة العباسية حيث ختم كتابه بقوله «وفي الختام لابد أن يكون قد اتضح ها هنا أن من الخطل الكبير أن نفترض تفسيراً اقتصادياً للثورة العباسية ، فالفكرة التي تصورها فان فولتن Van Volten بأن سكان ايران كانوا ينوؤون تحت ثقل الضرائب الفادح وأنهم كانوا على استعداد للثورة عند أول بادرة - هذه الفكرة لا يمكن أن تصمد أمام ضوء البحث الدقيق . إن الموالي الذين كانوا يستغلون فإنما كان يستغلهم أبناء جلدتهم لا

العرب»[٢٠٣] . ولاشك أنه بات معروفاً بأن السلطة العربية قد عهدت إلى الملاك المحليين بجمع الضرائب ، لذا فهذه الضرائب كانت تذهب إلى السلطة لا إلى الملاك وأن أبناء الشعب يدركون ذلك جيداً وقد كانت مجحفة . لهذا فإن نكران العامل الاقتصادي من قبل دنت وان برقع ببهرجة أضواء البحث الدقيق ، لايمكن قبوله بأي حال من الأحوال . لقد كان من نتائج الضرائب الفاحشة أن تردت أحوال الفلاحين المعاشية لتردي أثمان المنتجات الزراعية ، بسبب تسرع المزارعين في بيع منتوجاتهم قبل نضوجها بأثمان بخسة لدفع الضريبة كما أوضح ذلك الخليفة عمر الثاني[٢٠٤] ، ولفداحة الضرائب التي كان يدفعها الفلاحون فقد أصبحوا المستودع الثوري لكل الحركات والانتفاضات التي قامت بوجه الأمويين وكانوا التربة الحسنة التي نمت فيها وترعرعت الفرقة الخرمية وإن لم يلعب الخرميون الدور المحرك للانتفاضات في العصر الأموي . لقد كان للأوضاع المزرية والانتهاكات الصريحة لحقوق الفلاحين الدور البارز في تحريكهم من أجل تحسين أحوالهم واسترداد حقوقهم ومن أجل ذلك ساهموا في الدعوة العباسية وكانوا عماد جيشها وخاصة الخراسانيون . غير أن العباسيين ـ وقد تطور الاقطاع نوعاً ما في عهدهم ـ تنكروا لمطالب الجماهير التي ساندتهم ـ لذلك لم يشعر فلاحو ايران بأي تبدل في وضعيتهم ، فقد عاد الاقطاعيون إلى سابق نفوذهم وعاد الضيق الاقتصادي وعادت الضرائب الفادحة ترهقهم[٢٠٥] ، وكذلك كان حال فلاحي آذربيجان وأرمينيا .

لقد اشتدت وطأة الاستغلال الاقطاعي على جماهير الفلاحين ، فأخذوا يتلمسون طريق الخلاص من الجور والظلم والاضطهاد ومن النهب والسلب الشرعي (الضرائب) فقام الفلاحون بانتفاضات عديدة (غالبيتها خرمية) شملت ايران وما وراء النهر وكانت تتجاوب أصداؤها في ربوع القفقاس . ولاغرابة أن يقوم أشد أنصار العباسيين ـ فلاحو ايران ، وخاصة فلاحو خراسان ، وهم الذين كانوا القاعدة الاجتماعية (للثورة) العباسية ـ بالانتفاضات ضد السلطة العباسية ، لأن العباسيين ، بطبيعة كونهم من طبقة ارستقراطية مستغلة متنفذة ، تنكروا لمصالح الفلاحين[٢٠٦] ، فيذكر الدوري : «ولكن المثل الأعلى للمساواة والعدل ظل وهماً ، إذ لم يحقق العباسيون وعودهم ، فاستمر العسف والجور واستمرت الثورات . ففي سنة ١٣٣ هـ احتج شريك بن شيخ

المهري الثائر ببخارى ضد مظالم العباسيين قائلاً : « ما على هذا تبعنا آل محمد ، على أن نسفك الدماء ونعمل بغير الحق » ، وتبعه على رأيه أكثر من ثلاثين ألفا »[٢٠٧] ، واستشهد الدوري ببيت من الشعر لأبي العطار الشاعر[٢٠٨] :

يـا ليت جـور بني مـروان عـاد لنا

يا ليت عدل بني العباس في النار[٢٠٩]

لقد امتاز العصر العباسي الأول بشدة الحركات الفلاحية ضد الجور الحكومي والاستغلال الاقطاعي ويعزو الدوري[٢١٠] السبب إلى العباسيين الذين « لم يعملوا ما يذكر لتخفيف الضغط الاقتصادي والاجتماعي على جماهير الايرانيين فلم يرضخ هؤلاء لوضعهم »[٢١١] . ويعتبر لويس تلك الحركات التي قامت في إيران متنفساً للشعوب المغلوبة[٢١٢] . لقد كان لتطور الاقطاع وخاصة في نهاية العصر العباسي الأول ، السبب في بلورة الصفات الطبقية للنضال الجماهيري ضد الاستغلال حيث ساهمت الجماهير المستغلة بمفردها ـ في كثير من الأحيان ـ في الكفاح المسلح ضد الخلافة ، وكان الارستقراطيون ـ الملاك المحليون ـ دوماً مع السلطة .

الضرائب

تيسر لكسرى أنو شروان ، بعد سحق الحركة المزدكية ، وضع الضرائب الجائرة على عاتق الشعب وقد أعفى الطبقة الارستقراطية منها ، وكانت الضرائب مرهقة شاقة . وعند مجيء العرب ـ المفتقرين للتنظيمات المالية ـ أبقوا تلك النظم والتعاليم ولغة استعمالها وموظفيها[٢١٣] في بادئ بدء ، على حالها ، ثم أجريت تغييرات تطلبتها مقتضيات التطور الزمني ، لكن الأسس والكميات والمسميات على الأغلب سارت على النمط القديم . ولقد اقتضى في بعض الحالات ، ولاسيما في العهد الراشدي ، حذف أو إهمال بعض الضرائب نتيجة الدعاية الدينية . ولكن سرعان ما عادت ، كضرائب هدايا النوروز والمهرجان التي أبطلت . فلما جاء عثمان أعادها فضج الناس فاضطر إلى الغائها[٢١٤] وأعيدت في زمن معاوية . ولهذا فإن مجيء العرب كفاتحين لم يخفف من الضائقة الاقتصادية على الشعوب ولم ينقذها من جور الضرائب[٢١٥] حيث كانت تنظيمات العرب في جوهرها تطابق تنظيمات من سبقهم .

١ ـ الخراج[٢١٦]

ضريبة على الأرض ، وكانت لدى الساسانيين مقاسمة (عينية مقدرة بالنسبة إلى كمية المحصول) ثم جعلها أنو شروان مساحة (نقدية مقدرة بالنسبة إلى مساحة الأرض المزروعة ونوعية المحصول) ويسمي بعض الفقهاء النوع الأخير من الخراج «خراج الوظيفة»[٢١٧] ، لكن الخراج ليس بوظيفة أو كراء (أجرة) للأرض وإنما هو ضريبة حكومية على الأرض ، وقد اقتبس العرب ، بعد فتح العراق ومسحه ، النظام الساساني في تحديد الضرائب ، كما اقتبسوا النظام البيزنطي في أماكن أخرى ، إلا أنه بالرغم من الاحتفاظ بالأسس والكميات والمسميات والموظفين ، فإن هنالك تفاوتاً في النسب والأشكال والطريقة وذلك راجع إلى الاختلاف في طبيعة الفتح وعائدية الأرض بالإضافة إلى طريقة الارواء والبعد والقرب من الأنهار والأماكن المعمورة كما وأن السلطة كانت تمارس مطلق الحق[٢١٨] في التغييرات نتيجة استسلام[٢١٩] أهل البلد المفتوح ، فلايخفى أن هنالك اجراءات مختلفة قد اتخذت ولم يكن لأهل البلد حق الاعتراض عليها ، فقد ذكر الماوردي أن هنالك اختلافات في تقدير الضرائب (وضرب عمر رضي الله عنه على ناحية أخرى غيرها غير هذا القدر)[٢٢٠] . ومن ملاحظة قوائم المؤرخين والفقهاء ومطابقتها مع الخراج في أيام الساسانيين نستنتج :

١ ـ أن الخراج في العهد الإسلامي أعلى من مثيله في العهد الساساني .

٢ ـ اختلاف المؤرخين والفقهاء (في مقدار الخراج وليس في الأسس)(*) راجع ولابد إلى أن تحديد الضريبة على الأراضي لم يكن واحداً فلما أحرق ديوان الخراج في معركة دير الجماجم (أيام ابن الاشعث ٨٢ هـ/ نيسان ٧٠١ م) حصل الالتباس بعدئذ لدى المؤرخين .

٣ ـ الأرض الخراجية العامرة أو الغامرة تدفع قفيزا ودرهما في السنة لمرة واحدة سواء زرعت أم لم تزرع[٢٢١] .

٤ ـ هنالك أراض وضعت عليها ضرائب قطعية فيذكر أبو عبيد : «وقالا لدهقان كل قرية : على قريتك كذا وكذا فاذهبوا فتوزعوها . قال فكانوا يأخذون الدهقان

(*) يذكر لوكيكارد بأن الاختلاف بين قدماء الفقهاء ومحدثيهم ليس إلااختلافاً بالدرجات ، الضريبة الإسلامية ، ص ٧٣ .

بجميع ما على أهل قريته »[٢٢٢] . وقد أشار إلى هذه المقاطعات ابن حوقل واعتبرها صنفاً ثالثاً من أصناف الخراج وذكر بأنها تزيد ولاتنقص زرعت أم لم تزرع تؤخذ بالعبرة[٢٢٣] . وفيما يلي مقارنة الضرائب الخراجية في العهدين الساساني والإسلامي حسب ما وردت لدى الفقهاء والمؤرخين :

الجريب من الارض المزروعة عامر أو غامر	الخراج في العهد الساساني	ضريبة الخراج في العهد الإسلامي حسب المؤرخين العرب[٢٢٤]						
	درهم	أبو يوسف (٢٢٥)	يحيى (٢٢٦) قفيز ودرهم	أبو عبيد (٢٢٧) قفيز ودرهم	البلاذري (٢٢٨)	ابن خرداذبة (٢٢٩) قفيز ودرهم	الطبري (٢٣٠) قفيز	الماوردي (٢٣١) درهم
الكروم	٨	١٠ دراهم		١٠ دراهم	١٠ دراهم	٦ دراهم	١٠ دراهم	١٠ دراهم
الرطبة[٢٣٢]	٧			٥ دراهم	٥ دراهم	٦ دراهم	٥ دراهم	٥ دراهم
الارز							قفيز ودرهم	
السمسم							قفيز ودرهم	
البقول							قفيز ودرهم	
الرياحين							قفيز ودرهم	
النخل		٨	٥ أو ٨	١٠		٨	١٠	٨
اربع نخلات		١						
ست نخلات دقل		١						
شجر ملتف				١٠				١٠
قصب سكر			٠	٦	٦		(٢٣٣)	٦
الحنطة	١		٤	٤	٤	٤	قفيز ودرهم	٤
الشعير	١		٢	٢	٣		قفيز ودرهم	٢
زيتون	١			١٢				

لقد اتخذ الفقهاء ما حصل بالعراق مقياساً لأحكامهم واجتهاداتهم . أما في ايران ، وكذلك في القفقاس ، فلم يؤخذ الخراج لحاله ولا الجزية لحالها ، وإنما فرضت عند الصلح مبالغ معينة تدفع كضريبة سنوية عامة ، وكان الدهاقين مسؤولين عن جمعها ، ولهذا ترد الجزية أحياناً وأحياناً الخراج في صيغ الأمان لتدلا على الضريبة السنوية المقررة . ولم تكن كل الأراضي لتدفع ضريبة الخراج ، إذ أن هنالك أراضي وزعت على الفاتحين أو انتقلت ملكيتها للدولة أو للارستقراطيين العرب بطريق المنح (الاقطاع) أو بطريق الشراء أو ألجأها إليهم أصحابها ، وغالبية هذه الأراضي تخلصت

من ضريبة الخراج وأصبحت أراضي عشرية ، أي تدفع ضريبة العشر فقط ، كما وأن انتقال أصحاب الأراضي ـ في أواخر العهد الراشدي وأوائل العهد الأموي ـ إلى الإسلام قد أدى في بعض الأحيان إلى تخلص بعض الأراضي من ضريبة الخراج والاكتفاء بدفع العشر ، ولكن الأوامر صدرت في عهد عبد الملك بن مروان بإعادة الضريبة الخراجية على الأرض والجزية على المسلمين ، ثم أصدر عمر بن عبد العزيز أمراً أصبحت الأرض بموجبه ، من تاريخ ١٠٠ هـ ، تدفع ضريبة الخراج سواء كان صاحبها مسلماً أم غير مسلم[٢٣٤] ، وأما ضريبة الجزية فتسقط بالإسلام ، وبما أن الضريبة في إيران لاتزال واحدة ـ كما هي الحال في القفقاس ـ فإن مفعول هذا الأمر لم يطبق بدقة ، ولهذا ظل المسلمون الجدد يدفعون الضريبة السابقة ، وخلق ذلك تذمراً عبرت عنه صيحة أبي الصيداء صالح بن طريف للخليفة عمر بن عبد العزيز ، وفي تدبير لزيادة الضريبة عمد نصر بن سيار آخر والٍ أموي على خراسان ، إلى وضع تنظيم فصل فيه بين الضريبتين ، فحدد ضريبة الخراج على الأرض وتبقى حتى ولو أسلم أصحاب الأرض ، وضريبة على الرقاب (الجزية) وتسقط بالإسلام[٢٣٥] (وحتى بعد هذا التقسيم للضريبة يخلط بوليانسكي بين الجزية والخراج)[٢٣٦] .

لقد ظل الخراج في العهد الأموي مساحة على الأسس التي أقرها عمر بن الخطاب ولم يجر تغيير الخراج إلا في زمن العباسيين حيث بدأه أبو جعفر المنصور فجعله مقاسمة بالنصف[٢٣٧] ثم أصبح ثلاثة أخماس(٣/٥) الحاصل للدولة[٢٣٨] ثم عاد للنصف في زمن الرشيد[٢٣٩] ثم أصبح (٢/٥) الحاصل في زمن المأمون[٢٤٠] .

لقد كانت ضريبة الخراج ثقيلة تكره الفلاحين على بيع محاصيلهم قبل نضوجها لتسديد ما بذمتهم كما صرح بذلك عمر بن عبد العزيز[٢٤١] ، وكان الفلاحون يهربون على الأغلب من قراهم ويلتجئون إلى المدن تهرباً من دفع الضرائب ، وقد أجبر الأمويون الهاربين من القرويين على العودة إلى قراهم وسجلوا أسماء أماكنهم على أختام الرصاص وعلقوها في رقابهم[٢٤٢] . ولم تكن الضرائب المترتبة على الفلاحين مكروهة لفداحتها فقط ، ولكن لما كان يرافق جمعها من صنوف الاهانة والتعذيب حيث ذكر أبو يوسف «بلغني أنهم يقيمون أهل الخراج في الشمس ويضربونهم الضرب الشديد ويعلقون عليهم الجرار ويقيدونهم بما يمنعهم من الصلاة»[٢٤٣] ، وقد

ذكر الجهشياري بأن أهل الخراج كانوا يعذبون بصنوف من العذاب من السباع والزنابير والسنانير[٢٤٤] . وكان عمال الدولة لا يكتفون بأخذ حصة الحكومة من الخراج وإنما ابتدعوا وسائل عديدة للابتزاز والنهب ترافق عملية استحصال ضريبة الخراج[٢٤٥] ، هذا بالإضافة إلى أن عمال بني أمية كانوا يخرصون الثمار (يقدرون ما عليها) ويقدرون الخراج حسب تخميناتهم وأكثر الأحيان تكون أكثر من الواقع ، وقد عدد الدوري مساوىء جباية الخراج في العهد العباسي بما يلي :

١ ـ حزر ما في البيادر فتقدر بأكثر من محتوياتها .

٢ ـ جباية الضريبة قبل نضوج الزرع .

٣ ـ ضمان الخراج في منطقة ما من قبل أفراد يدفعون قدراً معيناً من المال وتطلق أيديهم في الجباية ، وكان أهل الخراج يعاملون معاملة قاسية[٢٤٦] .

لقد اضطر اصحاب الأراضي تهرباً من الضرائب الفادحة ، إلى الجائها إلى كبار المتنفذين في العهدين الأموي والعباسي كما أشار إلى ذلك الجهشياري[٢٤٧] وابن حوقل[٢٤٨] وغيرهم .

ونورد الآن بعض مقتبسات من قوائم الخراج في عهود مختلفة :

١ ـ قائمة الجهشياري[٢٤٩] :

٢٨,٠٠٠,٠٠٠ درهم من خراسان

١١,٠٠٠,٠٠٠ درهم من أصفهان

١١,٨٠٠,٠٠٠ درهم في همدان ودستبي

٤,٠٠٠,٠٠٠ درهم في آذربيجان

١٣,٠٠٠,٠٠٠ درهم من أرمينيا

٢ ـ قائمة ابن خرداذبه[٢٥٠] :

٤٤,٨٤٦,٠٠٠ درهم في خراسان

٢,٠٠٠,٠٠٠ درهم في آذربيجان

٤,٠٠٠,٠٠٠ درهم في أرمينيا[٢٥١]

٣ ـ قائمة قدامة بن جعفر[٢٥٢] :

٣,٠٠٠,٠٠٠ درهم خراج قم وقاشان

٢٠,٢٠٠,٠٠٠ درهم خراج الري

٤,٥٠٠,٠٠٠ درهم خراج آذربيجان

٤,٠٠٠,٠٠٠ درهم خراج أرمينيا

٤ ـ قائمة ابن خلدون[٢٥٣] :

٢٨,٠٠٠,٠٠٠ درهم خراج خراسان[٢٥٤]

٢٧,٠٠٠,٠٠٠ درهم خراج فارس

١٣,٠٠٠,٠٠٠ درهم خراج همذان

٤,٠٠٠,٠٠٠ درهم خراج اذربيجان

١٣,٠٠٠,٠٠٠ درهم خراج أرمينيا[٢٥٥]

٥ ـ قائمة «العلي»[٢٥٦] . والجديد فيها ما نقله عن اليعقوبي لمقدار الخراج في عهد معاوية :

المنطقة	في عهد معاوية[٢٥٧]	الرشيد	المأمون	المتوكل	عن ابن خرداذبة	عن اليعقوبي	عن المقدسي
اصفهان[٢٥٨]	–	١١,٠	١٠,٥	١٦,٠	٧,٠	١٠,٠	–
خراسان	٣٠,٠	٢٨,٠	٣٨,٠	–	٣٧,٠	٤٠,٠	٤٤,٠

(إن الأرقام الصحيحة تمثل الملايين والكسور مئات الالوف من الدراهم) .

ومن نظرة أولية نلقيها على هذه المقتبسات نستخلص فداحة الضرائب -التي كان بدفعها أبناء شعوب إيران وأذربيجان- وكان ثقلها واقعاً على المعدمين- وغالبيتهم من الفلاحين- من مسلمين وذميين ، فكانت من العوامل الأساسية في إثارة الخرميين .

٢ـ الجزية[٢٥٩]:

وضع العرب الفاتحون ضريبة الجزية على أبناء البلدان المغلوبة كرمز للمذلة والمهانة[٢٦٠] «... حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون...»[٢٦١] ، وكمورد رزق ثابت وهي من أبواب الفيء[٢٦٢] ، والجزية ضريبة على الرؤوس والخراج ضريبة على الأرض وقد حدد هذا المعنى الاصطلاحي في أواخر العهد الأموي[٢٦٣] ـ في البلدان

الشرقية ـ أما في العراق فقد حددت الضريبتان منذ أمد بعيد . وقد وضعت الجزية ـ نظرياً ـ على الرجال من أهل الكتاب ، ولكن عملياً طبقت على غير المسلمين كافة وأصبح كل ابناء البلد المغلوب أهل ذمة سواء كانوا يهوداً أو مسيحيين أم صابئة أم عبدة أصنام أو أوثان أو نيران . قال أبو يوسف : وأما العجم فتقبل الجزية من أهل الكتاب منهم وعبدة الأوثان والنيران من الرجال منهم(٢٦٤) وقد أثار قبول غير أهل الكتاب في عداد أهل الذمة مساجلات عنيفة بين الناس تعج كتب الفقهاء بذكرها(٢٦٥) . ويرى حتي أن النظرية المادية هي التي قامت إذ ذاك مقام النظرية القرآنية(٢٦٦) ، ويمكننا أن نضيف إلى قول حتي بأن النظرية ذاتها هي التي عطلت مفعول التقليد الذي يمنع أخذ الجزية من المسلمين حيث فرضها الأمويون على من أسلم ـ عدا عمر بن عبد العزيز ـ وأن قبول استلام الجزية من غير أهل الكتاب يدل على أن الضريبة غير مستحدثة وهي استمرار للضريبة الساسانية وإن اختلفت عنها في المقادير(٢٦٧) . ومن الطبيعي أن يحدث التناقض ـ كما أشار إلى ذلك بيكر ـ بين النظرية والتطبيق(٢٦٨) ، والحقيقة أن الحكام وهم يمثلون الطبقة السائدة في مجتمعهم كانوا لا يتورعون عن استغلال الشعوب بمختلف الوسائل ولهذا جاءت تطبيقاتهم للأمور مسايرة لأهوائهم لا كما يفسر الفقهاء بل وفي كثير من الأحيان كان الفقهاء يجتهدون في وضع أحكام جديدة وتفسيرات مستحدثة لإزالة التناقض بين النظرية الدينية وتطبيق الحكام ، ولهذا لا يمكن اعتبار المؤلفات الفقهية ـ كما نوه لوكيكارد ـ صورة حقيقية لشؤون الدولة(*) .

لقد كانت الجزية ضريبة طبقية في العهد الساساني ، حيث فرضت على جماهير الشعب ، وأعفيت الارستقراطية والفئة الحاكمة ومن التحق بخدمتها ، من دفعها . أما في العهد الإسلامي (فلايمكن اعتبارها ضريبة طبقية لأن العرب اعتبروا جميع ابناء البلد المغلوب رعية ففرضوا الجزية على جميع المحتفظين بدينهم ، ولهذا أنف الارستقراطيون من دفعها واحتجوا بأنهم كانوا معفيين منها في السابق وناشدوا العرب أعفاءهم منها ، كما حصل في أصفهان . وقد أورد الطبري(**) قولا لشهربراز ملك الباب حينما خاطب عبد الرحمن بن ربيعة «فلا تذلونا بالجزية» .

(*) الضريبة الإسلامية ، ص ٧٣ .

(**) تاريخ الرسل ، م ١ ، جـ ٥ ، ص ٢٦٦٤ .

وضريبة الجزية على غير المسلمين لا تشمل النساء والصبيان والمسنين والمعتوهين وتؤخذ بالسنة مرة وصنفت إلى ثلاثة أصناف باختلاف موارد الدافعين وأعمالهم وهي ٤٨ درهماً و ٢٤ درهماً و ١٢ درهماً كما فصل ذلك أبو يوسف ، فيؤخذ منهم على الطبقات على ما وصفت : ثمانية وأربعون درهماً على الموسر مثل الصيرفي والبزاز وصاحب الضيعة والتاجر والمعالج الطبيب وكل من كان منهم بيده صناعة وتجارة يحترف بها أخذ من أهل كل صناعة وتجارة على قدر صناعتهم وتجارتهم ٤٨ درهماً على الموسر و ٢٤ على الوسط... واثنا عشر درهماً على العامل بيده مثل الخياط والصباغ والاسكاف والخراز ومن أشبههم)[٢٦٩] وهذا التحديد الفقهي لنسب المقادير كان عرضة للزيادة كما فعل عبد الملك بن مروان[٢٧٠] .

وكان يلحق بضريبة الجزية فروع ملازمة لها فقد فرض على أهل الذمة تقديم الزيت والخل وإطعام من يمر بهم من المسلمين لمدة ثلاثة أيام[٢٧١] ، وتقديم الهدايا في الأعياد . ولما كانت الجزية رمزاً للصغار والمهانة فكان يرافق جمعها صنوف الاذلال والتعذيب والازدراء[٢٧٢] . وهرباً من ثقلها وسوء طرق جبايتها التجأ الذميون إلى الإسلام ولكن الأمويين فرضوها عليهم رغم اسلامهم[٢٧٣] ، وكان ذلك من أقوى أسباب استياء الشعوب منهم .

٣ ـ الضرائب الباقية:

فرض العرب على أبناء الشعوب المغلوبة ، إضافة إلى ضريبتي الجزية والخراج ، ضرائب أخرى هي : ضرائب النكاح[٢٧٤] وأجور الضرابين وأجور البيوت ورسوم العرائض[٢٧٥] ، وهدايا الأعياد ، مثل عيد النوروز وهو عيد أول أيام الربيع[٢٧٦] والمهرجان وهو عيد ابتداء أيام الشتاء[٢٧٧] ، وهذه من أعياد الايرانيين وكان الساسانيون يطالبون السكان بتقديم الهدايا فيهما وأبطلت بعد زوالهم وأعيدت في عهد الخليفة عثمان بن عفان ولما ضج الناس من إعادتها توقف الخليفة عن أخذها[٢٧٨] ، وأعيدت في عهد معاوية ، والذي بلغت هدايا النوروز والمهرجان اليه (من منطقة السواد فقط) عشرة ملايين درهم[٢٧٩] .

ومن الضرائب الأخرى أخماس المعادن والضرائب على الصادرات وضريبة الأسواق[٢٨٠] وأعشار التجارة ـ ما كان يفرض من العشور على التجارة ـ ، وهي كما يجمع الفقهاء تختلف باختلاف جنسية التجار إذ كانت ١٠٪ على تجارات أهل الحرب (الأجانب) و٥٪ على تجارات أهل الذمة و٢,٥٪ على تجارات المسلمين[٢٨١] ، وضرائب الأحداث ـ وهي الغرامات التي تأخذها الشرطة على الجنايات[٢٨٢] ـ وبالإضافة إلى هذه الضرائب فإن عمال الدولة كانوا يتفننون في نهب وابتزاز أموال الشعب ويجبون لأنفسهم ما يعادل أو يفوق ما يجبونه للدولة . ولم يحاسبهم الخلفاء على سوء تصرفهم فقد ابتز عبد الرحمن بن زياد إبان إمارته على خراسان مبلغاً كان يكفي على حد ادعائه أن يعيش مائة سنة وينفق كل يوم ١٠٠٠ درهم[٢٨٣] . ويذكر الأصفهاني ، أبو نعيم ، عن عبيد الله بن أبي بكرة الثقفي « قدم أصفهان مطفئاً للنيران من قبل معاوية وخرج منها إلى سجستان فأصاب أربعين ألف ألف (٤٠ مليون) »[٢٨٤] . وكانت هذه الأساليب الدنيئة في نهب خيرات البلاد ، تجد التشجيع من خلفاء بني أمية الذين كانوا يقاسمون ولاتهم فيما ينهبون ، لذا ناء الشعب المحتل ، بجماهيره الواسعة ، من ثقل هذه الضرائب[٢٨٥] ، ولم يقل ثقل الضرائب وسوء استعمال الجباة لطرق جبايتها في العهد العباسي كما كان عليه في العصر الأموي ، وقد أشار كرد علي : « وأصبح العمال في الدولة العباسية صورة عجيبة من استنزاف الأموال »[٢٨٦] .

هنالك قول لعمر بن عبد العزيز ، رواه البلاذري[٢٨٧] وعنه يرويه أبو الفداء[٢٨٨] ، مفاده أن وارد السواد قد هبط في زمن الحجاج بن يوسف من مئة مليون إلى أربعين مليون . لكننا نجد مؤرخين آخرين يرون أن جباية السواد كانت بمقادير أخرى ، فاليعقوبي يذكر « ولم يحمل الحجاج من جميع العراق إلا خمسة وعشرين ألف ألف (٢٥ مليون) »[٢٨٩] ، أما ابن خرداذبة فيذكر رقم (١٨ مليون)[٢٩٠] ، وعنه نقل المقدسي[٢٩١] الرقم نفسه ، أما الماوردي فقد ذكر « وجباه الحجاج مائة ألف ألف وثمانية عشر ألف ألف (١٨ مليون) بغشمه وخرابه »[٢٩٢] . ولاشك أن هذه الأرقام لمقادير الجباية في سنوات مختلفة ، ففي أيام السيطرة التامة للحجاج كانت الجباية تتجاوز الـ ١٠٠ مليون درهم ، وأما في أيام الانتفاضات والحروب الداخلية ، حيث

يضطرب حبل الأمن وتضعف السيطرة ، فيهبط الوارد إلى الحضيض ، إذ يهجر الفلاحون المستاؤون مزارعهم وقراهم لفداحة الضرائب وسوء طرق جبايتها ولكساد البضائع الزراعية وهبوط أثمانها(٢٩٣) ، ويتهرب الموالي من دفع الجزية التي ظلت رغم اسلامهم ـ كما وأن حرق الديوان أيام انتفاضة ابن الاشعث ومساهمة عدد غفير من الموالي وأهل الذمة في تلك الانتفاضة(٢٩٤) وفي انتفاضات غيرها أدت إلى هبوط الجباية . غير أن الحجاج ، بعد أن قضى على انتفاضة ابن الاشعث ، اجبر الفلاحين على العودة إلى قراهم ومزارعهم وأرغمهم على دفع الخراج والجزية مسلمهم وذميهم . إننا لا يمكنا أن نتفق مع حتي ، حين يقول : «أما العراق فقد نقص دخل الخزينة فيه من مئة مليون في خلافة عمر بن الخطاب إلى أربعين مليون في عهد عبد الملك . وليس من شك في أن كثرة الداخلين في الإسلام كانت من عوامل هذا النقصان »(٢٩٥) . لان النقص كان عرضياً ـ أيام الحروب ـ ولان الحجاج والأمويين بصورة عامة أخذوا الجزية ممن أسلم(٢٩٦) .

٤ ـ التجارة والحرف

أ ـ التجارة:

نمت التجارة في ايران الساسانيين وأصبحت البلاد مركزاً تجارياً وحلقة وصل بين آسيا وأوروبا ـ طريق الحرير ـ ، ولاسيما بعد تدهور التجارة في بلاد العرب (طرق القوافل المحاذية لساحل البحر الأحمر) واضمحلال الدويلات العربية التجارية ، والتي أصبحت مراكزها التجارية خرائب تشهد على ما كان لها من ترف ونعيم ومركز ممتاز(٢٩٧) . ان التدهور التجاري في بلاد العرب ووجود سلطة مركزية في ايران ساعدا على نمو وازدهار التجارة في ايران حيث أصبحت طرق التجارة تمتد عبر أراضيها إلى بحر الخزر والبحر الأسود ومن الخليج العربي إلى البحر المتوسط وآسيا الصغرى ـ إلى بيزنطة .

كما وأن نمو الصناعات والحرف الأولية اليدوية في ايران وتطور البلاد اقتصادياً سببا زيادة الطلب على الحاجيات والكماليات لدى الطبقة الارستقراطية الغنية . وكانت

وفرة المعادن في ايران وبلاد القفقاس من العوامل الممهدة لنشوء تلك الصناعات والحرف . والمصادر الايرانية حافلة بذكر التجارة والتجار والضرائب المفروضة على التجارة والمعاهدات التجارية كالتي عقدت بين انوشروان والامبراطور جستنيان (سنة ٥٦٢م)[٢٩٨] . ويعدد كريستنسن أهم البضائع التي كانت تشتريها الصين من ايران كالكحل الايراني والسجاجيد والأحجار الكريمة السورية الطبيعية والصناعية والمرجان واللؤلؤ من البحر الأحمر والأقمشة المنسوجة في الشام ومصر والمواد المخدرة من آسيا الوسطى . وكان الحرير أهم أصناف تجارة الترانزيت عند الايرانيين[٢٩٩] .

وكانت بلاد القفقاس ممراً لطرق قوافل التجارة حيث عبرها كانت ترد إلى إيران من روسية جلود الثعالب السود[٣٠٠] والسمور الأسود كما وينقل من أرمينيا البسط والتكك والأنماط والمقاعد ، ومن آذربيجان المحاصيل والمعادن . لهذا كانت مدن ايران تعج بحركة التجار وصغار الباعة والذين كانوا يتبادلون السلع ويتناقلون أخبار العالم[٣٠١] .

ولما احتلت الجيوش العربية ايران وآذربيجان وارمينيا وبلاد أواسط آسيا ، ازدهرت التجارة ونمت[٣٠٢] ، إذ ان انتقال السلطة والنفوذ إلى المدينة ومنها إلى دمشق فبغداد لم يسبب التدهور التجاري بل العكس فإن الجيوش العربية كانت خير حارس لطرق التجارة ولو أن التجار والباعة الصغار لم يسلموا من استغلال ومضايقات الارستقراطية والسلطة العربية شأنهم شأن أسلافهم الذين شملتهم مظالم السلطة الساسانية واستغلال الارستقراطية الايرانية . ولهذا نجد أن الكثرة الكاثرة من التجار الصغار وصغار الباعة والعاملين في الأسواق ينضمون ، في العهود الإسلامية ، إلى كثير من الثورات . إن أهم ما يصدر من آذربيجان في العهود الإسلامية ، الرقيق والأغنام والدواب والعسل واللوز والجوز والحرير والشمع[٣٠٣] ، ومن أرمينيا ، ثياب الماعز والصوف وبسط ووسائد ومقاعد وتكك والستور والمساور والمساند والديباج وثياب الكتان والرقيق والدواب والأغنام (والرقيق وجلود الثعالب السود «من روسية»)[٣٠٤] ، ومن ايران ، الزعفران والحرير والقطن والفضة والسجاد والزيوت

العطرية ونسيج الكتان وطراز الوشي والثياب والكلل والستور والمصليات والحصر والمناديل والقصاع والأمشاط والرقيق والغلمان وجلود الثعالب (من آسيا الوسطى وروسية)(٢٠٥) .

ب ـ الحرف:

كان من تأثير تطور الزراعة وانتشارها واتساع تربية الدواجن ازدياد الطلب على المعادن بسبب تقدم المجتمع ، فكان من جراء ذلك ظهور صناعة التعدين وقد مهد لظهورها وجود المعادن في ايران وآذربيجان وأرمينيا . ان تطور الزراعة قد حتم الاهتمام بشؤون الري وتوزيع المياه ، التي تتطلب أعمال انشاء السدود والقنوات والقناطر «لان الظروف المناخية وطبيعة السطح الخاصة ـ كما كتب ماركس ـ قد جعلت نظام الارواء الاصطناعي بالقنوات ومنشآت الري أساساً للزراعة في الشرق»(٢٠٦) ، وقد أكد انجلز ، في رسالته إلى ماركس بأن الشرط الأول للزراعة في الشرق هو طريقة الارواء الصناعية(٢٠٧) . وكان الايرانيون يستخدمون اسرى الحروب في هذه الأعمال ، فيذكر اليعقوبي عن الملك سابور بن أردشير «... وأسر خلقاً من الروم فبنى مدينة جنديسابور وأسكنها سبي الروم وهندس له رئيس الروم القنطرة التي على نهر تستر»(٢٠٨) ، كما واستخدم الأسرى في بناء المدن وأسوارها وقصور الملوك ، وبذا تطورت الأعمال الهندسية وتفرعت أعمال البناء وصنع الطابوق ونحت الصخر . ولما كان ينبت في إيران قصب السكر(٢٠٩) والقطن والكتان وتربى فيها الأغنام وكذا الحال في آذربيجان وأرمينيا ، لذا نشأت صناعات النسيج الصوفي والقطني والكتاني وكذلك صناعات السجاد في ايران والبسط في ايران وأرمينيا ، وقد بين بارتولد الغاية من حمل سكان المدن السورية الى إيران كأنهم أسرى ترقية لصناعة النسيج وكذلك استفادوا من صناع روما المأسورين في إنشاء الاستحكامات وتنظيم أعمال الري(٢١٠) . ترد في كتب التاريخ اشارات إلى رئيس الصاغة وكبير الصناع ورئيس البنائين ورئيس المشتغلين بالرصاص ورئيس صاغة الفضة(٢١١) ، لكن هذه لا تدل على وجود تنظيمات تشبه النقابات وإنما كان يختار كبير المهنة ليمثل جماعته وليحسم المنازعات بينهم(٢١٢) .

أما في العهد الإسلامي فقد نمت الصناعات وازدهرت لازدياد ترف المجتمع وتكاثر احتياجاتهم نتيجة الغنى الذي نجم عن الفتوحات . ولما كانت ايران غنية بمعادنها ـ كما يقول ابن حوقل ـ : وبفارس عامة المعادن من الفضة والحديد والانك والكبريت والنفط... إلا أن الفضة قليلة وبها معدن ذهب ومعدن صفرها بالسردن يحمل منها إلى البصرة وغيرها والحديد بجبال اصطخر وكذلك الزيبك[٢١٣] ـ وفي آذربيجان وأرمينيا المعادن[٢١٤] والمحاصيل المستخدمة في النسيج ، ولهذا نمت في هذه البلدان الحرف .

لقد كانت حالة الحرفيين سيئة لا تطاق حيث شملهم الاستغلال الطبقي والتعسف الحكومي كما وأن الارستقراطية العربية كانت تحتقر ذوي المهن ويشار إليهم بازدراء ولهذا كانوا من أوائل الملبين لنداءات الثورات ، جاء في الكامل للمبرد عن الخوارج (وأقام المهلب يجبي ما حواليه من الكور وقد دس الجواسيس إلى عسكر الخوارج فأتوه بأخبارهم ومن في عسكرهم فإذا هم حشوة من قصار وصباغ وداعر وحداد »[٢١٥] .

٥ ـ نظرة العرب إلى سواهم من الأمم المغلوبة

ورثت الارستقراطية العربية الحاكمة التبعية الاقطاعية في البلاد التي استولت عليها ، فتكونت لديها روح الاستغلال وحب التسلط وكراهة الشعوب واحتقار المهن واعتبرت ابناء الشعوب تابعين (أرقاء) لهم بحكم الفتح وبذا اعتبرت أهل البلد المفتوح دون العرب منزلة ، ولم يكن هذا من جراء اختلاف في العقيدة أو الدين وإنما يعود إلى طبيعة المستغلين الذين يتعالون ويترفعون على من سواهم ، لهذا نجد أن إسلام أهل البلد المفتوح لم ينجهم من احتقار وازدراء السادة العرب لاسيما إذا كانوا من أصحاب المهن ، أما أشراف العجم (الأجانب) فكانوا يلاقون معاملة طيبة نتيجة مراكزهم وخدماتهم للعرب وقد قال أحدهم لعربي : الشريف من كل قوم نسيب الشريف من كل قوم[٢١٦] .

أ ـ الموالي:

كثر الرقيق بسبب الأسر وكان ذلك من نتائج الفتوحات العربية ، ثم تكاثر

عددهم بعدئذ بطريق الشراء ، وكان استخدام العبيد واستغلالهم شيئاً مألوفاً في العهود الإسلامية . وإذا كان الأرقاء من أهل البلد المفتوح غير مسلمين فإن إسلامهم لا يغير من طبيعة علاقتهم بسادتهم ملاك العبيد(٣١٧) ، إذ تبقى عبوديتهم . أما إذا أعتق العبد فيعتبر مولى لسيده(٣١٨) سواء كان مسلماً أم غير مسلم . واستخدم هذا المصطلح ـ المولى ـ وجمعه الموالي ـ للدلالة على أهل البلد المفتوح الذين يدخلون الإسلام . وكان على المسلمين الجدد أن يلحقوا أنفسهم أو يربطوا علاقتهم بقبيلة من القبائل العربية فيقال عنهم مثلا موالي بني سليم أو بني سعد أو موالي تميم ، غير أن هذا الولاء لم يمنحهم الاعتبار أو التقدير أو يرفع مكانتهم(٣١٩) إلى من ينتمون إليهم بالولاء . ولقد اختلف الفقهاء في أهل البلد المفتوح هل هم جميعاً أرقاء ؟ أم هم أحرار ولكن تربطهم روابط تبعية ؟(٣٢٠) إلا أن المعلومات تشير إلى أن أهل البلد المفتوح قد فقد أغلبيتهم حريته الشخصية بحكم الاحتلال وكانت تسود العلاقات الاقطاعية وكان الاستغلال الاقطاعي مقروناً باستخدام العبيد(٣٢١) واعتبر أبناء البلد موالي وليس أرقاء .

وبالرغم من إسلام قسم من أهل البلد المفتوح فإنهم لم يتمتعوا بامتيازات(٣٢٢) العرب ، فقد حرموا من العطاء وبقيت عليهم الضرائب السابقة ، أو خفضت ولكنها ظلت أعلى نسبياً مما على العرب المسلمين(٣٢٣) ثم أعيدت عليهم تلك الضرائب وبزيادة ، وكانوا محرومين من التوظف في الوظائف الرئيسة في الادارة والجيش(٣٢٤) ، ومنعوا من ركوب الخيل في الحروب بل كان عليهم أن يحاربوا راجلين ، ومنعوا من الزواج بالعربية وعاقبوا من تجرأ على الزواج بهن ، كما حدث لاعراب بني سليم في الروحاء فإنهم جاؤوا الروحاء فخطب إليهم بعض مواليها إحدى بناتهم فزوجوه ، فوشى بعضهم إلى والي المدينة بذلك ففرق الوالي بين الزوجين وضرب المولى مائتي سوط وحلق رأسه ولحيته وحاجبيه(٣٢٥) ، وكانت السلطة العربية والارستقراطية العربية تشجعان الأدباء على النيل من كرامة ومكانة الموالي فكان أن قذفوا بأبشع الشتائم والنعوت والصفات الرذيلة حتى كانوا يقولون لا يقطع الصلاة إلا ثلاثة : حمار أو كلب

أو مولى ، لذا كان الموالي يشعرون بالاحتقار والازدراء والاذلال رغم اسلامهم وكان مما يزيد في ألمهم حسن معاملة الارستقراطية العربية واحترامها لمالكي الأرض ممن بقوا على أديانهم بينما كان الموالي - وغالبيتهم من المعدمين - يقابلون بالاحتقار والازدراء مع أنهم من المسلمين . لقد اشتد كره واستعلاء واستغلال الارستقراطية القبلية العربية للموالي في العهد الأموي ولهذا نقم الموالي على السلطة العربية - الامويين - . ويشير ولهاوزن إلى أن الموالي كانوا :

يصرخون على الأبواب طالبين حقوقاً مساوية لما للعرب وكان الإسلام معهم[٣٢٦] . والحقيقة أن الموالي كانوا يلقون التأييد من معدمي العرب المسلمين ، الذين كانوا يلاقون الاستغلال والبطش والتعذيب (شأنهم شأن الموالي) من الارستقراطية العربية والسلطة الأموية والعباسية ، لأن الارستقراطية المستغلة كانت تستغل الجماهير عربيها وأجنبيها ، إلا أن استغلال الأجانب كان يرافقه الازدراء والتحقير ، ولهذا كان الموالي مرتعاً خصباً لكل حركة ثورية[٣٢٧] ، فساهموا في أغلب الانتفاضات والثورات ضد بني أمية ومن ثم ضد بني العباس .

ب - أهل الذمة:

اعتبر العرب أبناء البلد المحتل المحتفظين بدينهم ، أهل ذمة ، أي أنهم في عهد وأمان - حسب التفسير الفقهي - لقاء ما يدفعون من ضرائب فرضت عليهم ، وقد كانت الجزية وملحقاتها - كما شاهدنا مرهقة ورمزاً للصغار .

كان الذميون - غالبيتهم من الفلاحين - يمتهنون حرفاً مختلفة ، عدا الزراعة ، في البناء والحياكة والنسيج والحدادة والصياغة والطبابة ومهن أخرى ، ويتكسبون بأعمال البيع والشراء ويتعاطون التجارة . وكان على الذميين تقديم الخل والزيت وضيافة من يمر بهم من المسلمين لمدة ثلاثة أيام[٣٢٨] ، وأهم ما يقدمون لهم من الطعام الخبز والثريد والتوابل والزيت والخضروات المطبوخة والسمك أو اللحم وما تيسر وجوده[٣٢٩] ، وتقديم العلف لحيواناتهم ، وقيامهم بأعمال السخرة كالعناية بالطرق والجسور والأسواق ، فقد كتب الطبري : فكان الفلاحون للطرق والجسور والأسواق والحرث

والدلالة مع الجزاء عن أيديهم على قدر طاقتهم وكانت الدهاقين للجزية عن أيديهم والعمارة وعلى كلهم الإرشاد وضيافة ابن السبيل[٢٣٠] .

وبالاضافة إلى الضرائب والواجبات والأعمال الاضافية كان أهل الذمة عرضة لصنوف العذاب والتحقير ، ولاسيما في فترة الحكم الأموي فيروي أبو يوسف ان عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامل له : أما بعد فلا تدعن صليباً ظاهراً إلا كسر ومحق ولا يركبن يهودي أو نصراني على سرج وليركب على اكاف ، ولا تركبن امرأة من نسائهم على راحلة وليكن ركوبها على اكاف . وتقدم في ذلك تقدما بليغاً وأمنع من قبلك فلايلبس نصراني قباء ولاثوب خز ولا عصبة[٢٣١] . ولم يعارض الفقهاء أمثال هذه الاجراءات بل أفتوا بها وبما يشابهها ، فقد قال أبو حنيفة[٢٣٢] وأصحابه « ينبغي أن لا يترك أحد من أهل الذمة يتشبه في لباسه ولا مركبه ولا في هيئته بالمسلمين... وان لا يلبسوا طيالسة مثل طيالسة المسلمين ولا أردية مثل أردية المسلمين »[٢٣٣] وقد لخص الماوردي الشروط التي افترضها الفقهاء والحكام على أهل الذمة بما يلي : أحدها تغيير هيئاتهم بلبس الغيار وشد الزنار . والثاني أن لا يعلوا على المسلمين في الابنية ويكونوا ان لم ينقصوا مساوين لهم . والثالث أن لا يسمعوهم أصوات نواقيسهم ولا تلاوة كتبهم ولا قولهم في عزير والمسيح . والرابع أن لا يجاهروهم بشرب خمور ولا بإظهار صلبانهم وخنازيرهم . والخامس أن يخفوا دفن موتاهم ولا يجهروا بندب عليهم ولا نياحة . والسادس أن يمنعوا من ركوب الخيل عتاقاً وهجاناً ولا يمنعوا من ركوب البغال والحمير[٢٣٤] . وبهذا أجبر العرب أهل الذمة على لبس ألبسة معينة وعلى السكن في دور موصوفة وعلى طريقة خاصة في ركوب بعض الحيوانات وتدخلوا في طقوسهم الدينية ومنعوهم من تجديد أو بناء البيع والكنائس الجديدة . وكان عليهم أن يدفعوا كل الضرائب[٢٣٥] ويقوموا بأعمال السخرة وكانوا ملزمين بالخضوع التام للقوانين التي فرضت عليهم والتي تقضي بحرمانهم من بعض الحقوق الاجتماعية والمالية[٢٣٦] . بل أن فون كريمر يذكر أن السكان غير المسلمين لم تكن لهم حقوق تقريباً[٢٣٧] . ويرى ترتون أن أهل الذمة كانوا يدفعون ـ في بداية الفتح الإسلامي ـ

ضرائب لا تزيد على ما كانوا يدفعونه للحكومات السابقة ، «بيد أن هذا القدر من الضرائب أخذ يزداد شيئاً فشيئاً وتثقل وطأته على مر الأيام»[٣٣٨] ، وهذا ما شاهدنا بالفعل حيث زاد كميتها (الضرائب) عبد الملك بن مروان[٣٣٩] . ولم تتحسن أحوال أهل الذمة بعد سقوط الدولة الأموية إذ أن العصر العباسي كان حافلاً بالمضايقات والتعسفات التي حلت بأهل الذمة ولاسيما في عهدي المأمون والمتوكل . وعلى نقيض ما ذهبنا يرى لوكيكارد بأن للذمي ـ مع بعض الاستثناءات ـ نفس حقوق وواجبات المواطن المسلم[*] .

جـ ـ الشعوبية[٣٤٠]:

مدرك يطلق على تيار فكري يمثل نضال الشعوب المغلوبة الفكري والاجتماعي ضد التسلط الأموي والعباسي وضد التعصب (الشوفيني) ، ضد احتقار الشعوب غير العربية . فكان هدف الصراع في العصر الأموي والجزء الأول من العصر العباسي الأول هو تحقيق المساواة بين الشعوب [٣٤١] والاعتراف بها وتحقيق كرامتها . وقد تجاوز الشعوبيون هذا المطلب النبيل بعدئذ ـ أي في العصر العباسي ـ إلى احتقار شأن العرب القدامى وامتهان مكانتهم السابقة[٣٤٢] .

ولهذا يجب الاحتراس من تعميم مفهوم الشعوبية ، إذ أن الشعوبية ليست واحدة لدى طبقات المجتمع المختلفة[٣٤٣] (غير العربية) وليست هذه الشعوبية ذات طابع واحد في كلا العهدين الأموي والعباسي .

يحاول كثير من المؤرخين والباحثين اخفاء الفارق بين طبيعتي الشعوبية لطمس الجانب النضالي لدى الشعوب المغلوبة ، وإبراز الجانب الكالح البغيض المغرق في الرجعية من الشعوبية بمظهر الاساس أو الكل أو الشمول . كتب الدوري في كراسه الذي ألفه لهذا الغرض : بدأت الحركة الشعوبية في الفترة الأموية الأخيرة واندفعت بقوة في العصر العباسي ، وهي تمثل جانباً من محاولات شعوبية غير عربية لضرب السلطان العربي عن طريق الفكر والعقيدة . فهي في اندفاعها تتكشف عن صراع

(*) الضريبة الإسلامية ، ص ٨٤ .

ثقافي ديني واسع(٢٤٤) . يحاول الدوري ـ هنا ـ جعل طبيعة الشعوبية واحدة في العهدين الأموي والعباسي . ويحاول طمس الفوارق الطبقية ولهذا يجعل كفاح الطبقات واحداً ويحصر أهدافها (الطبقات المختلفة) في هدم السلطان العربي وإضعاف الإسلام ، أي يجعله في إطار العنصرية والطائفية ليخفي الظروف والعوامل الاقتصادية فيقول : ان الشعوبية ليست حركة فئة أو طبقة اجتماعية ـ إن جاز التحديد ، بل أنها تمثل اجتماع الجهد الذي بذلته فئات مختلفة من شعوب متعددة لزعزعة السلطان العربي ، أو الإسلام ، وإرباكه ولصد تيار الثقافة الإسلامية ولنسف التراث كما حاولت تركيز الوعي السياسي والديني بين صفوفها وإحياء تراثها الثقافي(٢٤٥) . وهنا لم يحاول الدوري أن يتطرق إلى حقيقة كون واقع كل طبقة وظروفها الموضوعية ومصالحها الطبقية هو الذي حتم تباين أشكال نضالاتها كخط عام ، ولو أن تحالفاً ـ مؤقتاً ـ كان يحصل بينها لفترات من أجل تشديد النضال للحصول على نصر حاسم بأسرع وقت . ويصر الدوري على أن الشعوبية (بأهدافها التي حددها هو لمختلف الطبقات) تتصف بالشمول ، فهي واحدة لدى كل الطبقات فقد كتب : وكل محاولة لإكسابها صفة طبقية أو لحصرها في فئة اجتماعية معينة إنما يناقض طبيعتها وشمولها(٢٤٦) . إن اعتبار طبيعة الشعوبية واحدة في كل العهود ـ من قبل الدوري ـ يعود إلى شكه في دعوة الشعوبية للمساواة فقد كتب : وقد ظهرت الحركة في العصر الأموي في إطار الإسلام وبدأت وكأنها تحمل روحاً إسلامية حين دعت إلى مساواة الشعوب الأخرى بالعرب في الإدارة والمجتمع ثم انكشفت أهدافها الحقيقية في العصر العباسي(٢٤٧) . ويعلل الدوري شكه في طلب الشعوبيين للمساواة في العصر الأموي ، من استمرار كفاح الشعوبيين في العصر العباسي (رغم أن العباسيين قد حققوا للشعوبيين ـ كما يزعم ـ المساواة) فنسمعه يقول : وبعد كل هذا يجدر بنا أن نتذكر أن ثورات الموالي والأعاجم وحركاتهم كانت في العصر العباسي أكثر وأخطر منها في العصر الأموي وهي وإن كانت تحت ألوية عربية وباسم أحزاب عربية في العصر الأموي فإنها كشفت عن حقيقتها في العصر العباسي... وهذه ظاهر يتعذر تفسيرها إذا أخذنا بالرأي القائل بأن هدف الموالي كان تحقيق المساواة الاجتماعية أو الاشتراك في الإدارة لأن العباسيين حققوا ذلك إلى درجة كبيرة وواسعة(٢٤٨) .

وفي هذا مغالطة كبيرة لأن العباسيين حققوا ذلك (الاشتراك في الادارة) للارستقراطية الايرانية فقط ، أما جماهير ايران فلم تنل شيئاً من تغيير السلطة ، والدوري يعرف ذلك جيداً ولكنه تناساه متعمداً ليستغفل القارىءالبسيط إذ أنه هو الذي كتب سابقاً ؛ ـ ولكن المثل الأعلى للمساواة والعدل ظل وهما إذ لم يحقق العباسيون وعودهم فاستمر العسف والجور واستمرت الثورات[٣٤٩] ، وهو الذي كتب أيضاً فلم يعمل العباسيون ما يذكر لتخفيف الضغط الاقتصادي والاجتماعي على جماهير الايرانيين فلم يرضخ هؤلاء لوضعهم[٣٥٠] ، وهو القائل أيضاً (واعتمد العباسيون على القوة أكثر من الامويين في تنفيذ رغباتهم وسياستهم)[٣٥١] .

إننا لنستغرب كيف نسي الدوري أقواله السابقة هذه ويحلو لنا أن نذكره بقول آخر له ؛ وفي الشرق الأدنى كان في نظام الضرائب من العسف في الجباية والزيادة في الضرائب وسوء المعاملة ما كان دافعاً هاماً لكثير من الثورات في العصر العباسي الأول[٣٥٢] . إن شك الدوري في طلب الشعوب للمساواة في العصر الأموي جاء من نكرانه لتعصب الامويين وتشككه في إرهاق الامويين للموالي بالضرائب (أما ما يذكر عن إرهاق الموالي بضرائب جديدة فتبين أن الأمويين لم يتجاوزوا الضرائب المعروفة الموروثة كهدايا النوروز والمهرجان والضرائب على الصناعات والحرف وهي ضرائب مألوفة من قبل وليس لدينا ما يشعر بأنهم زادوا في مقدار الضرائب مع أن تحديد الكمية تدبير اداري)[٣٥٣] .

ولاحاجة بنا لان نعيد ما ذكرناه عن الضرائب غير أننا نقول بأن قوله هذا يناقض أقواله في كتابه العصر العباسي الأول الصفحات ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ . وفي كتابه مقدمة في تاريخ صدر الإسلام الصفحات ٧٧ ، ٨٤ ، ٨٥ . وهو نفسه سبق وأن كتب ؛ واحتقر الامويون بتأثير العصبية جميع الأقوام غير العربية وعدوهم في منزلة اجتماعية أدنى من العرب وأبعدوهم لذلك عن السياسة والقيادة وفرضوا عليهم من الضرائب أكثر مما فرضوه على العرب[٣٥٤] .

إن محاولات الدوري الأخيرة (في آخر انتاج له ـ الجذور التاريخية للشعوبية) البائسة في تشويه نضالات الشعوب ضد التسلط الأموي بتصويرها كفاحاً عنصرياً ضد العرب وطائفياً ضد الدين الإسلامي لتناقض جميع أقواله في مؤلفاته السابقة وتنهار

أمام الحقائق الناصعة ، فإن الجماهير الإيرانية ساهمت ـ كما شاهدنا[٣٥٥] ـ بانتفاضات قادها العرب ، ناشدة إصلاح أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية السيئة ، كما وساهمت هذه الجماهير في نضال فكري واجتماعي أيضاً مطالبة بالمساواة بين الشعوب وهو ما يدعى بالشعوبية . وكان من جراء التعصب العنصري (الشوفيني) من قبل الارستقراطية القبلية العربية ، الأموية المستغلة ، واحتقارها الشعوب الأخرى[٣٥٦] وخاصة الشعب الايراني ، أثر في نشوء حركة الشعوبية ، وكانت هذه الحركة النامية بين أفراد الطبقات المضطهدة ذات طابع تقدمي ، لأنها كانت تنشد الدفاع عن كرامة الشعب وإظهار مآثره ورفع الاحتقار والانتقاص من شأنه ، وكانت الأغلبية العظمى من المدافعين عن حقوق وكرامة الشعب تنشد مختلف السبل لاظهار شعبها بمظهر لا يختلف عن بقية الشعوب ، وكانت هذه الغالبية من الكادحين . يقول ابن قتيبة : ولم أر في الشعوبية أرسخ عداوة ولا أشد نصباً للعرب من السفلة والحشوة وأوباش النبط وأبناء أكرة القرى[٣٥٧] ، ومن هنا نرى ـ بالرغم من تحامل ابن قتيبة واحتقاره للمعدمين[٣٥٨] ـ ان ابن قتيبة يحصر المدافعين بشدة عن كرامة الشعب بين الطبقة الكادحة ولاعجب في ذلك فإن الانتهاكات الفظيعة والاحتقار المزري والتعصب الشديد إنما يقع بشدة وبصورة أوسع على الطبقة الكادحة المعدمة الفقيرة من فلاحين وحرفيين وبقية الكسبة من أبناء المدن من باعة وصغار التجار . هؤلاء كانوا في مقدمة من نالهم الخسف والهوان والتعسف والاستغلال ، فكانوا الفصائل الأولى التي دافعت عن حقها في الحياة بعزة وكرامة وطالبت بالمساواة بين السلالات والشعوب فكانوا يقولون : إنا ذهبنا إلى العدل والتسوية وإن الناس كلهم من طينة واحدة وسلالة رجل واحد[٣٥٩] . لهذا يمكننا أن نقول إن طابع ما يسمى بالشعوبية في العهد الأموي ـ تقدمي لأن كادحي ايران كبقية الكادحين كانوا يناضلون ضد الاستغلال الاقطاعي المتمثل بالارستقراطية الأموية وضد الاضطهاد العنصري الذي مارسته الارستقراطية والسلطة الأموية ، ولما كانت نزعة العنصرية الايرانية غير مبنية على التعصب (البرجوازي) ـ إن صح التعبير ـ فهي تحتوي على عناصر ديمقراطية[٣٦٠] ، (في فترة الحكم الأموي) لخلوها من التعالي والتعصب الأعمى[٣٦١] .

أما في العصر العباسي فما أن فازت العائلة العباسية بالسلطة ومسكت بيدها زمام

الحكم حتى تنكرت لحقوق الشعب ومطالب الجماهير ، لهذا لم يشعر فلاحو إيران بأي تبدل في وضعيتهم ، فقد عاد الاقطاعيون إلى سابق نفوذهم وعاد الضيق الاقتصادي وعادت الضرائب ترهقهم ، وكذلك سكنة المدن من حرفيين وباعة وصغار التجار من الايرانيين ، فإن علاقاتهم تردت بعد فترة وجيزة وعاد التذمر يسودهم واليأس يشملهم فانضموا إلى صفوف المقاومة وكانوا عماد الحركات الخرمية وأنصارها الأشداء بعد أن تخلوا عن العباسيين ، ولاغرابة أن يقوم أشد أنصار العباسيين بالانتفاضات ضد السلطة العباسية ، لأن العباسيين ، بطبيعة كونهم من طبقة اقطاعية متسلطة مستغلة متنفذة ، تنكروا لمصالح الفلاحين والطبقات الكادحة الأخرى واعتمدوا على الارستقراطية الايرانية وبذلك أهملوا القاعدة الشعبية التي استندوا عليها أثناء الدعوة .

وكان من جراء اعتماد العباسيين على الارستقراطية الايرانية فقط ، أن أصبح الكادحون وحدهم في ميادين الكفاح ضد الاستغلال الطبقي العباسي ـ المحلي ، ولهذا ساهموا في انتفاضات الخرمية ممتشقين السيوف من أجل المساواة والانصاف فقل اعتمادهم على النضال الفكري . وبما أن الارستقراطية الايرانية قد اطمأنت على مصالحها الشخصية وارتبطت مصالحها بالسلطة لذا تنكبت عن طريق الكفاح الذي سلكته أيام الأمويين وأخلدت للراحة لتجني ثمار تعاونها مع الارستقراطية العربية (العباسيين) واكتفت بالنضال الفكري ـ الشعوبية ـ حيث تحولت طبيعتها على أيديهم فأصبحت رجعية تمثل ذهنية الارستقراطية الايرانية المتعفنة ، تلك الارستقراطية الملتصقة بالبلاط العباسي والتي كونت لها كادراً من المثقفين المتهافتين على موائدها ، ووضع هؤلاء المثقفون ، من مؤرخين ونحاة وشعراء ورواة الشعر وكتاب وعلماء حديث ونقاد أدب ، امكانياتهم تحت تصرف الارستقراطية الايرانية ذات النفوذ والمال والمنافسة للارستقراطية العربية وللسلطة العباسية غير أن لدى الارستقراطية الايرانية كانت توجد حساسية تجاه الأصل (أو العنصر) نتيجة نظرة الازدراء والتحقير التي كانت تلقيها الارستقراطية العربية على كل من هو غير عربي .

لهذا طلب الارستقراطيون الايرانيون أو شجعوا هؤلاء المثقفين والمتأدبين على الحط من كرامة العرب القدامى ومكانتهم السابقة والبحث عن المثالب لدى القبائل

العربية في العصر الجاهلي (ما قبل الإسلام) ووضع القصص وتأليف الحكايات واختلاق الشعر للمس بكرامة الشعب العربي(٣٦٢) . وكانت الارستقراطية تحمي المثقفين وتدافع عنهم وتمدهم بالجاه والمال . فعندما ألف علان بن الحسن الوراق الشعوبي كتاباً في مثالب العرب أغدق عليه طاهر بن الحسين ثلاثين ألف درهم(٣٦٣) . ونتيجة للحماية والأموال الغفيرة التي نالها المثقفون ، أن سعوا إلى إظهار الشعب الايراني بأعلى مراتب الشرف والسمو فهم ـ أي الايرانيون ـ السباقون لكل خير وفضيلة وأن مكانهم في السماك الأعزل ، يقول بشار بن برد :

أصبحت مولى ذي الجلال وبعضهم ... مولى العريب فخذ بفضلك فافخر
مولاك أكرم من تميم كلها ... أهل الفعال ومن قريش المشعر(٣٦٤)

وقال أبو نواس :

عاج الشقي على رسم يسائله ... وعجت اسأل عن خمارة البلد
يبكي على طلل الماضين من أسد ... لادر درك قل لي من بنو أسد
ومن تميم ؟ ومن قيس ؟ ولفهما ... ليس الاعاريب عند الله من أحد

ويقول قائلهم :

غنينا بالطبول عن الطلول ... وعن عنس عذافرة ذمول
وأذهلني عقار عن عقار ... ففي است ام القضاة مع العدول
فلست بتارك إيوان كسرى ... لتوضح أو لحومل فالدخول
وضب في الفلا ساع وذئب ... بها يعوي وليث وسط غيل(٣٦٥)

وكان الشاعر الخزيمي يكثر من شعره من الاعتزاز بالنسب الايراني والتحقير من شأن العرب ، فيقول :

اني امرؤ من سراة الصغد ألبسني ... عرق الأعاجم جلدا طيب الخبر(٣٦٦)

وقال شاعرهم :

في بلدة لم تصل عكل بها طنبا   ولا خباء ولا عك وهمدان
ولا لجرم ولانهد بها وطن   لكنها لبني الأحرار أوطان
أرض تبني بها كسرى مساكنه   فما بها من بني اللخناء إنسان[٢٦٧]

فترى أن جل هؤلاء الحاقدين من المثقفين سعوا إلى تحقير شأن العرب ورفع مكانة الايرانيين . ويذكر كولد تسهير (أن العالم المشهور سهل بن هارون كتب عدداً كبيراً من الكتب أظهر فيها تعصبه ضد العرب وفخره بالعجم وكان من متطرفي قومه)[٢٦٨] .

ان اشهر الشعوبيين وأبرزهم هم :

١ـ أبو عبيدة معمر بن المثنى[٢٦٩] مولى تيم قريش أصله من يهود ايران قد أسلم جده ، اشتهر في رواية التاريخ ووضع الاخبار والنحو وكتبه التي تعرض بها للعرب : كتاب لصوص العرب ، أدعياء العرب ، وله كتاب فضائل الفرس .

٢ ـ علان بن الحسن الشعوبي[٢٧٠] ، الوراق ، كان راوية عارفاً بالأنساب والمثالب وكان ينسخ للرشيد وللبرامكة ، وللمأمون في دار الحكمة ، عمل كتاب الميدان في المثالب .

٣ ـ أبو القاسم حماد بن سابور بن المبارك بن عبيد ، المعروف بحماد الراوية[٢٧١] كان مشهوراً في رواية الشعر وانتحاله .

٤ ـ أبو محرز ، خلف بن حيان ، المشهور بخلف الأحمر[٢٧٢] اشتهر برواية الشعر وكان يعمل الشعر على لسان العرب وينحله إياهم .

٥ ـ ابان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفير الرقاشي[٢٧٣] واشتهر بالترجمة عن الفارسية وكان شاعراً ينقل الكتب المنثورة إلى الشعر المزدوج واشهر تلك الكتب ، كليلة ودمنة ، سيرة أدرشير ، سيرة أنو شروان ، كتاب حلم الهند ، كتاب الزهر ، السندباد ، مزدك ،...الخ .

٦ ـ سعيد بن حميد بن البختكان[٢٧٤] ، ويكنى أبا عثمان ، وكان شديد العصبية على العرب وأشهر كتبه كتاب انتصاف العجم من العرب وكتاب فضل العجم على العرب وافتخارها .

٧ـ الفضل بن عبد الصمد الرقاشي[٢٧٥] شاعر البرامكة وكان يذود عنهم .

٨ ـ سهل بن هارون بن رامنوي الدستميساني[٢٧٦] ، شديد التعصب على العرب وكان يعمل في دار الحكمة للمأمون وكان شاعراً وحكيماً ، ورد له شعر في ضحى الإسلام (عن صاحب «زهر الآداب») يقارن بين بيته في ميسان وبيت آخر عربي فيقول :

أجعلت بيتاً فوق رابية مرعى النجوم كأنه نجم
وكبيت شعر وسط مجهلة بفنائه الجعلان والبهم[٢٧٧]

(هامش العقد ، جـ ٢ ص ١٩٠)

٩ ـ أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدي الثعلي كان دعيا ، فهتك أعراض العرب .[٢٧٨] ذكر عنه ابن النديم أنه كان (عالما بالشعر والأخبار والمثالب والمناقب والمآثر والأنساب وتوفي بفم الصلح[٢٧٩] عند الحسن بن سهل[٢٨٠] ، واشهر كتبه : المثالب الصغير والمثالب الكبير وكتاب مثالب ربيعة وأسماء بغايا قريش في الجاهلية وأسماء من ولدن ومن تزوجن من الموالي .

٦ـ مدى تطبيق العباسيين للشعارات التي رفعوها إبان الدعوة حول اعادة الحقوق الاجتماعية للموالي ورفع الحيف عنهم وإنقاذهم من الضائقة الاقتصادية.

ناضلت الشعوب المضطهدة في العصر الاموي ـ كما لاحظنا سابقا ـ من أجل حريتها وتخلصها من الاستغلال ، فانضمت إلى مختلف الفئات المستاءة من الحكم الاموي ، والثائرة على الخلافة الاموية ، ثم التجأت إلى الدعوة العباسية لما فيها من وعود لتحسين أحوال الشعوب المضطهدة . فقد بشر العباسيون (عائلة إقطاعية موسرة) ـ بتخفيف الوطء عن كاهل الشعوب المغلوبة إذا نجحوا في دعوتهم ، وكان ذلك تضليلاً منهم في سبيل لف أوسع الجماهير حول رايتهم ، فقد نادى دعاة العباسيين في إيران ، (كانوا ١٢ نقيباً و ٧٠ داعية)[٢٨١] بأن الدعوة هي لنصرة المظلومين وتحقيق العدالة والقضاء على الظلم الأموي . وقد نجح الدعاة في تهيئة ظرف جيد لأبي مسلم

ليعمل في تثبيت الدعوة مستغلاً ـ كسابقيه الدعاة ـ الاستياء العام من الاستغلال المرهق ، فكثر اتباعه وكانت غالبيتهم من الفلاحين الايرانيين[٣٨٢] وخاصة من خراسان حيث كان الاستياء على أشده ولاسيما في واحة مرو ، التي كانت نقطة الانطلاق ومنها زحفت نحو أبي مسلم جموع الفلاحين[٣٨٣] وكذلك الحرفيون والباعة والتجار وحتى الملاك المحليون ـ الدهاقين ـ والذين دخلوا الإسلام بتأثير أبي مسلم[٣٨٤] ، انضموا إلى الحركة . وبهذا نجح أبو مسلم في الدعوة حيث وحد تحت راية العباسيين السوداء بين مختلف القوميات والطبقات الاجتماعية المستاءة[٣٨٥] .

وبعد اندحار الامويين ومجيء العباسيين للسلطة تلاشت تلك الوعود والشعارات الداعية لتحسين الأوضاع لأن تطبيقها يتعارض ومصالح الارستقراطية المستغلة والتي هي على رأس الحكم ، فأصيبت الجماهير بخيبة أمل وانهارت آمالها التي بنتها على العباسيين عند تعاونها معهم وشعرت بالخديعة الكبرى حيث لم يجن من ذلك التعاون سوى الارستقراطيين الايرانيين[٣٨٦] الذين نالوا الحظوة لدى العباسيين وكان من جراء تقريب الارستقراطيين الايرانيين ابقاء الوضع الطبقي في ايران على ما كان عليه ،[٣٨٧] فلم يشعر المستغلون بأي فرق في تبديل السلطة بل إن الاستغلال الاقطاعي ازداد نتيجة تطور الاقطاع وازدياد تعاون الارستقراطية مع السلطة ، ولهذا أصيبت الجماهير بخيبة أمل لعدم تحقيق ما كانت تصبو إليه إذ أنها كافحت من أجل المساواة والعدالة[٣٨٨] ، فانفرط عقد التحالف الذي انعقد في العهد الأموي بين العباسيين والموالي المستائين ، فلقد كان مكتوباً لهذا التحالف الفشل لأنه تحالف بين نقيضين جمعتهما مصلحة آنية (التخلص من الحكم الأموي) أما الأهداف البعيدة للأطراف المتعاقدة فمختلفة ، فلدى الأمم المغلوبة أهداف التخلص من الحكم والسيطرة والاستغلال الاقطاعي ـ لدى الطبقات المعدمة ـ أما الارستقراطية المحلية فكان هدفها التخلص من السيطرة لتنفرد في استغلال أبناء شعوبها ولهذا استمروا في تعاونهم مع العباسيين الذين فسحوا لهم مجال الاستغلال ، وأما العباسيون فكان هدفهم اسقاط السلطة الاموية لتؤول اليهم مقاليد الحكم حتى يوسعوا استغلالهم الطبقي . وكان اعتماد العباسيين على الارستقراطية المحلية من أجل تضليل الشعوب على أساس تمثيلهم في السلطة ولكن ذلك لم يكن خافياً على أبناء الشعب لذا فإن تقريب الارستقراطية

المحلية لم يعد على العباسيين بالفوائد المرجوة بل أدى إلى توسيع شقة الخلاف بين الجماهير والارستقراطية المحلية . لقد كان اعتماد العباسيين على الارستقراطية المحلية يشوبه الحذر التام وكثيراً ما كان ينتهي بمصادرة الأموال والتنكيل الفظيع . لقد توسع التعاون بين العباسيين والارستقراطية الايرانية ، بتحوط ملحوظ ، بعد الانتصار حيث استعين ببيوتات عريقة النسب[٢٨٩] وأسندت إليها مناصب هامة في الدولة وفي مقدمتها منصب الوزير[٢٩٠] ولكن سياسة البطش والأطماع الشخصية والريبة وحسد الارستقراطية العربية دفعت الخلفاء إلى الفتك بأعوانهم ومصادرة أموالهم ، وحتى أبو مسلم لم يسلم من بطش الخليفة الثاني ـ المنصور ـ بالرغم من جهوده العظيمة في قيادة الثورة وتثبيت السلطة ـ عندما لاحظ الخليفة امكانية قيادة أبي مسلم لثورة جماهيرية ، والتي يمكن أن تلتهب بين الناس بلحظة ، فأمر بقتله[٢٩١] . ويعزو بارتولد نكبة البرامكة إلى رد الفعل الديني[٢٩٢] ، ولكننا نعتقد أن خشية تعاظم نفوذ آل برمك والتنافس بين الارستقراطيتين العربية والايرانية ورغبة الرشيد في مصادرة أموال آل برمك هما الدافعان لتلك النكبة . ويعلل شلبي ، سياسة البطش والفتك التي اتبعها العباسيون ، بأنهم وجدوا الدولة مهددة بالخطر ولهذا « ينبغي للمحافظة عليها أن يقتلوا (كذا!) كل من حامت حوله شبهة المروق أو التمرد »[٢٩٣] . ولا يحاول شلبي أن يرجع ذلك إلى المطامع المادية الشخصية لدى الخلفاء في مصادرة الأملاك ومن أجل إرهاب الارستقراطية وبهذا أصبحت الخلافة (كما يقول حمزة) ملكاً يستهان فيه بكل القيم[٢٩٤] . إن سياسة البطش والتنكيل كانت من أجل تركيز الاستغلال الاقطاعي ، من أجل زيادة الضرائب[٢٩٥] ومن أجل مقاسمة الولاة والعمال أموالهم التي يجنونها من ولاياتهم[٢٩٦] . والمتتبع لتاريخ الخلافة العباسية يجده مليئاً بحوادث مصادرة أموال الناس ، ولم يخجل الخلفاء أنفسهم من تلك الأعمال اللصوصية[٢٩٧] ، ولاعجب أن تجد خزائن الخلفاء مليئة بالملايين ، فإن فرغت بسبب المصاريف الباهظة فسرعان ما تملأ[٢٩٨] بالنهب والسلب وفرض الضرائب الجديدة[٢٩٩] . فيذكر اليعقوبي « وأخذ أبو جعفر أموال الناس حتى ما ترك عند أحد فضلاً وكان مبلغ ما أخذ لهم ثمانمائة ألف ألف درهم »[٤٠٠] (٨٠٠ مليون درهم) . لقد عاش الخلفاء والارستقراطية عيشة بذخ وترف واستهتار بالأموال . فموائد الرشيد كانت تكلف يومياً مبالغ باهظة ، وعند

زواجه من ابنة عمه زبيدة بنت جعفر صرف على الوليمة مبالغ جد طائلة(٤٠١) . وهناك صورة حية لدى الطبري عن بذخ واستهتار الخلفاء والارستقراطية بأموال الشعب فقد ذكر في حوادث سنة ٢١٠ هـ (وفي هذه السنة بنى المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل)(٤٠٢) ثم يصف الليلة الثالثة (... فلما جلس المأمون معها نثرت عليها جدتها ألف درة كانت في صينية ذهب . وأوقد في تلك الليلة شمعة عنبر فيها أربعون منا في تور ذهب...)(٤٠٣) ثم يصف البذخ (... وأن الحسن خلع على القواد على مراتبهم وحملهم ووصلهم وكان مبلغ النفقة عليهم خمسين ألف ألف درهم (٥٠ مليون درهم) ، قال وأمر المأمون غسان بن عباد عند منصرفه أن يدفع للحسن عشرة آلاف الف درهم من مال فارس وأقطعه الصلح (فم الصلح)... فلما انصرف المأمون شيعه الحسن ثم رجع إلى فم الصلح فذكر عن أحمد بن الحسن بن سهل قال : كان أهلنا يتحدثون أن الحسن بن سهل كتب رقاعاً فيها أسماء ضياع ونثرها على القواد وعلى بني هاشم فمن وقعت في يده رقعة منها فيها اسم ضيعة بعث فتسلمها(٤٠٤) . فكان لابد لمثل هذه المصاريف الباهظة من موارد عظيمة ، لذا كان الشعب مرهقاً بالضرائب وكان عمال الخليفة يمتازون بالقساوة والغلظة والنهب وكانوا ينالون رضى الخلفاء ما داموا يجبون لهم وفوق ذلك يهدونهم فيذكر الجهشياري عن والي خراسان علي بن عيسى بن ماهان (جمع أموالاً جليلة فحمل إلى الرشيد ألف بدرة معمولة من الوان الحرير وفيه عشرة آلاف ألف درهم (عشرة ملايين درهم) ولما وصلت إليه سر بها)(٤٠٥) . وهذه الرشوة جعلت الخليفة يغض الطرف عن قساوة ونهب الوالي فلم يصغ لشكاوى السكان فما كان من الجماهير الساخطة إلا أن تلقن الخليفة درساً جيداً إذ هجمت على قصر الوالي علي بخراسان ونهبت أمواله . ولم تكن هذه إلا واحدة من انتفاضات عبرت جماهير الشعوب فيها عن سخطها واستيائها من الظلم والإرهاق وتنكر العباسيين لشعاراتهم التي رفعوها اثناء الدعوة ، وعلى سبيل المثال نشير إلى ما ذكره اليعقوبي عن ارمينيا (وكانت ارمينيا قد انتفضت بعد وفاة المهدي فلم تزل منتفضة أيام موسى (الهادي) فلما ولى الرشيد خزيمة بن خازم التميمي ارمينيا قام بها سنة وشهرين وضبطها وصلحت البلاد)(٤٠٦) ويشير تاريخ العالم إلى هذه الحوادث (ففي أرمينيا التهبت انتفاضة قوية في ٧٧٤ ـ ٧٧٥ م وقد أقسم ـ كما يقول مؤرخ ـ عدة آلاف من بسطاء

الشعب المساهمين فيها «أقسم بعضهم لبعض بوعد مهيب ـ العيش والموت سوية»[٤٠٧] ، ولاخماد أمثال هذه الانتفاضات تطلب استخدام قوى عسكرية معتبرة[٤٠٨] ، وفي نيسان ٧٧٥ تيسر لجيش الخليفة أن يجلب الهزيمة للثوار في أعالي الفرات .

لقد أرغمت هذه الحركة العظيمة مع ثورة الفلاحين الخرمية من جماعة المقنع في أواسط آسيا ، الخليفة المهدي أن يقلص ـ لمدة من الزمن ـ مقادير الخراج وأن يلغي الرسوم الداخلية . وذكر اليعقوبي (فلما صار الفضل «بن يحيى بن خالد البرمكي» إلى العراق وجه أبا الصباح على خراج ارمينيا وسعيد بن محمد الحراني اللهبي على حربها فوثب أهل برذعة على أبي الصباح فقتلوه وانتفضت أرمينيا)[٤٠٩] . لقد توالت الانتفاضات الواحدة تلو الأخرى نتيجة الإرهاق وتعاظم استغلال الولاة والعمال ، ففي سنة ٧٩٥ م مثلاً ، حصلت هناك حركة شعبية جديدة أحبطت بمنتهى القساوة[٤١٠] . ولقد ساهم ارستقراطيو ارمينيا وآران بقسط في حركات تحرر الشعوب ليس فقط من أجل التحرر من سيطرة الخلافة ولكن أيضاً لأجل أهدافهم الطبقية في سبيل توسيع مناطق نفوذهم وأراضيها[٤١١] .

وأما في إيران فقد شملها الاستياء وعمها الجزع من تخلف العباسيين عن تحقيق وعودهم ولهذا فقد التهبت فيها انتفاضات واسعة (انتفاضات الخرمية وغيرها) ضد السلطة العباسية ـ سنتناولها بالتفصيل في الفصل التالي ـ وقد توضحت صفاتها الطبقية عند كفاحها ضد الاستغلال الاقطاعي لان جمهور المساهمين في تلك الانتفاضات كان جلهم من الفلاحين .

هوامش الفصل الثاني

(١) يذكر بلويانسكي ، خطأ أن بدء الحرب سنة ٨١٥ م ، التاريخ الاقتصادي ص ١٢٩ .

(٢) موجز تاريخ ايران ، ص ٢٧ .

(٣) يرى دياكونوف ، م . م . (ان انعكاس وضعية الفلاحين جد ضعيف في المصادر الساسانية) مختصر تاريخ ايران القديم ، ص ٢٨٠ .

(٤) المسعودي ، مروج ، جـ ١ ص ٢٥٣ . دياكونوف م . م . ، ص ٢٨٢ .

(٥) ابن حوقل ، المسالك والممالك ص ٢١٨ . ياقوت الحموي م٣ ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل م١ جـ ٣ ص ٩٦٠ ـ ٩٦١ .

(٧) بيكوليفسكايا ، ن . أ . ، مدن ايران ، ص ٢١٧ . بوليانسكي ، التاريخ الاقتصادي للبلدان الأجنبية ص١٢٣ .

(٨) فعلى سبيل المثال يذكر دياكونوف . م .م . (السؤال عن تركيب المجتمع الايراني الساساني معقد جداً وكشيء منتهٍ لم يقرر في العلم بعد) ، مختصر تاريخ ايران ، ص ٢٧٨ وذكر أيضاً (أن تحليل حالة الفلاحين وتركيبهم الاجتماعي من المهمات الصعبة) ن .م . ص ٢٨٠ . وتذكر بيكولفسكايا ، ن . ا . (أن المسألة جد معقدة ولكن الامتناع عنها ممنوع) مدن ايران ص ٢١١ .

(٩) لويس برنارد ، العرب في التاريخ ، ص ٦ ـ ٦٧ .

(١٠) اعتمد الخربوطلي في رأيه على (فون كريمر ، الحضارة الاسلامية ، ص ٧٨) . وقد اعتبر الخربوطلي الدهاقين من الارستقراطية ، تاريخ العراق ، ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠ . لكن الدهاقين من صغار الملاكين وكانت مهمتهم جمع الضرائب . يقول كريستنسن ، آرثر (فلم يكن اذن للدهقان ، قبل الفلاحين ، ما للسادة مالكي الأراضي من الارستقراطية الرفيعة) ايران ، ص ٩٩ ـ ١٠٠ ، وينقل كريستنسن ، آرثر عن الدهاقين أيضاً (...... وعلى هذا الاعتبار كانت وظيفة الدهاقين الأصلية أن يتسلموا الضرائب) ، ايران ص ١٠٠ .

(١١) المسعودي ، جـ ١ ص ٢٥١ . انظر بيكوليفسكايا ، مدن ايران ، ص ٢١٢ . راجع معجم متن اللغة (واقطعه قطيعة اعطاه طائفة من أرض الخراج تمليكاً أو ارفاقاً ـ منفعة) ص ٥٩٧ المجلد الرابع . وكذلك راجع المنجد (اقطع الأمير الجند البلد جعل لهم غلته رزقاً) ص ٦٧٦ .

(١٢) كريستنسن ، ايران ص ٩٣ ، ص ١٠٠ .

(١٣) المسعودي ، مروج ، جـ ١ ص٢٥٣ .

(١٤) تاريخ ايران ص ٥٧ .

(١٥) ماجد ، عبد المنعم ، التاريخ جـ ١ ط ٢ ص ١٩٢ .

(١٦) الطبري ، تاريخ الرسل م ١ جـ ٣ ص ٩٦٢ . ويقول الدينوري (ووظف الجزية على أربع طبقات وأسقطها عن أهل البيوتات والمرازبة والاساورة والكتاب ومن كان في خدمة الملك) الاخبار الطوال ص ٧٢ .

(١٧) زاخوديرب . ن . تاريخ الشرق ص ١١ .

(١٨) م . ن ، ص ١١ . ويرى دياكونوف (التوطيد المقبل للتركيب الاقطاعي كان في تثبيت إصلاحات وريث قباذ ـ كسرى الأول ـ) نبذة تاريخ ايران ص ٣٠٩ .

(١٩) ابن حوقل ، المسالك والممالك ، ص ٢١٨ . لاحظ ياقوت الحموي معجم البلدان م ٣ ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤ . لكن القلقشندي يروي الحادثة في زمن كسرى انو شروان فيقول (أول من وضع الخراج وازال المقاسمة كسرى انو شروان وذلك أنه مر على زرع وامرأة تمنع ولدها منه...) صبح الاعشى جـ ١ ص ٤٢٤ . ورواية ابن حوقل ادق .

(٢٠) البيروني ، الاثار ص ٢١٦ .

(٢١) م . ن . ص ٢٢٢ .

(٢٢) الرطاب جـ . رطبة ، الخضراوات . ويذكر كريستنسن بدلاً من الرطاب (برسيم) ويقول في الهامش ـ (مهمة كعلف للخيل ، انظر نولدكه ، طبري ص ٢٤١ ملحوظة ٢) ، ايران ص ٣٥١ .

(٢٣) م . ن . ص ٣٥١ ويذكر بدلاً من دقل كلمة آرامية .

(٢٤) الطبري تاريخ الرسل م ١ جـ ٣ ص ٩٦٢ ، راجع اليعقوبي التاريخ جـ ١ ص ١٦٥ ، المسعودي ، مروج ، جـ ١ ص ٢٦٧ ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ ١ ص ٢٦٨ ، دنت الجزية ص ١٥ ، دياكونوف ، مختصر تاريخ ايران ، ص ٢٨٤ .

(٢٥) المسالك والممالك ، ص ٢١٧ .

(٢٦) الأحكام السلطانية ، مخطوط الورقة (١٠٧) ـ أ ـ .

(٢٧) معجم البلدان م ٣ ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤ ، وقد أخطأ زيدان ، جرجي أيضاً : التمدن ، جـ ١ ص ١٧٣ .

(٢٨) الدينوري ، الأخبار الطوال ص ٧٢ ، الجهشياري الوزراء والكتاب ص ٣ ـ ٤ .

(٢٩) تاريخ العصور الوسطى ص ١٢٠ .

(٣٠) الدينوري ، الأخبار الطوال ص ٧٢ ، الطبري ، تاريخ الرسل مـ ١ ج ٣ ص ٩٦٢ .

(٣١) التنبيه والاشراف ص ١٠١ ـ ١٠٢ ، كريستنسن ، ايران ، ص ٣٣١ . ٣٣٢ .

(٣٢) تاريخ الرسل م ١ جـ ٣ ص ٩٦١ . دنت ، الجزية ص ١٥ .

(٣٣) كريستنسن ، ايران ، ص ١١٢ ، الدوري ، مقدمة ، ص ٨٣ .

(٣٤) رستم ، اسد ، الروم ، جـ ١ ص ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٩٦ ، ٩٧ ، العدوي ابراهيم ، الدولة الإسلامية ، ص ٣٤ ـ ٣٥ .

(٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧) ، حتي ، تاريخ العرب (مطول) ، جـ ١ ط ٣ ص ١٩٤ .

(٣٧) توما ، العرب والتطور ، ص ٢٩ ، ماجد ، التاريخ السياسي ، جـ ١ ص ١٩١ .

(٣٨) تاريخ العالم جـ ٢ ص ١٣٢ .

(٣٩) يقول ليسترانج كي (إن الشكل القديم للاسم في الفارسية هو آذربذكان Adharbadhazan الاسم الذي حرفه اليونانيون إلى اتروباتينه) ، اراضي الخلافة الشرقية ، ص ١٥٩ . حول التسمية راجع مقالة مينورسكي في دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الأول ص ١٨٨ ، كريستنسن ، ايران ، ص ١٠٥ ، أحمد زكي ، قاموس الجغرافية القديمة ، ويذكر بأن الاسم القديم اثروباتان ، ص٨ .

(٤٠) ليسترانج ، كي ص ١٥٩ ، دائرة المعارف الاسلامية م ١ ص ١٨٨ ، تاريخ العالم جـ ٣ ص ١٣٢ .

(٤١) عن ارمينيا راجع مقالة كنارد ، م . M. Canard في دائرة المعارف الاسلامية م ١ ص ٦٢٥ ـ ٦٣٨ .

(٤٢) تاريخ الاتحاد السوفياتي ويذكر (أنه وجد في القفقاس في القرنين الثالث ـ الرابع المجتمع الاقطاعي) م ١ ص ٤١ ، تاريخ العالم ويشير إلى أنه (ورد في الجزء الثاني من تاريخ العالم ص ٧٦١ ـ ٧٧٦ أن بعض العلماء السوفييت يرون بأن القفقاس لم يمر بمرحلة العبودية وإنما ظهر الاقطاع مبكراً في القرن الثالث) جـ ٣ ص ١٣٢ .

(٤٣) تاريخ الاتحاد السوفياتي جـ ١ ص ٤٢ .

(٤٤) تاريخ الاتحاد السوفياتي جـ ١ ص ٤٢ .

(٤٥) التاريخ جـ ٣ ص ١٧ .

(٤٦) معجم البلدان جـ ٢ ، ص ١٦١ ، ويرى مانانديان أن الأحرار هم الأمراء والعسكريون المالكون في ارمينيا ، الانتفاضات الشعبية ، ص ٥ .

(٤٧) يذكر رستم ، أسد في الروم وسياساتهم ، ـ وقدر لشابور الأول ٢٤١ ـ ٢٧٢ م ابن اردشير الأول أن ينتصر على رومه أكثر من مرة . ففي سنة ٢٥٣ بعد الميلاد طرد تيريداتس الثاني ملك ارمينية وعميل رومه من بلاده وأقام محله اميراً خاضعاً لسيادة فارس . جـ ١ ص ٤٧ .

(٤٨) تاريخ الاتحاد السوفياتي جـ ١ ص ٤١ .

(٤٩) تاريخ الرسل م ١ جـ ٣ ص ٨١٩ راجع اليعقوبي حيث يقول (ملك اردشير وهو أول ملوك الفرس المتجمسة ثم صار إلى الجزيرة وارمينية واذربيجان) تاريخ م ١ ص ١٥٩ ، انظر كريستنسن ، ايران ، ص ٧٧ .

(٥٠) ويقصد حمزة ، سور دربند ، وهي باب الأبواب ، كتاب تاريخ سني ملوك ، ص ٥٧ راجع ابن الاثير حيث يذكر عن انو شروان (وبنى باب اللان وفتح جميع ما كان بايدي الروم من ارمينيا وعمر مدينة اردبيل وعدة حصون) ، الكامل في التاريخ ، ج ـ ١ ص ٢٥٩ ، كريستنسن ، ايران ص ٣٥٤ .

(٥١) تاريخ الرسل م ١ جـ ٣ ص ٨٩٢ .

(٥٢) رستم ، اسد ، ويحدد الزمن في ٣٨٦ م ، الروم جـ ١ ص ٩٧ . أما كريستنسن فيرى أن الاقتسام جرى في السنوات الأولى من حكم بهرام الرابع (٣٨٨ ـ ٣٩٩ م) الذي حكم بعد أخيه سابور الثالث فيذكر في ص ٢٤١ : (اقتسمت ايران وروما ملك ارمينية فدخل قسمها الشرقي وهو أكبرها ، تحت حماية ايران ، وخضع القسم الغربي لحماية الرومان) ايران ص ٢٤٠ ـ ٢٤١ ، ورواية اسد رستم أدق من كريستنسن ، جاء في تاريخ العالم (كانت ايران منذ سنة ٣٨٧ إلى ٥٠٢ مجبرة على عقد معاهدة سلمية موقتة وحتى إلى تحالف مع بيزنطة) م٣ ص ٩٧ . فالاتفاقية لابد وأن عقدت في عهد شابور الثالث ٣٨٣ ـ ٣٨٨ وليس في عهد بهرام الرابع .

(٥٣) سياست نامه ، ص ٤٣ ـ ٤٩ والترجمة الروسية (من قبل زاخوديرب . ن .) ص ٣٦ ـ ٤١ ، كريستنسن ، ايران ، ص ٣٥٩ ـ ٣٦٠ (وقد اعتمد على طبعة شيفر ص ٢٩ وما بعدها والترجمة الفرنسية ص ٤١ وما بعدها) .

(٥٤) ايران ص ٣٦٠ .

(٥٥) تاريخ الاتحاد السوفياتي م ١ ص ٤٣ .

(٥٦) تاريخ العالم ، لقد سقط ماميكونيان في المعركة ٢٦ مايس ٤٥١ م ، . جـ ٣ ص ١٣٤ .

(٥٧) تاريخ الاتحاد السوفياتي م ١ ص ٤٣ .

(٥٨) العدوي ، ابراهيم أحمد ، الدولة الاسلامية ط ٢ ص ٣٤ ـ ٣٥ .

(٥٩) يذكر لوبون ، غوستاف ، عن اعراب الجزيرة الذين أصبحوا محاربين أيام الخلفاء (فأصبح حبهم للنهب حباً للفتح) ص ٧٤ .

(٦٠) يروي أبو يوسف عن الخليفة عمر بن الخطاب (أنه أراد أن يقسم السواد بين المسلمين فأمر بهم أن يحصوا ، فوجد الرجل يصيب الاثنين والثلاثة من الفلاحين فشاور أصحاب محمد فقال علي ، ـ دعهم يكونوا مادة المسلمين) الخراج ط ٣ (القاهرة ١٣٨٢ هـ) ص ٣٦ وكذلك اعتبر بقية سكان البلدان المفتوحة ، راجع يحيى بن آدم الخراج ص ٤٢ ، أبا عبيد ، القاسم بن سلام ، الأموال ص ٥٩ ، البلاذري فتوح البلدان ص ٦٦ .

(٦١) بروكلمان ، كارل ، تاريخ الشعوب الاسلامية ويذكر (وإذا كان العرب يؤلفون طبقة المحاربين فقد كان الأعاجم من الجهة الثانية هم الرعية ـ أي القطيع ـ وجمعها رعايا) جـ ١ ط ٢ ص ١٢٩ . ويقول ولهاوزن ، يوليوس ، ـ اني استعمل لفظ الرعية في أضيق معنى لتلك الكلمة تمييزاً لها عن العرب الذين أصبحوا أصحاب السلطان الحقيقي . الدولة العربية هامش رقم ١٥ ص ٢٩ .

(٦٢) لأن الاحتلال العربي قد تسبب في إنهاء مراتب الفئات الايرانية الاجتماعية ولو أنه لم يؤد إلى زوال الفوارق الطبقية أو زوال الطبقات من المجتمع ، لأن العرب لم يألفوا ، لبساطة حياتهم الاجتماعية ، مثل تلك المراتب ولأنهم عدوا جميع المحتلين بمرتبة واحدة فهم السادة وغيرهم الرعية . ويذكر بيرن ، هنري (أن الضغط العربي غير المنتظر حطم طراز اوربا القديم المتركز في حوض البحر المتوسط) مدن القرون الوسطى ، مترجم للروسية ، ص ٢٣ .

(٦٣) بوليانسكي ، التاريخ الاقتصادي ، ص ١٢٨ .

(٦٤) فريدريك انكلز ، ليودفيك فيورباخ ونهاية الفلسفة الألمانية الكلاسيكية ، كارل ماركس وفردريك انكلز المؤلفات الجزء ٢١ الطبعة الثانية ص ٢٩٤ .

(٦٥) لي ، هرمان ، يذكر «الدخول في الإسلام يجعل الشعوب متساوية في الحقوق ومتحررة من الضرائب ، لهذا رأت جماعات كبيرة من الجماهير المستغلة من الشعوب الأخرى في المحاربين العرب محررين لهم» ، مختصر تاريخ القرون الوسطى المادي ، ص ٤٥ . صحيح أن جماعات كبيرة من الجماهير المستغلة من الشعوب الأخرى ظنت بأن المحاربين العرب سيكونون محررين لهم ، ولكننا لا نتفق مع لي ، هرمان ، في قوله «الدخول في الإسلام يجعل الشعوب متساوية في الحقوق ومتحررة من الضرائب» ـ لأنه كلام عام مطلق ، ولان الذين دخلوا في الإسلام من أبناء الشعوب المغلوبة لم يتساووا تماماً مع العرب في الحقوق ، كما بقيت ضرائب الخراج وضرائب النوروز والمهرجان والضرائب الأخرى ، عليهم وحتى الجزية ـ والتي هي جزء من مجموع الضرائب وتسقط بالإسلام ـ فإن الأمويين كانوا قد أعادوها على من أسلم من أهل الذمة لفترة طويلة حتى سنة ١٠٠ هـ حيث امر الخليفة عمر بن عبد العزيز باسقاطها ولم يشمل امر الاعفاء ابناء البلدان الذين لم تحدد ضريبتي الجزية والخراج عليهم كما في إيران . راجع الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٢ ، جـ ٣ ، ص ١٣٥٤ ، لهاوزن ، يوليوس ، الدولة العربية ، ص ٣٨٠ . دنت ، دانيل ، الجزية والاسلام ، ص ٣٧ ، ص ٣٩ .

(٦٦) العقيدة والشريعة ، ص ١٣٧ ، وهامش رقم ٧ ، ٨ ص ٣٣٩ ، وقد اعتمد في حكمه على كتاب «حوليات الاسلام» لكايتاني ، جـ ٢ ، ص ٣٩٩ ، ص ٤٠٥ ، ص ٥٤٣ ، ص ١٠٨٠ وما بعدها .

(٦٧) تاريخ العالم ، جـ ٣ ، ص ١٣٧ .

(٦٨) فتوح البلدان ، ص ١٠٧ ، انظر حتي ، تاريخ العرب (مطول) ، جـ ١ ، ط ٣ ، ص ١٩٦ .

(٦٩) ديوان الحماسة ، جـ ٢ ، ص ٥٢٣ ، وأول القصيدة :

لعمر أبي بشر لقد خانه بشر ... على ساعة فيها إلى صاحب فقر

انظر ولهاوزن ، الدولة العربية ، هامش رقم ١٢ ، ص ٢٧ ، حتي ، تاريخ العرب (مطول) ، جـ ١ ، ط ٣ ، ص١٩٦ .

(٧٠) انظر رسالة ماركس الى انكلز ، ٢ حزيران سنة ١٨٥٣ م ، كارل ماركس وفردريك انكلز ، الرسائل المتبادلة ، موسكو ، ١٩٥٣ ، ص ٧٣ ـ ٧٤ .

(٧١) العقيدة والشريعة ، ص ١٣٧ .

(٧٢) م . ن . ص ١٣٥ .

(٧٣) الفتنة الكبرى ، علي وبنوه ، ص ١٦٩ .

(٧٤) تاريخ العرب (مطول) ، جـ ١ ، ط ٣ ، ص ١٩٦ .

(٧٥) الدوري ، الجذور التاريخية للقومية العربية ، ص ١٥ ، ص ١٦ ، وجاء في تاريخ العالم بأن الإسلام انتشر ببطء في اذربيجان فقط أما في أرمينيا فقد احتفظ بالمسيحية ، جـ ٢ ، ص ١٣٧ .

(٧٦) الكامل في التاريخ ، القاهرة ١٢٥٦ هـ ، جـ ٣ ، ص ١٢ .

(٧٧) م . ن . جـ ٣ ، ص ١٢ .

(٧٨) تاريخ ايران ، ص ٩٣ .

(٧٩) تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٤٨ والترجمة العربية ، ص ٥٤ .

(٨٠) التاريخ الاقتصادي ، ص ١٢٩ .

(٨١) تأريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٤٨ والترجمة العربية ، ص ٥٤ .

(٨٢) أبو يوسف ، الخراج ، (القاهرة ١٣٠٢هـ) ، ص ٧٣ ، جوزي ، بندلي ، من تأريخ الحركات ، ص ٥٦ ، ويعتبر اعادة الضرائب حدثت في أواخر حكم عمر بن الخطاب .

(٨٣) يذكر بارتولد ، ف . : أن الدهاقنة قد رضيت في العصور الإسلامية الأولى في إيران كأمراء الاقطاعيات في أوروبا فيما بعد ، بزوال خطورتهم السياسية نظير ما نالوا من الدولة من الامتيازات الاقتصادية والاجتماعية . الحضارة

الإسلامية ص٥٨ ـ٩ ، الترجمة العربية ص ٦٥ . بروكلمان ، كارل ، تأريخ الشعوب الإسلامية : (أما في فارس فاحتفظ الدهاقين أو رؤساء الأقاليم بمكانتهم العليا ، جـ١ ، ط ٢ ، ص ١٣٠ ، الدوري ، مقدمة ، وقد تحالف الدهاقين مع الفاتحين ، ص ٨٥ .

(٨٤) مختصر تاريخ ايران ، ص ٣٧ .

(٨٥) أبو عبيد ، القاسم بن سلام ، الأموال ، ص ٤٨ .

(٨٦) الدوري ، العصر العباسي الأول ، ص ٩ ، مقدمة ، ص ٨٤ .

(٨٧) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٢٩ ، وراجع الصفحات ٣٤٦ ـ ٣٧٢ ، جوزي ، من تأريخ ، ص ٦٥ .

(٨٨) انظر بوليانسكي ، التأريخ الاقتصادي ، ص ١٢٩ ، وقد أشرنا إلى ذلك سابقاً .

(٨٩) ولهاوزن ، يوليوس ، الدولة العربية ، ص ٣٣١ ، بارتولد ، تأريخ الحضارة ، الترجمة ص ٦٥ .

(٩٠) ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٣٩١ .

(٩١) رواه البلاذري :

دوخ السغد بالقبائل حتى ترك السغد بالعراء قعودا

فتوح ، ص ٤٢١ .

(٩٢) الكامل في التأريخ ، جـ ٤ ، ص ١٢٨ .

(٩٣) ذكر الطبري ، تأريخ الرسل ، هذا البيت بعد تلك الأبيات السابقة ، م ٢ ، جـ ٢ ، ص ١٢٥٢ .

(٩٤) من تأريخ الحركات ، ص ٦٢ .

(٩٥) م . ن ، ص ٦١ ، ولاشك في أنه تأثر بقول بارتولد من أن الإسلام أبطل نظام الطبقات القديم . تأريخ الحضارة الإسلامية ،ص ٤٨ ، والترجمة العربية ، ص ٥٤ .

(٩٦) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ١٥ .

(٩٧) الأموال ، ص ٤٩ .

(٩٨) ولهاوزن ، يوليوس ، الدولة العربية ، ص ٢١٨ .

(٩٩) ذكر ابن عبد ربه : «كتب يزيد بن عبد الملك إلى عمال عمر بن عبد العزيز أما بعد فإن عمر كان مغرورا غررتموه أنتم وأصحابكم وقد رأيت كتبكم إليه في انكسار الخراج والضريبة فإذا أتاكم كتابي هذا فدعوا ما كنتم تعرفون من عهده وأعيدوا الناس إلى طبقاتهم الأولى أخصبوا أم اجدبواأحبوا أم كرهوا حيوا أم ماتوا والسلام ، العقد الفريد ، جـ٥ ، ط ٢ ، (القاهرة ، ١٣٧٢ هـ) ، ص ١٧٦ .

(١٠٠) رفيق الملحد ، ص ١٩٨ .

(١٠١) ذكر المبرد ، عن الخوارج ، وأقام المهلب يجبي ما حواليه من الكور وقد دس الجواسيس إلى عسكر الخوارج فأتوه بأخبارهم ومن في عسكرهم فإذا حشوة من قصار وصباغ وداعر وحداد» . الكامل ، ص ٦٢٩ ، وهذا يعني انضمام الحرفيين ـ الموالي ـ إلى الخوارج . راجع أيضاً العلي ، التنظيمات ، ويعلل انتساب الحرفيين من الموالي بسبب اضطراب التجارة وازدياد البطالة ، ص ٨٤ ، راجع أيضاً كليموفيج ، الإسلام ، ص ١١٠ .

(١٠٢) العقيدة ، ص ١٩٢ ، ومن هنا يعتقد بأن تسمية الشعوبيين بأهل التسوية جاءت من تأثرهم بالخوارج .

(١٠٣) الدولة العربية ، ص ٦٠ .

(١٠٤) طه حسين ، الفتنة الكبرى ، ٢ ـ علي وبنوه ، ص ١٥٣ ، عمر أبو النصر ، الخوارج ، ص ٢٢ .

(١٠٥) عمر أبو النصر ، الخوارج ، ص ٢٢ .

(١٠٦) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٩١ ، ابن الاثير ، الكامل ، (القاهرة ، ١٩٣٧ م) ، جـ ٤ ، ص ٦٥ .

(١٠٧) الطبري ، تاريخ ، م ٢ ، جـ ٢ ، ص ١٠٠٣ .

(١٠٨) جيرفت من مدن كرمان ، البلاذري ، فتوح ، ص ٣٩١ ، ابن خلدون ، كتاب العبر ، جـ ٢ ، ص ١٣٢ .

(١٠٩) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص ٢٤٥ .

(١١٠) الطبري ، تأريخ ، م ٢ ، جـ ٢ ، ص ١٠٥٢ ، حوادث سنة ٨١ هـ .

(١١١) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٧٤ .

(١١٢) الدينوري ، مسلم ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، (كان يسمى جيش ابن الأشعث جيش الطواويس لكثرة من كان فيه من الفتيان المنعوتين بالجمال) ، م ٤ ، ص ٢٣ .

(١١٣) تأريخ الرسل ، م٢ ، جـ ٢ ، ص ١٠٧٢ ، فون كريمر ، الحضارة الإسلامية ، ص ١٧٢ .

(١١٤) الحضارة الإسلامية ، ص ١٧٢ ، والترجمة العربية ، ص ٨٨ .

(١١٥) الدولة العربية ، ص ١٩٨ ـ ٢٠١ ، وفي محاولة فاشلة للدفاع عن الأمويين والحجاج يذكر عبد العال : أن ولهاوزن قد أنصف الحجاج برد التهم الباطلة عنه . ويذكر عبد العال أيضاً أن الدولة الأموية كانت خيراً على الناس والمسلمين والإسلام من دولة بني العباس . ويبرز عبد العال قيام الأمويين بالمظالم بأنهم قاموا بواجبهم كحكام (كذا) ، حركات الشيعة ، ص ٢١٣ . ومن نافلة القول أن نذكر أن آراء عبد العال هذه لا تمت إلى الواقع بصلة ولا تستند إلى دليل واحد .

(١١٦) يذكر ولهاوزن ، الدولة العربية : فاجتمع الدهاقين وأهل القرى حول رأيته السوداء ، ص ٣٦٩ .

(١١٧) تأريخ إيران ، ص ١٠٧ .

(١١٨) زاخودير ، ب . ن ، تأريخ القرون الوسطى ، ص ٣٨ ، راجع ميور ، السير وليام ، حول ثورة الحارث ، الخلافة نهوضها ، ص ٣٩٣ .

(١١٩) تأريخ الرسل ، م ٢ ، جـ ٣ ، ص ١٣٥٨ .

(١٢٠) تأريخ العراق ، ص ١٨٧ .

(١٢١) يذكر شاكر ، مصطفى «وقد بلغ الاستياء من الناس حدا بعيداً عبرت عنه تلك الأعداد المرعبة من الثورات والفتن في السنين الأخيرة من العهد الأموي» ، في التأريخ العباسي ، جـ ١ ، ص ٣٧ .

(١٢٢) الطبري تأريخ ، م ٢ ، جـ ٣ ، ص ١٣٥٤ .

(١٢٣) م . ن . ، م٢ ، جـ ٣ ، ص ١٥٨٠ ـ ١ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٤ ، ص ٢٢١ ، ورواه أبو تمام :

فليت قريش أصبحت ذات ليلة تؤم بها بحراً من الموج أكدرا

ديوان الحماسة ، جـ٢ ، (القاهرة ١٣٧٤هـ) ص٣٢٦ .

(١٢٤) لاحظ مقالة مينورسكي في دائرة المعارف الإسلامية ، م ١ ، ص ١٩٠ .

(١٢٥) فتوح البلدان ، ص ٣٢٥ .

(١٢٦) م .ن . ص ٣٢٦ .

(١٢٧) م .ن . ، ص ٣٢٦ ، انظر أيضاً اليعقوبي ، التأريخ ، م ٢ ، ص ١٥٦ ـ ٧ ، ياقوت ، معجم البلدان ، جـ٢ ، ص ١٢٦ ، ص ١٢٩ .

(١٢٨) تأريخ الرسل ، م١ ، جـ ٥ ، (ليدن ١٨٩٣م) ، ص ٢٦٤٧ .

(١٢٩) م .ن . ، م١ ، جـ ٥ ، ص ٢٦٤٧ .

(١٣٠) م .ن . ، م١ ، جـ ٥ ، ص ٢٦٦٢ .

(١٣١) م .ن . ، م١ ، جـ ٥ ، ص ٢٦٦٦ .

(١٣٢) فتوح البلدان ، ص ٣٢٦ .

(١٣٣) م .ن . ، ص ٣٢٦ .

(١٣٤) النجوم الزاهرة ، جـ ١ ، ص ٨٥ .

(١٣٥) م .ن . ، جـ ١ ، ص ٨٦ .

(١٣٦) تأريخ العالم ، جـ ٣ ، ص ١٣٧ .

(١٣٧) فتوح البلدان ، ص ٣٢٩ ، راجع ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٨٤ ، والمقصود بالمصرين ـ البصرة والكوفة .

(١٣٨) ماجد ، التأريخ ، جـ ١ ، ص ٢٤٨ .

(١٣٩) حول الحروب والانتفاضات راجع البلدان من ص ٣٢٥ ـ ص ٣٢٩ ، ويذكر ابن الأثير عن حوادث سنة ٢٥هـ (لما استعمل عثمان ، الوليد على الكوفة عزل عتبة بن فرقد عن أذربيجان فنقضوا فغزاهم الوليد سنة ٢٥ هـ... ثم

بث سراياه وبعث سليمان بن ربيعة الباهلي إلى أهل أرمينيا في أثني عشر ألف فسار في أرمينيا يقتل ويسبي ويغنم ثم انصرف وقد ملأ يديه حتى أتى الوليد فعاد الوليد وقد ظفر وغنم) ، الكامل في التاريخ ، جـ ٣ ، ص ٤٣ ، راجع مقالة كانارد ، م ، في دائرة المعارف الإسلامية عن أرمينيا ، المجلد الأول ، ص ٦٣٥ ـ ٦٣٧ .

(١٤٠) فتوح البلدان ، ص ٣٢٩ .

(١٤١) تاريخ الاتحاد السوفييتي ، جـ ١ ، ص ٤٨ .

(١٤٢) كيفوند ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢٣ ـ ٤ .

(١٤٣) م .ن . ص ٢٣ .

(١٤٤) م .ن . ص ٢٣ ، وعنه نقل تاريخ العالم ، جـ ٣ ، ص ١٣٧ ، مع بعض التحريف .

(١٤٥) تاريخ الخلفاء ، ص ٢٣ .

(١٤٦) يذكر اليعقوبي عن محمد بن مروان (... ثم كاتب الأشراف من أهل البلد والذين يقال لهم الأحرار وأعطاهم الأمان ووعدهم أن يفرض لهم في الشرف فاجتمعوا لذلك في الكنائس في عمل خلاط . وأمر بجمع الحطب حول الكنائس وأغلق أبوابها عليهم ثم ضرب تلك الكنائس بالنار فحرقهم جميعاً) ، التاريخ ، (النجف ١٣٤٨ هـ) ، جـ٣ ، ص ١٧ .

(١٤٧) م .ن ، ص ١٧ ، كيفوند ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢٢ .

(١٤٨) يذكر كيفوند ، مدينة نخجيفان ، تاريخ الخلفاء ص ٢٢ ، ويذكر اليعقوبي ، مدينة خلاط ، التاريخ ، جـ٣ ، ص ١٧ . ولابد أن الحادثة تكررت في خلاط . ورواية كيفوند أقرب إلى الاعتماد ، انظر البلاذري (....ثم وعد من بقي منهم أن يعرض لهم في الشرف فاجتمعوا لذلك في كنائس من عمل خلال فأغلقها عليهم ووكل بأبوابها ثم حرقهم) ، ٢٤٢/١ ، انظر تاريخ العالم ، جـ ٣ ، ص ١٣٧ ، انظر جيستياكوفا ، الخلافة العربية ، ص ٦٢ ، الخربوطلي ، تاريخ العراق ، وينقل رواية اليعقوبي ، ص ٢٧١ .

(١٤٩) تاريخ العالم ، جـ ٣ ، ص ١٣٨ .

(١٥٠) ذكر أبو عبيد ، القاسم بن سلام في كتاب الأموال («قال الرسول عائد الأرض لله ولرسوله ثم هي لكم» قال قلت ، وما يعني ، قال ، تقطعونها للناس) ص ٢٧٢ . وينقل المقريزي عنه ذلك في الخطط ص ٥٥ . كتب المقريزي أيضاً ، يقال اقتطع طائفة من الشيء أخذه والقطيعة ما اقتطعه منه واقطعني إياها اذن لي في اقتطاعها واستقطعه اياها سأله أن يقطعه أياها وأقطعه نهرا أو أرضا أباح له ذلك . الخطط ، ص ٤٩ . راجع معجم متن اللغة ، م ٤ ، ص ٥٩٧ ، المنجد ، ص ٦٧٦ ، لاحظ لوكيكارد ، الضريبة الإسلامية ، ص ١٤ . لكن كلمة الاقطاع العربية من اقطع لا تعني مدلول نظام الإقطاع المتعارف عليه إلا في عهود متأخرة .

(١٥١) رسالة انكلز إلى ماركس ـ حزيران ١٨٥٣ ، كارل ماركس وفردريك انكلز ، الرسائل المختارة ، ص ٧٤ـ٥ .

(١٥٢) توما ، أميل ، العرب والتطور ، ويذكر (خلال القرنين الأولين من قيام الامبراطورية الإسلامية تحطم الاقطاع) ، ص ٣٦ ، ولابد وأنه قد تأثر برأي بارتولد (وأما في إيران وتركستان فقد أبطل الإسلام نظام الطبقات القديم وامتلاك الأراضي الواسعة) ، تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٤٨ ، والترجمة العربية ص ٥٤ .

(١٥٣) ترتون ، أهل الذمة ، ص ١٩ ، وقد أشار لوكيكارد إلى تأثير النظام الهليني لضريبة الأرض والشكل «الفارسي» لتملك الدولة للأرض ـ فيما يخص الاقطاع ، الضريبة الإسلامية ، ص ٣٨ .

(١٥٤) يفصل أبو عبيد ، ابن سلام أسماء الاقطاعات والأنهار التي أقطعت ، في كتاب الأموال ، ص ٢٧٢-٢٨٤ ، وكذلك البلاذري ، فتوح البلدان في الصفحات ٣٤٦ ـ ٣٧٤ .

(١٥٥) أبو يوسف ، الخراج (القاهرة ١٣٠٢ هـ) ص ٣٢ ، يحيى بن آدم الخراج ، ص ٢٢ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، جـ ٥ ، ص ٢٤٦٨ .

(١٥٦) يقول أبو عبيد ، «وتأويل الحمى المنهي عنه ـ فيما نرى ـ وأن تحمي الأشياء التي جعلها الرسول بين الناس شركة وهي الماء والكلأ والنار» ، الأموال ، ص ٢٩٤ .

(١٥٧) ايقاف الأراضي والأملاك لمصالح المسلمين أو للمساجد والمعاهد وغيرها .

(١٥٨) المقريزي ، الخطط ، ص ٥٤ .
(١٥٩) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٢٧٩ ، ص ٢٨٣ ، البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٧٣ .
(١٦٠) أبو يوسف (١٣٨٢ هـ) ، ص ٦١ ، أبو عبيد ، الأموال ، ص ٢٧٣ ، المقريزي ، الخطط ، ص ٤٩ .
(١٦١) ويروي يحيى بن آدم ان الذي اقطع الجرف والقناة ابو بكر وليس النبي ، الخراج ، ص ٧٧ .
(١٦٢) أبو عبيد ، الأموال ص ٢٧٤ ، الماوردي ، الأحكام السلطانية ، مخطوط الورقة ١٣٧ ب .
(١٦٣) يحيى بن آدم الخراج ، ص ٧٧ .
(١٦٤) أبو يوسف الخراج (القاهرة ١٣٠٢ هـ) ، ص ٣٢ ، يحيى بن آدم ، الخراج ، ص ٧٨ ، أبو عبيد ، الأموال ، ص ٢٨٣ ، ولم يشر البلاذري إلى اقطاع عمر بن الخطاب ، أما الماوردي ، الأحكام السلطانية ، فقد نفى اقطاع عمر (ولم يقطع شيئاً منها) مخطوط الورقة ١٣٨ ، ١٣٩ . ولا شك أن رواية أبي يوسف حول اقطاع عمر من أرض الصوافي (فكان عمر يقطع من هذه لمن اقطع...) الخراج ص ٣٢ ، أدق من رواية الماوردي ، راجع الطبري الذي يؤيد رأي أبي يوسف حول اقطاع عمر ، ويؤيد دنت مقولة الماوردي ، الجزية ، ص ٢٦ .
(١٦٥) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٢٧٩ ، ص ٢٨٣ ، ويعتبر البلاذري أن عثمان أول من اقطع أرض الصوافي في العراق ، فتوح البلدان ، ص ٢٧٣ ، وهذا غير صحيح كما بينا ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، جـ ٥ ، ص ٢٣٧٦ ، الماوردي ، الاحكام ، مخطوط الورقة ١٣٨ ، ١٣٩ ، المقريزي ، الخطط ، جـ ١ ، ص ١٥٦ .
(١٦٦) المقريزي ، الخطط (القاهرة ، ١٩١٣ م) ، ص ٥٤ .
(١٦٧) الخراج ، ط ٣ (١٨٢ هـ) ، ص ٦١ ، انظر الأموال لأبي عبيد ، ص ٢٨٣ .
(١٦٨) أبو يوسف الخراج (القاهرة ١٣٠٢ هـ) ص ٣٢ ، يحيى ابن آدم ، الخراج ص ٢٢ ، أبو عبيد الأموال ص٢٨٣ ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٧٢ ـ ٣ ، الطبري تاريخ ، م ١ ، جـ ٥ ، ص ٢٤٦٨ .
(١٦٩) فتوح البلدان ص ٢٨٢ .
(١٧٠) الجزية ص ٢٦ .
(١٧١) الدولة العربية ص ٢٢١ ـ ٢ ، جوزي ، من تاريخ الحركات ص ٤٨ ، دنت ، الجزية ص ٢٦ .
(١٧٢) العرب في التاريخ ، ص ٧٧ .
(١٧٣) تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ١ ، ص ٣٦٧ ، وقد نقل عنه ابن مسكويه ذلك ، تجارب الأمم ، مخطوط رقم٤١ ، جـ ٣ ، الورقة ١٨٣ ب .
(١٧٤ ـ ١٧٥) أبو يوسف الخراج (القاهرة ١٣٤٦ هـ) ص ٨٢ يحيى بن آدم الخراج ص ٢١ ـ ٢ ، أبو عبيد ، الأموال ، ص ٥٥ ، الطبري ، اختلاف الفقهاء ، ص ٢١٨ .
(١٧٦) يحيى بن آدم ، الخراج ، ص ٢١ ، الطبري ، اختلاف الفقهاء ، ص ٢١٨ .
(١٧٧) أبو عبيد ، ص ٥٥ ، الطبري ، اختلاف الفقهاء ، ص ٢١٩ .
(١٧٨) أبو يوسف ، الخراج ، ص ٨٢ .
(١٧٩) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٥٥ .
(١٨٠) الماوردي ، الورقة ٩٩ ب .
(١٨١) يحيى ، الخراج ، ص ٢١ ، أبو عبيد ، الأموال ، ص ٥٥ .
(١٨٢) الماوردي ، الورقة ١٩٩ أ .
(١٨٣) الطبري ، اختلاف الفقهاء ، ص ٢١٨ ، دنت ، الجزية ، ص ٣٥ .
(١٨٤) الطبري : «ما باع أهل الصلح من أرضهم فهو جائز لهم ، وأما ما افتتح عنوة فإن أولئك لا يشتري منهم أحد ولا يجوز لهم بيع شيء مما تحت أيديهم من الأرض» ، اختلاف الفقهاء ، ص ٢١٨ .
(١٨٥) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٢٨٦ .
(١٨٦) انظر فتوح البلدان ، ص ٣٢٩ . ولم يكن الجاء الأراضي أمراً مستحدثاً في العهود الإسلامية ، فقد التجأت إليه جماهير فلاحي الشرق الأدنى البؤساء قبل الإسلام فيشير محمد ضياء الدين الرئيس : «واضطر المزارع الذي لا حول له أن يبحث عن رجل غني أو قوي يضع أرضه وحقه تحت تصرفه ليقوم بدلاً منه بدفع الضرائب ويحميه من عسف

الحكومة ، ومن هنا نشأ نظام الحماية Autopragia و Patronage الذي نهضت الحكومة لمحاربته مدة طويلة » ، الخراج والنظم المالية ، ص ٤٨ .

(١٨٧) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٥٢ .

(١٨٨) لويس ، العرب ، ص ١١٥ ، دنت ، الجزية ، ص ١٥ ، ٢٢ ، ٢٣ .

(١٨٩) الحضارة الإسلامية ، ص ٥٨ ـ ٩ ، والترجمة العربية ص ٦٥ .

(١٩٠) ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٣٩١ ، بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، جـ ١ ، ص ١٣٠ .

(١٩١) الدولة العربية ، ص ٣٧٤ .

(١٩٢) الخراج ، ط ٣ (١٣٨٢ هـ) ، ص ٥١ .

(١٩٣) م .ن . ص ٥١ .

(١٩٤) يحيى بن آدم ، الخراج ص ٢٢ ، لويس ، العرب ، ص ٧٧ .

(١٩٥) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، جـ ٥ (١٨٩٣ م) ، ص ٢٤٧٠ ، ترتون ، أهل الذمة ، ص ٢٤٠ .

(١٩٦) الدوري ، دراسات ، ص ١٩ .

(١٩٧) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ١٥ ، ترتون ، ص ٢٥٢ .

(١٩٨) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ص ١٩٤ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، ص ٢٩٠٣ ، الصولي ، أدب الكتاب ، ص ٢٢٠ ، العلي ، التنظيمات ص ١٩٧ .

(١٩٩) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، جـ ٥ ، ص ٢٤٧٠ ، ترتون ، أهل الذمة ، ص ٢٤٠ .

(٢٠٠) ترتون ، ص ٢٤٠ .

(٢٠١) الخربوطلي ، تاريخ العراق ، ص ٢٦٨ .

(٢٠٢) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٤٨ ، كريمر ، الحضارة الإسلامية (مترجم) ـ ص ٨٨ ، لويس ، العرب ، ص٩٨ .

(٢٠٣) الجزية والإسلام (النسخة المترجمة) ، ص ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٤ .

(٢٠٤) م . ن . ص ١٩٦ (النسخة المترجمة) .

(٢٠٥) ذكر أبو يوسف أن عمر بن عبد العزيز أجاب عن سبب ارتفاع الأسعار في زمانه وهبوطها في أزمان من كان قبله «أن الذين كانوا قبلي كانوا يكلفون أهل الذمة وأنا لا أكلف أحداً إلا طاقته فباع الرجل كيف شاء » ، الخراج (١٣٤٦ هـ) ، ص ١٥٧ ، ٢٠٠ ـ ٢٠٥ .

(٢٠٦) العزيز ، حسين قاسم ، مقالة (الشعوبية) ، مجلة الغد ، العدد ٣ ، ص ٢٨ .

(٢٠٧) م .ن . ص ٢٨ .

(٢٠٨) الدوري ، العصر العباسي الأول ص ٤٤ ، راجع اليعقوبي ، التاريخ ، جـ ٣ ، ص ٩١ .

(٢٠٩) م . ن . ص ٤٤ .

(٢١٠) الاغاني ، جـ ١٦ ، ص ٨٤ .

(٢١١) الدوري ، دراسات ، ص ١١ .

(٢١٢) ويذكر «أن معظم مناصريها كان من بين الفلاحين» ، العرب ، ص ١٤١ .

(٢١٣) كريمر ، الحضارة الإسلامية (مترجم) ص ٦٠ ، ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٣٢ ـ ٢ ، ترتون ، ص١٩ ، دنت ، الجزية ، ص ١٤ .

(٢١٤) الصولي ، أدب الكتاب ، ص ٢٢٠ .

(٢١٥) ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٣٢ .

(٢١٦) وردت الجزية والخراج في صيغ الأمان الممنوحة للمدن والمقاطعات ، الواحدة محل الأخرى ، ولكن التحديد في استعمال الجزية كضريبة الرأس والخراج كضريبة الأرض قد تم في أواخر العهد الأموي . ويعتبر أبو عبيد معنى الخراج الكراء أو الغلة ، الأموال ، ص ٧٣ . وأصل كلمة الخراج آرامية Halak ووردت في التلمود خاراجا .

(٢١٧) قال أبو يوسف (فناظرتهم ـ العلماء – فيما كان وظف عليهم «أهل السواد » في خلافة عمر بن الخطاب في خراج واحتمال أرضهم إذ ذاك لتلك الوظيفة) ، الخراج ، ط ٣ (١٣٨٢ هـ) ، ص ٤٨ .

(٢١٨) انظر دنت ، الجزية ، ص ٢٥ ، والترجمة العربية ، ص ٥٨ .
(٢١٩) انظر ترتون ، أهل الذمة ، ص ٢٢٨ .
(٢٢٠) الأحكام السلطانية ، مخطوط الورقة ١٠٧ أ .
(٢٢١) يتفق المؤرخون والفقهاء على هذه الكمية ويورد الماوردي شعراً لزهير بن أبي سلمى حولها ويستنتج الماوردي أن هذه الضريبة كانت في العصر الجاهلي :

فتغلل لكم مالا تغل لأهلها قرى بالعراق من قفيز ودرهم

الأحكام السلطانية ، ص ١٤٨ ، ومن هذا تستنتج أيضاً أن ضريبة الخراج كانت في العراق في العهد الساساني .
(٢٢٢) الأموال ، ص ٥٢ .
(٢٢٣) المسالك والممالك ، ص ٢١٦ .
(٢٢٤) انظر أيضاً ترتون ، أهل الذمة ، ص ٢٣٢ ، ٢٢٤ ، ٢٣٥ ، دنت ، الجزية ، ص ٢٣ ـ ٤ ، وقد خلط بين الرطبة والشجر الملتف ، انظر ايضا لوكيكارد ، الذي يرى بأنه لا يمكن الجزم بأن السياسة التطبيقية (في العهود الإسلامية) قد اتبعت جداول الفقهاء بالتفصيل ، الضريبة الإسلامية ، ص ٧٢ .
(٢٢٥) الخراج ، ويذكر أن بعض الروايات تذكر على النخل ١٠ وعلى العنب ٨ دراهم ، (القاهرة ١٣٤٦هـ) .ص٤٢ .
(٢٢٦) الخراج ، ص ٢٣ .
(٢٢٧) الأموال ، ويذكر عن وكروم ١٠ دراهم وعشرة أقفزة وعن الرطبة ٥ دراهم و٥ أقفزة ، ص٦٨-٩ .
(٢٢٨) فتوح البلدان ، ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ ـ ١ ، وقد أخذ بهذه الأرقام كريمر ، الحضارة الإسلامية ، (مترجم) ، ص٨٣ .
(٢٢٩) المسالك والممالك ص ١٤ ، انظر ابن رسته ، الأعلاق النفيسة ، المجلد السابع ، ص ١٠٥ حيث تجد الأرقام نفسها .
(٢٣٠) اختلاف الفقهاء ، ص ٢٢٣ .
(٢٣١) الأحكام السلطانية ، ص ١٤٨ .
(٢٣٢) الرطبة وجمعها الرطاب ، هي الخضروات ويدخل بضمنها الخيار والبطيخ .
(٢٣٣) القفيز ويقول عنه الطبري وهو مثل الصاع ويكال به (اختلاف الفقهاء ، ص ٢٢٣) . ووزن القفيز ٩٦ رطلاً (كريمر ، الحضارة الإسلامية ، مترجم ، ص ٨٣) ويساوي (٢,٧٥٦ كيلوغرام) . انظر زيدان ، عبد الكريم ، أحكام الذميين ، ص ١٦١ .
(٢٣٤) ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٣٧٩ ـ ٣٨٠ ، لويس ، العرب ، ص ١٠٧ ، الدوري ، المقدمة ، ص ٨٤ .
(٢٣٥) ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٣٨٠ .
(٢٣٦) التاريخ الاقتصادي ، ص ١٢٨ ـ ٩ .
(٢٣٧) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١٧٦ .
(٢٣٨) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٧٢ .
(٢٣٩) ترتون ، أهل الذمة ، ص ٢٣٦ ، الدوري ، العصر العباسي الأول ، ص ١٧٧ .
(٢٤٠) ابن طباطبا ، تاريخ الدول الإسلامية ، ص ٢١٦ .
(٢٤١) راجع الهامش ٢٠٥ .
(٢٤٢) راجع الهامش ٢٠٢ .
(٢٤٣) الخراج (١٣٤٦ هـ) ، ص ١٣١ .
(٢٤٤) الوزراء والكتاب ، ص ١٠٣ .
(٢٤٥) والتي عددها ابو يوسف في كتاب الخراج (١٣٤٦ هـ) ص ١٣٠ .
(٢٤٦) العصر العباسي الأول ، ٢٦٦ ـ ٢٦٩ .
(٢٤٧) الوزراء والكتاب ، ص ٨٣ .

(٢٤٨) المسالك والممالك ، ص ٢١٧ .

(٢٤٩) الوزراء والكتاب ، ويذكر أن أبا الوزير عمر بن مطرف الكاتب من أهل مرو ، عمل في أيام الرشيد تقديراً عرضه على يحيى بن خالد لما يحمل إلى بيت المال . ويقول الجهشياري أنه وجد ذلك في كتاب عمله أبو الفضل محمد بن أحمد بن عبد الحميد الكاتب في أخبار خلفاء بني العباس . قائمة الجهشياري منشورة في كتاب الوزراء والكتاب من ص ٢٢٧ ـ ٢٣٥ .

(٢٥٠) المسالك والممالك ، ص ٣٩ وص ١٢١ وص ١٢٣ ، انظر زيدان ، جرجي ، تاريخ التمدن ، جـ ٢ ، ص٦٣ ، وحتي ، جـ١ ، ط ٣ ، ص ٣٩٦ .

(٢٥١) ذكر ابن خرداذبة ان ذلك كان خراج خراسان والأعمال المضمومة لابي العباس عبد الله بن طاهر لسنتي ٢١١ هـو ٢١٢ ، المسالك والممالك ، ص ٣٩ .

(٢٥٢) الخراج وصنعة الكتابة (من ص ٢٤٢ ـ ص ٢٥٠) وقد نقل عنه زيدان ، جرجي ، تاريخ التمدن ، جـ ٢ ، ص ٦٠ ، مع اختلاف في بعض الأرقام وعن زيدان نقل حتي ، تاريخ العرب (مطول) ، جـ ١ ، ط ٣ ، ص ٣٩٦ ، فجاء بأرقام مغايرة .

(٢٥٣) ذكر في الصفحة ١٥٠ من المقدمة... وكذلك وجد بخط أحمد بن محمد بن عبد الحميد عمل بما يحمل إلى بيت المال ببغداد أيام المأمون من جميع النواحي نقلته من جراب الدولة . ولابد ان ابن خلدون نقل هذه القائمة عن الجهشياري لكن ابن خلدون وقع في أخطاء كثيرة ، حيث نسبها إلى عهد المأمون أولا ولوجود اختلافات في كثير من المقادير ثانياً . وقد نقل زيدان ، جرجي ، جـ ٢ ، ص ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ وحتي ، جـ ١ ، ط ٣ ، ص ٣٩٦ عن ابن خلدون برغم أخطائها .

(٢٥٤) ويضيف على ذلك ومن نقر الفضة ٢,٠٠٠ نقره و ٤٠٠٠ برذون و ١٠٠٠ رأس رقيق وعشرين ألف ثوب متاع و ٣٠,٠٠٠ رطل اهليلج .

(٢٥٥) المقدمة ، ص ١٥١ .

(٢٥٦) التنظيمات ، ص ١١٧ ـ ٨ .

(٢٥٧) م . ن . هامش . ص ١١٧ ويشير إلى اليعقوبي جـ ٢ ص ٢٧٧ .

(٢٥٨) التنظيمات ـ هامش ـ ص ١١٨ (يقول المافرخي إن خراجها في القديم كان يبلغ ١٢ مليون درهم وأنه بلغ أول سنة فتحها المسلمون ٤٠ مليون درهم (محاسن اصفهان ص ١٢) .

(٢٥٩) ذكر الماوردي أن الجزية من الجزاء ، وتؤخذ من مشرك صغارا له ومذلة ، الأحكام السلطانية ، ص ١٤٢ وينقل زيدان ، جرجي رأياً للشيخ الهندي شبل النعمان الذي يقول بأن الجزية لفظ فارسي الأصل (كزيت) تاريخ التمدن جـ ١ ص ١٦٩ ، ويذكر كريستنسن أن اللفظ آرامي وأدخل في البهلوية كلفظ مستعار ، ايران ، ص ١٢٢ ، انظر أيضاً دائرة المعارف السوفييتية الواسعة ط ٢ م ١٨ لسنة ١٩٥٥ م ص ٥١٧ .

(٢٦٠) يروي الألوسي شعراً لبديع الزمان الهمذاني في ذم العجم :

ألسنا الضاربين جزي عليكم — وان الجزي أولى بالذليل

بلوغ الأرب ـ جـ ١ ص ١٦١ ، وقد ذكر زيدان ، عبد الكريم قول الفقهاء الذين يرون أن الجزية تؤخذ من أهل الذمة مع الإهانة وجوبا (ويشير إلى شرح الخرشي جـ ٣ ص ١٤٥) وقد ذكر زيدان ، عدم اتفاقه معهم . أحكام الذميين ص ١٤٦ ، ويشير ولهاوزن إلى أن الجزية مهينة لمن يؤديها ، ط ٣٠ ، انظر ترتون ، ص ٩ ، ويقول دنت أن الجزية كانت رمزاً للمذلة ، الجزية ـ ص ٣٣ .

(٢٦١) القرآن ، سورة التوبة ، ٢٦/٩ .

(٢٦٢) الماوردي ، وفصل الفيء بأنه (كل مال وصل من المشركين عفوا من غير قتال ولا بإيجاف خيل ولا ركاب فهو كمال الهدنة والجزية وأعشار متاجرهم أو كان واصلاً بسبب من جهتهم كمال الخراج...) ، الأحكام السلطانية ، ص١٢٦ .

(٢٦٣) ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٣٨٠ .

(٢٦٤) الخراج (القاهرة ١٣٤٦ هـ) ، ص ٧٩ .

(٢٦٥) أبو يوسف ، الخراج (١٣٠٢) ، ص ٧٤ ، يحيى ، الخراج ، ص ٢٧ ، أبو عبيد ، الأموال ، ص ٣٢ ، الطبري اختلاف الفقهاء ، ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ .

(٢٦٦) تاريخ العرب (مطول) ، جـ ١ ، ط٣ ، ص ١٩٥ .

(٢٦٧) راجع الهامش ١٦ والهامش ٣٢ .

(٢٦٨) الدراسات الإسلامية ، م ١ ، ص ٢١٩ .

(٢٦٩) الخراج (القاهرة ١٣٤٦ هـ) ، ص ١٤٨ ، انظر البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٧١ ، يحيى ، الخراج ، ص ٢٣ ، أبو عبيد ، الأموال ، ص ٤٠ و ص ٦٩ .

(٢٧٠) وزادت جزية كل شخص ثلاثة دنانير على ما كانت عليه من قبل .

(٢٧١) يقول أبو عبيد : إن عمر ضرب الجزية على أهل الذهب ٤ دنانير وعلى أهل الورق ٤٠ درهم ومع ذلك أرزاق المسلمين وضيافة ثلاثة أيام ، الأموال ، ص ٣٩ ، والورق هي الدراهم ، انظر ترتون ، ص٢٤٠ .

(٢٧٢) الأموال ، ص ٤٢ .

(٢٧٣) م .ن . ص ٤٨ .

(٢٧٤) م .ن . ص ٤٦ ، وذكر أن النكاح يعني به بغايا كان يؤخذ منهن الخراج (يقصد الضريبة) .

(٢٧٥) الطبري ، تاريخ الرسل (طبع القاهرة) ، جـ ٨ ، ص ١٢٩ ، الدوري ، العصر العباسي الأول ، ص١٢ .

(٢٧٦) البيروني ، الآثار الباقية ، ص ٢١٦ .

(٢٧٧) م .ن . ص ٢٢٢ .

(٢٧٨) اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ١٩٤ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، ص ٢٩٠٣ ، الصولي ، أدب الكتاب ، ص٢٢٠ ، العلي ، التنظيمات ، ص ١٩٧ .

(٢٧٩) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ١٥ .

(٢٨٠) يذكر اليعقوبي : وأمر المهدي بجباية أسواق بغداد وجعل عليها الأجرة وجعل سعيد الحرشي بذلك فكان أول ما جبيت أسواق بغداد ، فكان للمهدي ، التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٣٢ .

(٢٨١) أبو يوسف ، الخراج ، ص ١٥٨ ، أبو عبيد ، الأموال ، ص ٦٨ .

(٢٨٢) الدوري ، العصر العباسي الأول ، ص ٢٢٨ .

(٢٨٣) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٤ ، قسم ٢ ، ص ٧٥ .

(٢٨٤) الأصفهاني ، أبو نعيم ، كتاب ذكر أخبار أصبهان ، م٢ ، ص ٩٩ .

(٢٨٥) تعتبر ، رحمة الله ، مليحة أن ما يدفع من الضرائب بالبلاد الإسلامية في العهد الأموي هو أقل مما عليه في بيزنطة ، معاملة أهل الذمة ، ص ٤٧ ، ولم تحاول رحمة الله ، مليحة أن تذكر اعتراف المؤرخين والفقهاء المسلمين بفداحة الضرائب وقساوة الأمويين في أخذها .

(٢٨٦) كرد علي ، محمد ، الإسلام والحضارة العربية ، جـ ٢ ، ط ٢ ، ص ٢٣٨ .

(٢٨٧) فتوح البلدان ، ص ٢٧٠ .

(٢٨٨) البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ١٣٦ .

(٢٨٩) تاريخ اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ٣٥ .

(٢٩٠) المسالك والممالك ، ص ١٤ .

(٢٩١) المقدسي ، شمس الدين ، أحسن التقاسيم ، ص ١٣٢ ، وكذلك تجد الرقم نفسه في كتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته ، المجلد السابع ، ص ١٠٥ .

(٢٩٢) الأحكام السلطانية ، ص ١٧٥ .

(٢٩٣) ابو يوسف ، الخراج ، (القاهرة ١٣٤٦ هـ) ، ص ١٥٧ .

(٢٩٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٧٤ ، أنساب الأشراف ، ص ٢٨٠ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٢ ، جـ٢ ، ص ١٠٧٢ ، فون كريمر ، الحضارة الإسلامية ، ص ١٧٢ .

(٢٩٥) تاريخ العرب (مطول) ، جـ ١ ، ط ٣ ، ص ٣٠٠ ، والملاحظ أنه يشير في الهامش إلى اليعقوبي مع العلم

أن اليعقوبي ذكر ٢٥ مليوناً وكان الأجدر أن يشير إلى البلاذري . لقد نقلت جيستياكوفا في كراس ، الخلافة العربية ، مقولة حتي ، غير أنها جعلت ايران عوضاً عن العراق ، ص ٧١ ـ ٢ .

(٢٩٦) الأموال ، ص ٤٨ ، لويس ، العرب ، ص ٩٦ .

(٢٩٧) حول تأثير تغير طرق قوافل التجارة في الدويلات التجارية العربية انظر رسائل كارل ماركس لفردريك انكلز ، المؤلفات ، ٢١ ، ص ٤٩٤ ، بليانسكي ، التاريخ الاقتصادي ، ص ١٢٣ ، زاخودير ، تاريخ الشرق ، ص ١٩ ، توما ، العرب والتطور ، ص ٢٧ ـ ٨٠ .

(٢٩٨) كريستنسن ، ايران ، ص ١١٣ .

(٢٩٩) م . ن . ص ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٧ .

(٣٠٠) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٦٢ .

(٣٠١) بيكولفسكايا ، تاريخ ايران ، ص ٧٢ .

(٣٠٢) بوليانسكي ، التاريخ الاقتصادي ، ص ١٢٨ .

(٣٠٣) ابن حوقل ، المسالك والممالك ، ص ٢٣٩ ، المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٣٢٣ .

(٣٠٤) ابن حوقل ، ص ٢٤٢ ، المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٣٢٣ ـ ٤ .

(٣٠٥) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٣٢٣ .

(٣٠٦) كارل ماركس ، الامتلاك البريطاني للهند ، كارل ماركس وفردريك انكلز ، المؤلفات ، المجلد التاسع ، الطبعة الثانية ، ص ١٣٢ .

(٣٠٧) رسالة انكلز إلى ماركس (حزيران ، ١٨٥٣ م) ، كارل ماركس وفردريك انكلز ، الرسائل المختارة ، موسكو ، ١٩٥٣ م ، ص ٧٤ ـ ٥ .

(٣٠٨) تاريخ اليعقوبي ، (بيروت ١٩٦٠ م) ، ص ١٥٩ .

(٣٠٩) انظر ما ذكره البيروني عن صناعة السكر ، الاثار ، ص ٢١٦ .

(٣١٠) الحضارة الإسلامية ، ص ١١ ، والترجمة العربية ، ص ١٥ .

(٣١١) بيكولفسكايا ، مدن ايران ، ص ٢٢٢ .

(٣١٢) م . ن . ، ص ٢٢٢ .

(٣١٣) ابن حوقل ، المسالك والممالك ، ص ٢١٥ ، انظر مقالة لوكهارت L. Lockhart عن اقليم الجبال في دائرة المعارف الإسلامية ، مجلد ٢ لسنة ١٩٦٣م ، ص ٥٣٤ .

(٣١٤) ذكر المسعودي في كتابه ، التنبيه والاشراف ، عن بحر الخرز... وعليه أيضاً الموضع المعروف بباكه وهي النفاطة من مملكة شروان مما يلي الباب والأبواب ومن هنالك يحمل النفط الأبيض وهنالك آطام وهي عيون النيران تظهر من الأرض وفيه جزائر مقابل النفاطة فيها عيون للنيران كبيرة ترى في الليل على مسافة نائية . ، ص ٦٠ . ولاشك أن المحل المقصود هو محل مدينة باكو الحالية . وقد سماها الايرانيون قديماً باد كوبه وتفسيرها : باد معناها ريح وكوبه من المصدر كوبيدن : الضرب وبهذا يكون اسمها ضرب الريح لشدة هبوب الرياح فيها ثم سميت شهر (مدينة) سبايل لوجود محل بقرب المدينة يسمى بايل ثم سميت باكو .

(٣١٥) ـ ص ٦٢٩ ، انظر العلي ، التنظيمات ، ويعلل انضمام الحرفيين من الموالي بسبب اضطراب التجارة وازدياد البطالة ، ص ٨٤ . لكننا نرى أن الظلم الشديد والاستغلال الفظيع هما اللذان دفعا بهم للمساهمة في انتفاضات عديدة .

(٣١٦) رسائل البلغاء ، باعتناء كرد علي ، ص ٢٧٠ .

(٣١٧) ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٦٠ .

(٣١٨) أحمد أمين ، فجر الإسلام ، ط ٦ ، ص ٨٩

(٣١٩) طه حسين ، الفتنة الكبرى ، ١ ـ عثمان ـ ص ٣٧ .

(٣٢٠) الطبري ، اختلاف الفقهاء ، ص ٢٢٥ ، تاريخ الرسل ، م ١ ، جـ ٥ ، ص ٢٣٧٣ ، أبو عبيد ، الأموال ، ص ٤٨ .

(٣٢١) جوزي ، بندلي ، ص ٦٥ ، وينقل الخربطولي ، كلام جوزي دون الإشارة إليه ويتصرف به بحيث يفهم منه

(الموالي كانوا يأتون بهم بألوف ويجبرونهم على العمل وسط المستنقعات) ، تاريخ العراق ، ص١٦٠ . إن الموالي ، وبهذه الحالة ، أصبحوا عبيداً ويجلبون! بينما نص جوزي هو «... يستغلونها (الأراضي المغتصبة من قبل الأمويين) بواسطة علوج البلاد أو زنوج افريقية الذين كانوا يأتون بهم بالألوف من بلادهم ويجبرونهم... فكلام جوزي (الذين كانوا يأتون بهم بالألوف) يعود على زنوج افريقية وليس على العلوج . والعلوج هم أهل البلد .

(٣٢٢) لويس ، العرب ، ص ٧٩ ، العلي ، التنظيمات ، ص ٨١ .

(٣٢٣) الدوري ، مقدمة ، ص ٧٧ ، الخربوطلي ، تأريخ العراق ، ص ٢٥٥ .

(٣٢٤) كان ذلك في العصر الأموي أما في العصر العباسي فقد اعتمدت السلطة العباسية على الارستقراطية الايرانية واسندت إليها كل الوظائف بما فيها الوزارة .

(٣٢٥) زيدان ، جرجي ، تاريخ التمدن ، جـ ٤ ، ص ٨٨ .

(٣٢٦) الدولة العربية ، ص ٢٤٩ .

(٣٢٧) لويس ، أصول الاسماعيلية ، ص ٤٨ .

(٣٢٨) الطبري ، اختلاف الفقهاء ، ص ٢١٧ .

(٣٢٩) م . ن . ص ٢١٧ ، ترتون ، أهل الذمة ، ص ٢٤٠ .

(٣٣٠) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، جـ ٥ ، ص ٢٤٧٠ .

(٣٣١) الخراج ، ط ٣ (١٣٨٢ هـ) ، ص ١٢٧ ، أيضاً أبو عبيد ، الأموال ، ص ٥٢ .

(٣٣٢) الفقيه ، النعمان بن ثابت .

(٣٣٣) أبو يوسف ، الخراج ، (١٣٤٦ هـ) ، ص ١٥١ ـ ٢ ، الطبري ، اختلاف الفقهاء ، ص ٢٤٠ ، الماوردي ، الأحكام السلطانية ، مخطوط ، الورقة ١٠٤ .

(٣٣٤) الأحكام السلطانية ، ص ١٤٥ .

(٣٣٥) أبو يوسف ، الخراج ، ص ٤٥ ، زيدان ، جرجي ، تاريخ التمدن ، جـ ٤ ، ص ٩١ ، جوزي ، بندلي ، ص٤٢ .

(٣٣٦) لويس ، العرب ، ص ١٠٨ .

(٣٣٧) الحضارة الإسلامية ، ص ٦٩ .

(٣٣٨) ترتون ، أهل الذمة ، ص ٢٥٤-٥ ، انظر لويس ، العرب ، ويذكر : بأن أهل الذمة كانوا يدفعون قدراً من الضرائب أعلى مما يدفعه المسلم ، ص ١٣٢ .

(٣٣٩) انظر الهامش (٢٧٠) .

(٣٤٠) انظر العزيز ، حسين قاسم ، مقالة الشعوبية ، مجلة الغد ، العدد الثالث ، براغ ، ١٩٦٤ م ، ص٢٤-٣٢ .

(٣٤١) الجاحظ (ومن يتحلى باسم التسوية) البيان والتبيين ، جـ ٣ ، ص ٥ . كريمر ، الحضارة الإسلامية (مترجم) ، ص ٨٦ ، الآلوسي ويذكر « قالت الشعوبية : إنا ذهبنا إلى العدل والتسوية وإن الناس كلهم من طينة واحدة وسلالة رجل واحد » ، بلوغ الأرب ، جـ ١ ، ص ١٦٤ . وذكر عن الشعوبية أيضاً : « من سموا بذلك لانتصارهم للشعوب التي هي مغايرة للقبائل » ، بلوغ الأرب ، جـ ١ ، ص ١٥٩ ، انظر أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، جـ ١ ، ط ٥ ، ص ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٦ ، وقد كتب في ص ٥٤ « جاء في العقد الفريد : الشعوبية وهم أهل التسوية » ، وفي ص ٥٦ يذكر « وجاء في الصحاح (الشعوبية فرقة لا تفضل العرب على العجم) » ، راجع توما ، أميل ، العرب والتطور ، ص ٣٤ .

(٣٤٢) انظر الأغاني ، جـ ٢ ، ص ٧٨ ، جـ ٩ ، ص ١٠٤ ، جـ ١٢ ، ص ١٥٦ ، الجاحظ ، البيان والتبيين ، جـ١ ، ص ٣٨٣ ، جـ ٢ ، ص ٥ ، جـ ٣ ، ص ٥ ـ ١٢٥ ، جـ ٤ ، ص ٣٥٩ ، الألوسي ، بلوغ الأرب ، جـ ١ ، ص ١٥٩ ، كريمر ، الحضارة الإسلامية (مترجم) ، ص ٨٦ ، كولدتسهير ، ويرى بأن الشعوبيين قد تأثروا بمبادىء الخوارج (أهل التسوية) في مسألة المساواة بين الشعوب ، الدراسات المحمدية (بالالمانية) ، جـ ١ ، ص ١٤٧ ـ ١٧٤ ، كرد علي : الشعوبية قوم متعصبون على العرب مفضلون عليهم العجم ، الإسلام والحضارة ، جـ ١ ، ط ٢ ، ص ٣٥ ، انظر أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، جـ ١ ، ط ٥ ، ص ٦٥ ـ ٧٠ ، ويذكر شريف ، محمد بديع « فاندفعوا إلى دراسة الأدب

واللغة والقرآن والحديث ودراسة الانساب خاصة ليضعوا على العرب من المثالب ما يريدون» ، الصراع بين الموالي والعرب ، ص ٣٣ .

(٣٤٣) لا يعترف الدوري باختلاف أهداف ابناء الطبقات المختلفة من حركة الشعوبية ، الجذور التأريخية للشعوبية ، ص ٧٩ .

(٣٤٤) م .ن . ، ص ٩ .

(٣٤٥) م .ن . ، ص ١٣ ، انظر أيضاً مقالة الدوري (الجذور التأريخية للاشتراكية العربية) في مجلة الآداب اللبنانية ، العدد الثالث ، آذار ١٩٦٥ ، ص ٢١ .

(٣٤٦) الجذور التأريخية للشعوبية ، ص ٧٩ ، مجلة الآداب ، العدد الثالث ، آذار ١٩٦٥ ، ص ٢١ .

(٣٤٧) الجذور التأريخية للشعوبية ، ص ٧٩ .

(٣٤٨) م .ن . ، ص ٢١ .

(٣٤٩) العصر العباسي الأول ، ص ٤٤ ، وقد سبق الدوري في هذا القول فان فلوتن ، السيادة العربية ، ص١٣٢ ، ولم يشر الدوري إلى السيادة العربية .

(٣٥٠) دراسات في العصور العباسية ، ص ١١ .

(٣٥١) العصر العباسي الأول ، ص ٤٤ .

(٣٥٢) دراسات في العصور العباسية ، ص ١٧ .

(٣٥٣) الجذور التأريخية للشعوبية ، ص ١٧ .

(٣٥٤) مقدمة ، ص ٧٧ .

(٣٥٥) مع الخوارج والشيعة ومع ابن الأشعث والحارث بن سريج وغيرهم .

(٣٥٦) لقد شمل الازدراء كل الأمم كالنبط والقبط والزط والبربر والأسبان فظهر من بينهم مطالبون بالمساواة .

(٣٥٧) رسائل البلغاء (ابن قتيبة ، كتاب العرب) ، ص ٢٧٠ ، وقد رد ابن قتيبة على الشعوبيين في طلبهم للمساواة : لو كان الناس كلهم سواء في أمور الدنيا ليس لأحد فضل إلا بأمر الآخرة لم يكن في الدنيا شريف ولا مشروف ولا فاضل ولامفضول ، بلوغ الأرب جـ ١ ، ص ١٦٩ . هكذا كانت عقلية ابن قتيبة وردوده على الشعوبيين ، ولكنه أخيراً اعترف بحق الشعوب في المساواة حيث كتب في آخر كتابه تفضيل العرب «واعدل القول عندي أن الناس كلهم لاب وأم خلقوا من تراب وأعيدوا إلى التراب وجروا في مجرى البول» ، العقد الفريد ، جـ ٢ ، ص ٩٠ ، راجع الألوسي ، بلوغ الأرب ، جـ ١ ، ص ١٦٩ ـ ١٧١ ، ضحى الإسلام ، جـ١ ، ص ٦٣ ـ٤ .

(٣٥٨) والعكس من قوله هذا كتب «فأما أشراف العجم وذوو الأخطار منهم وأهل الديانة فيعرفون مالهم وما عليهم ويرون الشرف نسباً ثابتا» ، رسائل البلغاء (كتاب العرب ، ص ٢٧٠) .

(٣٥٩) بلوغ الأرب ، جـ ١ ، ص ١٦٤ .

(٣٦٠) لينين ، ملاحظات انتقادية حول المسألة الوطنية ، المؤلفات ، جـ ٢ ، ص ٨ .

(٣٦١) م . ن . ص ٨ ، ويذكر أحمد امين عن الشعوبية «وهي في الحقيقة نوع من الديمقراطية يحارب ارستقراطية العرب» ، ضحى الإسلام ، جـ١ ، ص ٥٩ .

(٣٦٢) الدوري ، دراسات ، ص ١٢ ، شريف ، محمد بديع ، الصراع ، ص ٤٣ .

(٣٦٣) ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٥٩ ـ ١٦٠ ، الجاحظ ، البيان والتبيين ، جـ ٣ ، ص ٥ ، بلوغ الأرب ، جـ١ ، ص ١٦٠ ، ضحى الإسلام ، جـ ١ ، ص ٦٤ .

(٣٦٤) ضحى الإسلام ، جـ ١ ، ص ٢٩ .

(٣٦٥) بلوغ الأرب ، جـ ١ ، ص ١٦١ ، ضحى الإسلام ، جـ ١ ، ص ٦٥ .

(٣٦٦) ضحى الإسلام ، ص ٦٥ .

(٣٦٧) الحضارة الإسلامية ، لفون كريمر ، الملحق رقم ٣ لخدابخش ، ص ١٤٠ ، بلوغ الأرب جـ ١ ، ص١٧٠ .

(٣٦٨) الدراسات المحمدية ، ص ١٦١ .

(٣٦٩) الفهرست ، ص ٨٥ ـ٦ ، البيان والتبيين ، جـ ٣ ، ص ٥ (الهامش) ، بلوغ الأرب ، جـ١ ، ص ١٦٠ ، شريف ، الصراع ، ص ٤١ .

(٣٧٠) الفهرست ، ص ١٥٩ ـ ١٦٠ . ضحى الإسلام ، جـ ١ ، ص ٦٤ .
(٣٧١) الفهرست ، ص ١٤٠ .
(٣٧٢) م .ن . ، ص ٨٠ .
(٣٧٣) م .ن . ، ص ١٧٨ ، ص ٢٣٨ .
(٣٧٤) م .ن . ، ص ١٨٥ .
(٣٧٥) م .ن . ، ص ٢٣٨ ، شريف ، الصراع ، ص ٤١ .
(٣٧٦) الفهرست ، ص ١٨٠ ، ١٨٨ ، ٢٣٨ .
(٣٧٧) ضحى الإسلام ، جـ ١ ، ص ٦٩ .
(٣٧٨) البيان والتبيين ، شرحه ، جـ ٣ ، ص ٥ . بلوغ الأرب ، جـ ١ ، ص ١٦٠ ، ضحى الإسلام جـ ١ ، ص٧٠ .
(٣٧٩) الصلح نهر كان يتفرع من دجلة ـ جنوب مدينة الكوت الحالية في الجمهورية العراقية ـ وفم الصلح مدينة كانت على نهر الصلح قرب تفرعه من دجلة .
(٣٨٠) الفهرست ، ص ١٥١ ـ ٢ .
(٣٨١) بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، جـ ١ ، ص ٢٠٢ . الطيب النجار ، الموالي في العصر الأموي ، ص ١١٥ ، الدوري ، مقدمة لكتاب أصول الاسماعيلية للويس ، ص ٥ .
(٣٨٢) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص ٣٠٧ .
(٣٨٣) بارتولد ، الحضارة الإسلامية ، ص ٥٩ ، والترجمة ، ص ٦٥ .
(٣٨٤) تاريخ العالم ، جـ ٣ ، ص ١١٤ .
(٣٨٥) مصطفى ، شاكر ، في التاريخ العباسي ، جـ ١ ، ص ٢٥٣ .
(٣٨٦) الدوري ، دراسات ، ص ١١ .
(٣٨٧) طه حسين ، مرآة الإسلام ، ص ٣٩٤ .
(٣٨٨) شريف ، محمد بديع ، الصراع ، ص ٥١ .
(٣٨٩) بروكلمان ، ويذكر « والواقع أن منصب الوزارة كان منذ عهد غير قصير وقفاً على آل برمك المنحدرين من أسرة كهنوت متقدمة في نوبهار ، إحدى الصوامع البوذية في بلخ » . تاريخ الشعوب ، جـ ٢ ، ص ١٨ . لاحظ كريمر ، الحضارة الإسلامية (مترجم) ، هامش رقم ١ ، ص ١٠٧ .
(٣٩٠) يخطىء سميونوف حيث يقول « لقد قبض على أبي مسلم وأودع السجن حيث قتل بعد عدة سنوات » ، تاريخ القرون الوسطى ، ص ١٣٠ ، فلم يذكر أي مؤرخ عن سجن أبي مسلم وإنما قتل بحضرة المنصور بعد أن نزع منه سلاحه .
(٣٩١) الحضارة الإسلامية ، ص ٥٩ ، والترجمة ، ص ٦٥ ـ٦ .
(٣٩٢) شلبي ، أحمد ، في قصور الخلفاء العباسيين ، ص ١٩ .
(٣٩٣) حمزة ، عبد اللطيف ، ابن المقفع ، ص ٢٣٣ .
(٣٩٤) يذكر لي ، هرمان « كانت مبالغ الضرائب في عهد هارون الرشيد (٧٨٦ ـ ٨٠٩) في بغداد أكثر بعدة مرات من واردات الدولة البيزنطية الغنية بنفس الزمن ، مختصر تاريخ القرون الوسطى المادي ، ص ٤٨ .
(٣٩٥) يقول كرد علي « وأصبح العمال في الدولة العباسية صورة عجيبة من استنزاف الأموال وهم موقنون بأن مصيرهم بما جمعوه إلى المصادرة والقتل » ، الإسلام والحضارة ، جـ ٢ ، ص ٢٣٨ .
(٣٩٦) الجهشياري ، ص ٧٩ ، اليعقوبي ، (النجف ١٣٥٨ هـ) ، جـ ٣ ، ص ١٢١ .
(٣٩٧) يقول بروكلمان « ...كانت أمثال هذه الابتزازات (يقصد مصادرة المنصور ٣ ملايين درهم من خالد البرمكي) التي خضع لويلاتها العمال والموظفون الذين أثروا من طريق الوظيفة تؤلف وسيلة مطردة لملء خزانة الدولة بعد فراغها » . تاريخ الشعوب ، جـ٢ ، ص ١٩ .
(٣٩٨) كضريبة الأسواق مثلاً .

(٤٩٩) تاريخ اليعقوبي ، (النجف ١٣٥٨ هـ) ، جـ٣ ، ص ١٢١ .

(٤٠٠) حسن ، حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام ، جـ ٢ ، ص ٤١٠ .

(٤٠١ ، ٤٠٢) تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١٠٨١ ، راجع المسعودي ، ويذكر اسمها خديجة ، مروج الذهب ، جـ٣ ، ص ٣٠ ، انظر ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص ٢٧٩ ، وفيات الأعيان لابن خلكان ، جـ ١ ، ص ١٦٦ ، أمير علي ، مختصر تاريخ العرب ، ص ٢٧٠ ، ميور ، الخلافة ، ص ٣ ٥٠ ـ ٤ .

(٤٠٣) تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ٢ ، ص ١٠٨٢ ، ويصف هذا الترف والاسراف كي ليسترانج ، بغداد ، ص ٢١٠ ، وقد نقل ميور ما وصفه المؤرخون العرب ، ص ٣ ٥٠ ـ ٤ .

(٤٠٤) تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ٢ ، ص ١٠٨٢ ، انظر مروج الذهب ، جـ٣ ، ص ٣٠ ، ويذكر «فأمر المأمون بحمل خراج فارس وكور الأهواز اليه سنة» ، راجع دائرة المعارف الإسلامية (باللغة الانكليزية) حيث يذكر الدوري : وهب الحسن بن سهل القصر الجعفري إلى ابنته بوران وكان المأمون قد أهداه إليه ، م ١ ، ص ٨٩٧ ، انظر حتي حيث يناقض جميع المصادر التي نقل عنها فهو يذكر بأن الذي نثر الرقاع الخليفة المأمون بينما العكس قد ذكرت المصادر ، إذ تذكر أن الذي وزع الرقاع هو الوزير الحسن بن سهل ، تاريخ العرب (مطول) ، جـ١ ، ط ٣ ، ص ٣٧٥ .

(٤٠٥) كتاب الوزراء والكتاب ، ص ١٨٠ ـ١ .

(٤٠٦) تاريخ اليعقوبي ، جـ ٣ ، ص ١٥٦ .

(٤٠٧) جـ ٣ ، ص ١٣٨ ، انظر تاريخ الاتحاد السوفييتي ، جـ١ ، ص ٤٨ .

(٤٠٨) تاريخ الاتحاد السوفييتي ، جـ١ ، ص ٤٨ .

(٤٠٩) تاريخ اليعقوبي ، جـ ٣ ، ص ١٥٧ ، ويشير تاريخ العالم إلى الحادثة نفسها «وفي آران خاصة كانت انتفاضة سكان المدينة الكبيرة بردعة (بارتوف) حيث قتلوا جامع الضرائب المحلي سنة ٧٨١» ، جـ٣ ، ص ١٣٨ .

(٤١٠) تاريخ العالم ، جـ٣ ، ص ١٣٨ .

(٤١١) م .ن . جـ٣ ، ص ١٣٨ ، تاريخ الاتحاد السوفييتي ، جـ١ ، ص ٤٨ .

الفصل الثالث

المبادىء الإيديولوجية
والحركة البابكية

١ ـ المبادىء الايديولوجية للبابكية

أ ـ الآراء والمفاهيم السائدة قبل الانتفاضة حول المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية:

لم تستطع الانتفاضة البابكية التي عمت آذربيجان والجزء الشمالي الغربي من ايران والجزء الشرقي من ارمينيا ، والتي قامت بها شعوب هذه البلدان ضد الخلافة العباسية طيلة عشرين عاماً ، لم تستطع ، شأنها شأن باقي انتفاضات الخرمية وكل انتفاضات مجتمع الرق والاقطاع ، ان تضع حداً للاستغلال وذلك لعدم نضوج الشروط الضرورية لمثل هذا الأمر ، فمستوى الانتاج لم يكن يسمح بعد بالانتقال إلى نظام خال من الاستغلال والاضطهاد ، ومع ذلك لم تكن هذه الانتفاضة حادثاً فجائياً ـ كما أشرنا إلى ذلك سابقاً ـ أو تمردا مسلحاً وليد الصدفة وإنما كان لهذه الانتفاضة الطويلة العميقة الانتشار ، أسبابها البعيدة وظروفها الموضوعية التي حتمت قيامها وسهلت انتشارها بين أوسع جماهير تلك البلدان .

وما كان للانتفاضة أن تنهض ما لم يتيسر وجود تربة صالحة مهيئة حيث لايمكن أن تخلق الانتفاضات بمشيئة هذا أو رغبة ذاك ، وإنما تندلع عندما تكون الظروف قد تهيأت لقيامها وتكون الأسباب المحتمة لوجودها قد برزت حسب القوانين الموضوعية للحركات الاجتماعية . ولاشك أن قادة الانتفاضات الجماهيرية ، المنبثقين من بين صفوف الجماهير الثائرة ، والذين يتحتم وجودهم بناء على احتياج الحركة إلى من يسير دفتها ويقود زمامها ، تتوفر لهم إمكانية أوسع للنجاح في فهم حاجات وظروف مجتمعهم عندما يحاولون الاستفادة من الآراء والمفاهيم السائدة في محيطهم أو السابقة

ـ ان وجدت ـ حول مختلف المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ليسترشدوا بها في توجيه النضال الجماهيري ومن أجل تحقيق ما تصبو إليه تلك الجماهير الساخطة ، وذلك على قدر استطاعتهم في تفهم المشاكل المطروحة ومعرفة الحلول المناسبة مستنيرين بإرشادات تلك المفاهيم والآراء . وغير خاف أن الحركات الاجتماعية التي تسعى لتحقيق مطالب اجتماعية بحاجة إلى آراء وحلول مناسبة لمشكلات المساهمين في تلك الحركات والقائد البارع هو الذي يستطع أن يطور الآراء والمفاهيم حسب ظروف وحاجات جماهير الشعب الثائر . وهكذا الحال كان بالنسبة للانتفاضة البابكية ـ وهي حركة اجتماعية ـ حيث كانت بأمس الحاجة للحلول الآنية لمشاكل منتسبيها ، وكانت تسود تلك الأصقاع ، التي التهبت فيها الانتفاضة البابكية ، آراء ومفاهيم حول مختلف المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ولكنها بسيطة حسب مدارك أهل تلك العهود .

لقد توارثت الأجيال ـ جيلاً عن جيل ، في مختلف المناطق – المفاهيم المناهضة للتسلط الغاشم وللجور الاقطاعي البغيض وتناقلت أخبار وصور البطولات الرائعة للجماهير الثائرة وللقادة الشعبيين الذين قاوموا الاستغلال الوحشي في مختلف العهود ، وقد تكدست ـ نتيجة ثورات الأجيال ـ الآراء العديدة حول المشاكل الآنية ـ وأهمها بطبيعة الحال مشكلة الأراضي .

كانت الجماهير المضطهدة بقساوة ووحشية تشعر بوزر وفداحة الجور الاقطاعي وما يسببه من عوز وحرمان ، وكان الحل الوحيد ـ حسب رأي الخرميين ـ هو توزيع الأراضي على الفلاحين وإحلال الزراعة المشاعية وإلغاء التملك الفردي الواسع الاقطاعي ، وكان العامل المساعد على إشعار الجماهير المستغلة بالظلم هو انتشار الحلول والآراء والعقائد المناهضة للجور الاقطاعي والتعسف الحكومي ـ وقد توارثوها عن أسلافهم ولم تكن جديدة عليهم .

ولكي تقاوم السلطة ـ وهي وسيلة القمع بيد السادة الاقطاعيين والحارس الامين على مصالحهم والممثلة الحقيقية للطبقة السائدة في المجتمع ـ انتشار تلك الآراء والمفاهيم المناهضة للاستغلال الفظيع وللحكم الجائر ، اعتبرت كل تلك الآراء والمفاهيم مناهضة للدين الإسلامي ووصمتها بالهرطقة والإلحاد والزندقة(١) ، ودعت إلى محاربتها

والقضاء عليها وعلى معتنقيها ونصبت السلطة (الخلافة العباسية) من نفسها حكومة مباحث (تحقيق) كما يقول لي ، هرمان (وكانت موجهة قبل كل شيء ضد (الهراطقة) والمفكرين الأحرار الذين منهم في البدء تألفت جماهير أنصارهم[٢] . ولاشك أن هذه الآراء والمفاهيم حول المشاكل العامة التي كانت موجودة في العصر الأموي كانت تلاقي التشجيع والتأييد من العباسيين ودعاتهم كما أشار إلى ذلك « ولهاوزن » : « فقد حاولوا أن يحولوا تيارات المقاومة الشعبية جميعها إلى رحاهم ولتكن صبغتها ما شاءت »[٣] ، ولكن بعد وصول العباسيين للحكم تنكروا لمطالب الجماهير لأن تحقيقها يتعارض ومصالح العباسيين الطبقية ، فاستنكروا الآراء والمفاهيم السائدة لدى الجماهير وكافحوها ولم يكن ذلك دفاعاً عن الدين وإنما كان دفاعاً عن المصالح الذاتية للسادة الاقطاعيين ، ولإضفاء صفة الشرعية على أعمال القمع الوحشية ضد الآراء المناهضة للاقطاع[٤] وللسلطة الممثلة له ، أما إذا وجدت آراء الحادية لا يشم منها رائحة الخطر على المصالح الذاتية فلامانع من وجودها[٥] .

لقد ناضلت الجماهير الشعبية المستغلة ضد مختلف أشكال القيود الاقطاعية ـ ضد التبعية ، ضد الضرائب والتعسف في جبايتها وضد الإكراه على العمل وضد التعصب « العنصري » والتحقير والازدراء .

وكانت الزندقة المعارضة السلبية الفردية ، أما الخرمية ، وليدة المزدكية ، فكانت منهاجاً تتوضح فيه شعارات الجماهير الغاضبة الحاقدة على الجور الاقطاعي والتسلط الحكومي ، فكان أتباعها ـ الخرمية ـ هم المطالبون بالعدالة والمساواة في الحقوق العامة وبتوزيع المقتنيات العامة بالتساوي وتعميم الفائدة المشتركة في المجال الزراعي وفسح المجال للمرأة أن تنال مركزها .

وإننا لكي ندرك بعمق تلك الآراء والمفاهيم السائدة في المجتمع الإيراني والآذربيجاني والأرمني (قمساً منه) علينا أن نعود القهقرى للاطلاع على الديانة الايرانية وعلى الفرق المناهضة لها والحركات الشعبية التي ظهرت في إطار ديني فإن الأفكار والمفاهيم السائدة قبيل الانتفاضة البابكية هي تركة تلك العهود حيث حافظت عليها وعلى التقاليد الثورية جماهير الشعب المضطهدة .

ب ـ الديانة الايرانية والفرق المناهضة لها وما نشأ عنهما من آراء في المشاكل والقضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

١ ـ الديانة الإيرانية:

لعبت الديانة الإيرانية دورها الواضح في تاريخ ايران منذ الأزمنة القديمة حتى الفتح العربي . وقد جرت على الديانة الايرانية تغييرات وطرأت عليها تبديلات ، في ظروفها الزمنية ، لتخدم مصالح الطبقة السائدة عند ظهور الطبقات في المجتمع الايراني ، كما وقد ناهضتها فرق وحركات شعبية كان إطارها دينياً ومحتواها اجتماعيا .

الديانة القديمة: في العصور الأولى ، حيث لم تعهد البلاد حالة الاستقرار بعد ، وكانت غالبية السكان رحّل ، نشأت الديانة المعتمدة على عبادة القوى الطبيعية والعناصر والاجرام السماوية(٦) فكانت هنالك آلهة كثيرة (آهورات عديدة ـ آهور يعني اله) ولم يكن للدين صفة طبقية (لم يخدم طبقة معينة) لانعدام الطبقات في فترة المشاعية (الشيوعية البدائية) ، ولم يكن لاهور أمزدا (اله الخير ، اله النور) ولا لاهور أمن (اله الشر ، اله الظلمة) من أهمية تذكر بين العديد من الآلهة التي عبدها الايرانيون .

ولكن بانتقال المجتمع من حالة التنقل والترحل إلى الاستقرار ومزاولة بعض المهن برزت مكانة الاله أمزدا(٧) ، وقد أطلق على الديانة القديمة المزدية أو المجوسية(٨) .

وكنتيجة لتطور وسائل الانتاج (البسيطة) واستخدام جماهير بشرية واسعة في أعمال الزراعة والري ـ الأسرى والعبيد ـ تطلب إحكام قيود التبعية ، فكان أن استخدم الدين الايراني كوسيلة لتضليل الجماهير المستغلة ولدفعها للعمل بأقصى الجهود في ظل عبودية مستديمة من أجل السادة الملاك بعد تبدل أسلوب الانتاج وظهور علاقات انتاج جديدة (من المشاعية إلى العبودية) .

الزرادشتية: وهكذا جاء زرادشت ليطور الديانة المزدية(٩) ، التي أصبحت ذات نفع للسادة المستغلين ، فجأة بتعاليمه التي أصبحت تدعو إلى حب العمل والتفاني والإخلاص والجد في الأعمال ، وتحبب الأعمال الزراعية وتضفي القدسية عليها ، وكل

ذلك ، لم يكن طبعاً لخدمة الجماهير المستغلة ، وإنما لخدمة الطبقة السائدة المستغلة . فعلى أبناء الشعب المساكين ، وحسب تعاليم زرادشت ، أن يتفانوا في خدمة السادة المالكين ويرضوا بهذا الإذلال الأبدي خدمة للدين والأخلاق ولكسب رضا ـ أهور أمزدا ـ والوقوف بصفه .

فلاعجب أن نرى بأن الديانة الزرادشتية تصبح (فيما بعد) دين الدولة الساسانية[١٠] الرسمي وتنال عطف وتأييد الملوك الساسانيين ، لأن الدين والملك توأمان ـ كما قال تنسر(*) ، والارستقراطية الايرانية ، وتصبح للرئيس الديني الأعلى ، موبذان موبذ ـ وهو قاضي القضاة في الوقت نفسه ـ المكانة السامية في الدولة[١١] ، والمستشار الأقدم لملوك بني ساسان . وتصبح الأفستا ـ الكتاب الديني المقدس في ايران (بعد أن جمعه تنسر ، الهربذان هربذ بأمر الملك أردشير الأول مؤسس الدولة الساسانية) ـ المنار الذي يهتدي الناس به لخدمة السادة ـ وهكذا أصبح كل شيء في الديانة الزرادشتية في خدمة العائلة المالكة والطبقة الارستقراطية (مالكة العبيد) ، أما أبناء الشعب فعليهم العمل والطاعة والشكر وطلب الرحمة من اله الخير ، هكذا أصبحت الديانة الزرادشتية قبل ظهور ماني ، أداة طيعة للطبقة السائدة والمعبر لآرائها ومفاهيمها وبذلك حصل حلف مقدس بين رجال الدين والطبقة المستغلة[١٢] ضد الشعب من أجل استغلاله وجره إلى الإذلال الأبدي .

٢ ـ الفرق المناهضة للديانة الإيرانية:

تكونت لدى الشعب ، الذي أخذ يقاسي تزايد الجور والظلم المسند من المؤسسات الدينية ، بذور الاحتجاج ضد أعمال رجال الدين وضد تضليلاتهم التي ينشرونها ، وبهذا كانت مساندة الجماهير الشعبية للهرطقة الدينية ، المناهضة للمعابد الرسمية تعبيراً عن احتجاجها[١٣] .

المانوية[١٤]: اتخذت المانوية الاحتجاج السلبي (كالأهمسا ـ اللاعنف ـ الهندية ، التي بشر بها غاندي) سبيلا لمعارضة التسلط الحكومي والتضليل الديني

(*) كتاب تنسر ، نقله إلى العربية يحيى الخشاب ، القاهرة ، ١٩٥٤ ، ص ٢٧ .

والاثراء الفاحش ، ولما لم يكن لدى جماهير الشعب ، الساخطة على الجور والظلم وعلى تعاون رجال الدين مع الطبقة المستغلة ، منهاج واضح للنضال ، تلقفت تعاليم ماني[١٥] الحكيم بشغف وبسرعة ، وكانت تعاليم ماني ، والذي زار الهند[١٦] وتجول في أواسط آسيا وفي الصين ، متأثرة بالبوذية والمسيحية والغنوصية[١٧] ، بالاضافة إلى الزرادشتية ، ولهذا اعتبرت العالم مسرحاً لنضال قوى الخير وقوى الشر منذ الأزل[١٨] .

وشابهت المانوية الزرادشتية ، غير أن الزرادشتية ـ وقد أصبحت المعبرة عن ذهنية الطبقة المستغلة ـ اعتبرت اله الخير قديماً واله الشر محدثاً ، وأن ما هو سائد في المجتمع من أنظمة وسلطات وحقوق إنما هي من ميزات النور ـ إضفاء الحق الشرعي الالهي على أعمال التعسف والنخاسة والاستغلال الفظيع واعتبارها جميعاً من الأعمال التي فرضها الاله ـ (إذ يجد الإنسان رسالة عليه أداؤها فإنه بالايمان الخالص وبالجهاد في سبيل الحقيقة الدينية والأخلاق وأخيراً بالجد في الأعمال التي تؤدي إلى غلبة قوى الحياة على قوى الموت وبالمساعي المؤدية إلى الحضارة وخاصة زرع الأرض ، يقف في صف روح الخير)[١٩] ـ ، لكن المانوية على العكس من الزرادشتية تعتبر أن اله الشر هو الذي سيطر في البدء وظل إله الخير يكافح ويكافح ـ وهذا تعبير عن قدم سيطرة الطبقة المستغلة وعن ضرورة كفاح الجماهير الخيرة ضد قوى العدوان والشر ـ حتى انتصر ، إلا أن المانوية ، وقد تأثرت بالفلسفة الهيلينية وما أدخل على المسيحية من آراء فلسفية (الغنوص) ، وبالبوذية ، لم ترسم مناهج ثورية للكفاح ، وإنما اعتبرت الزهد والتقشف والعفة وما فرضته من مناسك دينية (لتطهير جسيمات «ذرات» الأبدان النورية من شرور العتمة التي لحقتها في فترة امتزاج العتمة بالنور في العالم الأرضي[٢٠] ـ وفي رأي المانوية أن هذه المناسك خير معونة يقدمها الإنسان لاله الخير ـ) ، وسائل أساسية للتعبير عن سخطها وغضبها على الاثراء والتسلط الطبقي . ولقد حاول ماني أن يأخذ كل ما هو خير وحسن من الأديان الموجودة[٢١] ـ وقد أطلع على دقائق الكثير منها ـ ولهذا جاءت تعاليمه مزيجاً من الآراء والمفاهيم والشرائع العديدة ، ففيها المثل الأخلاقية الهيلينية وتناسخ الأرواح البوذية[٢٢] وثنائية الكون المجوسية والغنوصية والتثليث المسيحي[٢٣] .

وكان ماني يريد لتعاليمه أن تصبح الدين العالمي الموحد والنهائي(*) وأن يحل هذا الدين محل الأديان القديمة ، التي أصبحت آلة بيد الطبقة السائدة . وقد اعتبر ماني جميع الأنبياء شياطين أو آلات مسخرة بيد الشياطين (الطبقة السائدة) يقول ابن النديم :

وماني ينتقص سائر الأنبياء في كتبه ويزري عليهم ويرميهم بالكذب ويزعم أن الشياطين استحوذت عليهم وتكلمت على ألسنتهم بل يقول في مواضع من كتبه أنهم شياطين ، فأما عيسى المشهور عندنا وعند النصارى فيزعم أنه شيطان[٢٤] . والملاحظ أن كريستنسن ، كمسيحي ، تعمد إغفال كلام ابن النديم هذا ، وقد أغفله بعض المستشرقين ومن بينهم السوفييت ، الذين تيسرت لنا قراءة كتبهم ، والسبب كما يلوح لنا هو أنهم اعتمدوا في كتاباتهم عن ماني على كريستنسن دون أن يكلفوا أنفسهم الرجوع إلى المصادر القديمة ومنها العربية ، ولربما كان لجهل البعض منهم اللغة العربية أثر في اتكالهم على كريستنسن وغيره .

ولما لم يكن لتعاليم ماني ، في البدء ، من خطر يهدد مصالح الدولة الساسانية ومصالح الطبقة السائدة فقد سمح بانتشارها[٢٥] ، فبعد عودة ماني من الهند في عهد سابور الأول (الذي توج في سنة ٢٤٢م)[٢٦] باشر ماني بالقاء مواعظه وتعاليمه والتي ما كانت ، في ذلك الحين لتلاقي صعوبة أو معارضة ، بل كانت تلاقي التسهيلات حتى أن ماني أهدى كتابه (شابورغان) للملك سابور[٢٧] وقد ذكر ماني نفسه (وقد مثلت في حضرة الملك سابور فأحاطني برعايته ثم أتاح لي أن أجوب « مملكته ؟ »[٢٨] . من المحتمل أن احتضان سابور لماني كان ـ كما يرى غرشمان ـ لدوافع سياسية(**) .

ولكن بعد أن تخطت مواعظ ماني التعرض البسيط لأشكال الديانات إلى الطعن بصراحة ومباشرة بمصالح السلطة والطبقة المستغلة ، بكشف جورها وظلمها وتصوير التعاسة التي تجلبها للناس ، بدأت السلطة ومعها رجال الدين الزرادشتي والطبقة المستغلة بالتضييق على ماني وأتباعه ومحاربته[٢٩] ومن ثم سجنه وصلبه ومطاردة انصاره . وملخص نشاط ماني[٣٠] أنه هاجر إلى الهند أيام مؤسس الدولة الساسانية

(*) انظر غرشمان ، إيران ، ص٢٩٤ .

(**) ايران ، ص ٢٩٤ .

أردشير الأول (٢٤٢ ـ ٢٧٢م) وأول خطبة له كانت عند تتويج سابور (٢٤٢ م) . واستمر في القاء تعاليمه ومواعظه قرابة عشرة أعوام[٣١] ، ثم نفي خارج إيران وعاد بعد وفاة سابور عام ٢٧٢ م في عهد هرمز أول (٢٧٢ م ـ ٢٧٣) وقد لوحق ماني وأدخل السجن ثم صلب عام ٢٧٦ م في عهد بهرام الأول (٢٧٣ ـ ٢٧٦م) .

النهاية المفجعة التي لحقت بالحكيم ماني والمطاردة العنيفة القاسية لمواليه وأنصاره[٣٢] ولضعف الروح الثورية في التعاليم المانوية التي اتخذت السلبية أسلوباً للكفاح ـ كل ذلك جلب اليأس والتشاؤم للأنصار ، الذين اضطروا إلى التخفي والهرب[٣٣] ، وللاتباع الذين حفظوا سر تلك التعاليم ، ولما لم يحاول تلامذة ماني وأتباعه تطوير تلك التعاليم بطرح الجوانب السلبية منها وقلبها إلى أساليب إيجابية في الكفاح ـ أصبحت تلك التعاليم غير ذات نفع بعد التطورات التي حدثت في المجتمع[٣٤] ولاسيما عند اشتداد أزمة العبيد وظهور بداية الاقطاع ، فقد عجزت التعاليم المانوية عن تفهم وإدراك حاجات الجماهير الواسعة من أبناء الشعب المضطهد ، ولهذا تخلفت تلك التعاليم على أن تكون المبادىء التي تقتدي بها الحركة الجماهيرية ، والتي عمت ايران في نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس الميلادي[٣٥] ، والتي كان عمادها المزارعون والعبيد المشتغلون بالزراعة ، لذلك ظهرت تعاليم أكثر تفهماً لحاجة الجماهير فأنارت السبيل لجموع الحاقدين وانتشرت بسرعة بينهم ـ إلا وهي التعاليم المزدكية .

أما المبادىء المانوية ، في إيران ، فقد انتشرت في المدن وسط التجار ورؤساء الحرف ، وأما في الريف فقد كان انتشارها ضئيلاً لعجزها عن تبني مطالب الفلاحين والعبيد والحرفيين .

المزدكية[٣٦] :

نشأت المزدكية ، كتعاليم دينية ، متطورة عن الزرادشتية والمانوية[٣٧] . وكانت المانوية ـ كما أسلفنا ـ قد انصهرت فيها ديانات مختلفة . وقد اختلفت المزدكية عن المانوية بأنها (أي المزدكية) اعتبرت (النور يعمل بالقصد والاختيار وأن الظلمة تفعل على الخبط والاتفاق ، والنور عالم حساس والظلام جاهل أعمى ، وأن المزج «بين النور والظلمة» كان على الاتفاق والخبط لا بالقصد والاختيار)[٣٨] ، فالمزدكية وإن شابهت

المانوية بالثنوية ، إلا أننا يمكننا أن نلاحظ - فيما ذكره الشهرستاني - أن لإله النور أهمية بارزة عند المزدكية وأنه يعمل بالقصد والاختيار ، وأما اله الشر (الظلمة) فيعمل على الخبط والاتفاق (بعكس ما ذهب إليه ماني) . كما ويظهر من تعاليم المزدكية أن اله الخير (النور) انتصر على اله الشر (الظلمة)(٣٩) ، في عالمنا الأرضي(٤٠) ، ولكن النصر لم يكن حاسماً ، وهذا يعني مواصلة كفاح القوى الخيرة (القوى الشعبية المعدمة المستغلة) ضد القوى الشريرة (الارستقراطية الغنية المستغلة) وحتمية انتصارها(٤١) ، كما ويجب تطهير الأنفس من النزوات والشهوات(٤٢) ومن حب السيطرة وحب التملك(٤٣) . والمزدكية وأن شابهت المانوية في ضرورة تطهير (ذرات الأجسام النورية) من الشرور والآثام التي لحقتها أثناء المزج ، إلا أن المزدكية لم تسلك السلبية نهجاً كالمانوية ، وإنما اختطت لنفسها الأسلوب الإيجابي ، ولذلك أصبح محتوى التعاليم المزدكية الدينية الفلسفية ، اجتماعياً حيث عنت تلك التعاليم ، إضافة إلى الأمور الفلسفية الدينية ، النظر في القضايا الاجتماعية حيث قصدت إعادة النظر في توزيع الأملاك والمقتنيات ، التي بسبب عدم العدالة في توزيعها بين الناس ، تسبب الانتهاكات والاعتداءات والظلم والحروب . لقد وردت نصوص كثيرة لدى المؤرخين العرب وفي المصادر التي كتبت باللغة العربية تشير إلى ذلك وتفصح عن المحتوى الاجتماعي للبرنامج المزدكي ، فالطبري كتب عن المزدكيين : قالوا أن الله إنما جعل الأرزاق في الأرض ليقسمها العباد بينهم بالتآسي ولكن الناس تظالموا فيها وزعموا أنهم يأخذون للفقراء من الأغنياء ويردون من المكثرين على المقلين وأنه من كان عنده فضل من الأموال والنساء والأمتعة فليس هو بأولى به من غيره(٤٤) . وبلهجة عدائية كتب الملطي : وفضول ما في أيدي ذوي الفضل محرم عليهم حتى يصير بالسوية بين العباد سواء(٤٥) . وكذلك كتب البيروني عن مزدك : وقال باشتراك الناس في الأموال والحرم(٤٦) ، ويعزو الشهرستاني محاولة مزدك في إعادة النظر في التوزيع إلى أن مزدك وجد أن سبب تقاتل الناس هو من جراء عدم العدالة في المقتنيات ، فقد كتب «وكان مزدك ينهى الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال . ولما كان أكثر ذلك إنما يقع بسبب النساء والأموال ، أحل النساء وأباح الأموال . وجعل الناس شركة فيهما كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ»(٤٧) .

ونجد ابن خلدون يعتبر محاولة توزيع الأملاك بالتساوي ، استباحة ، فقد كتب « وكان يقول ـ الكلام عن مزدك ـ باستباحة أموال الناس وأنها فيء وأنه ليس لأحد ملك شيء ولا حجره والأشياء كلها ملك الله مشاع بين الناس لا يختص به أحد دون أحد وهو لمن اختاره »[٤٨] . وبالرغم من معاداة المؤرخين السابقين لمزدك وللحركة المزدكية فإن اشاراتهم واضحة إلى ما كانت تسعى إليه المزدكية وقد أوضحوا الأسباب المختلفة التي دعت المزدكيين للقيام بتلك المساعي الاجتماعية ، وكلها طبعاً من أجل انقاذ جمهور المعدمين من الاستغلال والفقر والإملاق .

تعاظم استغلال الارستقراطية ، مالكة العبيد ، وبدأت تستحوذ على أراضي الفلاحين الأحرار ، الذين كانوا يعملون في أراض مشاعية ، مما أدى إلى استياء الفلاحين من تسلط الارستقراطية . ولم يقتصر الاستياء على الفلاحين بل شمل العبيد والحرفيين ، فكانوا جميعاً مستائين من وضعيتهم المزرية ، من فداحة جور الارستقراطية ذات النفوذ القوي ، من تعسف الحكومة ومتذمرين من الاملاق المتلاحق والمجاعات المهلكة[٤٩] ، التي كانت تكتسح البلاد بين آونة وأخرى بسبب تضافر قساوة الطبيعة ، في ظروف شبه صحراوية ، وهجوم الآفات الزراعية كالجراد[٥٠] . وكانت هذه المحن خير محفز للمفكرين على العمل من أجل انقاذ الجماهير من تلك البلايا . ولما كانت المانوية ، بسلبيتها ، عاجزة عن استيعاب حاجات الجماهير ، اختلقت الضرورة لاعادة النظر في تلك التعاليم لارسائها على أسس سليمة . فكانت محاولات بندس (زرادشت) المانوي أولى التعديلات[٥١] الفلسفية الروحية عليها ودعي هذا المذهب درست دين[٥٢] ، ثم تناولتها تعديلات مزدك الفلسفية ـ الاجتماعية البارعة ، وغلب اسم المزدكية على مذهب درست دين[٥٣] . لقد دعت التعاليم الجديدة إلى عدم انفراد أشخاص قلائل بالملكيات والمقتنيات الفردية الواسعة (أراضي ، عبيد ، جواري ، نساء ومقتنيات أخرى) فالمالك لا يملك حق الانفراد بما يقتني أو كما يخبرنا الطبري : « فليس هو بأولى به من غيره »[٥٤] ، وإنما يجب أن توزع هذه المقتنيات والأملاك على الناس بالتساوي ، وهذا ما أشار إليه الملطي (حتى يصير بالسوية بين العباد سواء)[٥٥] ويرى الشهرستاني أن المزدكية جعلت الأموال شركة بين الناس[٥٦] ـ أي كما كانت أيام المشاعية الأولى ـ ولما كانت التعاليم المزدكية كالمانوية تحرم القتل والذبح وسفك

الدماء ، ولما كان النزاع والقتال يحصلان بسبب الاختلاف في المقتنيات دعت المزدكية إلى إعادة النظر في توزيع المقتنيات حسماً للنزاع . وهذه الفكرة وإن لم تكن واضحة تماماً لدى الطبري حيث يشير إليها متشككا (وزعموا أنهم يأخذون للفقراء من الأغنياء ويردون من المكثرين على المقلين)[٥٧] ، إلا أن الشهرستاني ـ كما ذكرنا أنفاً ـ قد أوضح السبب الذي حمل المزدكيين على توزيع المقتنيات على المعدمين ، غير أنه اعتبر ذلك التوزيع (إباحة) « أحل النساء وأباح الأموال »[٥٨] . ولاشك أن الشهرستاني متحامل على المزدكية ولهذا صور إعادة التوزيع إباحة (وهنا تعني التفسخ والانحلال) إذ لو لم يكن متحاملاً لأخذ برأي الطبري الذي نفى ذلك عن مزدك وعزا إلى السفلة والانتهازيين جميع الأعمال المزرية التي ألصقت بالمزدكية ، حيث كتب : « فافترض السفلة ذلك واغتنموه وكاتفوا مزدك وأصحابه وشايعوهم فابتلى الناس بهم »[٥٩] .

إن عدم تمكن التعاليم المزدكية من إدراك الأسباب الموضوعية التي أدت إلى تراكم الغنى والاثراء والقوة بيد الارستقراطية ـ وذلك منتظر من أفكار ذلك العصر ـ أدى إلى عجز التعاليم عن معارضة النظام الذي قاومته ، بنظام جديد . وهذا قد أضعف الحركة ـ كما أشار إلى ذلك ايفانوف[٦٠] ـ ويعتبر دياكانوف أن المزدكية ضعفت لأنها لم تقاوم النظام الاقطاعي[٦١] « حيث لم يمح التملك الفردي ، أساس الاستغلال الفردي للشخص »[٦٢] ، وغرشمان في معرض ملاحظته على الذين يصفون منهاج مزدك الثوري (بالشيوعية الايرانية) يقول : غير أن علماء معروفين فسروه (منهاج مزدك) على أنه مقاومة العبيد ، الفلاحين الذين أصبحوا شبه عبيد والأحرار السابقين من سكان المدن والأرياف ضد الاقطاع ونظامه (الداعي للعبودية)(*) . ولكننا لا يمكننا أن نتفق مع دياكانوف وغرشمان لان المزدكيين لم يقاوموا النظام الاقطاعي ، والذي كان في بدء نشوئه ، وإنما قاوموا نظام العبودية المتفسخ فاستحوذوا على أراض الارستقراطية (مالكة العبيد) واستغلوها مشاعا (العودة إلى المشاعية القديمة) . وطبيعي أن هذه العودة كانت خلافاً لسنة التطور حيث بدأ المجتمع يتطور نحو النظام الاقطاعي الناشىء . والسبب الذي دعاهم إلى العود الخاطىء[٦٣] إلى المرحلة القديمة ـ المشاعية ـ

(*) ايران ، ٣٠٢ .

هو عدم إدراكهم لأسباب التكوين الطبقي ـ وهذا شيء طبيعي لمدارك ذلك العصر ـ ولهذا لم يستطيعوا وضع برنامج جذري لمعالجة مشاكل المجتمع والانتقال به إلى مرحلة أخرى . لقد تمكنت التعاليم المزدكية أن تدرك بأن تراكم الغنى في جهة وانعدامها لدى الكثرة الكاثرة من الناس فحسب ، هو السبب في التخاصم والنزاع وأن الضرورة تقتضي إعادة التوزيع بالتساوي . هذه الآراء التي نادت بها وحققتها في أجزاء واسعة من إيران ، لمدة من الزمن ، الفرقة المزدكية ، أطلق عليها المؤرخون ـ الإباحة ـ ويطلق عليها كثير من المؤلفين المعاصرين ، الشيوعية(٦٤) والبرنامج الشيوعي(٦٥) لمزدك ، وشيوعية الأموال والنساء عند المزدكيين(٦٦) ، ولا شك أن تسمية التعاليم المزدكية بالشيوعية لا يجمعها جامع مع الدقة العلمية . ويقصد من هذه التسمية أيضاً وصم الحركة بالدعر والفسق والإباحة لتشويه جوهر طابعها الاجتماعي بترديد أقوال مؤرخي القرون الوسطى ، بشيوع النساء واختلال النسل(٦٧) وفقدان الأخلاق وتحطم العائلة(٦٨) . لقد حقد المؤرخون القدامى على المساهمين في الثورات الجماهيرية ضد الطغاة وسبب حقدهم يرجع أما لخوفهم من السلطات الاقطاعية أو لانحدراهم الطبقي أو لانخداعهم بأباطيل وتضليلات الطبقة السائدة . لقد سددت الحركة المزدكية ضربة شديدة إلى الارستقراطية الايرانية الكبيرة ـ مالكة العبيد ـ فلا غرو أن توجه الارستقراطية الايرانية الناشئة ، ملاك الأراضي ، ورجال الدين والسلطة الحاكمة سخطها وحقدها على التعاليم المزدكية ووصمها بنعوت وصفات قبيحة وقد تعاونت الكنيستان اليهودية(٦٩) والمسيحية(٧٠) على توجيه الاتهامات والأكاذيب ، وظلت تلك النعوت والصفات الرذيلة لاصقة بالحركة حيث رددتها مؤلفات مؤرخي القرون الوسطى . أما المؤلفون البرجوازيون ، الحاقدون على كل حركة اجتماعية ، فانهم استخدموا أقوال مؤرخي القرون الوسطى الاقطاعية كسلاح ماض للتشهير بالحركات الاجتماعية ولتوجيه الطعن للشيوعية العلمية(٧١) . فقول ابن النديم « وصاحبهم مزدك القديم أمرهم بتناول اللذات والانعكاف على بلوغ الشهوات والأكل والشرب والمواساة والاختلاط وترك الاستبداد بعضهم على بعض ولهم مشاركة في الحرم والأهل لا يمتنع الواحد منهم من حرمة الآخر ولا يمنعه »(٧٢) قد استخدم لدى غالبية هؤلاء المؤلفين ، وكان للالماني فلوكل(٧٣) قصب السبق في ذلك فهو الأول من بين المستشرقين الذي

استخدم قول ابن النديم وغيره للطعن في (البابكية والخرمية)[٧٤] وعن طريقه تسربت بيسر إلى كتابات الآخرين[٧٥] . انهم يرددون أيضاً قول البغدادي «المزدكية الذين استباحوا المحرمات وزعموا أن الناس شركاء في الأموال والنساء »[٧٦] وقول ابن الجوزي «وأباح النساء لكل من شاء »[٧٧] . لقد كانت الارستقراطية ـ مالكة العبيد ـ مركزة نفوذها في ايران ، قبيل الحركة ، وكانت تسيء إلى مستخدميها اساءة بالغة وتقسو عليهم قساوة ضارية وتسعى بكل الوسائل لنهب وسلب الأراضي المشاعة من الفلاحين الأحرار ، وقد تمكنت من ذلك وعلى نطاق واسع مؤخراً ، لهذا وضعت الحركة المزدكية نصب عينيها اعادة حقوق الفلاحين الذين بدأوا يفقدون حريتهم ومقتنياتهم وأراضيهم . فحاربت المزدكية الارستقراطية حرباً شعواء وكان من جراء مقاومة الارستقراطيين أن لاقى الكثير منهم حتفه وفقدوا أملاكهم وأراضيهم ومقتنياتهم من عبيد وأماء ونساء ، والتي وزعت على المحتاجين ، وغالبيتهم من الفلاحين والعبيد ، غير أن المزدكيين وجدوا أن خير وسيلة وأحسن أسلوب لتوزيع الأراضي المستحوذ عليها وتحديد الملكية عليها هي (المشاعية) ، ولكن المشاعية خلقت مشاكل ومتاعب جديدة للحركة لانصراف الملاكين الصغار ـ الدهاقين ـ من صفوفها لأنهم ـ الدهاقين ـ ساهموا في الحركة خوفاً من تيارها وطمعاً في الحصول على أراضي الملاكين الكبار غير أن تقسيم الأراضي إلى مشاعيات وبرودة موقف قباذ من الحركة بعد عودته إلى العرش ثانية شجع الدهاقين على الابتعاد عن الحركة مما أضعفها . إن مشكلة الأراضي ومعالجتها كانت إحدى المسائل الأساسية التي عالجتها المزدكية ، والمشكلة الأخرى التي أعارتها اهتمامها كانت مشكلة المرأة الايرانية . لقد تدنى وضع المرأة في المجتمع وبلغ الحضيض في عهد العبودية بحيث أصبحت أمة تباع وتشترى في سوق النخاسة كأي سلعة وكانت حالة الرجل المالية تعين مقدار امكانيته لاقتناء أي عدد من النساء بالاضافة إلى زوجاته ، وكان النظام يبيح تعدد الزوجات ، وقد أباح الارستقراطيون ـ حرصاً منهم على حفظ أملاكهم وعدم تجزئتها بالوراثة ـ لأنفسهم زواج الأمهات والأخوات والبنات ، ونتيجة رضى الارستقراطيين والدين الزرادشتي على هذا التهتك ، فإن المؤرخين لم تأخذهم الحمية على الأخلاق والحرص على الشرف من هذا العمل الشنيع ، ولكنهم وجهوا سهام نقدهم إلى محاولة المزدكيين إعادة الكرامة والحقوق

للمرأة الايرانية ، إن المزدكيين وجدوا غالبية الارستقراطيين والحكام الأثرياء يمتلكون العدد الغفير من النساء في حين يفتقر الكثير من أبناء الشعب لزوجة واحدة لأنهم لا يملكون ثمن صداقها وإمكانية الصرف عليها ، لهذا عمد المزدكيون إلى أخذ النساء من بيوت الارستقراطيين وتزويجهن من الرجال العزاب . إن أخذ الزيادة من المكثرين ، سواء أكانت الزيادة أراضي أم مقتنيات ، عبيداً ، إماءً ، أم نساءً ، وتسليمها للفقراء المحتاجين إليها ، سعرت حقد الارستقراطيين ونقمتهم على الحركة لأنها موجهة ضد حق انفرادهم بالتملك الواسع . لقد كانت الفكرة الأساسية في معالجة مشكلة المرأة ، هي تحطيم ملكية الارستقراطيين للنساء وإعادة الحقوق والكرامة للمرأة الإيرانية ، ومن هنا كانت محاربة الارستقراطيين الايرانيين للحركة وكانت تلاقي معونة رجال الدين الزرادشتيين والمسيحيين واليهود على السواء ، لقد كانوا مع الارستقراطيين جنباً إلى جنب ضد الحركة ، وقد نعتوها بأشنع النعوت والصفات . ونورد على سبيل المثال ما ينقله دياكانوف عن مؤرخ الديانة اليهودية ك . كريتس[٧٨] (هم ـ أي اليهود ـ لا يستطيعون السماح بأن تتعرض نساؤهم وبناتهم كل لحظة لخطر الأعمال المخجلة ، ومدافعين عن طهارة حياة عائلاتهم وكأنها حدقة عين)[٧٩] ، إن اتهام المزدكيين بالشهوة والإباحة من قبل الارستقراطيين الايرانيين والديانة الزرادشتية والمسيحية واليهودية قد استمر في كتابات مؤرخي القرون الوسطى المتحيزين للسلطة والارستقراطية الاقطاعية .

بينما يرى كريستنسن أن صفتي الشهوة والاباحة متناقضتان مع الزهد الذي كان أساساً للمذهب[٨٠] ، وقد شك لويس بمشاعية الزوجات[٨١] ، وقد استل دياكانوف[٨٢] تعبيراً جيداً لسولودوخو[٨٣] ينفي فيه تهمة مشاعية الزوجات جاء فيه « هذا الادعاء ، يعترف الان بأنه مجرد اختلاق المؤرخين الناظرين بعداء للحركة المزدكية الثورية ، لأنه لا توجد أية معلومات تؤكد بأية حالة ظهور مثل هذه التهمة التي لا تتغير ضد الذين هاجموا نظام التملك الشخصي »[٨٤] .

ولقد شك كريستنسن في صدور قوانين تلغي الزواج أو تبيح النساء وحتى لو صدرت فإنها حسب رأيه مستحيلة التنفيذ[٨٥] . وعليه يمكننا أن نتوصل إلى أن الحركة سعت إلى عدم السماح للرجال باقتناء أكثر من الحاجة من النساء وأن يسمح للنساء

بأن يعشن مع من يرغبن في العيش معه بلا إكراه ولا إجبار . وطبيعي أن يتعارض هذا مع ما ألفه الارستقراطيون الايرانيون وما سنوه من شرائع تحمي مقتنياتهم وأملاكهم . هنالك رأي أوردته بيكولفسكايا «ولدى المزدكيين ، مشاعية النساء كانت نداء للشكل القديم في العلاقات العائلية واحتجاجاً ضد حريم الارستقراطية»[٨٦]. إننا لا يمكننا أن نتفق مع بيكولفسكايا في تسمية الدعوة لإصلاح وضع المرأة في المجتمع الايراني الساساني من قبل المزدكيين مشاعية النساء وأنه عودة إلى الشكل القديم في العلاقات ، أي العودة إلى المشاعية . فالمزدكيون لم يقصدوا قط في إصلاحهم لشأن المرأة العودة إلى ما كانت عليه العائلة أيام «الشيوعية البدائية» المشاعية الأولى ، ولو أن لدى مجتمعات ذلك العصر كانت باقية بعض بقايا الزواج الجماعي الديني لأيام البدائية الأولى ، والذي قد تستر عليه العرف والتقاليد والدين والمجتمع أو أنها تظهر وخاصة لدى الجماعات المناهضة للدين وللسلطة وللطبقة السائدة ، عارية من تلك الأستار[٨٧] . ان هذه البقايا (الترسبات) ، وهي قليلة ، وإن كانت موجودة لدى الشعوب لايمكن أن تسمح ، حتى في الخيال ، بتصوير محاولة المزدكيين في انتشال المرأة الايرانية من مركزها المتدني ، بأنها عودة إلى «مشاعية الزوجات»في المجتمع القديم ، المجتمع البدائي أو المشاعية الأولى . كما وأن مناهضة المزدكية (والخرمية فيما بعد) للدين الرسمي دفع المؤرخين والمدافعين عن مصالح الطبقة السائدة لاختلاق كل ما هو شائن ووضع المثالب ، ولهذا اتهموا المزدكية بالإباحة ، لهذا فإن استعمال بيكولفسكايا لكلمة مشاعية غير مناسب لأنه يدل على تأييدها لأقوال معادي الحركة الذين يصمونها بالاباحة . ويرى سمينوف بأن مشاعية النساء لدى مزدك لا تعتبر مكروهة جداً بالقياس إلى ما تبيحه الزرادشتية من زواج الابن لامه والأب لابنته والأخ لأخته[٨٨] . وهذا الرد الضعيف قد جعل سمينوف يعترف بوجود المشاعية الزوجية أو مشاعية النساء ، ولايمكننا طبعاً أن نقر سمينوف على رأيه هذا[٨٩] . ومن الطريف أن ننقل قول المؤرخ الايراني بلعمي[٩٠] ، الذي نقله جوزي[٩١] ، عن كريستنسن[٩٢] ، يقول بلعمي «إن مزدك فسخ الزواج (الشرعي) وملكية الأراضي وكان يقول «إن خالق المسكونة قسم الأشياء بين الناس بالقسط فلم يعط أحداً أكثر من غيره ولهذا لابد من نظام يتساوى فيه عدد النساء ومقدار الأراضي التي يملكها كل شخص ويكون

من مقتضاه أن من يملك أراضي واسعة لا يستطيع أن يقول إني لا أعطي منها شيئاً لغيري ومثله من يملك عدة نساء لأن النساء مشاعة بين الناس» أي أن امرأة الواحد تخص الآخر وامرأة هذا الآخر تخص من يحب أن يأخذها(٩٣) . ولقد اعتبر بونيياتوف ما نسبه المؤرخون القدامى والمؤلفون البرجوازيون إلى المزدكية وخلفائهم الخرمية من شيوع الزوجات ، بأنه التعبير المتطرف للنموذج الماجن للحياة الذي نسب إلى المزدكيين ومن بعدهم الخرميين خلفائهم الفكريين(٩٤) .

والنقطة الجديرة بالاهتمام بالحركة المزدكية هي علاقتها بالملك قباذ . المصادر القديمة تشير إلى أنه حكم في الفترة الأولى عشر سنوات (٤٨٨ ـ ٤٩٨م)(٩٥) ثم عزل ونصب أخوه جاماسب ملكاً . أما قباذ فقد أودع السجن حيث هرب منه والتجأ إلى الهياطلة وبقي هناك عامين ونصف وعاد ، ويعتبر كريستنسن الفترة الأولى من حكم قباذ ثماني سنوات وليست عشر سنوات(٩٦) ، وترى بيكولفسكايا أن تنصيب جاماسب كان في عام ٤٩٦م(٩٧) ، أما عودة قباذ فإن كريستنسن يعتبرها بين ٤٩٨م و ٤٩٩م(٩٨) . وظل قباذ ملكاً في الفترة الثانية حتى وفاته سنة ٥٣١م(٩٩) وليس صحيحاً ما يعتقده سمينوف بأن الفترة الثانية من حكم قباذ كانت ٣٥ عاماً(١٠٠) .

إن التعاليم المزدكية سابقة ولاشك ليوم تتويج قباذ ، غير أن هذه التعاليم أصبح لها من النفوذ لسرعة انتشارها بين أوسع جماهير الشعب ، وقد اهتبل الملك قباذ الفرصة لكسر شوكة الارستقراطية (مالكة العبيد) والقضاء عليها فقرب المزدكيين وقرب مزدك نفسه(١٠١) وأخذ يعتمد عليه كثيراً ، وهذا ما جلب حقد الارستقراطيين وتخوفهم من تعاظم نفوذ المزدكيين ، لهذا قرروا الإسراع بتسديد الضربة إلى الملك حامي الفرقة المزدكية فعزلوه ونصبوا جاماسب ملكاً محله . ولقد توهم كل من الطبري والمقدسي وابن الأثير(١٠٢) ، بأن المزدكيين خلعوا قباذاً وملكوا أخاه جاماسب .

وعند هربه إلى الهياطلة(١٠٣) ـ الأتراك(١٠٤) «الهون»(١٠٥) المحتلين للاجزاء الشمالية الشرقية من ايران ـ فكر في العودة إلى عرشه بمساعدة جيش الهياطلة لأنه أراد أن يكسب النصر دون أن يكون مديناً لأي من القوتين المتخاصمتين في الداخل ـ ايران ـ ، الارستقراطيين وحلفائهم الروحانيين من جهة ، وجماهير الشعب ، المنظمة تحت لواء المزدكية ، من جهة ثانية . هذا مع علمه (قباذ) بأن للارستقراطيين

والروحانيين دوراً في خلعه ، وقد خلق هذا شعوراً لدى قباذ بأن المزدكيين لا يريدون حماية عرشه بعد عدة سنوات من حكمه[١٠٦] ، وأن جماهير الشعب لم تلمس منه التأييد المطلق لحركتها ، فهو قد سار معها لتحقيق أغراضه السياسية في ضرب الارستقراطية ورجال الدين[١٠٧] ، لهذا قل حماس الجماهير في تأييد قباذ وهذا ما يسر للارستقراطيين والروحانيين خلعه ، وقد خلق هذا شعوراً لدى قباذ بأن المزدكيين لا يستطيعون أن يحققوا له الظفر بالعرش .

كل هذه الأمور ـ كما يخيل لنا ـ لا بد وأن قباذ قد فكر بها طويلاً قبل أن يقدم على استخدام جيش الهياطلة فقط في استرجاع عرشه[١٠٨] .

ويتوضح ، بعد عودته (٤٩٨ م أو ٤٩٩) للعرش بفضل الجيش الهيطلي[١٠٩] ، بأنه قرر السير ـ لفترة من الزمن ـ على سياسة توازن القوى ، فهو من الناحية الأولى وإن كان قد عفا عن الارستقراطيين[١١٠] ، الذين ناصبوه العداء ، وعن أخيه جاماسب[١١١] ، الذي توج ملكاً في فترة عزله ، فإنه ظل يتخوف منهم ، ومن الناحية الثانية ، وبالرغم من شعوره بأن سبب عزله هو مسايرته للمزدكيين في السابق ، فإنه لم يشأ المباشرة بالتنكر للقوى الشعبية فجأة[١١٢] . والظاهر أنه اتخذ هذا الموقف بدهاء لأنه كان في مركز حرج لاسيما وأنه كان مرغماً على إعادة جيش الهياطلة الذي ساعده حيث كان هذا الجيش يستنزف مصاريف باهظة ، ولم يكن الملك قباذ ليرغب في توسيع جبهة المعارضة له ، فالارستقراطية ، الساكتة على مضض ، والتي كانت قد أرغمت بحراب الأعداء على قبول عودته للعرش ، ستتقوى وينعزل الشاه فيما لو ضرب المزدكيين فوراً ـ وهم القوى الاحتياطية التي يمكن أن يركن إليها ـ وهذا لم يكن ، في ذلك الوقت والظرف ، في صالح الملك قباذ[١١٣] .

لذا قرر التخلي ، تدريجياً ، عن المزدكيين ، وقرر تقريب قسم من الارستقراطيين ، الذين لم يعادوه ، والاعتماد على هذا القسم ، آخذا بعين الاعتبار توسيع هذا الاعتماد في المستقبل ، على الارستقراطيين ، الذين عفا عنهم يوم استسلامهم (وقد أهلك الخطرين المناوئين له) وبعد أن يزيل مخاوفهم بتقليص تقريبه للمزدكيين[١١٤] . هذه السياسة التي لعبها قباذ ونجح في تطبيقها ترينا أن تأييد قباذ للحركة المزدكية كان بدافع أغراضه السياسية فقط كما لاحظ ذلك البيروني[١١٥] ؛ وأما

مناهج الحركة الاجتماعية فقد كانت غريبة عنه تماماً . ومثله في ذلك مثل بعض الارستقراطيين الذين انضموا تخوفاً للحركة ـ مثل سياوش ـ ومثل الملاكين الصغار ـ الدهاقين ـ . وكان قباذ في استجابته لبعض مطالب المزدكيين[١١٦] ـ في الفترة السابقة لعزله ـ يرمي إلى كسب ودهم حينما كانوا قوة يحسب لها حساب ، ولكنه لم يندفع في تأييده للحركة لأنه ظل خائفاً من توسع مطاليبها ـ الاجتماعية ـ [١١٧] وكان تخوفه هذا سبباً في عزلته عن الجماهير ومما أدى إلى نجاح الارستقراطيين في خلعه عن العرش وسجنه . وقد حاول كريستنسن ، آرثر ـ مستشهداً بالمؤرخين القدامى بروكوب وآجاثياس ويوشع ستيليت والمحدثين مثل نولدكه ـ أن يعرض الوقائع كما لو أن قباذا كان مخلصاً للحركة وليس مكيافيلي المبادىء[١١٨] .

لقد عاد قباذ إلى العرش في ٤٩٨ م أو ٤٩٩ م[١١٩] وهو يتذكر أيام السجن والتشرد والغربة ، ولهذا خشي من تكرارها فقلل من عطفه على الحركة وأخذ يبتعد عنها رويدا رويدا ثم أخذ يتحين الفرص للايقاع بها . وكان المنفذ لمؤامرته ولي عهده الحاقد على المزدكية السيئ الظن ، كسرى (الذي أصبح شاها باسم أنوشروان) وسبب حقده أن المزدكيين كانوا يفضلون كاؤوس أمير (بذ شخواركر ـ طبرستان)[١٢٠] ـ الابن الأكبر لقباذ ـ وريثاً للعرش بدلاً من كسرى الابن الأصغر ، أما الابن الأوسط لقباذ ـ زام ـ فكان ذا عيب (أعور) يمنعه الدستور من جراء ذلك من تولي العرش .

لم يكن حقد كسرى المنصب على المزدكيين لوقوفهم ضد الارستقراطيين فحسب ، وإنما لترجيحهم أخاه عليه أيضاً ، لهذا هيأ المؤامرة لضرب المزدكيين ولاسيما قادتهم ، وكان والده على علم بالمؤامرة ولاقت استحسانه وتشجيعه ودبرت المذبحة بخديعة دنيئة حيث دعي المزدكيون إلى مناظرة عام ٥٢٩[١٢١] مع رجال الدين الزرادشت وأعلن قباذ بدوره طرح مسألة وراثة العرش ، وجرت المناقشة الدينية . وقد ساهم فيها الروحانيون الزرادشتيون وأعانهم الاساقفة المسيحيون[١٢٢] . وتقول الروايات بأن المزدكيين دحروا في المناظرة وحين ذاك انقض الجند بعد إطلاق الإشارة من كسرى وجرت المذبحة الدموية وذهب ضحيتها آلاف المزدكيين « ٨٠ ألفا »[١٢٣] العزل ، بضمنهم مزدك نفسه ، ثم تلت تلك المذبحة الرهيبة تعقيبات مريعة استمرت حتى بعد وفاة الملك قباذ (٥٣١ م) وكانت أشدها عندما تسلم كسرى أنو شروان ،

الملك الحاقد ، العرش حيث دشن حكمه بمذابح هائلة بين الخازر والنهروان والمدائن[١٢٤] ، ذهب ضحيتها عشرات بل مئات الألوف من الأنصار المخلصين . ولئن تيسر للسلطة الساسانية الاجهاز على القسم الكبير من المزدكيين فإن تعاليمهم الاجتماعية الثورية ظلت تتوهج في قلوب رواد الحرية وكانت الشعارات النيرة لثورات ، الفلاحين والسبيل القويم الذي سلكته الخرمية في نضالاتها وانتفاضاتها الفلاحية .

وأما تأثير الحركة في إيران نفسها فإنها أجهزت على العديد من الارستقراطيين ـ مالكي العبيد ـ ولهذا فإن كسرى انو شروان حينما أراد ، بعد توليه العرش ، مساندة الارستقراطيين لعرشه ، وجدهم مبعثرين منهوكين ضعيفين . حين ذاك وزع أراضي الفلاحين المشاعية على ملاك جدد وقدم لهم الأموال وأعفاهم من الضرائب وبهذا ساعد على خلق وتقوية الارستقراطية الجديدة ، إلا وهي الارستقراطية المالكة للأراضي فجاءت تنظيماته المالية لفائدة الارستقراطيين ، وبهذا أبرزت تلك التنظيمات تطور علاقات الانتاج ووطدت العلاقات الاقطاعية والنظام الاقطاعي ـ الذي كان في بدء تكوينه ـ ، ولما كانت المزدكية نتيجة لأزمة عهد العبيد فقد لعبت دورها في عملية نشوء ونمو الطبقة الاقطاعية بقضائها على عدد كبير من ارستقراطيي العبيد . اننا اعتمدنا في تحليلنا المتقدم ، حول مساعدة أنو شروان في نمو ونشوء الطبقة الاقطاعية ، على ما أورده الطبري (وأمره بعيال ذوي الأحساب الذين مات قيمهم فكتبوا له فأنكح بناتهم الأكفاء وجعل جهازهم من بيت المال وأنكح شبانهم من بيوتات الأشراف وساق عنهم وأغناهم وأمرهم بملازمة بابه ليستعان به في أعماله... وأمر بكري الأنهار وحفر القنى وأسلاف أصحاب العمارات وتقويتهم)[١٢٥] ، . ففي هذا نرى كيف أن أنوشروان ساعد على تمركز الارستقراطية المالكة للأراضي ، والنامية حديثاً ، من أجل أن يستعين بها أو كما يقال ـ كريستنسن ـ «وعلى هذا النحو ظفر كسرى الأول بطبقة جديدة من النبلاء خاضعة له»[١٢٦] . ولكي يقربهم إليه أكثر ومن أجل تقويتهم أعفاهم من الضرائب ، فقد ذكر الطبري ـ كما أشرنا إلى ذلك قبلاً ـ «وألزموا الناس الجزية ما خلا أهل البيوتات والعظماء والمقاتلة والهرابذة والكتاب ومن كان في خدمة الملك»[١٢٧] .

جـ ـ الخرمية

الخرمية:

الخرمية فرقة دينية متطورة عن المزدكية ، تؤمن بصراع الخير (اله النور) مع الشر (اله الظلمة)[١٢٨] ، ذات برامج اجتماعية ثورية محدودة تدعو إلى توزيع الأراضي على الفلاحين وتعميم الاستفادة من المنافع العامة على الجميع وتحرير مركز المرأة من المكانة المتدنية التي وصلت إليها ، وتدعو إلى مقاومة الظلم والاستغلال بالامتناع عن إطاعة الاقطاعيين والسلطة ورفض الضرائب . كان الفلاحون يشكلون الغالبية العظمى من منتسبيها . وقد عبرت الخرمية عن سخطها واحتجاجها على الظلم الصارخ بسلسلة من الانتفاضات العارمة امتد لهيبها من آذربيجان وأرمينيا وعبر إيران إلى ما وراء النهر حيث رددت أصداءها هضاب البامير . ولما كان منتسبوها من بلدان مختلفة ، ولاستمرار فعاليتها سنين طويلة ، عدها المؤرخون والباحثون فرقا عديدة ، ولكنني أرى بأن الخرمية فرقة دينية واحدة احتوت على جماعات مختلفة بأسماء مختلفة (مبيضة ، محمرة ، بابكية... الخ) في بلدان متعددة لسنين طويلة ، لهذا التبس على المؤرخين والباحثين أمرها كما واختلفوا في أصل تسميتها[١٢٩] كما اختلف المؤرخون في تسمية الجماعات المنظمة لفرقة الخرمية .

ولقد برزت فصائل الخرمية بنشاط محدود في أواخر العهد الأموي (١١٨هـ/٧٣٧م ـ أيام الدعوة العباسية ـ في عهد المسؤول عن الدعوة في خراسان ، عمار بن يزيد الذي سمي نفسه خداش)[١٣٠] ، وازداد نشاط الخرمية وتوسعت فعاليتها في العصر العباسي الأول بسبب تخلي العباسيين عن وعودهم في تحسين أحوال البلاد الاقتصادية ، ولتطبيقهم أساليب جائرة قاسية في الاستغلال والتسلط . فأصبحت تعاليم الخرمية الغطاء الايديولوجي للثورات الشعبية . لقد اختلط الأمر على المؤرخين والباحثين في أصل تسمية الخرمية وفي الجماعات المنضمة إليها ، فالمسعودي لا يضبط أسماء الجماعات الخرمية حتى في مؤلفاته المختلفة ، ففي التنبيه والإشراف يسميهم (الكوذكية منهم والكوذشاهية)[١٣١] وفي المروج كتب (وأكثر الخرمية في هذا الوقت ـ وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ـ الكردكية واللودشاهية)[١٣٢] . أما ابن النديم فيخلط

بين المزدكية والخرمية إذ اعتبرهما جميعاً خرمية معتبراً المزدكية الخرمية الأولى والبابكية الخرمية الثانية[١٣٣] ، وقد شابه البغدادي في تعريفه للخرمية رأي ابن النديم حيث اعتبر المزدكية خرمية سابقة للإسلام والبابكية والمازيارية خرمية العهد الإسلامي[١٣٤] ، وكذلك شابه الاسفرائيني في تعريفه للمزدكية والخرمية[١٣٥] أقوال البغدادي . هذا الخلط أوهم البقية وأوقعهم في ارتباك لا يميزون فيه بين المزدكية والخرمية ، وقد اعتبر المقدسي الخرمية فرقاً وأصنافاً[١٣٦] . هنالك رأي حول اسم خرم يرجع التسمية إلى زوجة مزدك خورامه ابنة فاده ، فلقد ورد لدى الوزير نظام الملك (١٠٩٢ م) في كتابه (سياست نامه) «إن زوجة مزدك خورامه ابنة فاده هربت مع اثنين من المدائن وظهرت في منطقة الري ودعت الناس إلى تعاليم زوجها وانتمى مختلف الناس إلى هذه العقيدة وسماهم الناس (الخرم دينين)»[١٣٧] ، وقد ردد هذه المقولة غير قليل من الكتاب المحدثين[١٣٨] ، ان انفراد نظام الملك بهذه الرواية يدعو إلى الشك بها وإلى صعوبة الاعتماد عليه ، ولهذا فلايمكن التصديق بأن الخرمية جاءت من خورامه وأن المزدكية تسمى خرمية تبعاً لخورامه ، ولاشك أن هذا الخلط جاء بتأثير تسمية ابن النديم والبغدادي والاسفرائيني للمزدكية بالخرمية الأولى . وأما الشهرستاني فإنه حينما يتكلم عن المزدكية يذكر الجماعات الخرمية الموجودة في العصر العباسي كفرق لها مع العلم بأن المزدكية كانت موجودة في العصر الساساني فقط ، فقد كتب عن المزدكية «وهم فرق : الكوذية وأبو مسلمية والماهانية والاسبيدجامكية (المبيضة) والكوذية بنواحي الاهواز وفارس وشهورزور والآخر بنواحي سغد سمرقند والشاش وايلاق»[١٣٩] ، ولاندري لماذا اعتبر ياكوبفسكي أن الشهرستاني عنى بقوله هذا انقسام الخرمية إلى هذه الفرق[١٤٠] ، ان الشهرستاني لم يتطرق هنا إلى الخرمية وإنما هو يخلط بين المزدكية والخرمية إذ أنه لم يذكر الخرمية هنا إطلاقاً ، لقد ورد ذكر الخرمية لدى الشهرستاني عند كلامه عن فرقة الهاشمية والتي هي إحدى فرق الكيسانية . لقد ذكر الشهرستاني عن الهاشمية «وعنه نشأت الخرمية والمزدكية في العراق»[١٤١] ونلاحظ هنا عدم تمييز الشهرستاني للفرق بين المزدكية والخرمية فقد اعتبرهما خطأ قد نشأتا عن الهاشمية . ويرى السمعاني أن الخرمية يحللون الخمرة والنساء[١٤٢] ويعتبر ابن الجوزي كلمة خرم لفظ أعجمي ينبي

عن الشيء المستلذ المستطاب الذي يرتاح الإنسان له ، وإن الخرمية لقب للمزدكية[١٤٣] ، وينفرد ابن الأثير - في الكامل - فيذكر أن : « معنى خرم فرج وهي مقالات المجوس والرجل منهم ينكح أمه وأخته وابنته ولهذا يسمونه دين الفرج)[*] ، ولاشك أن كلمة فرح وصلت إلى ابن الأثير محرفة إلى فرج مما اضطره إلى أن يخلط بين الخرمية والزرادشتية الذين كانوا يبيحون زواج المحارم ويعتقد ابن خلدون أن خرم معناه فرح ، وأنهم كانوا يعتقدون مذاهب المجوس[١٤٤] . نجد ترديد هذه الأقوال لدى الكثيرين من المتأخرين ، والتي هي محاولة لوصم الفرقة بالإباحة والاستهتار . لقد كان العالم الألماني فلوكل أول مستشرق استخدم أقوال ابن النديم والأقوال السابقة لتفسير كلمة خرم بمعنى (ماجن ، مرح ، بدون حياء ، مستهتر)[١٤٥] ويرى ولهاوزن أن الخرمية ليست فرقة وإنما ميلاً إباحياً عاماً[١٤٦] ، بينما يرى فان فلوتن أن ترجمة مصطلح خرم كـ (ملتذ) أعطى مبرراً للكلام عن الخرمية كحملة دين جديد وإظهارهم على أنهم لا يعرفون (كذا) أي دين آخر غير دين اللذة[١٤٧] . لقد رد موللر على تفسير فلوكل لكلمة (خرم) المنقولة عن الفارسية(فرح) بأنه لا يعدو نكتة مدرسية[١٤٨] . ويرد الدوري - معتمداً على آراء صديغي - على أقوال ولهاوزن التي تنكر وجود فرقة خرمية ، فيذكر الدوري أن آراء صديغي أظهرت أن الخرمية فرقة دينية ترجع مبادئها إلى (مزدك) الاباحي (كذا) ثم حصل فيه تطور بمرور الزمن وأنهم اتخذوا لأنفسهم لقب (خرم دينان) أو أهل الدين الفرح[١٤٩] (كذا) . إن آراء صديقي التي يتفق معها الدوري هي ترديد لأقوال ابن خلدون وغيره ، أما كون الخرمية فرقة دينية فقد ذكر الطبري عن خداش أنه أظهر دين الخرمية .

لقد أوضح مارغليوث أنه لا يرجح تفسير السمعاني لكلمة خرم بمعنى الرضا[١٥٠] كما وأن جوزي يردد أقوال موللر ومارغليوث في الرد على الذين يعتبرون (خرم) تعني الفرح واللذة ،[١٥١] ، ويرى بونيياتوف أن في الرواية التي تربط اسم خرم بالاباحة يسترعي النظر ضيق الأفق العلمي والسياسي والتحيز الطبقي للمؤلفين الاقطاعيين والبرجوازيين[١٥٢] . وقد أوضح بونيياتوف - مستخدماً أقوال تومارا -[١٥٣]

(*) جـ ٥ ، ص ١٨٤ .

صعوبة اعتبار الخرميين المكافحين كفاحاً بطولياً لمدة عشرين عاماً جمهوراً من المرحين جداً... لأن أية حركة تحررية ترافق بالسكر والمجون يكتب لها الفشل مسبقاً[١٥٤] . ولاشك أن محاولة وصم الخرمية بالإباحية والاستهتار هي بدافع تشويه جوهرها الكفاحي البطولي .

هنالك رواية ثالثة حول أصل تسمية الخرمية ترجع ذلك إلى اسم منطقة في اذربيجان غير بعيدة عن اردبيل وقد وردت أقوال المسعودي[١٥٥] وياقوت الحموي[١٥٦] وصادق الأصفهاني[١٥٧] في ذلك . وموللر في معرض رده على فلوكل يرجح هذه الرواية[١٥٨] كما أن مارغليوث يرجح هذه الرواية على تفسير السمعاني[١٥٩] ، وتجد ترديدها لدى فان فلوتن[١٦٠] ، وحتي[١٦١] ، وجوزي[١٦٢] ، وقد أخذ بها أيضاً سيل[١٦٣] وشريف[١٦٤] ، ومصطفى شاكر[١٦٥] . ويرى بونيياتوف أنه لا يستبعد قبول مثل هذا التفسير لمنشأ اسم خرم لو لم تعترضه روايات وآراء مؤرخين أخرى[١٦٦] . ولا شك أن هذه الرواية هي أقربها جميعاً للقبول . ولبونيياتوف اقتراح ، بعد رفضه لآراء الفئات الثلاث ، فإنه يعتبر أصل منشأ كلمة خرم من النار فهو يقول : « من غير أن نمس هنا المشكلة المستقلة والمعقدة عن علاقات ايديولوجية المزدكيين والخرميين بعبادة النار (الزرادشتية ، المزدية) ، نقترح تحليلاً لمصطلح خرم على أساس مفهوم (النار) . في اللغتين الفارسية والأرمنية خور تعني شمساً في الأولى وناراً في الثانية (النار التي لا ترى ولاتمس) »[١٦٧] . لكن هذا التحليل الممتع الجديد لانحدار كلمة خرم من النار وربط العلاقة بين التسمية وعبادة النار وإن كان لا يحتمل الشك إلا أنه ليس من الميسور الأخذ به ، لأنه قد يجرنا لان ندعو كثيراً من عبدة النار خرمية بدلاً من مزدية وزرادشتية وبارسية وغيرها .

بالرغم من اطلاق اسم الخرمية على منتسبي الفرقة من قبل المؤرخين فإن هنالك من لايزال يسميهم بغير هذه التسمية ، فكريستنسن حينما يتكلم عن المزدكية يذكر بأنها عاشت سرية في العهد الساساني ثم عادت للظهور من جديد في العصور الإسلامية[١٦٨] ، ويطلق كريمسكي عليهم اسم المزدكية[١٦٩] وعلى هذا المنوال يسمي سمينوف الخرمية باسم المزدكية الجديدة[١٧٠] وكذلك يسميهم نفيسي بالمزدكية الجديدة[١٧١] بالاضافة إلى تسميتهم بالخرمية . إن هذه التسمية لايمكن اعتبارها

مضبوطة لان الخرمية فرقة متطورة عن المزدكية متأثرة بالوضع الجديد(المحيط الإسلامي) .

ويرى شريف أن الخرمية نشأت بعد مقتل أبي مسلم وتسمى أيضاً بالمسلمية ، ويمكن إرجاع تسميتها إلى قرية قرب اردبيل(١٧٢) ، وكذلك اعتبر حتي ظهور الخرمية بعد مقتل أبي مسلم ، هي طائفة منسوبة إلى بقعة في فارس(١٧٣) . ولابد أن شريف وحتي قد تأثرا بقول براون « أن الثورات التي قامت في إيران والتي قادها مدعو النبوة من سنباذ المجوسي (٧٥٤ ـ ٥٥م) واستاذسيز (٧٦٦ ـ ٦٨م) ويوسف البرم المقنع (٧٧٧ ـ ٨٠م) وعلي مزدك (٨٣٣ م) وبابك الخرمي (٨١٦ ـ ٨٣٨ م) كانت على (الأغلب) مرتبطة بذكرى أبي مسلم »(١٧٤) ، ومن المحتمل أيضاً أنهما تأثرا برأي صديقي « لاشك أن الخرمية جميعاً اعتبروه (أبا مسلم) كرئيس ديني »(١٧٥) ، لكن الخرمية كما شاهدنا من أقوال الطبري (عن خداش) وغيره موجودة في العصر الأموي ونشطت خلال العصر العباسي ، وقد أشار إلى ذلك لويس(١٧٦) والدوري(١٧٧) . فالخرمية سابقة لفترة رئاسة أبي مسلم للدعوة العباسية في إيران ، أما أن الحركات الخرمية في العصر العباسي الأول قد تأثرت لحد ما بدعايته(١٧٨) ، وترك مقتله انطباعاً سيئاً وخيبة أمل لدى الجماهير الناشدة تحسين أوضاعها الاقتصادية من قبل العباسيين فهذا أمر لا يحتمل الشك ، ولكن لايمكن بأي حال من الأحوال اعتبار مقتل أبي مسلم سبباً لظهور الخرمية إذ أن لهذه الفرقة برامج اجتماعية كانت تنشد تحقيقها . ولما ظهر زيف ادعاءات الخلفاء العباسيين وتنكرهم لمطالب الجماهير التي ساعدتهم في القيام بالدعوة ، وتحقق ذلك بمقتل أبي مسلم ، نشطت الانتفاضات الجماهيرية التي لعب الخرميون الدور البارز في تحريكها وقيادتها والمساهمة فيها لايستبعد استخدامهم لاسم أبي مسلم .

وجهت للخرمية تهمة الإباحة والمجون ولاشك أن تدقيق أقوال المؤرخين يوصلنا إلى أنه في إطلاقهم هذه التهمة لم يكونوا متأكدين تمام التأكد . فالمقدسي ، وقد زار مناطق الخرمية وناقشهم في مختلف القضايا ، يقول : ومن شاهدنا منهم في ديارهم ماسبذان ومهرجان قذق فانا وجدناهم في غاية التحري للنظافة والطهارة والتقرب إلى الناس بالملاطفة بتقديم الصنيعة ووجدنا منهم من يقول بإباحة النساء على الرضا منهن

وإباحة كل ما يستلذ النفس وينزع إليه الطبع ما لم يعد على أحد بضرر[١٧٩] . فالمقدسي ذكر «ووجدنا منهم من يقول» ولم يذكر المقدسي بأنه وجدهم يستبيحون النساء وإنما وجد منهم (ومنهم تدل على قسم منهم) هذا القسم يقول بإباحة النساء وعلى الرضا منهن . يخيل لي أن المقدسي لم يلمس أو يتأكد من التهمة التي أطلقها ويطلقها المؤرخون السابقون والمعاصرون له ، ولهذا لم يستطع نفيها في وسط ذلك الجو المحموم بالحقد والكراهية للخرمية وإلا عد مدافعاً عنهم ، ولهذا جعل كلامه مبهماً ويحتمل الشك بقوله (ووجدنا منهم من يقول) ، إن هذه المحنة التي وقع فيها المقدسي ، المطهر بن طاهر ، من جراء ترديده لأقوال أبي المنصور البغدادي ولأقوال أبي المظفر الاسفرائيني وغيرهما ، وقع فيها ـ المحنة ـ ابن الجوزي ، أبو الفرج ، ففي محاولة منه لطعن البابكية في سلوكهم وأخلاقهم ، مرددا لافتراءات ابن النديم والبغدادي والاسفرائيني ، لم يستطع تأكيد قوله ، ولهذا جاءت مقولته تحتمل الشك ومن ثم تكشف عن مقدار الجهد المبذول لاختلاق المثالب . لقد كتب أبو الفرج عن البابكيين (فقد بقي من البابكية جماعة يقال أن لهم ليلة في السنة ، تجتمع فيه رجالهم ونساؤهم ويطفئون السرج يتناهضون للنساء فيثب كل رجل منهم إلى امرأة»[١٨٠] . إن ابن الجوزي في ترديده لأقوال من سبقه في هذه الفرية لم يجد دليلاً واحداً على حدوث الإباحة حتى ولو مرة واحدة في السنة ، فلو كان قد عثر على دليل واحد لأطلق التهمة صراحة دون لبس أو إبهام -إن جملة ، يقال إن لهم ليلة في السنة ، لدليل على بطلان هذه التهمة لأن ابن الجوزي ، وهو من أشد المؤرخين عداء وبغضاً لهم ، لم يستطع الجزم بهذا المنكر . إن كلمة يقال تدل على احتمال وقوع الشيء أو عدم حدوثه ، أي تدل على عدم التأكد .

لقد كان الخرميون يحترمون حرية الاعتقاد ويكرهون سفك الدماء إلا إذا اجبروا على القتال ، كما وأنهم كانوا ميالين لجعل المنافع العامة مشتركة ما لم تسبب ضررا على الآخرين هذا ما يشهد به زائر مناطقهم ، المقدسي ، المطهر (وكل ذي دين مصيب عندهم إذا كان راجي ثواب وخاشي عقاب ولا يرون تهجينه والتخطي إليه بالمكروه ما لم يرد كيد ملتهم وخسف مذهبهم ويتجنبون الدماء جداً إلا عند عقد راية الخلاف)[١٨١] .

لقد سعت الخرمية إلى تحقيق المساواة وتعميم الاستفادة من المنافع العامة وتحرير مركز المرأة ، لذا واجهت قوى عديدة وقفت ضد تحقيق برامجها ، فالسلطة العربية (في العصر الأموي) والارستقراطية القبلية العربية (باستثناء العائلة العباسية) وقفت ضدهم والسلطة العربية والارستقراطية العربية والمحلية (في العصر العباسي) والفقهاء المسلمون ورجال الدين الزرادشتيون وقفوا ضد الخرمية لبرامجها الاجتماعية . ولما كانت غالبية الخرمية من الفلاحين ـ ذكر المسعودي عنهم : وأكثر هؤلاء في القرى والضياع[١٨٢] ، لهذا شغلت قضية الأرض المركز الأول في اهتمام الخرميين فكانوا يحررون الأرض من الاقطاعيين ليزرعها الفلاحون مشاعاً ، وكثيراً ما كانوا يؤلبون الفلاحين على سادتهم كما أخبرنا الطبري عن المازيار :وأمر أكرة الضياع بالوثوب بأرباب الضياع وانتهاك أموالهم[١٨٣] . ويحرضون جماعاتهم على عدم الخضوع لسلطة الخلافة والامتناع عن دفع الضرائب .

لقد ناصبت الزرادشتية ـ كما شاهدنا ـ المزدكية العداء السافر وفي العهود الإسلامية وجهت الزرادشتية عداءها ضد الخرمية وريثة المزدكية . ومع أنه لم يبق للزرادشتية من شأن يذكر في الحياة السياسية إلا أنه بقي لها النفوذ العقائدي وسط الذميين الإيرانيين ، أما الإسلام ـ وكان يمثله (بالنسبة للخرميين) رجال السلطة ومن التف حولهم من الملاكين المحليين الذين انتقلوا من الزرادشتية إلى الإسلام واعتنقوا مذهب الدولة السني[١٨٤] ، لأن الخوارج والشيعة مذاهب اسلامية مناهضة لسلطة الخلافة ، وكان الخرميون بدورهم ضد الزرادشتيين وضد المسلمين ، وكان الإسلام بالنسبة للثائرين دين الطبقة السائدة ، فكان اعتناق الثائرين للخرمية من سبيل المعارضة الثورية . لقد بين انكلز في تحليله الرائع لنضال الطبقات في القرون الوسطى عند دراسته لحرب الفلاحين في المانية بأن المعارضة الثورية كانت تتخذ أشكالاً مختلفة ، حيث كتب : «لقد استمرت المعارضة الثورية للاقطاع طيلة القرون الوسطى فقد اتخذت ، تبعاً للظروف الزمنية ، أشكالاً مختلفة ، فمرة كانت تتخذ مظهراً دينياً وأخرى شكل هرطقة مكشوفة وتارة تقوم بشكل انتفاضة مسلحة»[١٨٥] . فكانت الخرمية الإطار الايديولوجي للمناهضة الثورية ضد الطبقة السائدة وضد السلطة لان النزاع بين الخرمية وسلطة الخلافة كان بسبب تفاقم الجور والظلم والاستغلال الطبقي

والحكومي وقد أشار إلى ذلك بارتولد حيث ذكر بأن النزاع يخفي تحته مسألة الأرض[١٨٦] . ونعتقد بأن الخرمية كانت مناهضة للسلطة الإسلامية وليست ضد الدين الإسلامي كدين لأن الخرميين كانوا يعتقدون بحرية الأديان « وقد بنوا في جبلهم مساجد للمسلمين يؤذن فيها المسلمون وهم يعلمون أولادهم القرآن »[١٨٧] . واعترف المقدسي ، المطهر بن طاهر ، باحترام الخرميين لأصحاب الأديان[١٨٨] . لكن غالبية المؤرخين والفقهاء المسلمين اعتبروا الخرمية تريد الكيد للدين الإسلامي وتسعى إلى تحطيمه ، فالبيروني يقول عن المقنع إنه شرع لاتباعه (جميع ما أتى به مزدك) ، ويقول أبو الفرج ابن الجوزي (إن الثنوية والمجوس أرادوا إرجاع ممالكهم وإبطال الإسلام)[١٨٩] ، ويقول المقريزي عن الايرانيين : إنهم راموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى[١٩٠] . ولاشك أن انعدام امكانية معرفة الأسباب الاجتماعية والاقتصادية للحركات الثورية في ذلك العصر - وهذا طبيعي لمفكري ومؤرخي تلك الحقبة - بالإضافة إلى خوف المؤرخين من بطش الحكام والتفاف قسم من المؤرخين حول السلطة ولسيادة الأفكار الرجعية ولانحدار بعض المؤرخين والفقهاء الطبقي ، كل ذلك جعلهم يقفون ضد الحركة الخرمية . لقد سلكت جماهير الشعب المستغلة دروباً عديدة في سبيل تخلصها من الجور والاستغلال والاستبداد ، فالموالي لجأوا إلى الأحزاب والمذاهب الإسلامية الثائرة كالخوارج والشيعة[١٩١] ، وإلى بقية الجماعات المنتفضة ، راجية تخفيف الظلم والاضطهاد عنها . ولما كانت مناهج تلك الأحزاب - حتى العصر العباسي الأول - خالية من معالجة القضايا الاقتصادية ، نفضت الجماهير الشعبية أيديها من تلك الأحزاب وانسحبت منها لتنضم إلى الدعوة العباسية المحتوية على وعود لحل المشاكل الاجتماعية وتخفيف الضائقة الاقتصادية . ولكن تنكر العباسيين لمطالب القاعدة الاجتماعية التي اعتمدوا عليها ، بعد بلوغهم السلطة دفع تلك الجماهير لأن تقف ضد السلطة العباسية فالتجأت غالبيتها إلى الخرمية لتلتمس لديها السلاح الفكري[١٩٢] لنضالها ، ولما كانت غالبية المنتمين للخرمية من الفلاحين والعبيد وشغيلة المدن والرعاة فقد أثار هذا مخاوف الفقهاء ورجال الدين لأنها أخذت تجذب إليها الطبقات المستغلة وهم أغلبية ابناء الشعب ، لهذا صبوا جام غضبهم على هذه الفرقة ونعتوها بالإباحة والفسق وتبادل الزوجات وإحلال المحرمات . إن تهمة الإباحة ، التي ألصقت من قبل

بالمزدكية ، باطلة ومحاولة لتشويه احترام الخرميين لمركز المرأة المتدني ومنحها بعضاً من الحرية . إن أحداً منهم لم يتطرق إلى النخاسة التي كانت تهيىء الفسق والفجور والدعارة حيث كانت تمد الأغنياء المترفين بعشرات بل مئات وأحياناً ألوف الجواري اللواتي أوقعهن سوء طالعهن بأيدي النخاسين ، وكان للمالك حق التمتع بجواريه إضافة إلى نسائه . إننا نجد حتى اليوم من يمتدح الرق في ذلك العصر(١٩٣) . وأما مطالبة الخرميين بالعدالة في توزيع النساء ومنح المرأة الحرية في اختيار الزوج فقد اعتبرت من قبل خصوم الخرمية دعارة وإباحة ، وشبيه بهذا ما لاحظه لويس بالنسبة للحرية التي منحت للنساء الاسماعيليات حيث قال : وربما كانت هذه الحرية النسبية للنساء الاسماعيليات هي التي تمثلت لأعين أهل السنة المتعصبين دعارة محضة(١٩٤) . لقد بنى العلماء والفقهاء والمؤرخون أقوالهم على ما سمعوه من أن لدى الخرميين (البابكيين) ليلة في السنة يجتمعون فيها على الخمر والزمر ثم يطفئون الضوء ويذهب كل إلى امرأة ، هذا القول المروي دون جزم حتى لو فرض حدوثه لمرة واحدة في السنة فإن ذلك ينفي صفة الإباحة والدعر ، أما الفسق بالجواري المتكرر يومياً فذلك شأن آخر!! لقد كان هؤلاء المؤرخون (وعاظ السلاطين)(١٩٥) يجارون السلطة الحاقدة على كل حرية ، يلصقون التهم جزافاً ، ويعيد الباحثون (البرجوازيون) التهم نفسها على كل حركة اجتماعية (شيوعية حسب مفاهيمهم) لغرض الطعن بالشيوعية العلمية (الواقعية)(١٩٦) . فمولر يعتبر مشاعية الخرمية للزوجات النظرية الأساسية للشيوعية(١٩٧) ويتصور ولهاوزن أن شيوعية الزوجات التي كان دعا إليها مزدك (كذا!) قد أحيتها الخرمية والراوندية(١٩٨) ، وأما بروكلمان فيكتب بصورة المتأكد من أن خرمية جرجان أحيت العقائد الشيوعية المزدكية(١٩٩) . وصديقي بعد أن يرجع الخرمية إلى مزدك الاباحي يذكر عنهم أنهم بقوا يقولون باشتراكية النساء برضاهن(٢٠٠) وتجد ترديد قول صديقي لدى الدوري كثيراً(٢٠١) . وتجد لدى شريف(٢٠٢) ، ومصطفى شاكر(٢٠٣) ، وحسن ، حسن ابراهيم(٢٠٤) والشلبي(٢٠٥) ، والمؤرخين الارمنيين ليو(٢٠٦) ومانانديان(٢٠٧) ترديد أقوال المشاعية في الزوجات والشيوعية القديمة . ويشير بارتولد إلى أن الطبقات المعدمة القاطنة في جهات من منطقة اصفهان ظهر فيها حتى في العهد الإسلامي - ولكن باسم آخر - مذهب الشيوعية الذي كان في عصر الساسانيين(٢٠٨) .

الفعاليات والانتقاضات الخرمية:

قامت الشعوب المضطهدة ، في العصر الأموي بفعاليات وانتفاضات مختلفة ضد السلطة . لقد قامت بانتفاضاتها المحلية كما في ارمينيا وآذربيجان والتي ساهم فيها الارستقراطيون المحليون ، كما وساهمت الشعوب في انتفاضات وثورات قامت بها أحزاب وجماعات عربية ، مع الخوارج والشيعة وفي الدعوة العباسية ومع المختار وابن الاشعث والحارث ابن سريج وغيرهم . لقد ساهم الخرميون كافراد ولم يكن لهم الدور القيادي لأن الاستياء كان شاملاً غالبية سكان البلدان المحتلة ، فالارستقراطية المحلية وإن تحالفت[٢٠٩] ـ مؤقتاً ـ مع السادة العرب ، إلا أنها كانت تتضايق من سيطرة السلطة العربية وتتحين الفرص للانتفاض على الخلافة في أمل استعادة كامل نفوذها السابق[٢١٠] وتوسيع استغلالها للطبقات المستغلة[٢١١] التي دونها ، ولهذا فإن النضال في العهد الأموي لم تبرز أو تتميز فيه الصفات الطبقية ـ كما سنشاهد في العصر العباسي ـ لان الارستقراطيين المحليين ساهموا في انتفاضات الفلاحين والطبقات المستغلة الأخرى[٢١٢] ، لهذا كان دور الخرمية في القيادة والتوجيه ضعيفاً إن لم نقل معدوماً لأن التناقض البارز كان بين الشعب المحتل كمجموع والسلطة العربية والارستقراطية القبلية العربية .

لقد نشأت بين الارستقراطية القبلية العربية اختلافات ومنازعات حول السلطة ، وكانت هنالك أحزاب ومذاهب وجماعات[٢١٣] رفعت ألوية الكفاح بوجه السلطة فكانت هذه ملاذا للمضطهدين الذين كافحوا تحت رايتها ، وطبيعي أن تأثير الخرمية كان ضعيفاً في تلك القيادات . لقد كان الخرميون يعملون سراً لتهيئة الظرف المناسب فكانوا ينشرون مبادئهم العامة ، ولما نالت تلك التعاليم الانتشار استغلت من قبل دعاة الدعوة العباسية (عمار بن يزيد ـ خداش مثلاً)[٢١٤] ، وقد لاحظ ولهاوزن أن خداش أراد الاستفادة من تغلغل دعاية الخرميين وسط الجماهير[٢١٥] ، والدوري في اعتماده على نظام الملك وبراون وولهاوزن وصديقي[٢١٦] ، يلاحظ بأن الدعوة العباسية التي استغلت الخرمية وأدخلتها في صفوفها هي التي فسحت لها المجال في الظهور[٢١٧] .

ولما تنكر العباسيون لمطالب الشعب وأهملوا الوعود التي نادوا بها أبان دعوتهم ، لمست الجماهير مبلغ الاساءة الموجهة إليها بازدرائها وخداعها ، كما وازداد

الجور على المعدمين بتقريب الارستقراطيين الايرانيين ، الذين ذهبوا بعيداً في التعاون مع السادة الجدد ، وهذا ما وسع هوة الخلاف بين الارستقراطيين المحليين والجماهير الشعبية . لهذا حصل استقطاب من السلطة العباسية والارستقراطيين العرب والمحليين من جهة(٢١٨) والجماهير المستغلة من فلاحين وعبيد وحرفيين وكسبة وقبائل رحل من جهة ثانية ، وفي هذا الوسط برز الخرميون كقادة موجهين للانتفاضات ، وأصبحت تعاليمهم ومعتقداتهم الاطار الايديولوجي للانتقاضات التي سادت العصر العباسي الأول .

١ـ حركة سنباذ(٢١٩):

قامت هذه الحركة الشعبية تحت قيادة سنباذ في خراسان وشمال ايران وغربها في ١٣٧ هـ/ ٧٥٤م(٢٢٠) ، وهي حركة جماهيرية فلاحية ساخطة على الجور والظلم ، وكانت الغالبية العظمى من أتباعه ، كما يخبرنا الطبري(٢٢١) وابن طباطبا(٢٢٢) ، من أهل الجبال ، وهي المناطق التي يقطنها الخرميون ، وقد أشار المسعودي إلى ذلك (فاجتمعت الخرمية ـ حيث علمت بقتل ابي مسلم ـ بخراسان فخرج فيهم رجل يقال له سنفاذ من نيسابور يطالب بدم ابي مسلم...)(٢٢٣) ، والمسعودي هنا يتصور بأن السبب الرئيسي لقيام الخرميين هو مقتل ابي مسلم ، ولكن مصرع ابي مسلم كان أحد الأدلة على تنكر العباسيين لمطالب الشعب . وقد استطاعت الانتفاضة أن تستحوذ على منطقة واسعة من خراسان وامتدت إلى منطقة الجبال في غربي ايران(٢٢٤) واستولت على مدن رئيسة مهمة كنيسابور وقومس والري ، ولكن الخليفة أبو جعفر المنصور ـ ثاني خلفاء بني العباس ـ وقد شعر بجسامة خطر هذه الانتفاضة- أرسل جيشاً لجبا بقيادة جهور بن مرار العجلي والتقى الجيشان على طرف المفازة(٢٢٥) بين همذان والري حيث قتل ٦٠ ألفاً من المنتفضين وفر سنباذ مع البقية ، ولكنه قتل بين همذان والري . ويرى ابن خلدون أن بعض عمال صاحب طبرستان قتل سنباذا حينما لحق بطبرستان(٢٢٦) ، وهذا يدل ـ إن صح قول ابن خلدون ـ على تعاون الارستقراطيين المحليين مع السلطة ضد المنتفضين . وقد دامت الانتفاضة ٧٠ يوماً(٢٢٧) .

٢ ـ حركة استاذسيس:

قامت في (١٤٩ هـ/ ٧٦٦ م) شرق الخلافة (خراسان) حركة جماهيرية واسعة (عداتها ٣٠٠ ألف مقاتل)[٢٢٨] بقيادة استاذسيس[٢٢٩] ، معلنة سخطها واستياءها من جور السلطة واستبدادها ، وقد جردت الخلافة عليها حملة ـ بقيادة عسكري ماهر هو خازم بن خزيمة (يذكر ابن خلدون أنه كان مع خزيمة ٢٠ ألفا)[٢٣٠] ـ لم تستطع كسب النصر إلا بعد جهد ، بعد أن قتل من جماعة استاذسيس[٢٣١] ٧٠ ألفاً (يعدهم المقدسي ٩٠ ألفا)[٢٣٢] وأسر منهم ١٤ ألفاً[٢٣٣] (قتلوا جميعاً بعد الأسر) ثم استسلمت بقايا جيش الانتفاضة ، الملتجئة إلى الجبل ، مع قائدها وأخذوا أسرى وكانوا ٣٠ ألفاً[٢٣٤] ثم أطلق سراحهم بعد إعدام قائدهم استاذسيس .

٣ ـ حركة يوسف بن ابراهيم البرم[٢٣٥]:

التهبت في خراسان انتفاضة جديدة بعد مضي ١٠ سنوات من اخماد انتفاضة استاذسيس ، ففي عام ١٦٠ هـ/ ٧٧٦ م[٢٣٦] في خلافة المهدي بن المنصور ، قاد يوسف بن ابراهيم المعروف بالبرم انتفاضة عارمة تطالب بالمساواة والعدل[٢٣٧] ، ولجسامة خطر الانتفاضة طلب الخليفة من قائده يزيد بن مزيد الشيباني ـ والذي كان في حرب مع يحيى الشاري ، أن ينعطف[٢٣٨] على حرب يوسف البرم . وقد تيسر ليزيد التغلب على يوسف وجماعته فأسر يوسف وأرسله إلى الخليفة الذي أعدمه مع جماعته .

٤ ـ انتفاضة المقنع[٢٣٩]:

التهبت في خراسان (١٦٠ هـ/ ٧٧٦م)[٢٤٠] انتفاضة فلاحية شعبية امتد لهيبها إلى ما وراء النهر حيث أخمدت هناك (عام ١٦٣ هـ/ ٧٧٩م)[٢٤١] وتعرف باسم قائدها هاشم بن حكيم المقنع[٢٤٢] (كان يضع قناعاً على وجهه ، ويرى لويس بأن اعداءه يقولون ليستر قبحه وجماعته يقولون ليحجب النور الذي يشع منه)[٢٤٣] ، وقد انحدر هذا القائد من الحرفيين حيث كان قصارا للثياب[٢٤٤] ، وقد قاد انتفاضة شعبية بدأت في خراسان ثم انتقلت إلى ما وراء النهر حيث تمركزت في مدينة كش[٢٤٥] ، وكان لشمول برامج الانتفاضة على حلول أوسع من سابقتها لمشاكل الجماهير المستغلة أثر

في خطورتها وسعتها وطول مقاومتها)[٢٤٦] . ويمكننا تقدير شدة خطورتها من الحملة القوية الموجهة ضدها ومن الاتهامات الخطيرة التي اتهمت بها والتي ذكرنا سابقاً طرفاً منها ، وأقلها الاباحة المزدكية[٢٤٧] .

ولم تضم الانتفاضة خرمية ايران وما وراء النهر (تعرف خرمية ما وراء النهر بالمبيضة[٢٤٨] ذوي الاردية والاعلام البيض) فحسب ، ولكن ضمت رحّل الأتراك أيضاً[٢٤٩] . وكانت تسعى للتحرر ونزع الأرض من الاقطاعيين الموسرين وتسليمها للمشاعية الزراعية داعية للعدالة وتعميم الاستفادة من الممتلكات والمنافع العامة ، لذا كانت أهدافها تشكل خطراً جسيماً على الاقطاعيين وعلى سلطة الخلافة ، فما كان من الخلافة - وقد لمست حقيقة الأخطار من هذه الانتفاضة - إلا أن تجرد عليها حملة واسعة بقيادة سعيد الحرشي[٢٥٠] ، بعد فشل قادة سابقين ، وتيسر لسعيد محاصرة المقنع في قلعته قرب كش . وقد انتهت حياة القائد وعائلته وبعض رجاله المخلصين بالانتحار[٢٥١] ، وقد ظلت صورة الدفاع البطولي خالدة في أذهان جماهير ما وراء النهر عدة قرون[٢٥٢] .

٥- انتفاضة جرجان[٢٥٣]:

قامت جماهير جرجان المجاورة لما وراء النهر وخراسان ، بانتفاضة عارمة (١٦٢ هـ/٧٧٨م) أيام كانت الانتفاضة المقنعية مستعرة في ما وراء النهر ، وغالبية المساهمين في انتفاضة جرجان من الفلاحين ، من الخرمية المعروفين بالمحمرة لارتدائهم الاردية الحمر واتخاذهم اللون الأحمر شعاراً لهم ، وهذه هي المرة الأولى التي تستخدم فيها جماهير الشعب الفلاحية اللون الأحمر في انتفاضها ضد الاقطاع[٢٥٤] قاد هذه الانتفاضة شخص يدعى عبد القهار الذي استطاع أن يحرر جرجان[٢٥٥] ، فما كان من الخليفة إلا أن طلب[٢٥٦] من قائده عمرو بن العلاء ، الذي كان في طبرستان ، أن يغزو جرجان ويقضي على تلك الانتفاضة التي شملت تلك البلاد . فغزا عمرو بن العلاء جرجان من طبرستان وقضى على الانتفاضة وقتل عبد القهار وجماعته . يتفق الدينوري واليعقوبي والطبري وابن الاثير وأبو الفداء على أن خروج المحمرة كان في (عام ١٦٢هـ(٧٧٨م)) جرجان ، ويخالفهم المقدسي إذ يعتبر الحوادث في خراسان ويسمي

قائدهم باسم عبد الوهاب[٢٥٧] . ويخطىء بروكلمان حينما يعتبر قيام المحمرة في عهد الرشيد[٢٥٨] .

٦ـ انتفاضة خرمية اذربيجان:

وفي أيام الرشيد (عام ١٩٢ هـ/ ٨٠٧م[٢٥٩]) انتفض خرميو اذربيجان بوجه السلطة فأرسل الخليفة هارون الرشيد جيشاً تعداده ١٠ آلاف فارس[٢٦٠] بقيادة عبد الله بن مالك وقد استطاع عبد الله أن يدحر الخرميين ويسوق الأسرى إلى قرميسين[٢٦١] (كرمنشاه) حيث كان الخليفة يستجم هناك ، فأمر الخليفة بقتل الأسرى وبيع السبي ، ويقدر المقدسي عدد الذين قتلوا في المعركة بحوالي ٣٠ ألفاً[٢٦٢] .

هذه هي أهم الانتفاضات السابقة لانتفاضة البابكية ، وهناك رواية ينفرد بها ابن النديم عن رجل اسمه اسحاق الترك ذكر عنه انه كان من أهل ما وراء النهر وظهر في خرمية ما وراء النهر ، كما ويذكر عنه أنه ربما كان داعية لأبي مسلم دخل بلاد ما وراء النهر فسمي بالترك[٢٦٣] . ولقد اعتمد على هذه الرواية كل من براون ، وبارتولد ولويس والدوري[٢٦٤] . ولاشك أن انفراد ابن النديم وتضارب آرائه يدعوان إلى التردد في الأخذ بها .

قامت انتفاضات الخرمية في أزمان مختلفة وأماكن متعددة ضد الخلافة وضد الارستقراطيين المحليين وقد تيسر للسلطة بمعاونة الارستقراطيين القضاء على تلك الانتفاضات المنفردة ، ولو توحدت جهود الخرميين وتهادنوا مع الارستقراطيين المحليين لربما استعصى على الخلافة اخماد انتفاضاتهم .

د ـ أهم التهم التي الصقت بالمبادىء والحركة البابكية

وجهت نحو البابكية ـ نتيجة نضالها المرير وكفاحها الطويل وخطرها الجسيم ـ اقبح النعوت والصفات ، وكل ما قيل في ماني ومزدك وما قيل في خداش وسنباذ والمقنع أطلق على بابك وجماعته الخرمية (المحمرة) مع إضافة تهم وأباطيل جديدة . فاتهم البابكيون بالإباحة والدعارة والفسق ـ حيث لهم ليلة حمراء ـ[٢٦٥] وانهم دعوا إلى مشاعية النساء ونهب الأموال ، وانهم قتلة سفاكون ومجرمون قطاع طرق حيث ينهبون ويحرقون البيوت[٢٦٦] في القرى والمدن ويسلبون المارة والمسافرين

والحجاج[٢٦٧] ، ويقولون بتناسخ الأرواح وبالحلول (حلول جزء من الآلهة في شخص ما) وبالرجعة ، وهم ملاحدة زنادقة ثنوية كفرة . ورغم أن قسماً من المؤرخين قد زار مناطق الخرمية واحتك وناقش الموجودين منهم (كالمسعودي والبغدادي والمقدسي (المطهر بن طاهر) وياقوت الحموي) فإن كتاباتهم تحتوي على تهم وأباطيل الآخرين ، فالمسعودي يشير إلى أنهم ينتظرون عودة الملك فيهم وخلع الإسلام[٢٦٨] ، والمقدسي يقول عن بابك « وأخذ بالتمثيل بالناس والتحريق بالنار والانهماك بالفساد وقلة الرحمة والمبالاة » . وبالرغم من أن المقدسي ذكر عن الخرمية انهم قوم مسالمون يتحرون النظافة والطهر[٢٦٩] فهو لا يتورع من اتهام بابك بسفك الدماء حتى أوصل عدد ضحاياه إلى مليون ثم تراجع قليلاً وجعلهم أكثر من ربع مليون[٢٧٠] ، ولا يكتفي بهذه التهمة فيوجه إليه تهمة الفسق والفجور والاعتداء على أعراض أسراه « وكذا كان الملعون يفعل بالناس إذا أسرهم مع حرمهم »[٢٧١] ، أما البغدادي فيرى بأن دعوة بابك كانت تدعو إلى استباحة المحرمات ، ومن ثم يشير إلى أنه كانت « للبابكية في جبلهم ليلة عيد يجتمعون فيها على الخمر والزمر وتختلط فيها رجالهم ونساؤهم ، فإذا أطفئت سرجهم ونيرانهم افتض فيه الرجال النساء على تقدير من عز بز »[٢٧٢] ، وتجد تكرار هذه الفرية لدى الاسفرائيني[٢٧٣] وابن الجوزي[٢٧٤] ، وأما المقدسي فيقول إنه وجد بين الخرمية من يقول بإباحة النساء برضائهن[٢٧٥] .

هذه التهم قد أخذ بها مؤرخون متأخرون ومؤلفون معاصرون ونفى قسم من المؤلفين هذه الأباطيل . فجوزي وان رجح وجود ليلة مرح يجتمعون فيها للهو إلا أنه نفى افتضاض الرجال للنساء في تلك الليلة[٢٧٦] ، وبونيياتوف في معرض رده على أولئك الذين يفترضون وجود مشاعية الزوجات لدى الخرمية باستنادهم على رواية الاسفرائيني ، قد بين : أن مشاعية الزوجات حسب ما جاءت في رواية الاسفرائيني (لوحظت عند الخرميين فقط) في ليلة واحدة من ليالي السنة ، وهذا الأمر وحده ينفي نفيا باتا أي نوع من أنواع الفسق وأي نوع من أنواع مشاعية الزوجات[٢٧٧] . ولقد بينا في ردنا على أقوال المقدسي[٢٧٨] وابن الجوزي[٢٧٩] بأن هذه التهم مطعونة لأنها موضوعة من قبل المؤرخين المعادين للحركة فلم تكن أقوالهم دامغة الحجة قوية الاسناد وإنما مبنية على (قول جماعة منهم ، ويقال أن لهم) . ان احترام مركز المرأة ومنحها

بعض الحقوق البسيطة قد جلبا سخط الطبقة الحاكمة والمؤرخين المتزلفين لها بالإضافة إلى مقتهم للمنتفضين وهكذا لفقوا ذلك الاجتماع الماجن الداعر ونشروا الأكذوبة على الملأ لتشويه نضالات الشعب الثائر ، إذ لا يعقل أن يقوم الناس بذلك المنكر ، على فرض اجتماعهم في ليلة العيد تلك ، حتى في أدنى المجتمعات المتأخرة . ان تهمة الاباحة قد رددها المؤرخون دون روية وتفكير وبدافع الحقد والكراهية وبسبب الخوف من السلطة والتزلف لها .

أما التهم الأخرى فتجدها موزعة بين مختلف المصادر ، فالطبري كتب عن بابك : وادعى أن روح جاويدان دخلت فيه (أي التناسخ) وأخذ في العبث والفساد[٢٨٠] . وقد اتهم الدينوري بابك بقتل من حواليه[٢٨١] بالبذ ، ومن أجل ذلك اعتبر ابن النديم ان بابك احدث في مذاهب الخرمية القتل والغصب والحروب والمثلة[٢٨٢] ، وقد قال ابن النديم عن بابك انه كان يقول لمن استهواه انه اله[٢٨٣] ، ويتصور المقريزي أن بابك مع بقية الثائرين كان مدفوعاً بالحقد على الإسلام ويرمي كيد الاسلام بالمحاربة[٢٨٤] ، وقد أشار الذهبي إلى أن بابك أراد أن يقيم ملة المجوس[٢٨٥] . وهذه الأقوال تستند إلى رسالة مشكوكة مرسلة من أخي الافشين إلى أخي المازيار - يرويها الطبري - جاء فيها « يعود الدين إلى ما لم يزل عليه أيام العجم »[٢٨٦] ولاشك أنها موضوعة من أجل التنكيل والقضاء على الخصوم بحجة محاربتهم الدين الإسلامي . ومثل هذه الرسالة القول المدسوس على لسان زوجة جاويدان في مخاطبتها الخرمية عشية المناداة ببابك قائداً عليهم خلفاً لزوجها القائد المتوفى : بأن بابك سوف يرد المزدكية[٢٨٧] ، فالوضع في هذا القول واضح وإلا ماذا تعني بقولها سوف يرد المزدكية ؟ والخرمية فرقة متطورة من المزدكية . لقد اجهد مؤرخو القرون الوسطى أنفسهم في كيل التهم للمنتفضين البابكيين ولم يتورع مدعو تطبيق البحث العلمي للحوادث التاريخية من مؤلفي العصر الحديث من اجترار التهم السابقة رغم تأكدهم من انها عارية عن الصحة وملفقة ، فيقول العالم الانكليزي سيل عن بابك إنه ادعى النبوة وأسس دين الفرح الذي يعني كلمة خرم[٢٨٨] ، ويرى ميور أن بابك بشر بدين غريب كان يدعو إلى زواج المحرمات وتناسخ الأرواح وإلى مبادىء أخرى للصوفية الشرقية[٢٨٩] ، أما رايت فيعتقد أن الخرميين متساهلون في حياتهم الجنسية ولكن برضى النساء[٢٩٠] ، وبعد أن يكرر

الدوري كل ما كتبه المؤرخون وما جادت به قرائح المؤلفين المعاصرين يتوصل إلى أن غاية البابكية هي ضرب السلطان العربي والدين الإسلامي[٢٩١] (أسباب عنصرية وطائفية ؟) ، ويضيف إليها (نادت بالانفصال الصريح ودعت لامجاد ايران الساسانية)[٢٩٢] ، وهو يعلم جيداً أن بابك اذربيجاني وأن الخرمية وغالبيتهم من الفلاحين يمقتون العائلة الساسانية لاضطهادها أسلافهم الآذربيجانيين ولتنكيلها بالمزدكيين . ولابد أن الدوري اعتمد في تصويره لغاية البابكية بضرب السلطان العربي والدين الاسلامي (كذا!) ، على قول جوزي عن الحركة (أن الغاية الكبرى من هذه المؤامرة هي سحق السلطة العربية في تلك البلاد والقضاء على الإسلام وأهله)[٢٩٣] وبالرغم من أن جوزي أنكر أن يكون غير الهدف الاجتماعي والاقتصادي من أهداف أخرى في برامج البابكيين[٢٩٤] ، إلا أن قوله السابق قد استغل من قبل الدوري كثيراً . ويرى شلبي أن بابك رئيس للخرمية التي هي إحدى طوائف الفرس التي تعيث في الأرض فساداً وتخيف السبيل وتبيح الحرمات[٢٩٥] . وبالرغم من الأخطاء الواردة في قول شلبي (كقوله إحدى طوائف الفرس) فليس فيها من جديد على تهم الطبري والدينوري . ويرى رستم بأن الخرمية عاثت في البلاد فساداً بقيادة بابك في عهد المأمون[٢٩٦] ، وقد لخص أحمد ، محمد حلمي محمد ، أقوال جميع المؤرخين في اتهامهم للبابكية[٢٩٧] ، وبكل هوس يرى شريف (بأن آراء مزدك في شيوعية الأموال وإباحة النساء)[٢٩٨] قد وجدها (شائعة قوية الشيوع بين الزنادقة والشعراء والأدباء وبين جماعة الحركة اتباع أبي مسلم الخراساني وابنته فاطمة وبابك الخرمي)[٢٩٩] ، ويرى العدوي أن حركة بابك اتجهت إلى تحويل السلطة من العرب إلى الفرس[٣٠٠] ، ويحسب زيدان ، عبد الكريم ، خطأ ، البابكية من فرق المجوس ويتهمهم (وهم «البابكية» شر طوائفهم «يقصد المجوس» لا يقرون بخالق ولا معاد ولا نبوة ولا حلال ولا حرام)[٣٠١] . وجل الجهد المبذول من المؤلفين المحدثين هو توجيه أنظار القراء إلى أن طبيعة الحركة عنصرية طائفية ترمي إلى تحويل السلطة من العرب إلى القائمين بها وتحطيم الإسلام ، ولتشويه النضال الجماهيري بتهمة الاباحة والفسق واعتبار ذلك سبة للشيوعية العلمية لاعتبارهم تلك الانتفاضة (شيوعية) ويحاولون أخفاء الصراع الطبقي الذي خاضه المتنفضون ، إنهم يحاولون صرف الانظار عن مشكلة الأراضي ومعالجة الخرميين لها .

٢ ـ التنظيمات البابكية

أ ـ المشكلة الفلاحية ومعالجة قضية الأراضي

بدأ الاقطاع يسير بوتائر أسرع ، قبيل انتهاء الفترة الأولى من الحكم العباسي ، بعد التلكؤ الذي أصاب سيره فأخذت تتوضح أكثر شروط التملك الاقطاعي للأرض وذلك نتيجة ضعف السلطة المركزية ونشوء الإمارات شبه المستقلة ، وكنتيجة لذلك ازدادت القيود الاقطاعية فازدادت حالة الفلاحين سوءاً مما حدا بهم للمساهمة الفعلية في انتفاضات الخرمية تحت أهداف تنحصر في أخذ الأراضي الواسعة من الاقطاعيين وتوزيعها على مجموعات فلاحية تزرعها مشاعاً ، وفي التحرر من دفع الضرائب (وكان عمال الخليفة في الأمصار ـ كما شاهدنا ـ يتفننون في التعسف عند أخذها) ، وفي المساواة العامة ، أي أنهم كانوا يسعون للتخلص من التبعية الاقطاعية والتسلط الحكومي وقد أصبحا (الاستغلال الاقطاعي والجور الحكومي) من الثقل إلى درجة يتعذر السكوت عنها . ولاسيما إذا كانت هنالك أفكار تناهض الجور والظلام والاستغلال ، وهنالك أناس يسعون إلى تحرير أبناء طبقتهم منها . قالت زوجة جاويدان ـ حسب رواية الفهرست ـ عشية المناداة ببابك قائداً للخرمية خلفاً لزوجها القائد المتوفى : ـ إن بابك (سيبلغ بنفسه وبكم أمرا لم يبلغه أحد ولا يبلغه بعده أحد ، وأنه يملك الأرض ويقتل الجبابرة ويرد المزدكية ويعز به ذليلكم ويرتفع به وضيعكم)[٣٠٢] ، فهي كانت تتوسم في الشاب الجريء القيادة الحكيمة والإمكانية الجيدة التي تؤدي إلى (تملك الأرض) أي أخذ الأراضي من الملاكين الاقطاعيين بعد القضاء عليهم (ويقتل الجبابرة) وذلك بفضل التعاليم الخرمية حيث يصبح الضعفاء (الفلاحون العبيد الحرفيون) أعزاء أقوياء (ويعز به ذليلكم) كما وتؤدي التعاليم التي يطبقها بابك إلى رفع مكانة أبناء الشعب المحتقرين المهانين (ويرتفع به وضيعكم) ، لهذا فإن مساهمة الفلاحين في انتفاضات الخرمية ومنها البابكية قررتها مصالحهم الطبقية ، فكانوا المعين الذي لا ينضب بالنسبة للانتفاضات . ولما كان قادة الانتفاضات الخرمية شاعرين بالجور والاستغلال الاقطاعي لكونهم منحدرين من وسط الشغيلة ، لهذا أولوا المسألة الزراعية ومشكلة الأراضي الأهمية الأساسية في برامجهم ـ ويؤسفنا أننا لم نعثر على برامجهم ،

إذ أن ما كتب عن الخرمية وما حفظ من حوادثهم إنما يقتصر على ما ورد في المصادر المعادية لهم[٣٠٣] ـ فهناك إشارات عديدة في مصادر مختلفة تظهر ما ذهبنا إليه ، فالطبري أشار إلى أن المازيار أصبهبذ طبرستان[٣٠٤] ، وقد أخذ بتعاليم الخرمية وبشر بها في منطقته وكاتب بابك ، (أمر أكرة الضياع بالوثوب بأرباب الضياع وانتهاب أموالهم)[٣٠٥] ، وأكرة الضياع ـ هم الفلاحون .

وإن القول المنسوب إلى زوجة جاويدان ـ إن صح ـ فهو يعني بصراحة رفع مكانة الشغيلة وفي مقدمتهم الفلاحون (يعز به ذليلكم ويرتفع به وضيعكم) وكيف يعز الذليل ويرتفع الوضيع ؟ طبعاً بالقضاء على الارستقراطيين (بقتل الجبابرة) والاستيلاء على أراضيهم (بملك الأرض) ، وقد أشار جوزي[٣٠٥] ، وتاريخ إيران[٣٠٦] ، إلى انتقال الأراضي إلى ملكية المشاعية الزراعية . ويرى لويس أن ذلك أدى إلى تشجيع الفلاحين على الانضمام إلى الحركة ، ويرى لويس أيضاً أن بابك (كسب أيضاً مناصرة بعض الدهاقين وهم الطبقة الفارسية الحاكمة « لامعنى لكلمة ـ الحاكمة ـ هنا مطلقاً » وكان هؤلاء قد انحطت منزلتهم عندئذ وأصبحت لا تفوق منزلة الفلاحين العاديين إلا قليلاً)[٣٠٧] . إن انتماء هؤلاء الملاكين ليس بسبب انحطاط منزلتهم كما يتصور لويس وإنما بسبب تخوفهم من غضبة الفلاحين ولعدم تمكنهم من الوقوف بوجه التيار العارم ، ولهذا نجدهم ينقلبون إلى الجانب الآخر في أول انتكاسة تصيب الانتفاضة ، حيث شكلوا الخطر الجسيم على الحركة بأجمعها ، وقد أشار إلى ذلك بيلاييف واعتبر ارتدادهم خيانة للثائرين[٣٠٨] . والدوري في اعتماده على نصوص من الطبري والبغدادي وجوزي أيد توزيع أراضي الملاكين الكبار على الفلاحين ولكنه يعلل أخذ الأراضي من الملاكين الكبار لأنهم حلفاء العباسيين (وهواهم مع المسودة)[٣٠٩] فهو يرى بأن العامل السياسي كالعامل الاقتصادي له أثره في ذلك الاستيلاء .

إن الدوري وإن اعتمد ولاشك على قول بارتولد بأن أصحاب الأراضي هم (حلفاء العرب)[٣١٠] ، لكن الدوري يعلل الاستيلاء عنصرياً وهو كره الخرميين للعباسيين . ولكن إذا لم يكن هوى المالكين مع العباسيين إلا توزع أراضيهم ؟ لقد لاحظ جوزي ـ الذي يضفي ، خطأ ، على حركة البابكيين الفلاحية مسميات حديثة كالحزب الشيوعي[٣١١] والحركة الشيوعية[٣١٢] والحركة الاشتراكية[٣١٣] ـ أن سوء الأوضاع

الاقتصادية وتردي حالة الفلاحين قد دعت المصلحين (من مزدك إلى بابك)[٣١٤] إلى التفكير في نزع الأراضي من الملاكين وتوزيعها (على الفلاحين بالتقسيط)[٣١٥] .

ولست أرى سبباً لحشر اسم مزدك فيما يخص أراضي اذربيجان كما وأن توزيع الأرض كان يتم على مجموعات يزرعونها مشاعاً وليس بالتقسيط . لقد كانت معالجة قضية الأرض من أهم القضايا التي عالجتها الحركة البابكية وقد اقتضتها مصلحة الشعب المستاء المرهق المستغل ، لذا لعبت الحركة الخرمية دوراً تقدمياً .

ب ـ وضع المرأة في المجتمع وتحريرها

لقد أعار البابكيون قضية المرأة أهمية تستحق الذكر والتقدير فلقد وجدوا أن المرأة قد تدنى وضعها ولحقها الازدراء والاحتقار واستصغار الشأن واستغلت أبشع استغلال حيث أصبحت بعداد السلع تباع وتشترى ويرميها الشاري في ركن من أركان بيته لايعير شعورها وإحساسها أدنى اهتمام . ولهذا انحطت المرأة وتأخرت وأصابها الجهل فأصبحت فاقدة لكرامتها وإحساسها ولاتفهم مركزها ولا تفكر بتحقيق رغباتها . فكر الخرميون ـ ولاشك ـ بكل هذا الذي أصاب المرأة الشرقية وكذلك فكر بابك كما فكر به من قبل المزدكيون ومزدك ، فحاولوا تحسين وضع المرأة ورفع مكانتها المتدنية ومنحها قليلاً من الحرية التي فقدتها منذ زمن طويل . وقد أثارت محاولتهم تلك حفيظة المؤرخين والفقهاء ، وقد أشرنا إلى ذلك سابقاً ، ولكن الحقائق لا يمكن سترها بغربال ولابد أن تظهر ، وحتى بين طيات المصادر ، لتشهد على مبلغ احترام البابكيين للمرأة واهتمامهم بمركزها والعناية بها ، ذكر الطبري عن الأسرى الذين حرروا يوم الانتصار على بابك (واستنقذ ممن كان في يده من المسلمات وأولادهم سبعة آلاف وستمائة إنسان)[٣١٦] ، إن هذا العدد الغفير من النساء وأولادهن قدم شهادة طيبة بحق بابك والبابكيين حيث ذكروا بأنه أحسن إليهم إيما احسان فقد ذكر الطبري ـ بعد أن وصف أسر بابك وذكر بأنه جيء به إلى الافشين ، قائد جيش الخلافة حيدر بن كاؤوس الاشروسني ـ فأمر القائد (ثم قال انزلوا به إلى العسكر فنزلوا به راكباً ، فلما نظر النساء والصبيان (المحررون) الذين في الحظيرة إليه لطموا على وجوههم وصاحوا وبكوا حتى ارتفعت اصواتهم ، فقال لهم الافشين : انتم بالأمس تقولون أسرنا

وأنتم اليوم تبكون عليه عليكم لعنة الله ، قالوا كان يحسن الينا)[٢١٧] . من هذه الحقيقة التي أوردها الطبري يمكننا معرفة مدى اهتمام بابك والبابكيين بالنساء ، حتى ولو كن أسيرات ، وهذا يناقض جميع أقوال المؤرخين الذين قالوا بإباحة النساء فلو كان ذلك صحيحاً فمن المنتظر أن يطبقوها على الأسيرات قبل نسائهم وذلك ميسور لهم وتبيحه شرائع ذلك العصر ، ولما لم تطبق الاباحة على الاسيرات الفاقدات للحرية ، بل بالعكس أحسن اليهن بشهادتهن أمام الأفشين (وهذه برأيي خير تزكية يقدمها الطبري رغماً عنه) ، لذلك تنهار فرية إباحة نسائهم .

ويعطينا ابن النديم صورة جيدة عن مكانة المرأة لدى البابكيين ومدى احترام رأيها وتقديرها ، حينما يصف حفلة المناداة ببابك قائداً للخرمية بعد وفاة سلفه القائد جاويدان حيث جلست زوجة القائد المتوفى الشابة في مجلس عام وبجانبها جلس بابك ، وأعلنت لهم رغبة زوجها في اختيارهم بابك قائداً عليهم ليكون خلفاً له ، ثم تناولوا الطعام والشراب حسب المراسيم الاحتفالية الخاصة بهم ، (... ثم أحضرتهم الطعام والشراب ، وأقعدته على فراشها وقعدت معه ظاهرة لهم فلما شربوا ثلاثاً ثلاثاً أخذت طاقة ريحان فدفعتها إلى بابك فتناولها من يدها وذلك لتزويجهم)[٢١٨] نلاحظ بأن المرأة تقدم لمن ترغب في الزواج منه غصنا من الريحان ، وهذا دليل على مدى احترام البابكيين لرأي المرأة وتقدير رغبتها ومنحها الحرية في اختيار شريك حياتها . هذه الحرية كانت فوق مدارك علماء وفقهاء ومؤرخي ذلك العصر حيث اعتبروها دعارة وفسقاً وإباحة .

وترانا مضطرين للعودة إلى قول المقدسي (ووجدنا منهم من يقول بإباحة النساء على الرضا منهن)[٢١٩] لمناقشته حيث نجد المقدسي لم يستطع إثبات هذه التهمة إذ لو كانت الإباحة حقيقية واقعة لقال : ـ وجدنا الإباحة ، أو وجدنا منهم من يقول أو يفعل الإباحة . ولكن المقدسي ذكر ووجدنا منهم من يقول بإباحة النساء ، فهو يذكر بأنه وجد من الناس من يقول بإباحة النساء ، وهؤلاء أولاً قلة لأنه قال عنهم (وجدنا منهم) وكلمة منهم تعني بعضاً منهم وليس كل الناس ، فلو كان الشيء عاماً أو تمارسه الأغلبية لقال : (وجدناهم) ، وثانياً لا يستبعد أن يكون هؤلاء الـ (منهم) من السفلة والمنحطين والمستهترين ، وهؤلاء لا يخلو منهم أي مجتمع وهم لا يعكسون بكل

الأحوال أخلاق المجتمع الذي يعيشون فيه ولا يمكن أن تضفي طرز حياتهم على الحركات الثورية ، وقد لاحظ ذلك الطبري بالنسبة للحركة المزدكية (فافترض السفلة ذلك واغتنموه وكاتفوا مزدك وأصحابه وشايعوهم فابتلى الناس بهم)[٣٢٠] ، وثالثاً قال المقدسي (من يقول...) وهذا القول يدل على رغبة القائلين (وهم قلة) ولا يمكن اعتباره دليلاً على حدوث الشيء أو تعميمه على المجتمع لأنه مجرد رغبة من يقول من القلة . لقد تكلم المقدسي عن المتأخرين من الخرمية ولكن كلامه كثيراً ما استخدم ضد البابكيين من قبل مؤرخين متأخرين . وللمقدسي رواية أخرى يطعن بها ببابك صراحة ، وهي رواية ضعيفة موضوعة ومرتبكة ، ومفادها أن بابك طلب من سهل بن سنباط أن يطلق سراحه فرفض سهل وعمل الفاحشة مع أم وزوجة وأخت بابك بين يديه ، ويعلل المقدسي هذا العمل الشنيع لأن بابك ـ حسب رأيه ـ كان يفعل ذلك بأسراه (وكذا كان الملعون يفعل إذا أسرهم مع حرمهم)[٣٢١] ، وقد نقل ابن العبري عنه هذا القول وأشار بأن الأرمن فعلوا بعائلة بابك بين يديه[٣٢٢] ، وقد أشرنا سابقاً إلى ضعف هذه الرواية لأن أم بابك وزوجته وأخاه معاوية قد وقعوا أسرى بعد هروبهم بقليل ونجا بابك وأخوه عبد الله وغلام لهم ودخلوا أرمينيا منفردين دون نساء[٣٢٣] ولأن فرية الاعتداء على الأسيرات قد فندناها اعتماداً على رواية الطبري في حسن معاملة الأسيرات .

ج ـ أمور عامة

١ ـ الحريات العامة:

كانت للبابكيين نظرة خاصة نحو الحرية ، فهم كانوا يحترمون الحرية الشخصية التي لا تسبب الضرر للآخرين ، ولهذا فإن الحرية المطلقة في التملك الشخصي لم تكن مباحة لأن هذا الحق في التمتع بالحرية الواسعة ، دون قيد ودون تحديد ، يجلب الضرر للآخرين ، إذ يغدو صاحب الملك الواسع مستغلاً للاخرين ويلحق بهم الضرر الفادح وعلى هذا الأساس عمد البابكيون ، كسائر الخرميين ، إلى تعميم الاستفادة من المقتنيات العامة . ولقد عبر المقدسي عن مفهوم الحرية العامة التي منحت للخرميين خير تعبير (رغم أنه شوهها بكلمة إباحة) حينما ذكر بأنها مشروطة بعدم الضرر

بالآخرين حيث ذكر : ـ وإباحة كل ما يستلذ النفس وينزع إليه الطبع ما لم يعد على أحد بالضرر(٢٢٤) . فإذن لم تطلق الحرية للتملك الفردي سواء للمقتنيات العينية أو للنساء وإنما حددت هذه الحرية بما يعود بالخير على المجموع .

هذه الحرية المقيدة أو تقييد حرية التملك لم تكن ملائمة مرحلياً وغير مألوفة لذلك العصر وسابقة لأوانها حيث أن العصور الوسطى طغت فيها الحرية الواسعة للاستغلال الكبير ، حرية أفراد قلائل في استغلال شامل لجماهير الشعب المعدمة المسلوبة الحرية . ولقد كانت مساعي الخرميين ، ومنهم البابكيين ، محاولات في قلب تلك الأوضاع التي كانت سائدة ، أي اعطاء الحرية الواسعة للجماهير الغفيرة في التملك العام وحرمان (أفراد قلائل من حرية التسلط والاستغلال . إن هذه المحاولات وتطبيقها كانت غريبة ومناقضة لمقتضيات التطور التاريخي والظرف الزمني ولما ألفه الناس ولهذا لم يستسغها الأعداء الطبقيون ومفكرو العصور الوسطى ولم يتورعوا باتهامهم بشتى التهم ، ومع ذلك فقد وردت بين طيات مؤلفاتهم أخبار تشير إلى الحريات التي منحوها للأفراد وإلى احترامهم لحرية المعتقد ، فأصحاب الأديان المختلفة أحرار في ممارسة طقوسهم وشعائرهم وقد شهد بذلك البغدادي حول بناء المساجد في ديارهم يؤذن فيها المسلمون ويعلمون أولادهم القرآن(٢٢٥) ، وقد أشار المقدسي(٢٢٦) إلى موقف الخرميين من أصحاب الأديان بأن الخرميين (لا يرون تهجينه « كل ذي دين » والتخطي إليه بالمكروه ما لم يرمْ كيد ملّتهم وخسف مذهبهم)(٢٢٧) . لقد منحت البابكية الناس البسطاء ، في المناطق التي حررتها ، حرية العمل في المزارع المشاعة وحرية الاستفادة من المرافق والثروات العامة وحرية الزواج بمن يشاؤون وحرية العبادة (وكل ذي دين مصيب عندهم)(٢٢٨) ، وكان للمرأة حرية العيش بهناء وسعادة دون تحكم السادة الرجال . لقد كانت للخرميين ومن ثم للبابكيين مثل سعوا إلى تحقيقها بقدر ما تيسر لهم ، وقد دفعتهم تلك المثل إلى أن يوسعوا نظرتهم للناس فيحسنوا المعاملة مع المسالمين غير المستغلين منهم ، وبهذا منحوا حرية المعتقد لمن شاركهم السكن وشملت معاملتهم الطيبة الأسرى من أعدائهم كما شهد بذلك الطبري عن حسن معاملة بابك لأسيراته من النساء المسلمات والصبيان الذين معهم ، وكان في إمكان بابك إذاقتهم مر العذاب ولكنه لم يفعل لا خوفاً ولا مصانعة ، ولكن بدافع من شعوره الإنساني الذي

كان يدفعه لجلب الخير للناس الضعفاء المغلوبين سواء كانوا ايرانيين أم عرباً ، آذربيجانيين أم أرمناً وسواء كانوا مسلمين أم خرميين أم مسيحيين ، لقد تحلى هو وغالبية أتباعه بمبادىء الخرمية الداعية لسيادة الخير على الشر وطرد المستغلين الجالبين الشقاء والتعاسة لبني البشر .

٢ ـ العبادة:

ما هي العبادة والتعاليم الدينية التي كان يمارسها الخرميون ومنهم البابكيون ؟ هذه القضية كسابقاتها ـ قضية البرامج ـ من أعقد المشاكل التي تواجه الباحثين لانعدام المصادر الخرمية والمحايدة من جهة ولأن غالبية الذين كتبوا عن الخرمية ألصقوا بهم التهم التي تكرّههم بأعين معارضيهم فوصفوهم بالإلحاد والزندقة واعتقادهم بالحلول والتناسخ واعتبار رؤسائهم انبياء ونعتوهم بالمروق والكفر ونكران الله وبالثنوية وخلاف ذلك وصفوهم أيضاً بالنسك والطهارة والتقشف والزهد والامتناع عن زهق الأرواح . لهذا يتعذر تحديد ديانة ومعتقد الخرميين من هذه الصفات المتناقضة . فالبلاذري ينعت بابك بالكافر الخرمي[٣٢٩] ، بينما يقول الطبري عن لسان بابك : ـ وادعى أن روح جاويدان دخلت فيه[٣٣٠] ، وكتب الأشعري عن الخرميين (وقد أفرط قوم من جنس هؤلاء من الخرمدينية حتى زعموا أن الرسل يأتون تترى بعد رسول الله (ص) وأنهم لا ينقطعون)[٣٣١] . وينقل ابن النديم رواية الطبري حول حلول روح جاويدان في جسد بابك وينسب القول إلى زوجة جاويدان[٣٣٢] . وقال ابن النديم عن بابك إنه كان يقول لمن استغواه أنه اله[٣٣٣] ، وتجد ترديد روايات ابن النديم لدى المقدسي[٣٣٤] وابن الأثير[٣٣٥] ، ويعتبر ابن الأثير أن الخرمية تعتقد بحلول الله في آدم ونوح وهلم جرا إلى أبي مسلم ثم إلى المقنع[٣٣٦] وذكر أبو الفداء عن بابك (وكان يقول بالتناسخ)[٣٣٧] ، وقال عنه أيضاً (وكان زنديقاً كبيراً وشيطاناً رجيماً)[٣٣٨] ويرى الذهبي وابن خلدون : (ان الخرمية كانوا يعتقدون مذاهب المجوس)[٣٣٩] . من الصعوبة اذن الوقوف بدقة على تعاليم الخرمية من المصادر العربية ، غير أننا نستطيع أن نخرج بنتيجة وهي أن الخرميين كانوا يعتقدون بمعتقدات المزدكيين الدينية وأن هذه المعتقدات الدينية المزدكية التي وصلت إلى الخرميين لم تبق على حالها الأول ، بل قد أصابها

التطوير والتحوير بعامل الزمن ولاحتكاكهم بالمسلمين . وقد أشار البغدادي إلى أن البابكيين يعلمون أولادهم القرآن لكنهم لا يصلون في السر ولا يصومون في شهر رمضان ولا يرون جهاد الكفرة ويظهرون الإسلام ويضمرون خلافة[٣٤٠] . لقد ذكرنا في مقدمة بحثنا عن الخرمية بأنها فرقة دينية متطورة عن المزدكية[٣٤١] ، لهذا فإن ديانة البابكيين الخرميين لابد وأنها تجمع بين المجوسية المتطورة (المزدكية) والمسيحية والإسلام ، مع الاعتقاد الراسخ بنضال اله الخير مع اله الشر على مسرح الحياة الأرضية وحتمية انتصار اله الخير ، وضرورة تعاون كل قوى الخير المحبة للنور لطرد الشرور والآثام التي هي من مخلفات الظلام ، والقضاء على العوامل التي تساعد على بقائها ، كعدم التساهل في التملك ، ولذا وحسب شريعة الخرميين ـ البابكيين ـ وجدت الضرورة للقضاء على عدم التساوي في التملك لازالة الظلم والظلام وآثارهما ، لأن النظام الاجتماعي تأسس على عدم المساواة وعلى القسر والإكراه والظلم والاضطهاد[٣٤٢] ، وهكذا كان الارتباط المتين بين المعتقدات البابكية والحلول الاجتماعية الآنية ، ولهذا اتخذت معتقداتهم شكل المناهضة الثورية للاقطاع ، فكانت الانتفاضة البابكية مناهضة ثورية بوجه الخلافة العباسية وضد الملاكين المحليين مقترنة بالانتفاضة المسلحة .

٣ ـ القاعدة الاجتماعية والسياسية للحركة البابكية

شملت الانتفاضة الآذربيجانية البابكية مناطق مختلفة ، حيث قامت ، كما نعلم ، في آذربيجان ـ بقسميها البانية وأتروباتينا ـ وفي الجزء الشرقي من أرمينيا ، وفي الشمال الغربي من ايران[٣٤٣] ، فضمت أجناساً مختلفة وأقواماً متعددة من ايرانيين وعرب وأكراد وأرمن وآذربيجانيين ، قاموا كلهم بانتفاضة مسلحة بوجه الخلافة العباسية ، من أجل التخلص من النير الاقطاعي والتسلط الحكومي الجائر .

لقد تحالفت جماهير الشعوب المستغلة لمقاومة الطغيان الاقطاعي والسلطة الحامية للمصالح الاقطاعية ، ولهذا فإن طبيعة الحركة الاجتماعية الناشئة عن عوامل اقتصادية دعت إلى تحالف أقوام مختلفة ضد تسلط طبقي استغلالي ، أي أن الحركة البابكية قامت كنتيجة لتناقض طبقي وليس لخلاف عنصري أو ديني[٣٤٤] كما يحلو للكثيرين

تعليل ذلك أو كما حاولت الخلافة العباسية تضليل جماهير المسلمين لاثارتهم ضد الانتفاضة وتصوير الحروب التي تشنها (الخلافة) ضد الفلاحين ومن اتحد معهم حرباً مقدسة (جهاداً في سبيل الله) . ومن المؤسف أن تظهر تعليلات خاطئة لأسباب الحركة في كتابة جوزي حيث كتب (أنه كان بين المتآمرين بعض زعماء العرب ممن أعمت المصالح الشخصية أو العائلية قلوبهم وأنستهم أو جعلتهم يتناسون أن الغاية الكبرى من هذه المؤامرة هي سحق السلطة العربية في تلك البلاد والقضاء على الإسلام وأهله)[٢٤٥] ، وجوزي يعلم جيداً أن غاية البابكيين غاية اجتماعية وهو نفسه أخبرنا بأنه ليس للبابكية من غرض سوى الهدف الاجتماعي[٢٤٦] ، اذن ما كانت الانتفاضة ضد العرب وإنما كانت ضد السلطة العباسية والاقطاعيين المحليين ، وليست الانتفاضة ضد الدين الإسلامي لذاته كشعائر وطقوس دينية ، أي لمجرد كونه ديناً وإنما هي ضد مناصرة وتأييد رجال الدين للسلطة في العدوان والقمع والتسلط ، أي ضد إضفاء الصفات الدينية على أعمال السلطة المدنية ، تلك السلطة التي لم يتورع العباسيون في استخدام كل شيء من أجل الحصول عليها وتثبيتها ، فالخليفة العباسي وموظفوه هم رجال سلطة مدنية ولكن بسبب اعتبار الخليفة أميراً للمؤمنين وخليفة للمسلمين وممثلاً للإسلام من قبل المؤرخين والباحثين يصور أي خلاف قائم ضد السلطة وضد الاستغلال والجور خلافاً ضد الدين الإسلامي وهو ما لم يكن كذلك . لقد كانت الانتفاضة ضد الدين بقدر ما هو متمثل في أعمال السلطة والاقطاعيين ، فهي ضد استخدام الدين من قبل الطبقة السائدة لأنها كانت نضالاً اجتماعياً اقتصادياً وسياسياً ضد الخلافة الاسلامية ، ولم يكن رجال السلطة إلا ممثلون للطبقة الارستقراطية السائدة ، وما كان الإسلام في أدواره الأولى ـ كما يتفق لويس مع فان فلوتن وبيكر ـ إلا علامة امتياز للارستقراطية المنتصرة والمذهب الرسمي للدولة التي تمثله[٢٤٧] . وقد لاحظ الخرميون أن السلطة الإسلامية متساهلة ومتعاونة مع الاقطاعيين الزرادشتيين والمسيحين وغيرهم ومتشددة وجائرة على المعدمين من المسلمين والذميين وهذا ما لم يدركوا كنهه وولد الضغينة لديهم على السلطة الإسلامية . أما المسلمون المعدمون الساكنون في المناطق المنتفضة وفي مناطق الخرميين كلها فقد كانوا يتمتعون بحرية دينية واحترام لمشاعرهم وطقوسهم الدينية ولم نعثر على نص يشير إلى أن الخرميين كانوا يجبرون الناس على

اعتناق مذهبهم أو يغتالونهم لاختلافهم معهم في العقيدة ، لكنهم كانوا يحاربون أعداءهم الطبقيين . لقد كان النضال ضد السلطة الاقطاعية (الإسلامية المظهر ، العربية الشكل ـ دين الدولة الإسلام ورئيسها الخليفة أمير المؤمنين ، ولغتها الرسمية العربية) ، وضد الاقطاع ، ولم يكن نضالاً ضد الإسلام وضد العرب البتة ، بالرغم من أن المتنفذين في السلطة مسلمون اقطاعيون وما كانوا كلهم عرباً وإنما كانوا من العرب وغيرهم ، فالوزراء وقادة الجيوش والولاة كان أغلبهم من غير العرب . إن معارضة الاقطاع والسلطة الاقطاعية بالأفكار الخرمية صوره المؤرخون والباحثون نزاعاً ضد العروبة والإسلام ، والحقيقة هي أن الأفكار الخرمية كانت الغطاء الايديولوجي لمعارضة الفلاحين وحلفائهم الثورية للاقطاع والسلطة الاقطاعية[٣٤٨] ، ولهذا كانت القاعدة الاجتماعية للحركة في غالبيتها متكونة من فلاحي أهل المناطق التي عمتها الانتفاضة ومعهم معدمو تلك المناطق وأشباه الفقراء والعبيد (من مسلمين وذميين من عرب وايرانيين وأرمن واذربيجان وأكراد وديالمة وغيرهم (لان التناقض الأساسي في المجتمع الاقطاعي كان بين الارستقراطية المالكة للأراضي والفلاحين . ولكن يجب أن لا يغرب عن البال بأن ليس كل فلاحي مناطق الانتفاضة ينضمون بكاملهم للانتفاضة ، ففي تحليل رائع لحروب الفلاحين في عهد الاقطاع أوضح انكلز ، ف . السبب الذي يدعو الفلاحين للإحجام عن المساهمة في الانتفاضة الفلاحية المحلية ، (كيفما يكون الاضطهاد الذي يعاني منه الفلاحون فظيعاً ولكن دفعهم للانتفاضة على كل حال صعب جداً . كانت تسحقهم الظروف الخارقة التي كانت تمنعهم من الاتفاق ، عادات الخضوع المتوارثة جيلاً عن جيل ، إقلاعهم في أماكن كثيرة عن استخدام السلاح ، مرة كان يشتد ومرة كان يضعف بالنسبة إلى سلوك السيد نفسه وشدة الاستغلال ، كل هذه أثرت بحيث جعلت الفلاحين في حالة من الهدوء . لذلك ففي القرون الوسطى لم نشاهد حتى الهياج الفلاحي ولا انتفاضة فلاحية في المانيا)[٣٤٩] .

أ ـ التركيب الطبقي للمنتفضين:

كانت الغالبية العظمى من المساهمين في الانتفاضة البابكية من الفلاحين والعبيد المستخدمين في الزراعة حيث تطور الاقطاع أكثر مما كان عليه في السابق[٣٥٠] . ومع

أن أعظم الاستغلال يقع على الفلاحين إلا أن قسماً من الملاكين الصغار قد انضم للحركة ، ويعلل لويس انضمام الدهاقين بسبب انحطاط منزلتهم[٣٥١] ، ويرى الدوري أن اشتراكهم في الانتفاضة خطوة هامة في تطور الوعي الايراني[٣٥٢] . ولم يكن لويس والدوري مصيبين في قولهما ، فان مشاركة الملاكيين الصغار (الفئات القلقة) هو بسبب خوفهم وعدم تمكنهم من مقاومة تيار الانتفاضة العارم وبسبب أطماعهم في الحصول على أراض أكثر وتوسيع نفوذهم بعد تقلص السلطة العباسية . أما تطور الوعي الايراني فإنه سابق لأوانه ، ولأن الحركة كانت تضم الاذربيجانين والأرمن وغيرهم . ان انضمام هذه الفئات القلقة من صغار الملاكين سيسبب الضعف للحركة بعد مضي وقت ، وذلك عندما تظهر الاخطار المحدقة بالثائرين ، فمع هذه الفئات الانتهازية تجيء الأخطار لأنهم في أول انتكاسة يهربون إلى الجانب الآخر ، وقد أشار بيلايف إلى ذلك بقوله : غالباً ما انضم إلى الحركات الشعبية من هم بالأصل من الطبقات السائدة ، والذين بعد ذلك خانوا المنتفضين ولم يكن ذلك نادراً[٣٥٣] . قلنا أن الغالبية العظمى من المساهمين كانت من الفلاحين والعبيد وذلك بسبب الحالة السيئة التي كانوا يعيشونها ، فقد مضى وقت طويل على سلب الأراضي من الفلاحين الذين أصبحوا في حالة عوز وحرمان واشبه بأقنان يشتغلون لدى المالك الذي كان يستخدم عبيده في الزراعة أيضاً وكان العبيد من الصقالبة[٣٥٤] ومن افريقيا ، وبالرغم من ان اذربيجان كانت غنية الخيرات وافرة المياه ، كما شاهد بنفسه ياقوت الحموي وكتب « خيرات كثيرة وفواكه جمة ما رأيت ناحية أكثر بساتين منها ولا أغزر مياها وعيونا »[٣٥٥] ، فقد كانت ظروف الفلاحين المعاشية سيئة إذ كان البؤس يغمرهم والأمراض تفتك بهم والمجاعات تهلك العديد منهم[٣٥٦] ، ومما ضاعف متاعب الفلاحين هو الحاق الأراضي الواسعة الخصيبة بأملاك الخلفاء وذويهم ، وقد جرى ذلك في عهد الامويين ، ثم توارثها العباسيون وذووهم[٣٥٧] ، وبهذا يصبح الولاة الحكام على المقاطعات وكلاء على الأملاك أيضاً مما يتعذر على الفلاحين الشكوى . لقد اشارت غالبية المصادر إلى مساهمة الفلاحين في الانتفاضة البابكية وانتفاضات الخرميين ، فاليعقوبي أشار إلى أن المحمرة خرجت بالجبل[٣٥٨] وقد حددها الطبري في حوادث سنة ٢١٨ هـ[٣٥٩] وأشار الطبري إلى أن المازيار لما عزم على الخلاف... أمر أكرة الضياع بالوثوب بأرباب الضياع

وانتهاب أموالهم ، وكان المازيار يكاتب بابك ويعرض عليه النصرة[٢٦٠] . وحينما يعدد المسعودي مناطق الخرمية يؤكد على أن أكثر هؤلاء في القرى والضياع[٢٦١] ، ويبين البغدادي ان اتباع المازيار اليوم في جلِّهم أكرة من يليهم[٢٦٢] . فغالبية سكان اذربيجان وارمينيا واقليم الجبال في ايران التي عمتها الانتفاضة هم من الفلاحين الذين كانت تنتشر بينهم آراء الخرمية . فكان الفلاحون المستودع الذي مد الانتفاضة عاماً بعد آخر ـ طيلة عشرين عاماً ـ بمعين لا ينضب من القوى الثائرة .

لكن الانتفاضة لم تقتصر على طبقة الفلاحين ـ ولو انهم كانوا عمادها الرئيس ـ انما انضمت اليهم جموع اخرى من سكنة المدن ، ممن كانت تعاني الفقر والحرمان ويلحقها العذاب والجور من التسلط الاقطاعي الشامل .

لقد ذكرنا في الفصل الثاني أهم الصناعات «اليدوية» والحرف في مدن ايران واذربيجان وارمينيا وأن حالة جماهير المدن كانت سيئة ، وظلت الحال كما هي عليه أثناء الانتفاضات الخرمية وفي عهد الانتفاضة البابكية ، فلاغرابة اذن ، أن تنضم جموع أبناء المدن ، المستاءة من أوضاعها السيئة ، إلى الانتفاضة الجماهيرية من أجل تحسين أوضاعها وترفيه حالها . ولاشك أن ظروف حياتها القاسية من شظف العيش وفداحة الاستغلال وإرهاق الضرائب هي التي حدت بهؤلاء المعدمين للمساهمة في هذه الانتفاضة .

إن الحرفيين والكسبة وبقية معدمي المدن لم يكونوا بمنجى من الجور الاقطاعي والتسلط الحكومي ، ولهذا كانوا من المسارعين لتلبية نداء الانتفاضة ، فما أن تلتهب انتفاضة في بقعة ما من البلدان المحتلة حتى تجد الحرفيين منضمين اليها شأنهم شأن الفلاحين ، وذلك من أجل الخلاص من الجور والظلم والاستبداد الحكومي والإرهاق والتعسف الاقطاعي .

ب ـ مساهمة شعوب مختلفة (العرب، الأكراد، الايرانيون، الديالمة والأرمن) في الانتفاضة الأذربيجانية:

ساهمت جموع الشعب من أبناء المناطق التي عمتها الانتفاضة ، ولما كان المساهمون من طبقات وفئات مختلفة ، لهذا فإن الغايات لم تكن موحدة ، فالمنحدرون

من أصل ارستقراطي أو من الاغنياء أو من الملاكين الصغار أو من موظفي الدولة من ولاة وقادة عسكريين ، كل هؤلاء لم يكن حب الثورة أو المنهاج الثوري هو الذي حدا بهم للانضمام للحركة ، ولكن أغلبيتهم انضمت بسبب حقدها وكراهيتها للنظام القائم وبدافع من مطامعها الشخصية أو بحكم وجودها في المناطق المنتفضة ، والأهم من ذلك بسبب خوفها من الانتفاضة وعدم استطاعتها الوقوف بوجه تيارها العارم . أما المعدمون فقد انضموا للحركة ، شأنهم شأن معدمي اذربيجان ، بسبب الضائقة الاقتصادية والجور الاقطاعي والاستبداد الحكومي آملين بلوغ أوضاع جيدة تتحسن فيها أمور معيشتهم ويتخلصون من الاستعباد ، وكانت مساهمتهم تعبيراً عن استيائهم .

مساهمة العرب:

كانت تقطن المناطق الشرقية من الخلافة قبائل عربية جاءت إليها مع الفتح وبعده واستوطنت هناك وقد زاولت مهناً مختلفة أهمها الزراعة حيث استولت على أطيب الأراضي[٣٦٣] ، وقد ساهمت هذه القبائل في فعاليات مختلفة ضد الخلافة معبرة عن سخطها وكراهيتها للتعسف الحكومي ، كما وأن العداء الشخصي بين الارستقراطيين القبليين العرب (شيوخ القبائل) وبين الولاة ، ولمطامح الارستقراطيين[٣٦٤] دوره في ذلك . وقد ساهمت هذه القبائل في انتفاضات الخوارج ، كما أنها كانت تنتفض ضد السلطة بين حين وآخر .

فقدت هذه القبائل بمرور الزمان كثيراً من المحفزات القبلية في تصرفاتها وبدأت تتأثر بمؤثرات موضوعية محلية ، فكانت جماهير العرب المعدمة تساهم بالثورات والانتفاضات المحلية ضد السلطة وضد الملاك المحليين . وتجد الإشارات كثيرة إلى ذلك ، ولو أن المؤرخين ينسبون هذه التمردات والانتفاضات إلى الأشخاص القائمين بها ، فاليعقوبي يذكر ثورة الصفارية بوجه خالد بن يزيد بن مزيد والي المأمون على ارمينيا في عهد الانتفاضة البابكية[٣٦٥] ، ثم يذكر أنهم نقضوا الصلح الذي عقدوه مع خالد « ووثب معهم القيسية وشغبوا على خالد »[٣٦٦] ، ولما لم يكن في استطاعة اليعقوبي وغيره التعمق في معرفة أسباب التمردات والانتفاضات اكتفوا بتعدادها على أنها مخالفات وعصيانات بوجه السلطة الشرعية[٣٦٧] .

وأما عن الأمراء والرؤساء العرب الذين أيدوا أو انحازوا إلى الانتفاضة ، فقد وردت عنهم نصوص كثيرة في مختلف المصادر العربية . فاليعقوبي ذكر عن حاتم بن هرثمة بن أعين الذي ولاه المأمون ارمينيا... وعمل على أن يخلع ، وكاتَبَ البطارقة ووجوه أهل أرمينيا وكاتَبَ بابك والخرمية وهوَّن أمر المسلمين عندهم(٣٦٨) . وذكر أيضاً عصيان سوادة بن عبد الحميد الجحافي بوجه القائد عيسى بن محمد والي ارمينيا الذي أسند المأمون إليه محاربة بابك . وأشار اليعقوبي إلى أن محمد بن البعيث قد شايع بابك(٣٦٩) ، وقد ذكر الطبري أن لمحمد بن البعيث قلاعاً في اذربيجان وكان يستقبل سرايا بابك ، ويستضيفهم(٣٧٠) ، ويرى رأيت أن انضمام ابن البعيث إلى بابك قد وسع نفوذ بابك إلى الجنوب من المراغة وزنجان(٣٧١) ، لكن ابن البعيث نكث أخيراً العهد مع بابك ـ كما سنرى في الفصل الرابع . ويشير الطبري في حوادث سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧م) إلى أن محمد بن حميد الطوسي الذي وجهه المأمون لمحاربة بابك وسار على طريق الموصل وأخذ « بعلي بن مرة ونظرائه من المتغلبة باذربيجان فبعث بهم إلى المأمون »(٣٧٢) ، وذكر أيضاً في حوادث سنة ٣١٧ هـ (٨٣٢م) عن علي بن هشام ، والي الجبل وقم واصبهان ، من قبل المأمون ، أن المأمون وجه اليه عجيفا فأراد أن يفتك به ويلحق ببابك ، فظفر به عجيف فقدم به على المأمون فأمر بضرب عنقه(٣٧٣) . ولا شك أن رغبة علي بن هشام في الانضمام للانتفاضة كانت لمجرد مناهضة الخليفة الذي حاسبه على تصرفاته السيئة . ويردد ابن خلدون رواية الطبري عن حوادث سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧م) حول محاربة محمد بن حميد الطوسي لعلي بن صدقة المعروف بزريق (عينه المأمون والياً على أرمينيا وأذربيجان سنة ٢٠٩ هـ (٨٢٤م) ، ولكنه عصى) وبابك الخرمي(٣٧٤) . إن المؤرخين وإن لم يشيروا إلى انضمام هؤلاء للحركة ، فإنهم (أي الأمراء) حسب رأينا لم يكن أمامهم ، وقد انتفضوا على السلطة ، إلا الانضمام لجيش الانتفاضة ، إذ لا مفر لهم من ذلك لكونهم في مناطق الانتفاضة ، غير أن المؤرخين يذكرون أسماء هؤلاء مع اسم بابك عند ذكر تعيين الخليفة لقائدٍ لمحاربة الثائرين .

مساهمة الأكراد:

ضمت الانتفاضة مناطق واسعة من الأراضي التي يسكنها الأكراد ، فاقليم الجبال (أو بلاد ميديا) يقطنه الأكراد بالاضافة إلى أن الأكراد يقطنون في اذربيجان الايرانية وارمينيا[٣٧٥] وغرب اذربيجان الشمالية . لهذا فإن الشعب الكردي الذي كان يقاسي شظف العيش بسبب من تضافر قساوة الطبيعة واستغلال الارستقراطيين ، لابد وأنه قد ساهم في الانتفاضة البابكية ولا يستبعد ذلك والشعب الكردي البائس قد ساهم سابقاً في كثير من الثورات والانتفاضات فأبناؤه يحفظون اسطورة الحداد الكردي كاوه[٣٧٦] ، الذي أهوى بمطرقته على رأس الطاغية الضحاك ، وأصبح كاوه البطل الأسطوري للشعب الكردي المحب للحرية . لهذا من المحتمل أن هذا الشعب المحب للحرية كان يقلق بال الذين يحلمون بالسيطرة على الجبال بسلام فتتعالى على ذرى جبال الأكراد وفي أوديتها نيران الحقد والكراهية ينفثها عن صدره هذا الشعب المكتوي دائماً بالسيطرة الاجنبية والاستغلال المحلي[٣٧٧] ، لقد ساهم معدمو الأكراد من فلاحين ورعاة وحرفيين في مختلف الثورات وفي الانتفاضات الخرمية[٣٧٨] والانتفاضة البابكية ، وأما الارستقراطية الكردية فكانت تميل إلى جانب القوي . ولهذا وبسبب قيام الانتفاضة في الأراضي الكردية اضطر الأمراء الأكراد إلى المساهمة في الانتفاضة . وتشير غالبية المصادر إلى مساهمة الأكراد في الانتفاضة بصراحة ، أو تشير إلى ذكر مناطقهم ، فاليعقوبي يذكر عن بابك (...وعصمة الكردي صاحب مرند في طاعته)[٣٧٩] ، ويشير الطبري إلى أنه في سنة ٢١٨ هـ (٨٣٣م) دخل جماعة كثيرة من أهل الجبال من همذان وأصبهان وماسبذان ومهرجانقذق في دين الخرمية وتجمعوا في همذان...)[٣٨٠] . وهذه المناطق التي ذكرها الطبري يسكن غالبيتها الأكراد ، وقد أشار المسعودي في المروج[٣٨١] وفي التنبيه والاشراف[٣٨٢] ، وابن النديم[٣٨٣] وابن الاثير[٣٨٤] وابن العبري[٣٨٥] إلى مساهمة أبناء هذه المناطق في الانتفاضة ، كما ويشير جوزي ولويس والدوري[٣٨٦] إلى انضمام الأكراد للانتفاضة ، غير أن جوزي يرى أن بين الذين التفوا حول راية بابك من كان قد لبى الدعوة «طمعاً بالحصول على منافع مادية لم يكونوا لينالونها إلا من الثورات والحروب الأهلية وأكثر هذا الفريق كان من الأكراد)[٣٨٧] . ولكن لا يمكن الاتفاق مع جوزي في اطلاق التهمة على الأكراد إذ قد يجوز وجود قسم

من الأكراد يركض وراء المطامع المادية ولكن حتماً ليس كل الأكراد . ومن المهم أن نشير إلى أن المؤلف الأرمني ليو يذكر بأن سكان منطقة البذ الجبلية كانوا يسمون بالكوردوك Kurduk ويقول ليو : وترتبط هذه التسمية ولاشك بكلمة كرد(٣٨٨) . والظاهر أن الرابطة قوية بين التسميتين مما يرجح وجهة نظر ليو . ويعتقد بونيياتوف بأنه لاعتبارات سياسية انضم مالك مرند عصمة الكردي ومعه بعض الأمراء الأكراد(٣٨٩) ، ورأى بونيياتوف صحيح لأن الارستقراطية الكردية ، كسوية الارستقراطيين الآخرين ، كما قلنا ، كانت تميل إلى الجانب القوي .

مساهمة الإيرانيين:

ساهمت جموع الشعب الايراني في ثورات عديدة نتيجة سوء الأوضاع الاقتصادية ، حيث كان ابناء الشعب وغالبيتهم من الفلاحين ، يقاسون من ثقل الضرائب والجور الاقطاعي والتعسف الحكومي ، ولما لم يف العباسيون بوعودهم التي أطلقوها ابان دعوتهم في تخفيف الضائقة الاقتصادية عن ابناء الشعب ، لجأ هؤلاء إلى الثورة ، فكانوا عماد انتفاضات الخرمية حيث أشارت غالبية المصادر إلى انضمام أهالي قم وهمدان ونهاوند واقليم الجبال ومنطقة بحر الخرز وأصفهان إلى الخرمية(٣٩٠) .

ان نظرة نلقيها على مواقع الانتفاضة ترينا أن قسماً كبيراً من الجزء الشمالي الغربي من ايران كان ضمن حدود الانتفاضة البابكية(٣٩١) ، وقد دخل فلاحو تلك المناطق في الحركة بمحض ارادتهم(٣٩٢) يحدوهم أمل التخلص من النير والاذلال الطبقي والتسلط الحكومي الجائر ، حيث كانت الحلول التي دعت البابكية(٣٩٣) إلى تطبيقها عناصر جذب لجماهير الفلاحين . أما صغار الملاكين وقسم من الارستقراطية ، فلم يدر بخلدهم مشاركة الثورة من أجل تحسين الأوضاع الاقتصادية للفلاحين ولبقية المعدمين(٣٩٤) ، وإنما دفعتهم الرغبة في التخلص من الحكم الأجنبي ، الذي حدد نفوذهم ، إلى المساهمة في الانتفاضة ، بالإضافة إلى تخوفهم من تنكب سير الانتفاضة وهي قائمة في مناطقهم .

غالبية المصادر القديمة والمراجع الحديثة طافحة بأخبار امراء جرجان وطبرستان وأخبار الايرانيين الخرميين الذين ثاروا في مناطق متعددة مؤيدين ومناصرين بابك في

انتفاضته ، وسنشير إلى بعض الحوادث المهمة . فمدينة قم التي هي من مناطق الخرمية كما تشير غالبية المصادر ، كانت تتظلم من فداحة الضرائب ـ مليوني درهم ـ وطالبوا بتخفيض ما عليهم من خراج فلم تصغ الحكومة لمطالبهم فثاروا في سنة ٢١٠ هـ (٨٢٥م) كما يشير الطبري (وخلع أهل قم السلطان ومنعوا الخراج)[٣٩٥] فأمر المأمون واليه عليا بن هشام ان يحاربهم فقضى على الحركة وقتل رئيسهم يحيى بن عمران وهدم سور قم وجباها سبعة ملايين درهم[٣٩٦] . لقد كان جواب الحكومة قاسياً حيث اعملت فيهم السيف وضاعفت الضريبة إلى ثلاثة أمثالها ولهذا عاد أهل قم بعد ست سنوات للانتفاض ثانية ، فقد ذكر ابن الأثير عن حوادث سنة ٢١٦ هـ (٨٣١ م) « وفيها هرب جعفر بن داود القمي إلى قم وخلع الطاعة بها »[٣٩٧] . ولم تكن استجابة أهل قم للانتفاضة التي دعا إليها جعفر إلا تعبيراً عن سخطهم على الإجراءات التعسفية التي اتخذتها السلطة بحقهم بعد سحق انتفاضتهم السابقة . ويشير نظام الملك إلى انتفاضة أخرى قامت حوالي مدينة أصفهان وقد انضمت إليها الباطنية ويحدد نظام الملك تاريخ الانتفاضة بسنة ٢١٢ هـ/٨٢٧ م في أيام المأمون[٣٩٨] .

مساهمة الديالمة:

كانت ظروف الديالمة قاطني السواحل الجنوبية الغربية لبحر الخزر مشابهة لحد ما لظروف مجاوريهم من الايرانيين والاذربيجانيين ، وكانوا يقاسون من شظف العيش نتيجة الارهاق الاقطاعي واستغلاله ومن جور السلطة ، لهذا كان طبيعياً أن تنضم جماهير الديلم المعدمة إلى الانتفاضة الاذربيجانية[٣٩٩] من أجل حل قضيتها وكانت مساهمة الديالمة جسيمة لدرجة اعتبر البغدادي أن جيش بابك المؤلف « من أهل البدين (البذ) وممن انضم اليهم من الديلم مقدار ثلاثمائة ألف رجل »[٤٠٠] . والبغدادي اعتبر جيش بابك متألفا بصورة رئيسة من الاذربيجانيين والديالمة . ورواية البغدادي وإن كانت غير دقيقة في تحديد العدد وحصرها لجيش بابك بالبذيين والديالمة إلا أنها تدل على جسامة عدد الديالمة في الانتفاضة البابكية[٤٠١] ، ومع ذلك فإن تومارا يعتقد بأن الخرميين الديالمة لم ينضموا إلى جيرانهم المنتفضين الاذربيجانيين ولم يبدوا لهم مساندتهم ، ويعزو السبب إلى أن الفلاحين في القرون الوسطى كثيراً مالا يحركون

ساكناً نتيجة تعودهم للخضوع(٤٠٢) . وقد اعتمد في رأيه على تحليل انكلز لنضال الفلاحين في القرون الوسطى وذلك في بحثه عن الحروب الفلاحية في المانيا(٤٠٣) . لكن مقولة انكلز وإن كانت صحيحة كمبدأ عام لا يمكن استخدامها لنقض حقيقة واقعة ، إذ أن الحقيقة الواقعة تشير إلى أن الديالمة ساهموا بقسط في الانتفاضة البابكية(٤٠٤) .

مساهمة الأرمن:

ضمت الانتفاضة البابكية الجزء الشرقي والجنوبي الشرقي من ارمينيا ، ولما كانت أحوال جماهير الشعب الارمني الاقتصادية وظروفها المعاشية وحياتها لا تختلف بكثير عن أحوال وظروف مجاوريهم حيث كان الشعب الأرمني يئن من إرهاق وتعسف الاقطاعية والسلطة لذا قام ـ في العصرين الأموي والعباسي ـ بانتفاضاته ، كما وساهم في الانتفاضة البابكية ، ولاسيما الأرمن المتاخمون لميادين الانتفاضة حيث اشتركوا فعلياً في فعالياتها ، أما امراء ارمينيا فلم يساهم منهم إلا الذين كانوا مجاورين حيث كانوا يخشون الوقوف بوجه الانتفاضة العارمة ، ولضعف سيطرة الخلافة في تلك المناطق حيث عزلتهم الانتفاضة عن مركز الخلافة . وقد عادى قسم من امراء ارمينيا الانتفاضة مما دفع الخرميين لمحاربتهم(٤٠٥) . أما الذين أيدوا الانتفاضة فقد توطدت علاقاتهم مع المنتفضين وخاصة أمراء سونيك(٤٠٦) حيث تزوج بابك من ابنة اميرهم فاساك(٤٠٧) . يذكر ليو أن لبابك في سونيك وارتساخ أقارب وأصدقاء وحتى أنصاراً عقائديين(٤٠٨) . ومن الناحية الأخرى نرى أن الأمراء الآخرين الحائزين على امتيازات من الخلافة نتيجة تعاقدهم معها على دفع ضرائب محددة يصبحون بموجبها شبه مستقلين في إدارة أملاكهم ، فإنهم لم يساهموا في الانتفاضة التي كانت برامجها الاجتماعية ـ الاقتصادية تهدد مصالحهم بالذات فلم تكن لهم فائدة في نجاحها .

والملاحظ أن المصادر العربية لا تشير صراحة إلى مساهمة الشعب الأرمني في الانتفاضة وإنما كانت تشير إلى قيامه بالاضطرابات والحركات أيام قيام الانتفاضة البابكية في سبيل تحرره من السلطة التي فرضت عليه ضرائب باهظة قدرها الجهشياري بـ ١٣ مليون درهم بالسنة)(٤٠٩) ، فالمصادر إذن تشير إلى ارمينيا عند ذكرها للفعاليات الحربية والمناطق المنتفضة في عهدي المأمون والمعتصم أيام الانتفاضة البابكية

وقد أشار بذلك اليقعوبي إلى أن أرمينيا كانت مضطربة حينما ولى المأمون (في زمن الانتفاضة) الحسن بن علي الباذغيسي والياً على أرمينيا[٤١٠] . وتشير المراجع الحديثة إلى مساهمة الشعب الأرمني في الانتفاضة ، غير أن جوزي يسمي مقاطعة سونيك باسم سونيا (صهيون ؟)[٤١١] وهو غير موفق في هذه التسمية كما وأن يامبولسكي ، وتاريخ اذربيجان[٤١٢] يشيران إلى وجود عقد ، أو ارتباط الخرميين بعقد مع الجورجيين وهذا غير صحيح .

هوامش الفصل الثالث

(١) الزندقة حركة ذوي الآراء الحرة من الملحدين لمناهضة الأديان والسلطة بصورة سلبية فردية . ويعرف الأشخاص بالزنادقة (جمع زنديق ـ نسبة إلى كتاب الزند ، وهو تفسير كتاب الافستا المجوسي) . ولا يخفى أن الكثيرين من ذوي الآراء الحرة والأفكار الجريئة اتهموا جزافاً بالزندقة ، راجع الملحق رقم ٢ .

(٢) لي ، هيرمان ، مختصر تاريخ القرون الوسطى المادية ، ص ٥٢ ، انظر الطبري عن حوادث سنة ١٦٧ هـ ، « وفيها جد المهدي في طلب الزنادقة والبحث عنهم في الآفاق وقتلهم وولى أمرهم عمر الكلواذي فأخذ يزيد بن الفيطي كاتب المنصور فأقر فيما ذكر » ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ١ ، ص ٥١٩ ـ ٢٠ ، وفي الجهشياري عمر الكلواذاني ، ص١١٥ ـ ٦ ، انظر اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٣٣ ، وابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، عن حوادث سنة ١٦٧ هـ .

(٣) الدولة العربية وسقوطها ، ص ٤٠٨ .

(٤) يذكر انكلز ، فردريك في كتابه الحرب الفلاحية في المانية : لقد استمرت المعارضة الثورية للاقطاع طيلة القرون الوسطى ، فقد اتخذت تبعاً للظروف الزمنية ، أشكالاً مختلفة فمرة كانت تتخذ مظهراً دينياً وأخرى شكل هرطقة مكشوفة وتارة تقوم بشكل انتفاضة مسلحة ، ص ٣٤ .

(٥) ذكر الطبري : قال علي عن أبي بكر الهذلي قال اني لواقف بباب امير المؤمنين إذ طلع فقال رجل إلى جانبي هذا رب العزة هذا الذي يطعمنا ويسقينا فلما رجع أمير المؤمنين ودخل عليه الناس دخلت وخلا وجهه فقلت له سمعت اليوم عجبا وحدثته فنكث في الأرض وقال يا هذلي يدخلهم الله النار في طاعتنا ويقتلهم أحب إلي من أن يدخلهم الجنة بمعصيتنا) ، تاريخ الرسل ، م ٣ جـ ١ ص ١٣٢ .

(٦) تراث فارس ، ص٣٦ .

(٧) كريستنسن ، إيران ، ص١٩ .

(٨) م .ن . ، ص ١٩ ويقول بأن المزدية أقدم من الزرادشتية ، انظر ماجد ، عبد المنعم ، ويقول عن المجوسية (هي كلمة فارسية انتقلت إلى العربية لتدل على دين الفرس والمؤمن بهذه الديانة يسمى (مجوسي) مثل يهودي والجمع مجوس ، وهي بحسب رواية العرب ـ ديانة تنسب إلى شخص معين اسمه منج كوش ظهر قبل زرادشت) ـ التاريخ السياسي ـ جـ ١ ص ١٩٢ ، هامش رقم ـ ١ ـ .

(٩) كتب الدينوري (وكان زرادشت صاحب المجوس) ، الأخبار الطوال ، ص ٢٨ ، ويعتبر الشهرستاني أن (للمجوس ثلاث فرق هي ١ـ الكيومرثية ، ـ ٢ ـ الزروانية ٣ ـ الزرادشتية) ـ الملل والنحل ـ جـ ١ ص ٢٣٣ ـ٧ . انظر كريستنسن حيث كتب والظاهر أن زرادشت أدعى النبوة نبياً لمذهب مزدي معدل في الشرق ربما كان في الإقليم الذي به أفغانستان الحديثة وذلك في القرن السابع ق . م . وفي هذا الاقليم الذي سكنته قبائل زراعية مستقرة) ـ ايران ـ ص ١٩ ، ويشير تراث فارس (بالرغم من أن وجود النبي زرادشت موضع جدل ، إلا أن هنالك رأياً بوجوده في القرن السابع ق .م .) ، ص ٣٦ ، ويخطيء زيدان ، عبد الكريم عندما يعد المزدكية والخرمية من فرق المجوس ـ أحكام الذميين والمستأمنين ، ص ١٥ .

(١٠) يذكر ماجد ، عبد المنعم ، عن الملوك الساسانيين (عملوا على تقوية نفوذ رجال الدين بقصد الابقاء على طغيانهم) ، التاريخ السياسي ، جـ١ ص ١٩٢ .

(١١) كريستنسن ، ايران ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦ .

(١٢) كريستنسن ، ايران ، ص ١٠٣ ، وقد كتب : (وقد سار رجال الدين في الدولة الساسانية مع نبلاء الاقطاع جنباً إلى جنب) .

(١٣) تاريخ بلدان الشرق الاجنبية في القرون الوسطى : (الجماهير الشعبية ، بمساندتها الهرطقة الدينية المعارضة للمعابد الرسمية ، عبرت عن احتجاجها على الظلم الذي تكاثر مع تفسخ المجتمع واسترقاق الأحرار) ، ص ٧٩ .

(١٤) نسبة إلى ماني المعلم الروحي لفرقة المانوية الثنوية : حول المانوية من المفيد الرجوع إلى المصادر والمراجع التالية : الدينوري ، الأخبار الطوال ـ ص ٤٩ ـ ٥٠ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ جـ ٣ ص ٨٣٠ ـ ٤ ، المسعودي التنبيه والإشراف ، ومروج الذهب ج ـ ١ ط ٣ ص ٢٤٩ ـ ٥٠ ، والملطي ، التنبيه والرد ، ص ٧٣ ، والفهرست لابن النديم وقد اعتمد عليه الكثير من المؤرخين ، ص ٤٧٠ ـ ٨٦ ، البيروني ، الآثار ، ص ٢٠٧ ، المقدسي ، البدء والتاريخ ، جـ ٣ ص ١٥٧ ، الشهرستاني الملل والنحل ، وقد عمل جدولاً يقارن فيه التشابه والتضاد بين الخير والشر ، جـ ١ ص٢٢٤ ـ ٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ١ ، ص ٢٢٦ ، كريستنسن ـ ايران (ويذكر أهم المصادر والمراجع الأجنبية القديمة والحديثة والنصوص المانوية المكتشفة في أماكن مختلفة من العالم) ، ايران ، ص ١٦٩ ـ ١٩٥ ، كريمر ـ الحضارة الإسلامية ، (مترجم) ، ص ٧٣ ، زيدان ، جرجي ـ تاريخ التمدن ، جـ ١ ص ٣٥ ، بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، جـ ١ ط ٢ ص ١٠٨ ، لويس ، العرب ، ص ٦٧ ، ماجد ، عبد المنعم ، التاريخ السياسي ، جـ ١ ص ١٩٤ ـ ٦ ، حتي ، فيليب ، تاريخ العرب (مطول) ، جـ ٢ ط ٣ ص ٤٩٣ ، دياكونوف ، مختصر تاريخ ايران القديم ، ص ٣٠٠ ـ ٤ ، بارتولد ، تاريخ الحياة الحضارية لتركستان ، ص ٤٤ والحضارة الإسلامية ، ص ١٠ والترجمة ، ص ١١ ـ ١٢ وسميونوف ـ مقالة المزدكية في مسائل تاريخ الدين والإلحاد العدد ـ ٥ ـ لسنة ١٩٥٨ ، ص ٣١٥ ـ ٢٠ ، الدوري مقدمة ، ص ٨٠ ، الجذور التاريخية للشعوبية ، ص ٢٦ وما بعدها ، شريف ، محمد بديع ، الصراع ، ص ٥٤ ، محفوظ ، حسين علي ، رسالة في تحقيق لفظ زنديق ، الخربوطلي تاريخ العراق ، ص ٢٦٣ .

(١٥) يسميه اليعقوبي (ماني بن حماد الزنديق) ، التاريخ ، م ١ ص ١٥٩ ، المسعودي (ماني بن يزيد تلميذ قارون) ، مروج ، جـ ١ ص ٢٥٠ ، ابن النديم (ماني بن فتق بابك بن أبي برزام) ، الفهرست ، ص ٤٧٠ ، البيروني ، (ماني تلميذ فادرون) ، الآثار ، ص ٢٠٧ ، والصحيح ما أورده الشهرستاني (ماني بن فاتك الحكيم) ، الملل والنحل ، جـ١ ص ٢٤٤ ، أما ولادته ففي سنة ٢١٥ م على ما ترجحه الروايات وهناك من يذكر ٢١٦ م أو ٢١٧ م في سيسان (ناحية في لواء العمارة ـ الجمهورية العراقية) ولقد ذكر ابن النديم في ديستيميسان (في ناحية من نواحي ديستيميسان ، الفهرست ، ص ٤٧١) التي هي من نواحي ميسان ويسميها كريستنسن ميسين ، ايران ، ص ١٧١ وهي تحريف لميسان ولا شك .

(١٦) ذكر ابن النديم (وجال ماني البلاد قبل أن يلقى سابور نحو أربعين سنة... وكان ماني دعا الهند والصين وأهل خراسان ، وخلف في كل ناحية صاحبا له) ، الفهرست ، ص ٤٧٢ ، كريستنسن ، ايران ، ص ١٧١ ، دياكانوف ، مختصر تاريخ ايران ، ص ٣٠١ .

(١٧) يقول ابن النديم (واستخرج ماني مذهبه من المجوسية والنصرانية) ، الفهرست ص ٤٧٢ ويضيف على ذلك البيروني مذهب الثنوية ويقصد الغنوصية ولاشك فقد كتب أبو الريحان (وكان عرف مذهب المجوس والنصارى والثنوية) ، الآثار ، ص ٢٠٧ ، ومن كل ذلك يستخلص الشهرستاني بأن ماني (أحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية) ، الملل والنحل ، جـ ١ ص ٢٤٤ ، ولا ريب أن بارتولد قد استنار برأي الشهرستاني حينما توصل إلى أن (آراء بردسان الكاتب السرياني الذي حاول التأليف بين الفلسفة الوثنية المسماة الغنوستية (الغنوصية) Gnosticisme وبعض آراء النصرانية ، ولا ريب قد أثرت في المانوية التي ظهرت في القرن الثالث) ، الحضارة الإسلامية ، ص ١٠ ، والترجمة العربية ، ص ١١ ـ ٢ ، ويشابه كريستنسن في آرائه ما توصل إليه بارتولد فقد كتب كريستنسن (وقد نشأ الطفل ـ يقصد ماني ـ على مذهب المغتسلة ـ الصابئة ـ . ولكنه تعمق بعد ذلك في درس أديان زمانه الزرادشتية والمسيحية والمذاهب الجينيستكية (الغنوصية) وخاصة مذهبي ابن ديصان ومرقيون فترك مذهب المغتسلة) ، ايران ص ١٧١ ـ ٢ . حول علاقة الغنوصية بالمانوية راجع الملحق ـ ب ـ ٢ ـ .

(١٨) كتب البيروني عن ماني (ودعا إلى ملك عوالم النور والإنسان القديم وروح الحياة وقال بقدم النور والظلمة وأزليتهما) ، الآثار ، ص ٢٠٧ .
(١٩) كريستنسن ، إيران ، ص٢٠ .
(٢٠) رستم ، أسد ، الروم ، جـ ١ ص٤٨ ، دياكونوف ، مختصر تاريخ إيران ، ص٣٠١ ، سيمنوف مقاله عن المزدكية ، مسائل التاريخ ، الدين والإلحاد ، العدد ٥ ص٣١٨-٩ .
(٢١) ابن الأثير ، الكامل ، هامش ص٢٢٦- الجزء الأول ، بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، جـ ١ ط٢ ص١٠٨ .
(٢٢) ذكر البغدادي (وقد ذهبت المانوية أيضاً إلى التناسخ) ، الفرق بين الفرق ، ص٢٧١ . كريستنسن (والظاهر أن ماني قد أخذ نظريته في التناسخ عن المذاهب الهندية ومن المحتمل أن يكون عن البوذية) ، إيران ، ص١٨١ ، كريمر ، الحضارة الإسلامية (مترجم) ، ص٧٣ ، دياكونوف ، مختصر تاريخ إيران ، ص٣٠١ .
(٢٣) كريمر ، الحضارة الإسلامية (مترجم) ، ص٧٣ ، كريستنسن ، إيران ص١٨١ ، ديانوكوف ، مختصر تاريخ إيران ، ص٣٠١ .
(٢٤) الفهرست -ص٤٨٢ .
(٢٥) كريستنسن ، ايران ، ص ١٨٤ ، تاريخ بلدان الشرق الأجنبية (أوائل الساسانيين لم يقاوموا انتشار المانوية) ، ص ٧٩ ، تاريخ ايران ،ص٥٠ .
(٢٦) كريستنسن ، ايران ، ص ١٦٩ ، تاريخ ايران ، ص ٥٠ ، تاريخ بلدان الشرق الأجنبية ، ص ٧٩ .
(٢٧) كريستنسن ، ايران ، ص ١٨٥ .
(٢٨) كريستنسن ، ايران ، ص ١٨٥ .
(٢٩) تاريخ ايران ، ص ٥٠ ، تاريخ بلدان الشرق الأجنبية (ولكن عندما توضحت صفات المعارضة للحكومة والمعابد في الموعظة المانوية بدأت الحكومة بالظلم القاسي ضد انصار ماني) - ص ٧٩ ، كريستنسن (وقد حكم على ماني بالكفر فأدخل السجن حيث عذب عذاباً مبيناً مات على أثره وكان ذلك عام ٢٧٦ م... وفي رواية شرقية صلب ماني وسلخ حيا) ، ايران ، ص ١٨٧ ، انظر ايفانوف م . س . مختصر تاريخ ايران ، ص ٢٨ - ٢٩ ، ومقالة سمينوف (المزدكية) العدد ٥ مسائل التاريخ ، الدين والإلحاد ، ص ٣٢٠ ، انظر تراث فارس حيث يعزو اضطهاد المانوية إلى دوافع سياسية (فالمجوس كانوا يحسدونهم) ، ص ٥٥ .
(٣٠) هنالك اختلافات بين القدماء والمحدثين من المؤلفين حول الفترة التي انتهى فيها ماني وقد آثرنا الاعتماد على أكثر الروايات تكرارا .
(٣١) تاريخ اليعقوبي ، م ١ ، ص ١٥٩ .
(٣٢) الدينوري (وتتبع أصحابه ومن استجاب له فقتلهم جميعاً) ، الأخبار الطوال ، ص ٥٠ ، الطبري (... وقتل أصحابه ومن دخل في ملته) ، م ١ جـ ٣ ص ٨٣٤ ، المسعودي (فقتله وقتل الرؤساء من أصحابه) ، المروج ، جـ ١ ص٢٥٠ ، كريستنسن ، ايران ، ص ١٩٠ ، سمينوف ، مقالة المزدكية ، ص ٣١٦ ، تاريخ بلدان الشرق الأجنبية ، ص٧٩ ، ماجد ، عبد المنعم ، التاريخ السياسي ، جـ ١ ، ص ١٩٦ ، الدوري - الجذور التاريخية للشعوبية ، ص٢٤ .
(٣٣) بارتولد ، تاريخ الحياة الحضارية لتركستان ، ص ٤٤ ، سمينوف ، مقالة المزدكية ، ص ٣١٦ .
(٣٤) تاريخ بلدان الشرق الأجنبية ، ص ٨٠ .
(٣٥) م . ن . ص ٨٠ .
(٣٦) نسبة إلى قائد الحركة الجماهيرية والمنظم الروحي للتعاليم الفلسفية الدينية المقرونة باسمه - مزدك بن بامداد - الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ جـ ٢ ص ٨٩٤ ، اليعقوبي ، التاريخ ، جـ ١ ص ١٨٦ ، المسعودي ، التنبيه ، ص ١٠١ ، ابن النديم ، الفهرست ، ص ٤٩٣ ، الشهرستاني ، الملل والنحل ، جـ ١ ص ٢٤٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ١ ص ٢٤١ ، راجع حول مناقشة الاسم لدى كريستنسن ، ايران ، ص ٣٢٦ ، يذكر أمير علي أن مزدك عاش في أيام أنو شروان - مختصر تاريخ العرب ، ص ٢٣٢ ، وهذا خطأ حيث قتل سنة ٥٢٩ م زمن الملك قباذ ، ويذكر سمينوف أن مزدك يلفظ بالفارسية الحديثة مجدك Movcgek وبالطاجيكية موزدك Myzgak ، مقالة المزدكية ، ص ٣٢٣ .
(٣٧) حول ارتباط المزدكية بالمانوية والزرادشتية وحول در بندس (زرادشت) يمكن مراجعة المصادر المذكورة في

الهامش السابق ، انظر كريستنسن ، ايران ، ص ٣٢٢ ـ ٣٢٧ ، ويذكر يامبولسكي : أن مزدك كان تحت تأثير المانوية ، انتفاضة بابك ، ص ١١ ، انظر تاريخ ايران ، ص٥٦ ، وتاريخ بلدان الشرق الأجنبية ، ص ٨٢ ، وغرشمان ، ايران ، ص ٣٠٢ .

(٣٨) الملل والنحل ، جـ ١ ص ٢٤٩ ، ويحكي ذلك عن الوراق ، محمد بن هارون المعروف بأبي عيسى الوراق وكان في الأصل مجوسياً .

(٣٩) كريستنسن ، ايران ، ص ٣٢٧ ، تاريخ ايران ، ص ٥٦ ، تاريخ بلدان الشرق الأجنبية ، ص ٨٢ .

(٤٠) (هذا النصر يجب أن يتقرر ليس في العالم الآخر وإنما في الحياة الواقعية الأرضية) ، تاريخ بلدان الشرق الأجنبية ، ص ٨٢ تاريخ ايران ، ص٥٦ .

(٤١) تاريخ ايران ، ص ٥٦ ، تاريخ بلدان الشرق الأجنبية ، ص ٨٢ .

(٤٢) (وحكي عنه أنه أمر بقتل النفس ليخلصها من الشر ومزاج الظلمة) ، الشهرستاني ، الملل والنحل ، جـ ١ ص ٢٤٩ .

(٤٣) الطبري ، تاريخ ، م ١ جـ ٢ ص ٨٨٥ ـ ٦ ، الملطي ، ص ٧٢ ، البيروني ، الآثار ، ص ٢٠٩ ، المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج ـ ٣ ص ١٦٧ ـ ٨ ، الشهرستاني ، الملل والنحل ، جـ ١ ص ٢٤٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ١ ص٢٤١ ، أبو الفداء ، كتاب المختصر ، جـ ١ ص ٦٦ ، ابن خلدون ، كتاب العبر ، جـ ٢ ص ١٧٦ .

(٤٤) تاريخ الرسل ، م ١ جـ ٢ ص ٨٨٦ ، الثعالبي ، غرر أخبار ملوك الفرس ، ص ٦٠٠ .

(٤٥) التنبيه والرد ، ص ٧٢ ، الثعالبي ، غرر أخبار ملوك الفرس ، ص ٦٠٠ .

(٤٦) الآثار الباقية ، ص ٢٠٩ .

(٤٧) الملل والنحل ، جـ ١ ، ص ٢٤٩ .

(٤٨) كتاب العبر ، جـ ٢ ص ١٧٦ .

(٤٩) كريستنسن ، ايران ، ص ٢٣٠ ، ماجد ، عبد المنعم ، التاريخ السياسي ، جـ ١ ص ١٩٧ ، انظر أيضاً تاريخ ايران ، ص ٥٦ .

(٥٠) تاريخ ايران ، ص ٥٦ .

(٥١) كريستنسن ، ايران ، ص ٣٢٣ ـ ٦ ، تاريخ ايران ، ص ٥٦ .

(٥٢) كريستنسن ، ايران ، ص ٣٢٦ ، سمينوف ، مقالة المزدكية ، ص ٣٢٢ .

(٥٣) كريستنسن ، ايران ، ص ٣٢٦ .

(٥٤) تاريخ الرسل ، م ١ جـ ٣ ص ٨٨٦ ، الثعالبي ، غرر أخبار ملوك الفرس ، ص ٦٠٠ .

(٥٥) كتاب التنبيه والرد ، ص ٧٢ ، الثعالبي ، غرر أخبار ملوك الفرس ، ص ٦٠٠ .

(٥٦) الملل والنحل ، جـ ١ ص ٢٤٩ .

(٥٧) تاريخ الرسل ، م ١ جـ ٣ ص ٨٨٥ ـ ٦ .

(٥٨) الملل والنحل ، جـ ١ ص ٢٤٩ .

(٥٩) تاريخ الرسل ، م ١ جـ ٣ ص ٨٨٥ ، الثعالبي ، غرر أخبار ملوك الفرس ، ص ٦٠٠ .

(٦٠) مختصر تاريخ إيران ، ص ٢٠ .

(٦١) مختصر تاريخ ايران القديم ، ص ٣٠٩ .

(٦٢) م .ن . ص ٣٠٩ .

(٦٣) تقول بيكولفيسكايا (إن الفلاحين المشاعيين قصدوا العود الخاطئ إلى نظام المشاعية) ، تاريخ ايران ، ص٥٨ .

(٦٤) سمينوف ، مقالة المزدكية ، ص ٣٢٦ ـ ٧ ، ٣٤٣ ، عمر فروخ ، العرب والإسلام في الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٣٧٨ ـ ١٩٥٨ ـ ص ٢٣ . وفي أيام قباذ نبغ مذهب مزدك ، أو المزدكية . والمزدكية حركة اجتماعية شعبية وجدت لتقاوم المانوية (مذهب ماني) . كانت المانوية دين الدولة الحاكمة ودين النبلاء الذين كانوا يستغلون سواد الشعب ويضطهدونه ، فجاءت المزدكية ومنها عنصر شيوعي يقول بأن تقسم

أموال الأغنياء بين الفقراء ، ثم تطرف فقال أيضاً بشيوع النساء . اعتنق قباذ الأول هذا المذهب في السنة الأولى لحكمه (عام ٤٨٨م) .

عمر فروخ ، تاريخ الجاهلية ، بيروت ١٣٨٤ ـ ١٩٦٤ ، ص ٦٧ . المزدكية في أيام قباذ الأول (٤٨٨ ـ ٥٣١م) نبغ مذهب مزدك أو المزدكية . المزدكية حركة اجتماعية شعبية وجدت لتقاوم المانوية (مذهب ماني) ، دين الدولة الحاكمة ودين النبلاء ، فجاءت المزدكية وفيها عنصر شيوعي يقول بأن تقسم أموال الأغنياء بين الفقراء . ثم تطرف مزدك فقال بشيوع النساء . وقد اعتنق قباذ هذا المذهب وحمل الفرس عليه ودعا العرب في الحيرة ونجد إليه أيضاً . تراث فارس (لوكهارت ، فارس في نظر الغرب) ، ص ٤٣٠ .

(٦٥) أمير علي ، مختصر تاريخ العرب ، ص ٢٣٢ ، موللر ، تاريخ الإسلام ، ص ١٨٣ ، بارتولد ، الحضارة الإسلامية ، ص ١٦ ، ٦٧ ، كريستنسن ، ايران ، ص ٥٦ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٤٣ ـ ٤ ، ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٤٠٨ ، لويس ، أصول الاسماعيلية ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ ، جوزي ، بندلي ، بابك والبابكية ، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ ـ ٢٠٦ ـ ٢٠٧ ـ ٢٠٩ ، من تاريخ الحركات ، ص ٨٤ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٣ ، بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، جـ ٢ ص١٤ ، سمينوف ، المزدكية ، ص ٢٢٦ ـ ٧ ، ٢٤٣ ، ماجد ، عبد المنعم ، التاريخ السياسي ، جـ ١ ص ١٩٧ ، الدوري ، الجذور التأريخية للشعوبية ، ص ٤١ ، العصر العباسي الأول ، ص ٣٦ ، حتي ، تاريخ العرب (مطول) ، جـ ٢ ط ٣ ص ٤٤٠ .

(٦٦) ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٤٠٨ ، بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، جـ١ ص ١٠٩ ، الدوري ، العصر العباسي الأول ، ص ٨٨ ، شريف ، محمد بديع ، الصراع ، ص ٥٤ ، ماجد ، عبد المنعم ، التاريخ السياسي ، جـ ١ ، ص ١٩٨ ، الخربوطلي ، تاريخ العراق ، ص ٢٦٣ ، زيدان ، عبد الكريم ، أحكام الذميين ، ص ١٥ ، يحيى الخشاب ، مقدمة تراث فارس ، ص ٦٤ .

(٦٧) شريف ، الصراع ، ص٥٤ ، شلبي ، أحمد ، في قصور الخلفاء ، ص ٣٤ ، عمر فروخ ، العرب والإسلام ، ص ٢٣ ، تاريخ الجاهلية ، ص ٦٧ ، الخربوطلي ، تاريخ العراق ، ص ٢٦٣ ، زيدان ، عبد الكريم ، أحكام الذميين ، ص١٥ .

(٦٨) نفس المصادر السابقة .

(٦٩) دياكانوف ، مختصر تاريخ ايران القديم ، حاشية رقم ١٥٣ ص ٤١٠ .

(٧٠) كريستنسن ، ويذكر « أن أسقف النصارى كان حاضراً المناظرة ويساعد الزرادشتيين على المزدكيين ، ايران ، ص ٣٤٥ ، غرشمان ، ايران ، ص ٣٠٣ .

(٧١) يذكر بونيياتوف « المؤرخون البرجوازيون في ترديدهم لروايات المؤرخين الاقطاعيين المتحيزة ، رأوا الشيوعية في شعارات حركات المزدكيين والخرميين البدائية الداعية للمساواة (مشاعية الملكية) ، ولكي يشهروا بالشيوعية الواقعية (العلمية) نسبوا لها حتى (مشاعية الزوجات) أيضاً ، مجلة أخبار أكاديمية علوم الجمهورية الاذربيجانية السوفيتية ١٩٥٩ م العدد ٢ ص ٤٩ .

(٧٢) الفهرست ، ص ٤٩٣ .

(٧٣) ك . فلوكل ، بابك ، مجلة جمعية الاستشراق الالمانية ، ليبزغ ، ١٨٦٩ ص ٥٣١ .

(٧٤) راجع رد موللر عليه في « تاريخ الإسلام (الترجمة الروسية) ، بطرسبورغ ، ١٨٩٥ ـ ٦ ص ١٩٥ .

(٧٥) بونيياتوف ـ حول مصطلح الخرمية ـ مجلة أ . ع . جـ . أ . س ـ ١٩٥٩ عدد ٢ ص ، آذربيجان في القرون السابع ـ التاسع ، ص ٢٣٢ .

(٧٦) الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٦ ، من المؤسف أن تجد تأثير هذا القول لدى كتاب سوفييت مثل « ماناندیان ، الذي يقر بمشاعية النساء ، الانتفاضات الشعبية ، ص ٤ .

(٧٧) نقد العلم والعلماء أو تلبيس أبليس ، ص ٧٤ وذكر في صفحة ١٠٣ (وأباحوا النساء وأحلوا كل محظور . ويردد عبد العال بدون تردد كل ما قيل عن (إباحية مزدك) في كتابه ـ حركات الشيعة المتطرفين ، ص ٦٦ ، ٦٩ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٤٩ .

(٧٨) وكتابه تاريخ اليهود (الترجمة الروسية كاركافي) ونقل دياكانوف عن الجزء الخامس ، بطرسبورغ ،

١٩٠٢ ، ص ١٠ فيما كتبه عن انتفاضة يهود بابل تحت قيادة مار ـ زوتري ، وقد اعتبرها ضد المزدكية .

(٧٩) دياكانوف ، مختصر تاريخ ايران القديم ، حاشية رقم ١٥٣ ص ٤١٠ .

(٨٠) ايران ، ص ٣٢٩ .

(٨١) أصول الاسماعيلية ، ص ١٩٩ .

(٨٢) مختصر تاريخ ايران القديم ، حاشية رقم ١٥٣ ص ٤١٠ .

(٨٣) سولدوخو ، يو . أ . في مقالة الممتع (الحركة المزدكية وانتفاضة يهود العراق في النصف الأول للقرن السادس بعد الميلاد رقم ٣ ـ ٤ ص ١٣٦ .

(٨٤) مختصر تاريخ ايران القديم ، ص ٤١٠ .

(٨٥) ايران ، ص ٣٣٠ .

(٨٦) تاريخ ايران ، ص ٥٨ ، انظر غرشمان الذي اعتبر منهاج مزدك ضد حريم النبلاء أيضاً ، حيث فيه (الحريم) عدد غفير من النسوة اللواتي أغلق من دونهن الباب ، ايران ، ص ٣٠٢ .

(٨٧) يرى بونيياتوف : «البحث العلمي لهذه المسألة (مشاعية الزوجات) في الواقع يحتم ملاحظة أن الرواسب الدينية للزواج الجماعي البدائي كانت معروفة لشعوب كل البلدان تقريباً أحياناً تحت ستار الأعراف الدينية الرسمية والأخلاقية والقانونية وعلى الرغم من هذه الأعراف أحياناً» ، ويضيف بونيياتوف إلى ذلك : «هذا مالايقبل الجدل وليس هناك فسق ما» ، وقد توصل إلى ذلك مستخدماً آراء فردريك انكلز في أصل العائلة ، ص ٢٦ ـ ٨٥ «لايمكن تفهم ظروف المجتمع البدائي طالما كنا ننظر إليه نظرتنا إلى دور البغاء» ، مجلة أخبار ، أ . ع . جـ . أ . س . ، ١٩٥٩ م العدد ٢ ، ص ٤٨ ، آذربيجان في القرون السابع ـ التاسع ، ص ٢٣٣ ـ ٤ .

(٨٨) مقالة المزدكية ، ص ٣٣٢ .

(٨٩) راجع كريستنسن ، ايران من ص ٣٠٨ إلى ص ٣١٩ حول العلاقات بين أفراد الأسرة الايرانية في العهد الساساني والقوانين العامة التي تحدد مسؤوليات وواجبات كل فرد وعن الوراثة والوصاية والتبني ، ومراجعة دياكانوف ، مختصر تاريخ ايران القديم ، الحاشية رقم ١٥٣ في الصفحات ٤١٠ ـ ٤١١ حيث فيه بحث طريف عن معالجة المزدكيين لقضية المرأة الايرانية .

(٩٠) الذي اختصر تاريخ الطبري .

(٩١) من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام ، ص ٩٨ ـ ٩٩ .

(٩٢) في الحقيقة أن كريستنسن ينقل في (ايران ، ص ٣٢٩) أقوال الطبري وابن البطريق والثعالبي والشهرستاني وغيرهم ممن أوردنا نصوصاً لهم حول الموضوع ، غير أن جوزي نسبها للبلعمي .

(٩٣) من تاريخ الحركات ، ص ٩٨ ـ٩ .

(٩٤) مجلة أخبار اكاديمية علوم ١٩٥٩ م ، العدد ٢ ، ص ٤٦ ، آذربيجان في القرون السابع ـ التاسع ، ص٢٣١ .

(٩٥) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص ٦٧ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، جـ ٢ ، ص ٨٨٥ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ١ ، ص ٢٤٢ .

(٩٦) ايران ، ص ٣٣٠ ، حاشية رقم ٣ ، وكذلك اعتبرت بيكولفسكايا الفترة الأولى ٨ سنوات ، تاريخ ايران ، ص ٥٨ .

(٩٧) تاريخ ايران ، ص ٥٨ .

(٩٨) ايران ، ص ٣٣٦ .

(٩٩) تتفق غالبية المصادر على هذا التاريخ .

(١٠٠) مقالة المزدكية ، ص ٣٣٤ ، ص ٣٤٢ .

(١٠١) البيروني ، الآثار ، ص ٢٠٩ ، تومارا ، بابك ، ص ٩ .

(١٠٢) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، جـ ٢ ، ص ٨٨٥ ، المقدسي ، البدء والتاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٦٨ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ١ ، ص ٢٤٢ .

(١٠٣) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص ٦٧ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، جـ ٣ ، ص ٨٨٢ ، ص ٨٨٧ ، ويسميهم ابن خلدون بالصغد ، كتاب العبر ، جـ ٢ ، ص ١٧٦ .

(١٠٤) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، جـ ٣ ، ، ص ٨٨٢ .
(١٠٥) كريستنسن ، ايران ، ص ٣٢٤ ، رستم ، أسد ، ويطلق عليهم الهون البيض ، الروم ، جـ ١ ، ص ١٣٦ .
(١٠٦) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص ٦٧ ، اليعقوبي ، التاريخ ، م ١ ، ص ١٦٤ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م١ ، جـ٣ ، ص ٨٨٥ ـ ٦ .
(١٠٧) دياكانوف ، مختصر تاريخ ايران القديم ، ص ٢٠٧ ، رستم ، أسد ، الروم ، جـ ١ ، ص ١٣٦ ، تاريخ بلدان الشرق الأجنبية ، ص ٨٣ .
(١٠٨) يضيف تاريخ بلدان الشرق الأجنبية ، ص ٨٣ ، الجيش الإيرائي إلى جيش الهياطلة . ولم يرد ذكر الجيش الايرائي في غالبية المصادر .
(١٠٩) يقدره سمينوف بـ ٣٠ ألفاً ، مقالة المزدكيين ، ص ٣٣٤ .
(١١٠) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص ٦٨ ، كريستنسن ، ايران ، ص ٣٣٦ـ٧ .
(١١١) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص ٦٨ ، كريستنسن ، ايران ، ص ٣٣٦ .
(١١٢) كريستنسن ، ايران ، ص ٣٣٦ .
(١١٣) تذكر بيكولفسكايا «في المرحلة الجديدة سياسة الشاه كانت متجهة نحو أضعاف المزدكيين» ، تاريخ ايران ، ص ٥٩ .
(١١٤) تاريخ بلدان الشرق الأجنبية ، ص ٨٣ .
(١١٥) يذكر البيروني «وآمن قباذ به فزعم بعض الفرس أنه لم يتبعه إلا اضطراراً حين لم يأمن متبعيه على ملكه» ، الآثار ، ص ٢٠٩ . ويشير غرشمان إلى أن قباذ وجد من الشجاعة ليقف مع الناس لأجل أن يضعف سلطان الارستقراطية ، ايران ، ص ٣٠٢ .
(١١٦) كريستنسن ، ايران ، ص ٣٣١ ـ ٢ .
(١١٧) كريستنسن ، ايران ، ص ٣٣١ ، ص ٣٣٣ ، دياكانوف ، مختصر تاريخ ايران القديم ، ص ٣٠٧ ، سمينوف ويتفق مع كريستنسن في رأيه ، مقالة المزدكيين ، ص ٣٣١ .
(١١٨) ايران ، ص ٣٣١ ، راجع مناقشة دياكانوف لآراء كريستنسن هذه في مختصر تاريخ ايران القديم ، ص٣٠٤ ـ ٥ .
(١١٩) كريستنسن ، ايران ، ص ٣٣٦ .
(١٢٠) كان كاؤوس أميراً على طبرستان (بذا شخوار ـ شاه) ، كريستنسن ، ايران ، ص ٣٣٩ ، ويسميه سمينوف ، باتشغواز ـ شاه ، مقالة المزدكية ، ص ٣٣٥ .
(١٢١) كريستنسن ، ايران ، ص ٣٤٤ ، ويعتقد أنها في نهاية ٥٢٨ وبداية ٥٢٩ ، ويعتقد ياكوبفسكي أنها في عام ٥٢٨ ، مجلة الاستشراق السوفييتية ، المجلد ٥ لسنة ١٩٤٨ ، ص ٤٠ ، راجع تاريخ بلدان الشرق الأجنبية الذي يعتبرها في ٥٢٩م ، ص ٨٤ .
(١٢٢) كان أسقف المسيحية بازان حاضراً ، كريستنسن ، ايران ، ص ٣٤٥ ، سمينوف ، مقالة المزدكية ، ص٣٣٦ .
(١٢٣) ايفانوف ، مختصر تاريخ ايران ، ص ٣٠ ، ولاشك أن هذا الرقم لا يقتصر على المشاركين في المناظرة .
(١٢٤) اليعقوبي ، جـ ١ ، ص ١٨٦ ، ويعتبر مقتل مزدك أيام حكم أنو شروان هذا غير صحيح ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، جـ ٣ ، ص ٨٩٧ ، المسعودي ، مروج ، جـ ١ ، ص ٢٦٤ ، الأصفهاني ، أبو الفرج ، الأغاني ، جـ٨ (طبعة ١٩٠٤) ص ٦١ ، المقدسي ، المطهر بن طاهر (أعتبر عدد القتلى ٨٠ ألفا ، بينما عدهم الأصفهاني وابن الأثير ١٠٠ ألف) ، البدء والتاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٦٨ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ١ ، ص ٢٥٥ .
(١٢٥) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، جـ ٣ ، ص ٨٩٧ .
(١٢٦) ايران ، ص ٣٥٠ .
(١٢٧) تاريخ الرسل ، م١ ، جـ ٣ ، ص ٩٦٢ .
(١٢٨) تشير غالبية المصادر إلى أن الخرمية من الثنوية .

(١٢٩) انظر مقالة بونيياتوف حول مصطلح الخرمية ، مجلة أخبار أ . ع . جـ . أ . س . عام ١٩٥٩ م العدد ٢ ص ٤٥ ـ ٥٠ ، وأذربيجان في القرون السابع ـ التاسع ، ص ٦٣٠ ـ ٦ .

(١٣٠) يقول الطبري عن خداش «ثم غير ما دعاهم إليه وتكذب وأظهر دين الخرمية دعا إليه ورخص لبعضهم في نساء البعض» ، تاريخ الرسل ، م ٢ ، جـ ٣ ، ص ١٥٨٨ ونجد ترديد هذا القول لدى ابن الأثير في الكامل والمقدسي في البدء والتأريخ (ويقول عنه : وهو أول من بدأ مذهب الباطنية) ، جـ ٦ ، ص ٦٠ ـ ١ .

(١٣١) ص ٣٥٣ .

(١٣٢) الطبعة الثانية ، جـ ٣ ، ص ٣٠٥ .

(١٣٣) الفهرست ، ص ٤٩٣ ـ ٤ .

(١٣٤) الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٦ ، إلا أنه ذكر عن الخرمية في مجال آخر بأنهم على طريقة المزدكية (وكان أهل جبله «يقصد بابك» خرمية على طريقة المزدكية) ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٨٤ .

(١٣٥) التبصير ، ص ٦٢ .

(١٣٦) البدء والتأريخ ، جـ ٤ ، ص ٣٠ .

(١٣٧) وچنان بودكه زن مزدك خرمه بنت فاده بكريختـه بوداز مداين بادوكي وبرستاق ري افتاده ومردم رابمذهب شوهرمي خوائد تاباز خلقي در مذهب أو آمدند أزكبران . ومردمان ايشان راخرم دينان لقب نهادند... ، سياست نامه ، باهتمام هيوبرت دارك ، طهران ، ١٩٦٢ ، ص ٢٦١ ، انظر الترجمة الروسية لسياست نامه ، زاخودير ، موسكو ١٩٤٩ ، ص ٢٠٥ .

(١٣٨) ياكوبفسكي في مقاله عن المقنع في مجلة الاستشراق السوفييتية م ٥ لسنة ١٩٤٨ ص ٤٠ ، لويس ، أصول الاسماعيلية ، ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ ، الدوري ، في اعتماده على براون ، تاريخ الأدب الفارسي ، المجلد الأول ، جاء بنص عن نظام الملك فيه قليل من التحريف ، العصر العباسي الأول ، ص ٨٤ ، العدوي ، الدولة الاسلامية ، الحاشية رقم٢ ، ص ١٠٠ ، ايرجي تسيبك ، بابك ، براغ ، ١٩٥٢ ، ص ١٦٣ ـ ٤ ، والملاحظ أن كريستنسن لم يشر إلى خورامه مطلقاً .

(١٣٩) الملل والنحل ، جـ ١ ، ص ٢٥٠ .

(١٤٠) كتب ياكوبفسكي «قال الشهرستاني أن الخرمية انقسمت إلى عدة فرق في القرنين الثامن والتاسع ، أبو مسلمية ، ماهانية ، كودكية ، أسبيد جاماكية ، وغيرها» ، تاريخ ايران ، ص ١٠٧ ، راجع أيضاً مقالته عن المقنع في مجلة الاستشراق السوفييتية المجلد الخامس لسنة ١٩٤٨ ، ص ٤٠ .

(١٤١) الملل والنحل ، جـ ١ ، ص ١٥٢ .

(١٤٢) كتاب الأنساب ، لندن ١٩١٢ ، ص ٧٢ ، ويرى البغدادي أن المقنعية «يستحلون الميتة والخنزير وكل واحد منهم يستمتع بامرأة غيره» ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٥٩ .

(١٤٣) تلبيس إبليس ، ص ١٠٢ ـ ٣ .

(١٤٤) كتاب العبر ، جـ ٣ ، ص ٢٥٦ ، وتحت تأثير ابن خلدون وقع زيدان ، عبد الكريم في الخطأ حينما عدّ الخرمية من فرق المجوس ، أحكام الذميين ، ص ١٥ .

(١٤٥) مجلة جمعية الاستشراق الألمانية ZDMG ليبزغ ١٨٦٩ ، ص ٥٣١ .

(١٤٦) الدولة العربية ، ص ٤٠٧ ـ ٨ .

(١٤٧) فان فلوتن ، السيادة العربية ، امستردام ، ١٨٩٤ م ، ص ٤٩ ، وقد سبق وإن قال شبيه هذا القول العالم الانكليزي ج . سيل G. Sale ، القرآن The Koran ، لندن ، ١٨٥٧م ، ص ١٣٠ .

(١٤٨) تاريخ الإسلام ، هامش ص ١٩٦ .

(١٤٩) العصر العباسي الأول ، ص ٣٧ .

(١٥٠) دائرة المعارف الإسلامية المختصرة (النسخة الانكليزية) ، ليدن ، ١٩٥٣ ، ص ٢٥٧ .

(١٥١) من تاريخ الحركات ، ص ١٠٠ .

(١٥٢) مجلة أخبار أ .ع .جـ .أ .س . العدد ٢ ، ص٤٨ ، أذربيجان ، ص٢٣٣ .

(١٥٣) م .تومارا ، بابك ، ص٧ .
(١٥٤) بونيياتوف ، حول مصطلح الخرمية ، ص٤٨ ، أذربيجان ، ص٢٣٣ .
(١٥٥) مروج الذهب ، ط ٢ ، جـ ٣ ، ص ٣٠٥ .
(١٥٦) معجم البلدان ، بيروت ، جـ ٧ ، ص ٣٦٢ .
(١٥٧) أعمال صادق الأصفهاني الجغرافية ترجمت من قبل جي . سي . ، لندن ١٨٣٢ ، ص ٢٣ .
(١٥٨) تاريخ الإسلام ، هامش ص ١٩٦ .
(١٥٩) دائرة المعارف الإسلامية المختصرة (النسخة الانكليزية) ، ط ١٩٥٣ ، ص ٢٥٧ .
(١٦٠) السيادة العربية ، ص ٤٩ .
(١٦١) تاريخ العرب (مطول) ، جـ ١ ، ط ٣ ، ص ٤٠٠ .
(١٦٢) من تاريخ الحركات ، ص ١٠٠ .
(١٦٣) القرآن ، ص ١٣٠ .
(١٦٤) الصراع ، ص ٥٦ .
(١٦٥) في التاريخ العباسي ، جـ ١ ، ص ١٢٢ .
(١٦٦) حول مصطلح الخرمية ، مجلة أخبار أ . ع . أ . جـ . أ . س ، العدد ٢ ، ص ٤٥ ، اذربيجان ، ص٢٣٦ .
(١٦٧) مقالة الخرمية ، مجلة ، ص ٥٠ ، اذربيجان ، ص ٢٣٦ .
(١٦٨) ايران ، ص ٢٤٧ .
(١٦٩) تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ٢٩٦ ، وكذلك يسميهم احياناً ياكوبفسكي «بالمزدكية» في مقالته عن المقنع في مجلة الاستشراق السوفييتية ، المجلد ٥ لسنة ٤٨ ، ص ٤٠ ـ ١ .
(١٧٠) تاريخ العصور الوسطى ، ص ١٣٢ .
(١٧١) اذربيجان قهرماني بابك خرم دين ، باكو ١٩٦٠ ص ٢٠ .
(١٧٢) الصراع ، ص ٥٦ .
(١٧٣) تاريخ العرب (مطول) ، جـ ١ ، ط ٣ ، ص ٤٠٠ .
(١٧٤) براون Browne, E.G. ، تاريخ الأدب الفارسي ، م ١ ، ص ٢٤٧ .
(١٧٥) صديقي Sadighi, G.H. الحركات الدينية الإيرانية ، باريس ، ١٩٣٨ .
(١٧٦) العرب في التاريخ ، ص ١٤٢ .
(١٧٧) العصر العباسي الأول ، ص ٣٦ .
(١٧٨) م .ن . ، ص ٨٥ .
(١٧٩) البدء والتاريخ ، جـ ٤ ، ص ٣٠ .
(١٨٠) نقد العلم والعلماء أو تلبيس ابليس ، ص ١٠١ .
(١٨١) البدء والتاريخ ، جـ ٤ ، ص ٣٠ ، انظر مرغليوث ، دائرة المعارف الإسلامية (النسخة الانكليزية) ، ١٩٥٣م ، ص ٢٥٨ .
(١٨٢) مروج الذهب ، ط ٢ ، جـ ٣ ، ص ٣٠٥ ، ويذكر البغدادي عن اتباع المازيار (وأتباع مازيار اليوم في جبلهم أكرة من يليهم من سواد جرجان) ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٩ .
(١٨٣) تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١٢٦٩ ، ويقول بارتولد «فيثيرون المزارعين المحرومين من الأرض ضد أصحاب الضياع الواسعة الذين هم (حلفاء العرب)» ، الحضارة الإسلامية ، ص ٦٠ ، والترجمة ٦٦ .
(١٨٤) ينقل لويس عن (صديقي ، الحركات الدينية ، ص ٦١) : فصار زرادشتيو الطبقات الراقية من الفرس سنة وبقوا على امتيازاتهم ، أصول الاسماعيلية ، ص ٨٥ ، بينما الزرادشتيون البسطاء انتقلوا إلى الشيعة ـ كما يشير إلى ذلك بارتولد ، الحضارة الاسلامية ، ص ٦٠ ، والترجمة العربية ص ٦٦ .
(١٨٥) الحرب الفلاحية في المانية ، ص ٣٤ .
(١٨٦) الحضارة الإسلامية ، ص ٦٠ والترجمة ، ص ٦٦ .

(١٨٧) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٩ ، راجع مرغليوث ، دائرة المعارف الاسلامية المختصرة ، ص٢٥٨ .
(١٨٨) البدء والتاريخ ، جـ ٤ ، ص ٣٠ ، انظر مقالة مرغليوث عن الخرمية في دائرة المعارف الاسلامية المختصرة ، ١٩٥٣م ، ص ٢٥٨ .
(١٨٩) المنتظم ، جـ ٥ ، ص ١١٠ .
(١٩٠) المواعظ والاعتبار ، جـ ٤ ، ص ١٩٠ .
(١٩١) دخلت البرامج الاجتماعية والاقتصادية في تعاليم بعض الفرق الشيعية (قرامطة ـ اسماعيلية) في القرنين التاسع والعاشر وحينئذ انتمت إليها بكثرة ، الجماهير المستغلة من مختلف الأجناس والبلدان .
(١٩٢) يذكر لويس ، واستقى هؤلاء الثوار أكثر الهامهم الديني من الهرطقات الايرانية القديمة ، العرب ، ص١٤٢ .
(١٩٣) مثلاً حسن ، حسن ابراهيم ، تاريخ الإسلام السياسي ، جـ ٢ ، ص ٤١٩ .
(١٩٤) أصول الاسماعيلية ، ص ٢٠٣ .
(١٩٥) كما يسميهم الوردي ، علي جليل في كتابه وعاظ السلاطين .
(١٩٦) بونيياتوف ، مقالة حول مصطلح الخرمية ، ص ٤٩ .
(١٩٧) تاريخ الإسلام ، ١٩٦ .
(١٩٨) الدولة العربية ، ص ٤٠٧ ـ ٨ .
(١٩٩) تاريخ الشعوب ، جـ ٢ ، ص ١٤ .
(٢٠٠) الحركات الدينية في ايران .
(٢٠١) العصر العباسي الأول ، ص ١٦ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، دراسات ، ص ١٠ ، مقدمة ،و ص٨٩-٩٠ ، والجذور التاريخية للشعوبية ، ص ٢٤ ، ٢٦ ، ٤١ ، ٤٢ ويغلب التناقض على أقواله في كتبه المختلفة .
(٢٠٢) الصراع ، ص ٥٥ .
(٢٠٣) في التاريخ العباسي ، جـ ١ ، ص ١٢٢ ـ٣ .
(٢٠٤) تاريخ الإسلام السياسي ، جـ ٢ ، ص ٤٣ .
(٢٠٥) في قصور الخلفاء العباسيين ، ص ١٠١ .
(٢٠٦) ليو ، تاريخ أرمينيا ، جـ٢ ، ص ٣٤٧ .
(٢٠٧) مانانديان ، الانتفاضات الشعبية ، ص ٢١ .
(٢٠٨) الحضارة الإسلامية ، ص ٦١ ، والترجمة العربية ، ص ٦٧ .
(٢٠٩) م .ن . ص ٦٠ والترجمة ص ٦٥ ، ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٣٩١ ، بروكلمان تاريخ الشعوب ، جـ١ ، ط ٢ ، ص ١٣٠ .
(٢١٠) تاريخ الاتحاد السوفييتي ، القسم الأول ، ص ٤٨ .
(٢١١) تاريخ العالم ، جـ ٣ ، ص ١٣٨ .
(٢١٢) كما في الدعوة العباسية انظر بارتولد ، الحضارة الاسلامية ، ص ٦٠ ، والترجمة ٦٥ . لويس ، العرب ، ص ١١١ .
(٢١٣) كالخوارج والشيعة والمختار وابن الاشعث والحارث ابن سريج وغيرهم ، ويعتبر عبد العال ، اضطهاد الامويين للموالي الذين انضموا إلى هذه الفرق والانتفاضات ، واجباً مارسوه كحكام ويستغرب اعتباره اضطهاداً ، حركات الشيعة المتطرفين ، ص ٢١٣ .
(٢١٤) الطبري ، تاريخ ، م ٢ ، جـ ٢ ، ص ١٥٨٨ ، المقدسي ، البدء والتاريخ ، جـ ٦ ، ص ٦٠ ـ ١ ، المقريزي ، الخطط ، جـ ٤ ، ص ١٩٠ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ١ ، ص ٢٧٨ .
(٢١٥) الدولة العربية ، ص ٤٠٨ .
(٢١٦) العصر العباسي الأول ، ص ٨٤ ـ٥ .
(٢١٧) الجذور التاريخية للشعوبية ، ص ٢٦ ، دراسات ، ص ١٠ ، العصر العباسي الأول ، ص ٣٦ ، ص ٨٤ ـ٥ .

(٢١٨) ذكر ابن قتيبة «فأما اشراف العجم وذوو الأخطار منهم وأهل الديانة فيعرفون ما لهم وما عليهم ويرون الشرف نسباً ثابتاً» ، رسائل البلغاء ، ص ٢٧٠ وكما قال أحد الايرانيين : الشريف من كل قوم نسيب الشريف من القوم الآخر .

(٢١٩) يسميه سنباذ ، كل من : اليعقوبي ، التاريخ ، جـ ٣ ص ١٠٤ ، والطبري ، تاريخ ، م ٣ ، جـ ١ ، ص١١٩ ، نظام الملك ، سياست نامه ، النص الفارسي ، ص ٢٦١ ، وابن الأثير ، الكامل ، جـ ٤ ، ص ٣٥٧ وابن طباطبا ، تاريخ الدولة الإسلامية ، ص ١٧١ ، وأبي الفداء ، البداية والنهاية ، جـ ١ ، ص ٢٣ ، وابن خلدون ، العبر ، جـ ٣ ، ص ١٨٤ . وهناك تسميات أخرى ، فقد ذكره البلاذري ، سنفاذ ، فتوح البلدان ، ص ٣٣٩ ، ويسميه اليقعوبي أيضاً ، سنفاذ ، كتاب البلدان ، ص ٣٠٢ ، وذكره المسعودي ، بسنفاذ ، المروج ، جـ ٣ ، ص ٣٠٦ ، ويسميه المقدسي ، سنفاد ، البدء والتاريخ ، جـ ٦ ، ص ٨٢ ، وذكرها المقريزي ، شنفاد ، الخطط ، جـ ٤ ، ص ١٩٠ ، وفي المراجع الحديثة يسميه سنباذ كل من : نكلسن ، تاريخ الأدب العربي ، ط ٣ ، ص ٢٥٨ ، ومارغليوث ، دائرة المعارف الإسلامية المختصرة ، ص ٢٥٧ وبروكلمان ، تاريخ الشعوب ، جـ ٢ ، ص ٦ ، ولويس ، العرب ، ص ١٤٣ ، والدوري ، العصر العباسي الأول ، ص ٨٦ ، والجذور التاريخية للشعوبية ، ص ٤٢ ، ويسميه ياكوبفسكي سنباذ وسينباد (وحتى سنباد) في مقاله عن المقنع - مجلة الاستشراق السوفييتية ، م ٥ ، ص ٤٠ ، ويذكر الدوري أن صديقي يسميه سنباذ (العصر العباسي الأول ، ٨٦) ، ويسميه لويس سندباد ، أصول الاسماعيلية ، ص ٢٠٠ ، ويسميه موللر ، سمباز ، تاريخ الإسلام ، ص ١٨٣ ، ويسميه سمينوف ، سمبات ، في مقاله عن المزدكية ، ص ٢٤٣ .

(٢٢٠) يعتبر موللر ونيكلسن وياكوبفسكي (مقاله عن المقنع) والدوري (العصر العباسي الأول) وتاريخ العالم ، جـ٣ ، وتاريخ إيران ، أن سنة الانتفاضة هي ٧٧٥م .

(٢٢١) تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ١ ، ص ١١٩ .

(٢٢٢) تاريخ الدول الإسلامية ، الفخري ، ص ١٧١ .

(٢٢٣) مروج ، جـ ٣ ، ص ٣٠٦ ، ويأخذ بهذا الرأي مارغليوث ، دائرة المعارف الإسلامية المختصرة (١٩٥٣م) ، ص ٢٥٧ .

(٢٢٤) بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، جـ ٢ ، ص ٦ ، لويس ، العرب ، ص ١٤٣ .

(٢٢٥) وردت في كتاب العبر ، لابن خلدون ، محرفة (طرق المغازة) ، جـ ٣ ، ص ١٨٤ .

(٢٢٦) م .ن . ، جـ ٣ ، ص ١٨٤ .

(٢٢٧) الطبري ، تاريخ ، م ٣ ، جـ ١ ، ص ١١٩ ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٤ ، ص ٣٥٧ ، أبو الفداء ، البداية والنهاية ، جـ ١٠ ، ص ١٣١ .

(٢٢٨) الطبري ، تاريخ ، م ٣ ، جـ ١ ، ص ٣٥٤ ، المقدسي ، البدء والتاريخ ، جـ ٦ ، ص ٨٦ .

(٢٢٩) ورد لدى الطبري والمقدسي وابن الاثير وابن خلدون (أستاذسيس) ويسميه مسكويه (استادسيس) ، تجارب الأمم ، مخطوط ، الورقة ١٨٠ .

(٢٣٠) كتاب العبر ، جـ ٣ ، ص ١٩٨ .

(٢٣١) الطبري ، تاريخ ، م ٣ ، جـ ١ ، ص ٣٥٤ ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢٨ .

(٢٣٢) البدء والتاريخ ، جـ ٦ ، ص ٨٧ .

(٢٣٣) الطبري ، تاريخ ، م ٣ ، جـ ١ ، ص ٣٥٤ .

(٢٣٤) م .ن . ، ص ٣٥٤ .

(٢٣٥) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ١ ، ص ٤٧٠ ، ويسميه اليعقوبي ، يوسف البرم الحروري ، البلدان٣٠٢ ، ويعتبره من موالي ثقيف في بخارى ، التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٣٠ ، انظر ابن العبري ، مختصر تاريخ الدول ، ص ٢١٧ .

(٢٣٦) الطبري ، تاريخ ، م ٣ ، جـ ١ ، ص ٤٧٠ ، وقد ذكر أبو الفداء عام ١٦٢ هـ ، البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص ١٣١ .

(٢٣٧) اليعقوبي ، التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٣٠ .

(٢٣٨) م . ن . ص ١٣٠ .

(٢٣٩) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٠٤ ، الطبري ، تاريخ ، م ٣ ، جـ ١ ،و ص ٤٨٤ ، ص ٤٩٤ ، المقدسي ، المطهر ، البدء والتاريخ ، جـ ٦ ، ص٩٧ ، وقد اعتبره الشهرستاني في أول امره من الرزامية ، والرزامية فرقة من الكيسانية ، الملل والنحل ، جـ ١ ، ص ١٥٤ ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٥٢ ، ص ٥٨ ، والمنسوب لابن الساعي ، مختصر اخبار الخلفاء ، ص ٢٣ ، أبو الفداء ، البداية والنهاية ، جـ ١٠ ، ص ١٤٥ ، وابن خلدون ، العبر ، جـ٣ ، ص ٢٠٦ ـ ٧ .

(٢٤٠) يعتبر الطبري قيام الحركة سنة ١٦٠ هـ (٧٧٦ م) ، تاريخ ، م ٣ ، جـ ١ ، ص ٤٨٤ ، بينما يعتبر مسكويه خروج المقنع في سنة ١٦١ هـ ، تجارب الأمم ، مخطوط ، الورقة ١٩١ ، ويرى ابن الاثير قيام الحركة في سنة ١٥٩ هـ ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٥٢ ، والصحيح ما أورده الطبري ، ويعتبر موللر قيام الحركة ١٦١ هـ (٧٧٨م) (يؤيد رواية مسكويه) ، تاريخ الإسلام ، ص ١٨٤ ، بينما يؤيد ميور رواية ابن الاثير (١٥٩ هـ) ، الخلافة ، ص ٤٧٠ ، ويعتبر نيكلسن قيام الحركة ٧٨٠ ـ ٧٨٦م ، تاريخ الأدب العربي ، ص ٢٥٨ ، ويعتبر أمير علي قيام حركة المقنع ١٥٨ هـ ١٦١ هـ ، مختصر تاريخ العرب ، ص ٢٣١ ، كما وأن كريمسكي يعتبر قيام الحركة ٧٧٩م ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ويعتبر بروكلمان تاريخ بدء الحركة عام ٧٧٨ م ، تاريخ الشعرب ، جـ ٢ ، ص ١٣ ، ويعتبر ياكوبفسكي قيام الحركة في ثمانينيات القرن الثامن ، ولاشك أن نيكلسن وأمير علي وكريمسكي وبروكلمان وياكوبفسكي لم يحددوا التاريخ المضبوط لبدء الحركة .

(٢٤١) ذكر الطبري نهاية الحركة في عام ١٦٣ هـ (٧٧٩ م) ـ م ، جـ ١ ، ص ٤٩٤ . ولابد أن التحريف قد أصاب العام الذي ذكره ابن خلدون (٩٣ هـ) ، العبر ، جـ ٣ ، ص ٢٠٧ ، ولقد أخذ برواية الطبري كل من موللر (تاريخ الإسلام ، ص ١٨٥) وبروكلمان (تاريخ الشعوب ، جـ ٢ ، ص ١٤) . وليس صحيحاً التاريخ الذي أورده تاريخ ايران (ص ١٠٧) وتاريخ العالم (جـ ٣ ، ص ١١٥) ، وتاريخ الاتحاد السوفييتي (القسم الأول ص ٤٩) وتاريخ بلدان الشرق الأجنبية (ص ٢١٦) وسمينوف ، تاريخ العصور الوسطى (ص ١٣٣) حيث ذكروا (عام ٧٨٣ م) وقد ذكر كل من ميور (الخلافة ـ ص ٤٧٠) وأمير علي (مختصر تاريخ العرب ، ص ٢٣١) انتهاء الحركة سنة ١٦١ هـ وهذا غير صحيح وكذلك ورد لدى لويس (العرب ، ص ١٤٤) تاريخ انتهاء الحركة ٧٨٩ م .

(٢٤٢) ذكر الجاحظ (وكان اسمه عطاء) ، البيان والتبيين ، جـ ٣ ، ص ١٠٣ وذكر عنه ابن الأثير (وسمي حكيماً ثم تحول إلى هاشم وهاشم في دعواه هو المقنع) ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٥٢ ، وبقوله هذا جلب الغموض والتبس الأمر على من جاء بعده ، فقد ذكره ابن الساعي البغدادي (واسمه عطاء) ، مختصر اخبار الخلفاء (منسوب إليه) ، ص٢٣ ، وأورده أبو الفداء «قال ابن خلكان كان اسم المقنع عطاء وقيل حكيم والأول أشهر» ، جـ ١٠ ، ص ١٤٥ ، وبهذا تحير ابن خلكان وابو الفداء ، أما ابن خلدون فقد التبس عليه الأمر تماماً (كان هذا المقنع من أهل مرو ويسمى حكيماً وهاشمياً) ، العبر ، جـ ٣ ، ص ٢٠٦ . ويرجح موللر تسمية الجاحظ له بـ «عطاء» ، تاريخ الإسلام ، ص١٨٤ ، ويطلق عليه سيل ، ج ، اسم حكيم بن هاشم ، ثم يشير في الهامش (أو ابن عطاء) ، القرآن ، ص ١٢٩ وهو مخطىء ولاشك .

(٢٤٣) العرب في التاريخ ، ص ١٤٣ .

(٢٤٤) كان يعمل كقصار للثياب في مدينة مرو في خراسان ـ وهو بالأصل من قرية كاوه كيمردان ـ مهنته غسل الملابس وقصر ألوانها وليس صحيحاً ما كتبه المقدسي وابن الأثير وابن العبري وابن طباطبا من أنه كان قصيراً ، وإنما قصارا كما ورد لدى الجاحظ (البيان والتبيين ـ جـ ٣ ، ص ١٠٣) والبغدادي (الفرق بين الفرق ـ ص ٢٥٧) وابن الساعي البغدادي (مختصر اخبار الخلفاء ـ ص ٢٣وابي الفداء (البداية والنهاية ـ جـ ١٠ ، ص ١٤٥) .

(٢٤٥) في ما راء النهر ، ويقول لويس عن الانتفاضة «اتخذت من بخارى معقلاً لها» ، العرب ص ١٤٤ .

(٢٤٦) لقد توهم البغدادي بأن مدة الانتفاضة ١٤ سنة ، الفرق بين افرق ، ص ٢٥٨ ، كما وتوهم لويس بأن مدة الانتفاضة ١٣ سنة (العرب ـ ص ١٤٤) ، ويعتبر تاريخ الاتحاد السوفييتي ، المدة التي استغرقتها الانتفاضة ٧ أعوام (القسم الأول ، ص ٤٩) ، أما شريف فيعتبر المدة ١٤ عاماً (الصراع ، ص ٥٧) ، ان الانتفاضة لم تستمر أكثر من ثلاث سنوات .

(٢٤٧) لا يخلو مصدر أو مرجع عربي وغربي من هذه التهم .

(٢٤٨) ذكر البغدادي «وأما المقنعية فهم المبيضة بما وراء نهر جيحون» (ص ٢٥٧)... «واغتر به أهل ابلاق وقوم من الصغد» ص ٢٥٨ ، الفرق بين الفرق ، ويذكر الشهرستاني «وتابعه مبيضة ما وراء النهر . وهؤلاء صنف من الخرمية دانوا بترك الفرائض...» ، الملل والنحل ، جـ ١ ، ص ١٥٤ ، ولكن سبق وأن لاحظنا أن الشهرستاني اعتبر المبيضة من فرق المزدكية وهذا راجع إلى خلطه بين المزدكية والخرمية . عن المبيضة راجع ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٥٢ ، وكتاب العبر ، لابن خلدون ، جـ ٣ ، ص ٢٠٧ ، ومختصر تاريخ الدول ، لابن العبري ، ص ٢١٧ .

(٢٤٩) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٥٨ ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٥٢ ، ابن خلدون ، جـ ٣ ، ص ٢٠٧ ، ميور ، الخلافة ، ص ٤٧٠ .

(٢٥٠) الطبري ، م ٣ ، جـ ١ ، ص ٤٩٤ .

(٢٥١) تختلف الروايات بين السم والحرق ، والمرجح أنه السم لأنه عثر على جثته واحتز رأسه ، لاحظ سيل ، ج ، القرآن ، ص ١٢٩ .

(٢٥٢) المقدسي ، شمس الدين ، أحسن التقاسيم ، ص ٣٢٣ ، البغدادي ويذكر «وأتباعه اليوم في جبال ابلاق أكرة أهلها ، الفرق ، ص ٢٥٩ ، البيروني ، الآثار ، ص ٢١١ ، ابن العبري ، مختصر تاريخ الدول ، ص ٢١٨ ، ويشير سيل ، ج . إلى رواية ابن العبري ، القرآن ، ص ١٢٩ .

(٢٥٣) ورد اسم جورجان في السياست نامه (النسخة الفارسية) باسم كركان ، ص ٢٩٠ ، ولهذا ورد الاسم في الأدبيات السوفييتية باسم كوركان ، تاريخ ايران ، ص ١٠٧ ، تاريخ العالم ، جـ ٣ ، ص ١١٥ ، تاريخ الاتحاد السوفييتي ص٤٩ .

(٢٥٤) اشار نظام الملك إلى أن خرمية جورجان المحمرة كانوا يرفعون الأعلام الحمر ، سياست نامه ، ص ٢٩٠ ، والترجمة الروسية ، ص ٢٢٤ ، لاحظ ايفانوف ، موجز تاريخ ايران ، ص ٣٧ ، تاريخ ايران ، ص ١٠٨ .

(٢٥٥) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص ٣٢٦ ، الطبري ، تاريخ ، م ٣ ، جـ ١ ، ص ٤٩٣ ، المقدسي ، البدء والتاريخ ، جـ ٦ ، ص ٩٨ .

(٢٥٦) اليعقوبي ، التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٣٠ ، سعيد نفيسي ، بابك ، ص ١٦ .

(٢٥٧) البدء والتاريخ ، جـ ٦ ، ص ٩٨ .

(٢٥٨) تاريخ الشعوب الاسلامية ، جـ ٢ ، ص ١٤ .

(٢٥٩) الطبري ، التاريخ ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ٧٣٢ .

(٢٦٠) م .ن . ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ٧٣٢ ، سياست نامه ، ص ٢٩٠ ، والترجمة الروسية ، ص ٢٢٤ ، تاريخ اذربيجان ، القسم الأول ، ص ١١٨ ، نفيسي ، بابك ، ص ١٦ ، يامبولسكي ، انتفاضة بابك ، ص١٢ .

(٢٦١) ذكرها ابن فضلان «قرميسين» رسالة ابن فضلان ، ص ٧٣ ، وجاء شرحها في الهامش قرميسين (بالفتح ثم السكون) تعريب كرمان شاه ، بين همذان وحلوان وقريبة من الدينور .

(٢٦٢) البدء والتاريخ ، جـ ٦ ، ص ١٠٣ .

(٢٦٣) الفهرست ، ص ٤٩٧ .

(٢٦٤) براون ، جـ ١ ، ص ٣١٤ ـ ٥ ، بارتولد ، تركستان ، ص ١٩٨ ـ ٩ ، لويس ، العرب ، ص ١٤٣ ، الدوري ، العصر العباسي الأول ، ص ٨٨ ، والجذور التاريخية للشعوبية ، ص ٤٢ ، ومصطفى ، في التاريخ العباسي ، جـ١ ، ص ١٢٤ .

(٢٦٥) البغدادي ، الفرق ، ٢٦٩ ، الاسفرائيني ، التبصير ، ص ٦٢ ، ابن الجوزي ، نقد العلم ، ص ١٠١ .

(٢٦٦) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص ٣٣٨ .

(٢٦٧) تاريخ اليعقوبي ، جـ ٣ ، ص ١٩٧ .

(٢٦٨) التنبيه والاشراف ، ص ٣٥٣ ـ ٤ .

(٢٦٩) البدء والتاريخ ، جـ ٤ ، ص ١١٦ .

(٢٧٠) م . ن . جـ ٦ ، ص ٣٠ .

(٢٧١) م . ن . جـ ٦ ، ص ١١٦ . مع العلم بأن عائلته لم تكن معه في الأسر مما يدل على ضعف هذه الرواية .

وقد أخذ بهذه الرواية ابن العبري ايضاً في مختصر تاريخ الدول ، ص ٢٤٢ وقد رددها سيل ، ج ، القرآن ، ص ١٣٠ .
(٢٧٢) الفرق ، ص ٢٦٩ .
(٢٧٣) التبصير في الدين ، ص ٦٢ .
(٢٧٤) نقد العلم أو تلبيس ابليس ، ص ١٠١ .
(٢٧٥) البدء والتاريخ ، جـ ٤ ، ص ٣٠ .
(٢٧٦) من تاريخ الحركات ، ص ٩٩ .
(٢٧٧) حول مصطلح خرم ، مجلة أخبار ، ص ٤٨ ، اذربيجان في القرون السابع ـ التاسع ، ص ٢٣٤ .
(٢٧٨) ص ١٢٤ .
(٢٧٩) ص ١٢٤ .
(٢٨٠) تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١١٥ ، لاحظ مقالة سورديل ، د . بعنوان : بابك ، في دائرة المعارف الإسلامية ، (طبعة جديدة ١٩٦٠) ، م ١ ، ص ٨٤٤ .
(٢٨١) الأخبار الطوال ، ص ٣٣٨ .
(٢٨٢) الفهرست ، ص ٤٩٤ .
(٢٨٣) م .ن . ، ص ٤٩٤ .
(٢٨٤) الخطط ، جـ ١ ، ص ١٩٠ ـ ١ .
(٢٨٥) مختصر دول الإسلام ، جـ ١ ، ص ١٠٤ .
(٢٨٦) تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ٢ ، ص ١٢٦٩ .
(٢٨٧) الفهرست ، ص ٤٩٤ .
(٢٨٨) سيل ، ج . ، القرآن ، ص ١٣٠ .
(٢٨٩) ميور ، و . الخلافة ، ص ٥٠٤ .
(٢٩٠) رايت ، اي ، ايم ، بابك البذي والافشين ، مجلة العالم الاسلامي ، كانون الثاني سنة ١٩٤٨م ، ص ٤٩ .
(٢٩١) العصر العباسي الأول ، ص ٢٣٢ .
(٢٩٢) الجذور التأريخية للشعوبية ، ص ١٢ ، الجذور التاريخية للاشتراكية العربية ، مقالة في مجلة الآداب ، العدد الثالث (آذار ١٩٦٥) ، ص ٢١ .
(٢٩٣) من تاريخ الحركات ، ص ٨٥ .
(٢٩٤) م .ن . ، ص ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ .
(٢٩٥) في قصور الخلفاء العباسيين ، ص ١٠١ .
(٢٩٦) الروم ، جـ ١ ، ص ٣٢٥ .
(٢٩٧) الخلافة والدولة ، ص ٧٤ .
(٢٩٨) الصراع ، ص ٦٢ .
(٢٩٩) م .ن . ، ص ٦٢ .
(٣٠٠) الدولة الإسلامية ، ص ١٠٠ .
(٣٠١) احكام الذميين ، ص ١٥ .
(٣٠٢) الفهرست ، ص ٤٩٦ ، وقد صور كثير من المؤلفين قولها ـ يرد المزدكية ـ والذي هو موضوع ولاشك ـ إلى أن البابكية تسعى إلى تحطيم الإسلام وإعادة المزدكية وعلى سبيل المثال راجع الدوري ، العصر العباسي الأول ، ص ٢٣١ ، والجذور التاريخية للشعوبية ، ص ٩ ، ومقالة (الجذور التاريخية للاشتراكية العربية) في العدد الثالث من مجلة الآداب اللبنانية (آذار ١٩٦٥) ، ص ٢١ .
(٣٠٣) جوزي ، من تاريخ الحركات ، ص ٩١ ، تاريخ ايران ، ص ١٠٩ ، تاريخ العالم ، جـ ٣ ، ص ١٣٨ ، وكراسة الخلافة العربية لجيستياكوفا ،و ص ١١٨ ـ ٩ .
(٣٠٤) الطبري ، تاريخ ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١٢٦٩ ، وقد خلط الدوري بين طبرستان وجرجان ، العصر العباسي الأول ، ص ٢٣٢ .

(٣٠٥) تاريخ الحركات الفكرية ، ص ٩٨ .
(٣٠٦) ص ١٠٩ ، انظر تاريخ العالم أيضاً ، جـ ٣ ، ص ١٢٨ .
(٣٠٧) العرب في التاريخ ، ص ١٤٤ .
(٣٠٨) تاريخ بلدان الشرق الأجنبية ، ص ٢١٦ .
(٣٠٩) الجذور التاريخية للشعوبية ، ص ٤٤ ـ٥ .
(٣١٠) الحضارة الإسلامية ، ص ٦٠ ، والترجمة العربية ، ص ٦٦ .
(٣١١) من تاريخ الحركات ، ص ٩٤ ، ومقالة بابك والبابكية ، مجلة أخبار جامعة باكو ، العدد ١ ، ص ٢٠٩ .
(٣١٢) مقالة بابك والبابكية ، ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩ . وتاريخ الحركات الفكرية ، ص ٨٢ ، ٨٣ ، ٩٢ ، ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ولابد أنه قد تأثر من وصف كريمسكي لبابك «بالشيوعي الجسور» ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ٢٩٦ .
(٣١٣) من تاريخ الحركات الفكرية ، ص ٩٢ ، ٩٣ ، ١٠٢ ، ١١٥ ، ١١٧ .
(٣١٤) م .ن . ، ص ٩٨ .
(٣١٥) م . ن . ، ص٩٨ .
(٣١٦) تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١٢٣٣ .
(٣١٧) م .ن . ، ص ١٢٢٧ .
(٣١٨) الفهرست ، ص ٤٩٦ ، لاحظ تومارا ، بابك ، ص ٣٢ ، ومقالة (بابك) في دائرة المعارف الإسلامية (النسخة الألمانية) ، ص ٥٦٩ .
(٣١٩) البدء والتاريخ ، جـ ٤ ، ص ٣٠ ، انظر مقالة مارغليوث عن الخرمية ، دائرة المعارف الإسلامية (١٩٥٣) ، ص ٢٥٨ .
(٣٢٠) تاريخ الرسل ، م١ ، جـ ٣ ، ص ٨٨٥ .
(٣٢١) البدء والتاريخ ، جـ ٦ ، ص ١١٦ .
(٣٢٢) مختصر تاريخ الدول ، ص ٢٤٢ ، وعنه نقل سيل ، ج . القرآن ، ص ١٣٠ .
(٣٢٣) انظر الطبري حيث يذكر عن أسر معاوية وام بابك (فأفلت «يقصد بابك» وأخذ معاوية وام بابك والمرأة التي كانت معه ومع بابك غلام له فوجه أبو الساج بمعاوية والمرأتين إلى العسكر) ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص١٢٢٢ ، ورغم رواية الطبري هذه فإن جوزي يردد رواية المقدسي الضعيفة ، من تاريخ الحركات ، ص ١١٣ .
(٣٢٤) البدء والتاريخ ، جـ ٤ ، ص ٣٠ .
(٣٢٥) الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٩ ، انظر مقالة مارغليوث عن الخرمية في دائرة المعارف الإسلامية (١٩٥٣م) ، ص ٢٥٨ ، وينقل رواية الاصطخري ، انظر ايضاً مقالة جوزي عن بابك والبابكية ، مجلة أخبار جامعة باكو ، ص ٢٠٦ .
(٣٢٦) البدء والتاريخ ، جـ ٤ ، ص ٣٠ .
(٣٢٧) م .ن . ، جـ ٤ ، ص ٣٠ .
(٣٢٨) م .ن . ، جـ ٤ ، ص ٣٠ .
(٣٢٩) فتوح البلدان ، ص ٣٢٠ .
(٣٣٠) تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١٠١٥ .
(٣٣١) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، ص ٤٣٨ .
(٣٣٢) الفهرست ، ص ٤٩٦ .
(٣٣٣) م .ن . ، ص ٤٩٥ .
(٣٣٤) البدء والتاريخ ، جـ ٦ ، ص ١١٥ .
(٣٣٥) الكامل ، جـ ٥ ، ص ٥٢ .
(٣٣٦) م .ن . ، جـ ٥ ، ص ٥٢ ، انظر سيل ، ج . القرآن ، ص ١٢٩ .
(٣٣٧) المختصر في أخبار البشر ، جـ ١٠ ، ص ٢٤٨ .

(٣٣٨) م .ن . ، جـ ١٠ ، ص ٢٨٢ .

(٣٣٩) مختصر دول الإسلام ، جـ ١ ، ص ١٠٤ ، ابن خلدون ، كتاب العبر ، جـ ٣ ، ص ٢٥٦ وهما بهذا يرددان مقولة ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٨٤ .

(٣٤٠) الفرق بين الفرق وينقل رواية اسطورية عن (أصل الديانة البابكية) فيقول : «البابكية ينسبون أصل دينهم إلى أمير كان لهم في الجاهلية اسمه شروين ويزعمون أن أباه كان من الزنج وأمه بعض بنات ملوك الفرس) ، ص ٢٦٩ .

(٣٤١) راجع مناقشتنا لآراء المؤرخين حول علاقة الخرميين بالمزدكية في بداية بحث الخرمية .

(٣٤٢) تاريخ العالم ، جـ ٣ ، ص ١١٦ .

(٣٤٣) يقول لويس أنها تسربت إلى جنوب غربي فارس ، العرب ، ص ١٤٤ ، وهذا غير صحيح ، وذكر في دائرة المعارف السوفييتية الواسعة اسم (خراسان) ، ط ٢ ، م ٤ ، ص ٤ ، وهذا ليس بصحيح ، راجع مقالة سورديل عن بابك في دائرة المعارف الإسلامية ، (١٩٦٠م) المجلد الأول ، ص ٨٤٤ .

(٣٤٤) كما يتصور الدوري بأن غاية البابكية ضرب السلطان العربي والدين الإسلامي ، العصر العباسي الأول ، ص ٢٣٢ .

(٣٤٥) من تاريخ الحركات الفكرية ، ص ٨٥ .

(٣٤٦) م .ن . ، ص ٩٠ ـ ١ .

(٣٤٧) أصول الاسماعيلية ، لويس ، ص ١٩٠ .

(٣٤٨) انظر مقولة انكلز ، ف . حول الأشكال التي اتخذتها المعارضة الثورية للاقطاع طيلة العصور الوسطى ـ الحرب الفلاحية في ألمانيا ـ ص ٣٤ . لاحظ هامشنا المرقم (٤) ، الفصل الثالث .

(٣٤٩) انكلز ، ف ، الحرب الفلاحية في المانيا ، ص ٣١ .

(٣٥٠) انظر البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٢٩ ، وتاريخ الاتحاد السوفييتي ، القسم الأول ، ص ٤٨ ، كان غياب الملاكين عن أراضيهم سبباً آخر في عدم تطور الاقطاع السريع ، إذ كانوا يفضلون السكنى في العاصمة ، أما الآن فأخذوا يعودون إلى أملاكهم كآل طاهر مثلاً ، انظر لوكيكارد ، الضريبة الإسلامية ، ص ٦٦ ، حول أثر غياب الملاك في تطور الاقطاع .

(٣٥١) العرب في التاريخ ، ص ١٤٤ .

(٣٥٢) العصر العباسي الأول ص ٢٣٤ .

(٣٥٣) بيلايف ، يه . أ . ، تاريخ بلدان الشرق الأجنبية ، ص ٢١٦ ، انظر الموسوعة التاريخية ، م ٢ ، ص١٤ ، وورد في تاريخ اذربيجان القسم الأول ص ١٢١ ما يشبه هذا القول .

(٣٥٤) عن الصقالبة انظر تاريخ التمدن الإسلامي ، جـ ٥ ، ص ٢٧ ، لجرجي زيدان .

(٣٥٥) معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ١٢٨ .

(٣٥٦) كتلك التي حلت بخراسان والري واصبهان (الأخيرتان من مناطق الانتفاضة) كما ذكر الطبري عن حوادث سنة ٢٠١ هـ ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١٠١٥ ويرى المسعودي أن المجاعة وقعت في سنة ٢١٤ هـ ، المروج ، جـ ٤ ، ص ٢٩ ، ورواية الطبري ادق .

(٣٥٧) انظر البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٢٩ .

(٣٥٨) تاريخ اليعقوبي (طبع النجف) ، جـ ٣ ، ص ١٩٧ .

(٣٥٩) تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١١٦٥ . انظر الكامل لابن الأثير ، جـ ٥ ، ص ٢٣١ . وتاريخ مختصر الدول لابن العبري (اوكسونيا ١٦٦٣ م) ، ص ٢٥٢ .

(٣٦٠) تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١٢٦٩ ، والمازيار هو أصبهبذ طبرستان وليس جرجان كما توهم البغدادي في «الفرق بين الفرق» ص ٢٦٩ .

(٣٦١) مروج الذهب ، وقد ذكر عنهم «وأكثر الخرمية ببلاد خراسان والري واصبهان واذربيجان وكرج ابي دلف والبرج الموضع المعروف بالرذ والورسنجان ثم ببلاد الصيروان والصيمرة واربوجان من بلاد ماسبذان وغيرها من تلك الأمصار وأكثر هؤلاء في القرى والضياع» ، ط ٢ ، جـ ٣ ، ص ٣٠٥ . وعنه نقل مارغليوث في دائرة المعارف الإسلامية

المختصرة ، ص ٢٥٢ ، ونفيسي ، بابك ، ص ٣١ ـ ٣٢ ، إلا أن المسعودي يضيف إلى هذه الأماكن أماكن أخرى ذكرها في كتابه التنبيه والإشراف وهي ، مهرجان قذق وهمذان وماه الكوفة وماه البصرة وأرمينية وقم وقاشان ، ص ٣٥٣ ، وقد بين المسعودي أنه ذكر ذلك في كتبه في المقالات في أصول الديانات وسر الحياة .

(٣٦٢) الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٩ .

(٣٦٣) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٢٩ ، ابن الفقيه مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٨٤ ، تاريخ العالم ، جـ٣ ، ص ١٣٧ .

(٣٦٤) انظر جوزي ، من تاريخ الحركات الفكرية ، ص ٨٦ .

(٣٦٥) تاريخ اليعقوبي ، جـ ٣ ، ص ١٩١ .

(٣٦٦) م .ن . ، جـ ٣ ، ص ١٩١ .

(٣٦٧) م .ن . ، جـ ٣ ص ١٨٩ ، انظر مقالة د . سوريل بعنوان بابك ، دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة ١٩٦٠) ، ص ٨٤٤ .

(٣٦٨) تاريخ اليعقوبي ، جـ ٣ ، ص ١٨٩ ، اذربيجان في القرون السابع ـ التاسع ، ص ٢٥٠ .

(٣٦٩) تاريخ اليعقوبي ، جـ ٣ ، ص ١٩٩ .

(٣٧٠) تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١١٧٢ .

(٣٧١) مجلة العالم الإسلامي ، العدد ٣٨ لسنة ١٩٤٨ ، ص ٤٨ .

(٣٧٢) تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١٠٩٩ ، أبو الفداء ، البداية والنهاية ، جـ ١٠ ، ص ٢٢٦ .

(٣٧٣) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١١٠٨ ، انظر أيضاً اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٣ ص ١٩٣ ، ابن طيفور ، كتاب بغداد ، ص ١٤٥ .

(٣٧٤) كتاب العبر ، جـ ٣ ، ص ٢٥٤ .

(٣٧٥) يشير الدينوري إلى وجود الأكراد في أرمينيا ، الأخبار الطوال ، ص ٣٤٠ ، لاحظ مينورسكي ، دراسات في التاريخ القفقاسي ، ص ١١٣ ، حول اقليم الجبال والمناطق التي كان يسكنها الأكراد انظر ليسترانج ، أراضي الخلافة الشرقية ، ص ١٨٥ ، ومقالة لوكهارت L.Lockhart في دائرة المعارف الإسلامية (١٩٦٣ م) المجلد ٢ ، ص ٥٣٤ .

(٣٧٦) كاوك أو كما يسميه الفرس كاوه ، فتحتفل قرى ومدن جبال كردستان باشعال النيران في يوم النوروز ـ تمجيداً لنار الحداد كاوه .

(٣٧٧) ولكن نظراً لضعف درجة التطور الاقتصادي لدى الشعب الكردي فإنهم ساهموا بانتفاضات شعوب أخرى كان اقتصادها أكثر تطوراً ودرجة وعيها تبعاً لذلك أعلى .

(٣٧٨) ذكر ابن طباطبا عن سنباذ «وكثر أشياعه وأطاعه أكثر أهل الجبال» ، تاريخ الدول الإسلامية ، ص١٧١ .

(٣٧٩) التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٩ .

(٣٨٠) تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١١٦٥ . انظر أيضاً اليعقوبي ، تاريخ جـ٣ ، ص ١٩٧ ، المسعودي : المروج جـ ٣ ، ص ٣٠٥ ، التنبيه والإشراف ، ص ٣٥٣ ، ابن النديم الفهرست ، ص ٤٩٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص ٢٣١ ، ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول (اوكسونيا سنة ١٦٦٣ م) ، ص ٢٥٢ ، فاسيليف ، بيزنطة والعرب ، ص١١٤ ، نفيسي ، بابك ، ص ٦٣ ـ ٤ .

(٣٨١) (طبعة مصر ١٩٤٨ م) ط ٢ ، جـ ٣ ، ص ٣٠٥ .

(٣٨٢) طبعة ليدن ، ص ٣٥٣ .

(٣٨٣) الفهرست ، ص ٤٩٣ .

(٣٨٤) الكامل (طبعة ١٣٥٧ هـ) ، جـ ٥ ، ص ٢٣١ .

(٣٨٥) تاريخ مختصر الدول (اوكسونيا ، ١٦٦٣ م) ، ص ٢٥٢ .

(٣٨٦) من تاريخ الحركات ، ص ٨٣ ، العرب في التاريخ ، ص ١٤٤ ، العصر العباسي الأول ، ص ٢٢٣ .

(٣٨٧) من تاريخ الحركات ، ص ١١٦ .

(٣٨٨) تاريخ ارمينيا (باللغة الارمنية) ، م ٢ ، ص ٤٢٦ .
(٣٨٩) اذربيجان ، ص ٢٤٧ .
(٣٩٠) راجع الهوامش ٣٨١ ـ ٣٨٢ ـ ٣٨٣ ـ ٣٨٤ ـ ٣٨٥ ـ ٣٨٦ .
(٣٩١) لويس ، العرب ، ص ١٤٤ ، تاريخ العالم ، جـ ٣ ، ص ١٣٨ .
(٣٩٢) جوزي ، من تاريخ الحركات ، ص ٨٩ ، لويس ، العرب ، ص ١٤٤ .
(٣٩٣) انظر مقولة لويس ، العرب ، ص ١٤٤ .
(٣٩٤) لان ذلك يتعارض ومصالحهم بالذات .
(٣٩٥) تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١٠٩٢ ، راجع البلاذري . فتوح البلدان ، ص ٣١٤ ، وابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢١٢ ، ويعتبر ابن خلدون ، كتاب العبر ، جـ ٣ ، ص ٢٢٥ ، الحادثة في سنة ٢١٤ هـ بعد تعيين علي بن هشام والياً . ورواية الطبري أدق .
(٣٩٦) تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١٠٩٣ ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣١٤ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢١٢ ، ابن خلدون ، كتاب العبر ، جـ ٣ ، ص ٣٥٥ .
(٣٩٧) الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢٢١ ، ابن خلدون ، كتاب العبر ، جـ ٣ ، ص ٢٥٥ .
(٣٩٨) سياست نامه ، ص ٢٩٠ والترجمة الروسية ، ص ٢٢٤ .
(٣٩٩) يشير ابن النديم إلى أن الخرمية منتشرون في بلاد الديلم أيضاً ، الفهرست ، ص ٤٩٣ ، عن الديالمة انظر مينورسكي ، دراسات في التاريخ القفقاسي ، ص ١١٣ .
(٤٠٠) الفرق بين الفرق ، ص ٢٨٤ .
(٤٠١) تومارا ، بابك ، ص ٨٨ .
(٤٠٢) انكلز ، ف . ، الحرب الفلاحية في المانيا ، ص ٣١ .
(٤٠٣) كما يشير ابن النديم والبغدادي وغيرهم .
(٤٠٤) ذكر ليو بأن بابك هجم في ٨٢٩ م على المقاطعات الارمنية التي رفض امراؤها الانضمام إليه وضرب الحصن المقدوني الشهير في « كيكديك » حيث لم يبق منه سوى طاحونة مائية واحدة وبلغ عدد المقتولين ١٥ ألفاً ، تاريخ أرمينيا (بالارمنية) ، م ٢ ، ص ٤٣١ .
(٤٠٥) ذكر مينورسكي بأن « الأراضي الجبلية العالية التي تمتد تقريباً بين سيوان SEVAN وأراكس (أرس) تحمل في ارمينيا اسم سونيك » ، دراسات في التاريخ القفقاسي ، ص ٦٨ ـ ٩ .
(٤٠٦) يرى مينورسكي بأن فاساك أعطى ابنته لبابك « وكان فاساك أول امير ظهر كمساعد للثائر المشهور والهرطقي بابك (في الارمنية بابان) وأعطاه ابنته » ، دراسات في التاريخ القفقاسي ، ص ٦٩ ، بينما يشير المؤرخ السرياني موساس كاكانكاتفاسي « في تلك السنة توفي رئيس السنوكيين وفي نفس الوقت تزوج بابك من ابنة فاساك » ، بازمافيب ، بابك وسهل بن سنباط ، صفحة من تاريخنا في القرن التاسع ، بالأرمنية ، ص ١٥ ، فهو يشير إلى أن الزواج تم بعد وفاة فاساك ويرى ليو ، تاريخ ارمينيا ، م ٢ ، ص ٤٣١ ، وبونيياتوف ، اذربيجان ، ص ٢٥٠ ، إن الزواج تم بعد وفاة فاساك ، راجع ايضاً تاريخ اذربيجان ، القسم الأول ، ص ١١٨ ، ١٢٠ ، حول اتفاق أهل سونيك مع بابك .
(٤٠٧) تاريخ ارمينيا ، م ٢ ، ص ٤٣٦ .
(٤٠٨) الوزراء والكتاب ، ص ٢٣٣ ، انظر مقدمة ابن خلدون ، ص ١٥١ ، حيث يذكر نفس المقدار .
(٤٠٩) اشار اليعقوبي إلى أن المأمون ولى (الحسن بن علي الباذغيسي المعروف « بالمأموني » فقدم والبلد مضطرب فقاتل أهل قلعة « لبابعين » ـ الكلمة غير واضحة بالأصل ـ ففتحها وانصرف إلى « دبيل » جنوب بحيرة سيوان فأقام بها وكتب إلى اسحق بن اسماعيل التفليسي...) ، التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩١ .
(٤١٠) من تاريخ الحركات الفكرية ، ص ٨٢ ـ ٣ .
(٤١١) يذكر يامبولسكي « واتحدوا مع أخوتهم من شعوب ارمينيا وجورجيا » ، انتفاضة بابك ، ص ١١ .
(٤١٢) جاء في تاريخ اذربيجان « الخرميون عقدوا ارتباطاً مع ثائري ارمينيا وجورجيا » ، القسم الأول ، ص١١٨ ، ويكرر ذلك في ص ١٢٠ .

الفصل الرابع

الانتفاضة البابكية المسلحة
ضد الخلافة العباسية

العوامل التي ساعدت على قيام
ونجاح الانتفاضة المسلحة

بالرغم من أن الانتفاضات في مجتمع الرق والاقطاعية ـ كما لاحظنا ـ لم تستطع أن تضع حداً للاستغلال ، غير أنها في كثير من الأحيان لم تخل من خطورة وجسامة ، فقد تمكنت الانتفاضة البابكية المسلحة أن تقف بوجه الخلافة العباسية لمدة عشرين عاماً[١] ، كان النجاح حليفها في عملياتها العسكرية في الفترة الأولى الطويلة ، وقد كان لضعف جيش الخلافة وانشغاله بفتن وحروب أخرى ولموقع مواطن الانتفاضة الجغرافي وطبيعة بلادها وحسن الاستفادة من ذلك ولبراعة الخرميين في أساليب القتال وللحلفاء الذين ساندوا الانتفاضة ، أثر في نجاحها واستمرارها الطويل ، هذا بالاضافة إلى استماتة الخرميين وتفانيهم في الدفاع عن حقوقهم وعقائدهم .

وما كان مقدراً لهذه الانتفاضة ذلك النجاح ، من حيث سعة الرقعة التي شغلتها وجسامة الأضرار التي كانت تلحقها بالخلافة[٢] وطول المدة التي دامتها ، لو لم تتضافر تلك العوامل جميعاً .

أ ـ ضعف جيش الخلافة: بعد وفاة الخليفة هاورن الرشيد ـ (١٩٣ هـ/ ٨٠٩م) انغمر الجيش العباسي بالخلافات والانقسامات بين الارستقراطيتين العربية والايرانية وبين أفراد العائلة العباسية . فلما تولى المأمون (١٩٨ هـ/ ٨١٣م) الخلافة بعد مصرع أخيه الخليفة الأمين (١٩٣ هـ/ ٨٠٩ م ـ ١٩٨هـ/ ٨١٣ م) كان الجيش منهوك القوى ضعيفاً حطمته الخصومات والأهواء وعصفت به الحروب الأهلية فخرج هزيلاً ليواجه

انتفاضات فلاحي مصر والزط في العراق وخرمية ايران والاضطرابات المتعددة وحروب الروم ، لهذا كان عاجزاً عن كسب النصر في معاركه مع البابكيين ، ويمكننا أن نوجز أهم أسباب ضعف جيش الخلافة بما يلي :

الحرب الأهلية (١٩٣ هـ/ ٨٠٩م ـ١٩٨هـ/ ٨١٣ م) ، فتنة الأمين والمأمون وعصيان إبراهيم بن المهدي (٢٠٢ هـ/ ٨١٧ مـ ٢٠٣ هـ/ ٨١٨ م) وانشقاق وحدة جيش الخلافة :

أدى تقريب الارستقراطية الايرانية من قبل السلطة العباسية إلى عكس ما كان مؤملاً به ، فبدلاً من تقوية سلطة الخلافة ودعمها واسنادها ، أدى هذا التقريب ـ كما شاهدنا إلى سخط الجماهير الايرانية على ارستقراطيتها ونفض أيديها من التعاون مع العباسيين ـ كما أدى إلى تسعير أوار حقد وكراهية الارستقراطية العربية التي بدأت تشعر تدريجياً بازدياد خطر القوى المنافسة لها ، وقد زاد في حقد وكراهية الارستقراطية العربية على الارستقراطية الايرانية احتضان الأخيرة للكتاب والأدباء والعلماء الشعوبيين وإغداقها الأموال الطائلة عليهم ـ كما لاحظنا ذلك سابقاً ـ . وكان من أسباب نكبة البرامة حقد الارستقراطية العربية التي أخذت توغر صدر الخليفة هارون الرشيد ، وكان هو بالذات يشعر بخطر توسع نفوذهم ويرغب في الاستيلاء على أملاكهم . وبعد نكبة البرامكة ـ التي تعد ضربة قوية للارستقراطية الايرانية ـ بدأت الارستقراطية الايرانية بالتفكير في الحصول على ضالتها المنشودة في ولي العهد عبد الله (المأمون) ، والذي كان وجوده في خراسان فرصة عظيمة لم تتوان الارستقراطية الايرانية عن استغلالها . إن وجود المأمون في خراسان في تلك الفترة كانت نتيجة لتنافس الارستقراطيتين وليس سبباً للنزاع بينهما كما يتوهم شلبي[٣] .

لقد استغلت الارستقراطية الايرانية قضية النزاع على الخلافة ووجود المأمون بينها استغلالاً كلياً ، بحيث أصبحت الحرب الأهلية أو فتنة الأمين والمأمون ، ليست من أجل الخلافة كما تراءى للناس في الظاهر وإنما أصبحت في جوهرها نزاعاً بين الارستقراطيتين المتخاصمتين على السلطة والجاه والنفوذ ، وقد أشار إلى ذلك الفضل ابن الربيع عند حثه أسد بن يزيد بن مزيد على محاربة المأمون[٤] . وقد عنى فوز المأمون بالسلطة انتصار الارستقراطية الايرانية ، وكنتيجة لذلك أن وضع عن خراسان

ربع الخراج فحسن ذلك عند أهلها ، وترك لبس السواد شعار العباسيين ولبسوا الخضرة ، وجعل علي بن موسى الرضا ولياً للعهد وسيطر الفضل بن سهل ـ ذو الرياستين ـ عميد الارستقراطية الايرانية على السلطة وتوجيه الأمور ، وبعد اغتياله سيطر أخوه الحسن بن سهل . لقد لعب الفضل بن الربيع ممثل الارستقراطية العربية والفضل بن سهل ممثل الارستقراطية الايرانية أدواراً بارزة في إشعال نار الخصومة ، فقد سعى الفضل بن الربيع في إغراء الأمين وحثه على خلع المأمون وكان الفضل بن سهل يشير على المأمون بالامتناع عن الانصياع لأوامر الأمين(٥) .

وكان تمرد الارستقراطيةالعربية البغدادية (العباسية) بقيادة ابراهيم بن المهدي على الخليفة المأمون وعدم الاعتراف بخلافته رد فعل لانتصار الارستقراطية الايرانية واستمراراً لذلك النزاع الطويل . ففي سنة ٢٠١ هـ/ ٨١٦ م أراد أهل بغداد أن يبايعوا المنصور بن المهدي بالخلافة(٦) كما وأنهم (أهل بغداد) خاضوا في أمر خلع المأمون ونصب ابراهيم بن المهدي(٧) . ويذكر اليعقوبي في حوادث سنة ٢٠٢ هـ/ ٨١٧ م فاجتمع قواد الحربية فبايعوا ابراهيم بن المهدي المعروف بـ (ابن شكله)(٨) ـ ويذكر اليعقوبي أيضاً ـ ووثب محمد بن أبي خالد وأهل الحربية بالحسن بن سهل حتى أخرجوه من بغداد... وأتوا بمحمد بن صالح بن المنصور فقالوا نحن أنصار دولتكم وقد خشينا أن تذهب هذه الدولة بما حدث فيها من تدبير المجوسي وقد أخذ المأمون البيعة لعلي بن موسى الرضا فهلم نبايعك(٩) . وقد أشار الثائر بوجه الخليفة المأمون ، نصر بن شبث صراحة إلى وجهة نظر الارستقراطية العربية في خلافة المأمون « وإنما هواي في بني العباس وإنما حاربتهم محاماة عن العرب لأنهم يقومون عليهم العجم »(١٠) ، لقد كان من جراء تلك الحروب والفتن أن فقد جيش الخلافة وحدته وتماسكه واحترامه لسادته فأصبح لا هم له إلا زيادة العطاء ولم يعد أهلاً لمواجهة الخرميين المنتفضين وغير مستعد لخوض معارك حاسمة معهم . بل إنه عجز حتى عن ضبط العاصمة حيث احتلها الشطار(١١) .

انتفاضات الفلاحين في مصر : قامت جماهير مصر ـ غالبيتها من فلاحي القبط بالاضافة إلى القيسية واليمانية(١٢) من العرب ـ بانتفاضات عديدة معلنة سخطها واحتجاجها على تفاقم الجور(١٣) الاقطاعي والتسلط الحكومي ، وقد بلغت هذه

الانتفاضات منتهى خطورتها في أعوام ٢١١ هـ ، ٢١٥ هـ ، ٢١٦ هـ ، ٢١٧هـ/٨٢٦م ، ٨٣٠م ، ٨٣١م ، ٨٣٢ م) حيث اضطرت المأمون إلى أن يكلف أخاه المعتصم أو يحضر بنفسه ، وقد أرسل أو قاد جيوشاً عظيمة(١٤) ، وقد ساهم الافشين في قيادة بعضها ، فيذكر اليعقوبي عن حوادث سنة ٢١٥ هـ .٨٣٠ م عند عودة المأمون من محاربة الروم « فنزل دمشق ثم أتاه الخبر أن أهل (البشرود) من كور مصر قد ثاروا فأمر أخاه أبا اسحاق (المعتصم) أن يوجه الافشين حيدر بن كاؤوس فوجه به وكف عاديتهم »(١٥) ، ويذكر أيضاً : « واشتدت شوكة من كان يحارب الافشين بمصر من أهل الحوف والبيما والبشرود وهي كور أسفل الأرض فخرج المأمون إلى كور مصر وقدم الافشين في محاربة أهل الحوف فزحف اليهم بنفسه فقتلهم وسبى البيما وهم قبط البشرود »(١٦) . ويروي اليعقوبي استياء الناس من شدة بطش الخليفة بالمتنفضين الذين خرجوا على الظلم وهم في ذلك أهل حق يقول اليعقوبي : « واستفتى في ذلك (القتل والسلب) فقيها بمصر يقال له الحارث بن مسكين ، مالكي ، فقال : إن كانوا خرجوا لظلم نالهم فلا تحق دماؤهم وأموالهم ، فقال المأمون (أنت تيس ومالك اتيس منك) هؤلاء كفار لهم ذمة إذا ظلموا تظلموا إلى الإمام وليس لهم أن يستنصروا بأسيافهم »(١٧) ، وقد اعترف المأمون بأنهم مظلومون ولكن لا يحق لهم الانتفاض ، وتكاد تجمع كافة المصادر على ظلم العباسيين وسوء سيرة عمالهم(١٨) ، وقد كانت الحروب مستعرة في كل أراضي مصر من الصعيد وأسفل الأرض حتى الاسكندرية وكانت تخمد دائماً بقساوة(١٩) . ولئن تيسر للخلافة وبعد جهد قمع هذه الانتفاضات لكن جيشها أصبح ضعيفاً منهوكاً ، وقد صرفت انتفاضات فلاحي مصر هذه اهتمام الخليفة عن شؤون الجبهة الشرقية (الخرمية) ، رغم شعوره بجسامة خطرها ، كما افصح في وصيته لأخيه المعتصم .

انتفاضة الزط في العراق(٢٠) : قامت انتفاضة الزط الساكنين في أواسط العراق وجنوبه (بين واسط والبصرة) في مناطق المستنقعات المعروفة بالبطائح حيث يربون الجاموس والبقر . ولابد أن الجور قد لحقهم مما حدا بهم إلى التذمر والاحتجاج ومن ثم الانتفاض بوجه السلطة(٢١) . وقد بدأت اضطراباتهم منذ سنة ٢٠٥ هـ/ ٨٢٠ م فعين المأمون لمحاربتهم عيسى بن يزيد الجلودي(٢٢) (أو الجلوذي كما يذكر ابن

الاثير)[٢٣] ، وفي سنة ٢٠٦ هـ/ ٨٢١ م عين المأمون داود بن يزيد ماسجور[٢٤] لقتالهم . ولم يتيسر لجيوش الخلافة القضاء على هذه الانتفاضة لعدم تمكنها من التوغل وسط الأهوار ، حيث يعتصم الزط ، وظلوا متمنعين بأهوارهم حتى عام ٢١٩ هـ/ ٨٣٤ م حيث أرسل الخليفة المعتصم ضدهم أحمد بن سعيد بن مسلم بن قتيبة الباهلي[٢٥] فهزموه فعقد المعتصم لعجيف بن عنبسة (جمادى الأول ٢١٩ هـ)[٢٦] لمحاربتهم ، واستطاع عجيف بعد سد مسالك المياه ومحاصرتهم من التغلب عليهم وجاء بهم إلى بغداد[٢٧] في ٢٢٠ هـ/ ٨٣٥ م وكان رئيس الزط رجلاً يقال له محمد بن عثمان ومساعده سملق[٢٨] . ولاشك في أن هذه الانتفاضة قد أشغلت الدولة وأنهكت قواها في عهدي المأمون والمعتصم مما خفف الضغط على البابكيين .

حروب الروم[٢٩] : كانت الحروب الاقطاعية تنشب من حين لآخر بين الامبراطوريتين الاقطاعيتين المتجاوزتين ، المتنافستين على سيادة العالم ، «العباسية الإسلامية والبيزنطية المسيحية» وبالرغم من انهماك كلتا الامبراطوريتين في مشاكلهما الداخلية المستعصية كالخلافات العقائدية : شيعة ، معتزلة ، خوارج ، ايقونات ، وفي قمع الانتفاضات في بلدانهما ، فانهما لم تتورعا ، رغم انهماكهما ، من اشعال نيران الحروب بينهما مختلقتين حتى أتفه الأسباب لاشعالها . ولاشك في أن دوافع تلك الحروب هي لمناصرة المنتفضين[٣٠] وذلك بتخفيض الضغط عليهم (بابك في البلاد الاسلامية وتوما الصقلبي[٣١] في بيزنطة) وللتخلص من المشاكل الداخلية وللتظاهر بالقوة والهيبة ولكسب ود المتدينين ، ومما لا شك فيه أن الهزائم التي حلت بجيوش المسلمين في أذربيجان قد تركت أثراً سيئاً في نفوس الناس فخارت العزائم وساد الشك في مقدرة الخلافة ، بل أن الكندي[٣٢] استغل اندحار المسلمين أمام بابك[٣٣] ، في دفاعه عن المسيحية في بلاط المأمون فقد افاد «بأن الحق أو الله إذا كان معكم فلم لم ينصركم وإنما ينصر بابك ؟ »[٣٤] ، وكان سؤالاً محرجاً لمجمع العلماء الذي انعقد في القصر لمناقشة الكندي[٣٥] ، وما كان في مقدور الكندي أن يشهر سلاحه هذا في وجه خصومه من علماء المسلمين لو لم يكن يعلم إلى أي درك هبطت فيه سمعة جيوش الخلافة المدحورة[٣٦] ، ولذا نجد المأمون يقود بنفسه حملة قوية ضد بيزنطة[٣٧] لاسترجاع هيبة الخلافة المفقودة في اذربيجان[٣٨] وكان ذلك عام ٢١٥ هـ/ ٨٣٠ م أي

عقب اندحار محمد بن حميد الطوسي في عام ٢١٤ هـ في اذربيجان . ويظن ميور أن تجديد الحرب ربما كان بسبب عقد اتفاق عام بين بيزنطة وبابك ويعتقد أن سبب غزو المأمون عام ٢١٥ هـ ربما يرجع إلى ذلك [٣٩] . ولكن المباحثات بين بابك والبيزنطيين متأخرة عن هذا التاريخ ولا شك . ، وقد أشار فازيليف[٤٠] وبونيياتوف[٤١] إلى أن الاتفاق والارتباط بين البيزنطيين والخرميين قد نشأ في حدود عام ٨٣٣ م/٢١٨ هـ) ، أما قبل هذا فإن البيزنطيين ساعدوا بابك نكاية بالمأمون الذي ساعد توما الصقلبي .[٤٢] وتوما هذا قاد حركة شعبية مهمة في سنة ٨٢١ م ضد الامبراطور ميخائيل[٤٣] ، وبالرغم من أن توما كان يرمي الفوز بالامبراطورية وقد سمى نفسه امبراطوراً ، إلا أنه انهض العبيد ضد السادة ، وبسطاء الجند ضد رؤسائهم[٤٤] ، وكانت جماهير الحركة المنضمة تحت لواء توما مؤلفة من الفلاحين والجنود المظلومين من لدن الأشراف . ومن قسم من فقراء المدن ، وساهم في الانتفاضة العبيد والثنوية وهراطقة آخرون ، لقد كان في عداد المنتفضين « كل أعداء السادة الذين أوقعهم نصيبهم في عبودية الاقطاع »[٤٥] . وبالرغم من عدم تقبل المأمون لمطالب جماهير الحركة واستنكاره لها لو حدثت في بلاده ، إلا أنه قدم المساعدات لتوما وكان يرمي أضعاف خصمه الامبراطور ميخائيل ، إلا أن المأمون لم تسمح له ظروفه بتقديم المزيد من المساعدات العسكرية[٤٦] حيث كان مكتوياً بنار الانتفاضة البابكية ، ولهذا أحبط ميخائيل انتفاضة توما بمساعدة أشراف البلغار[٤٧] وباستخدام قوى الامبراطور البلغاري امورتاغ[٤٨] . لهذا فإن مساعدة امبراطور الروم في هجومه على تخوم العرب من أجل التخفيف على بابك إنما يعزى إلى رغبة الامبراطور للانتقام من المسلمين الذين آزروا توما الصقلبي . ، وأهم هذه الحروب كما يرويها اليعقوبي « وخرج المأمون متوجهاً إلى أرض الروم سنة ٢١٦ ففتح اثني عشر حصناً وعدة مطامير »[٤٩] . ويذكر أيضاً أنه « في سنة ٢١٧ هـ غزا بلاد الروم حتى بلغ حصن لؤلؤة عند طرطوس »[٥٠] . وآخر غزوة يذكرها اليعقوبي في سنة ٢١٨ هـ حيث أراد الوصول إلى حصن لؤلؤة « ولكنه مات (١٧ رجب ٢١٨ هـ) قرب البدندون »[٥١] . وهذه الحروب المهلكة المستنزفة للأموال والأرواح لم تكن ـ كما قلنا ـ إلا من قبيل رفع معنوية الجيش وأعلاء هيبة الحكومة التي انهارت بسبب الهزائم المتكررة في جبهة اذربيجان . والحروب البيزنطية قد أعطت ولاشك فرصاً واسعة للخرميين لكي يكسبوا معارك عديدة في مختلف الميادين .

انتفاضات خرمية ايران:

قام خرميو ايران بانتفاضات عديدة في جهات مختلفة من ايران انهكت قوى الجيش العباسي . وقد أشرنا سابقاً إلى انتفاضات أهل قم في سنة ٢١٠ هـ/ ٨٢٥ م وأصفهان ٢١٢ هـ/ ٨٢٧ م وأهل قم للمرة الثانية ٢١٦ هـ/ ٨٣١ م وأهل الجبال الذين تجمعوا (عام ٢١٨ هـ/ ٨٣٣م) في مدينة همذان . وكانت الأخيرة أخطر انتفاضاتهم حيث أجبرت الخليفة المعتصم أن يرسل خيرة جيوشه ، منها جيش بقيادة هاشم بن باتيجور وقد انهزم هاشم وكان آخر الجيوش جيشاً بقيادة اسحق بن ابراهيم بن مصعب الذي وفق لسحق المنتفضين حيث قتل منهم ٦٠ ألفاً وهرب باقيهم إلى بلاد الروم ، والذين سيبرزون على مسرح الحوادث مرة أخرى كمساعدين للجيش البيزنطي في حربه ضد العباسيين[٥٢] . إن الانتفاضات العديدة التي قام بها الخرميون الايرانيون بوجه الخلافة العباسية قد ساهمت بدورها في انهاك جيش الخلافة واضعاف هيبة السلطة وفي تخفيف الضغط على الجبهة الاذربيجانية ، هذا مع العلم بأن خرمية شمال غربي ايران كانوا مندمجين مع خرمية اذربيجان في الانتفاضة البابكية ضد السلطة العباسية .

اضطرابات متعددة:

قامت فتن واضطرابات متعددة وحركات جماهيرية في أماكن مختلفة أشغلت بال الخلافة ولعبت دورها في إعاقة جيوش الخلافة من الانصراف الكلي لقمع انتفاضة البابكيين ، ومن تلك الاضطرابات حركة نصر بن سيار بن ثبت في شمال سوريا[٥٣] ضد خلافة المأمون ، ويمكن اعتبارها احتجاج الارستقراطية العربية على فوز منافستها الارستقراطية الايرانية[٥٤] ، وحركة العلويين[٥٥] في العراق والحجاز واليمن ومنها تمرد بشر بن داود المهلبي عامل السند[٥٦] وصدقة بن علي المعروف بابن زريق[٥٧](٢١٢هـ) بين الموصل وأذربيجان ويعلى بن مرة وجماعته في اذربيجان وسوادة بن عبد الحميد الجحافي في ارمينيا وجعفر بن داود القمي (في قم ٢١٦ هـ) وكذلك محمد بن عتاب والصنارية والقيسية في ارمينيا ، وعصيان موالي الجبال وقم وأصبهان على ابن هشام (٢١٧ هـ/ ٨٣٢ م) .

ب ـ الموقع الجغرافي وطبيعة البلاد وحسن الاستفادة منهما:

كان لموقع الانتفاضة الجغرافي وطبيعة البلاد أثره الحسن في نجاح العمليات العسكرية حيث قامت الانتفاضة في مناطق جبلية وعرة كثيرة الادغال ومتطرفة عن مركز الخلافة ، ولهذا كانت الجيوش العباسية بعيدة عن مراكز تموينها ، فاذربيجان تقع إلى الشمال الشرقي من العراق ، مركز الخلافة ، واقصر الطرق اليها عبر الموصل يخترق الجبال الوعرة والمسالك الخطرة ، فكانت مراكز الانتفاضة والحالة هذه متطرفة نائية عن بغداد ـ عاصمة الخلافة ـ وكانت الامدادات السائرة عبر المسالك المؤدية إلى اذربيجان عرضة للنهب والسلب من قبل المتمردين على السلطة كعلي بن صدقة المعروف بزريق ويعلى بن مرة وغيرهم مما كان يؤخر وصول الإمدادات السريعة ، بينما كان المنتفضون في ديارهم غير بعيدين عن مراكز تموينهم واحتياجهم . وقد استغل الخرميون تطرف بلادهم في اضعاف جيوش الخلافة واجاعتها ومن ثم تمزيقها ، وذلك بمصادرة قوافل تموينها ، ولا يخفى استغلالهم لمناعة الجبال وكثرة الأدغال ، فغالبية مناطق الانتفاضة جبال وعرة كثيفة الادغال ، وكان البابكيون يعرفون مسالكها ويجيدون القتال فيها[٥٨] . وقد أشار اليعقوبي إلى ذلك عند كلامه عن المعارك التي خاضها محمد بن حميد الطوسي : «فلما أمكنه محاربة بابك عبأ لقتاله وزحف إليه فحاربه محاربة شديدة له في كل ذلك الظفر ثم صار إلى موضع ضيق فيه حزونة فترجل ابن حميد وجماعته وجماعة معه فحمل عليهم أصحاب بابك فقتل محمد وجماعة من وجوه أصحابه»[٥٩] . وعلى نقيض جيش البابكيين كانت جيوش الخلافة ـ تتألف في غالبيتها من أهل بغداد وأهل البصرة (كالحربية من بغداد ومتطوعة البصرة) ـ تجهل تلك المسالك والمضايق وليست لها خبرة بقتال الجبال ، وقد أشار إلى ذلك القائد عيسى بن محمد عند انهزامه أمام بابك في أحد المضايق[٦٠] «ليس لنا في قتال هؤلاء بخت إنما نخشى في قتال المسلمين وانصرف من أذربيجان إلى أرمينيا»[٦١] وقد بين ميور كيف أن بابك كان يحطم الجيوش الإسلامية واحداً إثر الآخر والتي كانت أحياناً تجزأ كليا إلى قطع عند ممرات الجبال حيث يتربصون بها[٦٢] ، وإلى ذلك أشار أمير علي[٦٣] والدوري[٦٤] .

قلنا إن الخرميين كانوا يعرفون المسالك والدروب والمضايق معرفة جيدة إذ أنهم أبناء تلك المناطق وقد تمرسوا في حروب الجبال والأدغال وهذا ما يسر لهم التفوق والنجاح في معاركهم العديدة مع جيوش الخلافة حيث كانوا يباغتون المسلمين من حيث لا يشعرون وينزلون بهم الخسائر الفادحة لجهلهم بالأراضي ومسالكها وملاجئها وطبيعتها (وقد قيل قتلتْ أرضٌ جاهلَها) . ولم يقتصر نجاح البابكيين في معاركهم على معرفتهم لمسالك الجبال الوعرة فحسب ، وإنما يعود إلى تحصن البابكيين في المناطق المنيعة أيضاً . ولما كانت غالبية مناطق اعتصام المتنفضين جبلية تيسر لهم التمنع بها وذلك بتحصنهم في المناطق الشاهقة الصعبة المنال من الجبال وكانوا بذلك في مأمن من غزو الجيوش غير المدربة على تسلق الجبال الوعرة ، وكان البابكيون في نفس الوقت يحتلون المراكز الاستراتيجية ومشرفين على جيوش اعدائهم ومطلعين على حركاتهم وخفاياهم ، وقد ذكر الدينوري ذلك فقال : « فكان بابك وأصحابه يقفون على جبال شاهقة فيشرفون منها على العسكر »(٦٥) ، وذكر ابن الاثير « فكان بابك يشرف عليهم من الجبل »(٦٦) كما وأشار إلى ما يشبه هذه الاقوال ابن خلدون . ولاشك أن التجاء البابكيين إلى ذرى الجبال المنيعة وتحصنهم فيها قد يسر لهم المنعة والتفوق والنجاح في حركاتهم ومعاركهم فكانوا يباغتون الجيوش وقوافل تموينها ويحصرونها ويبيدونها بحكم سيطرتهم على المضايق والمشارف ولحسن اطلاعهم على مواقع اعدائهم وحركاتهم .

لقد ظل المسلمون إلى فترة طويلة يحاربون البابكيين في الأودية والمناطق المنخفضة وفي المضايق إذ كانت للمسلمين الطرق والمدن فقط ، أما بقية الأراضي فقد كانت بيد البابكيين . وكان البابكيون بحكم تسلطهم وتمنعهم بمعاقلهم الحصينة يحبطون محاولات جيوش الخلافة للتوغل صعدا في الجبال . ولا شك في أن انفراد البابكيين في السيطرة على أعالي المرتفعات له أهميته العسكرية بحيث ظلوا متفوقين ما داموا متمنعين معتصمين بذرى جبالهم .

لقد استفاد الخرميون استفادة كلية من تطرف بلادهم ووعورة جبالهم التي تكسوها الأدغال ، وكان لحسن الاستفادة من موقع وطبيعة الأراضي الأثر الواضح في

نجاح العمليات العسكرية واستمرار التفوق لمدة طويلة قبل مجيء القادة والجيوش الإسلامية التي لها معرفة بقتال الجبال .

جـ - أساليب القتال:

قارع البابكيون المسلمين في قتال مرير طويل كانت الغلبة في الدور الأول منه لهم للأسباب التي ذكرناها آنفاً ، وكان لبراعة البابكيين في استخدام اساليب (تكتيكات) مختلفة في القتال أثر أيضاً في تلك الغلبة حيث الحقوا الهزائم الشديدة بجيوش المسلمين . وكان القائد الشاب المحنك بابك ذا مواهب عسكرية[٦٧] عظيمة مكنته من ابتداع أساليب متنوعة لدحر القوات العباسية والتي منها : استخدام فصائل وسرايا خفيفة وسريعة . كانت جيوش البابكيين موزعة على سرايا يقودها قواد عديدون كعصمة الكردي وأذين ومعاوية وطرخان وغيرهم ولا يستقرون في محل واحد وإنما كانوا يغيرون وينقضون على الجيوش والقوافل أينما وجدوها . ولا ريب أن هذا الأسلوب اتبع عند بدء تولي بابك أمر الخرمية حين لم يكن أنصاره بتلك الخطورة[٦٨] ، وعندما كانت الانتفاضة تشمل أراضي واسعة ، وأما في السنوات الأخيرة بعد تقليص رقعة الانتفاضة فكانت لبابك جيوش كبيرة . وبحركاتهم السريعة الخفيفة تلك كانوا يباغتون الجيوش ويفتكون بها ومن ثم ينتقلون إلى أماكن أخرى يعتصمون بها ، فكان يتعذر على الجيوش العباسية الظفر بها . وقد وردت إشارات في المصادر العربية إلى ذلك ، فعند ذكر الطبري لابن البعيث قال : « وكان ابن البعيث مصالحاً لبابك إذا توجهت سراياه نزلت بهم فأضافهم »[٦٩] . إن إتباع اسلوب المناوشات السريعة الخاطفة في الحرب ، والذي يعرف اليوم بحرب الأنصار ، قد حقق للبابكيين انتصارات باهرة رغم تفوق جيوش الخلافة عددياً عليهم . ومنها : هدم قلاع وحصون الخلافة . فقد باشر بابك عند تسلمه قيادة انتفاضة الخرميين بتهديم قلاع وحصون الخلافة التي يمكن أن تلجأ إليها القوات العباسية عند انسحابها ، تلك الحصون الممتدة بين زنجان وأردبيل[٧٠] ومثل حصن برزند[٧١] وأرشق وأراغة وكحصن النهر مما يلي أردبيل . وقد ذكر الطبري وابن الاثير وابن خلدون بأن « بابك قد خرب تلك الحصون »[٧٢] ، وقد أوضح الدينوري - وإنْ اتهم بابك بتدمير بعض القرى

والامصار المجاورة للبذ ـ بأن السبب الذي حدا ببابك إلى ذلك ، «لتصفو له البلاد ويصعب مطلبه وتشتد الموتة في التوصل اليه»[٧٣] هو من أجل التحصن . إلا أن الدينوري اتهم بابك بالقتل الجماعي «فاستفتح أمره بقتل من حوله بالبذ»[٧٤] ، ولاشك في أن الدينوري اختلط عليه الأمر ، فبابك سعى لتطهير المنطقة من القوات العباسية ودك معاقلها ولم يرم إلى قتل الناس الذين حواليه أي قتل كل المسلمين في أذربيجان . ولقد اعتمد اتهام الدينوري لبابك بالفتك بالناس المؤرخون الذين تلوه حتى أن ابن النديم اعتبر بابك مبدع القتل والفتك لدى الخرميين إذ يقول عنه : «أحدث في مذاهب الخرمية القتل والغصب والحروب والمثلة . ولم تكن الخرمية تعرف ذلك»[٧٥] . ولا شك في ان ابن النديم يعلم بأن المنتفضين الخرميين كانوا قد رفعوا السلاح مرغمين بوجه السلطة والاقطاع في أزمان سابقة لأيام بابك ولكنه تجاهل هذه الحقيقة ليُشَهِّر ببابك . ونجد المقدسي يصور بدء نشوء البابكيين بقيام المذابح والاغتيالات ويقول بأن بابك أوعز إلى جماعته باغتيال من حواليهم ، وسلمهم الخناجر والسيوف (وكانوا في قلة وذلة) وطلب منهم القيام بالاغتيال في وقت حدده لهم ثم أرسلهم إلى النواحي النائية ليفعلوا ذلك[٧٦] . ونجد الأفكار نفسها لدى ابن العبري[٧٧] ، ولكن الحقائق تدحض هذه المفتريات وأولها أن الخرميين كانوا يحرمون القتل كمبدأ عام شأنهم شأن المزدكيين الذين كرهوا القتل وسفك الدماء ، وقد ذكر كريستنتسن : «وكل سفك للدماء إنما هو عمل يعوق الجهد في سبيل تخليص الأرواح»[٧٨] ، والمقدسي نفسه أشار إلى أن الخرمية (يتجنبون الدماء جداً إلا عند عقد راية الخلاف)[٧٩] . وثانيها أن المسلمين قد أنقذوا من الأسر عند فتح البذ سبعة آلاف وستمائة أسير مسلم كما ذكر اليعقوبي[٨٠] ، وكان بامكانه قتلهم بل إن النسوة اللواتي كن في الأسر شهدن بحسن معاملة بابك لهن[٨١] هذا بالاضافة إلى أن المصادر شاهدة على كثرة تبادل الأسرى بين الطرفين . وثالثها يمكن القول بأن البابكيين قد هاجموا القلاع والحصون ودمروها وقضوا على مافيها من قوى عسكرية . أما أعمال القتل والسلب وترويع السكان الآمنين فلابد أن ذلك من عمل قطاع الطرق واللصوص والقتلة الذين اندسوا في صفوف الحركة وقد أشار اليهم المقدسي نفسه : «وانضوى اليه القطاع والذعار وأصحاب الفتن وأرباب النحل الزائفة»[٨٢] . لقد ردد

المؤرخون المتأخرون أقوال الدينوري وابن النديم والمقدسي وابن العبري وردد‌ها الباحثون الغربيون ، وكان لفلوكل الأسبقية في استخدام تلك الأقوال عند بدء كلامه في مقالته عن بابك « حسب عنوان هذه المقالة لا أريد أن أصف تلك المعارك الدامية والأهوال وتدمير الناس التي فعلها بابك لما أخذ السلطة بيده بمساعدة كثرة أنصاره الفاقدين للأخلاق »(٨٣) ، ولكن المؤسف أن يعتمد يامبولسكي رواية المقدسي دون تمحيص ويرددها بقوله « ماذا عمل بابك أول ما أصبح رئيساً للخرمية ، نظمهم للذبح الجماعي لأنصار الخليفة العائشين في ذلك الوقت في آذربيجان »(٨٤) . لكن بونيياتوف ، بعد أن ينقل روايات ابن النديم والمقدسي الآنفة الذكر(٨٥) ، يذكر بأن بابك اضطر إلى أن يدخل في جيوشه الطاعة الصارمة لاخضاعها من أجل هدفه الرئيس ـ محو السيادة العربية في أذربيجان ومن ثم في مناطق أخرى(٨٦) . فإذا كان الهدف ـ وحسب أقوال بونيياتوف ـ محو السيادة العربية فإنه لم يكن القضاء على المسلمين أو العرب . لقد عمد بابك إلى تهديم الحصون لإضعاف مقاومة المسلمين(٨٧) وأما بالنسبة لجيوشه فقد عمد إلى النقيض من ذلك إذ اهتم ببناء القلاع والحصون المنيعة له على الربايا والمشارف والقمم للتحصن بها وأمر قواده عمل ذلك أيضا ، فيذكر الدينوري : « وأمر بابك آذين أن يحصن تلا مشرفاً على المدينة »(٨٨) ، وهكذا جعل جيوش الخلافة مكشوفة له غير حصينة بينما تحصن هو في قلاعه العديدة الشاهقة وكان لغالبية القواد والأمراء المنضمين إليه قلاعهم وحصونهم كابن البعيث الذي كانت له قلعتان(٨٩) ، كما كانت لعصمة الكردي قلعته في مرند ، ولطرخان قلعة في قريته قرب مراغة . ولم يكتف بابك بانشاء الحصون بل أنّه كان يعمد إلى حفر الحفر ليوقع فيها فرسان العرب(٩٠) ، وقد كبدت هذه الحفر جيوش العرب خسائر جسيمة .

ومنها المباغتة والكمائن : لما كان البابكيون محتلين مشارف الجبال كانت لهم الدراية التامة بتحركات جيوش الخلافة وقوافل تموينها ، هذا بالإضافة إلى كثرة الجواسيس والعيون الذين كان يستخدمهم بابك والذين كان من الصعب التعرف عليهم لأنهم من أهل البلد . لهذا كانت الجيوش العباسية وقوافل تموينها عرضة للمباغتة بحيث تتعرض فجأة إلى حملات غير متوقعة تخلق الذعر والارتباك في صفوفها مما يؤدى إلى اندحارها وهلاك الكثيرين من أفرادها ، وقد استخدم بابك هذا الأسلوب

(المباغتة) بطرائق عديدة منها اللجوء إلى الكهوف والمغاور الواقعة في طرق سير الجيوش[٩١] والانقضاض عليها فجأة دون توقع ظهورها في تلك الأماكن ، إما على مقدمة الجيوش أو الانقضاض عليها من الخلف بعد أن تشتبك مقدمة الجيش العباسي بالنزال مع آخرين أو إيداع عدد كبير من القوات على الربايا والمشارف والسماح لجيوش العباسيين بالمرور دون أن تلحظ كمائن الخرمية في تلك المشارف ، ومن ثم تنقض عليهم تلك الكمائن بسرعة بعد أن تبلغ الجيوش العباسية المضايق الوعرة الضيقة فتفتك بهم فتكاً ذريعاً ، كما وتختفي الكمائن وراء الصخور حتى إذا جاوزتها الجيوش انقضت عليها من الخلف ، وتنحدر عليها من الأعالي فيحصل الارتباك ويقع أفراد الجيش فريسة بين قبضتي « كماشة » الخرميين ، ومنها الغارات الليلية (البيات) وقد استخدمها بابك كثيراً ، ومنها حفر الحفر الواسعة في طريق الخيالة والانقضاض على من يقع فيها بسرعة ، وكانت الأدغال تساعد البابكيين على الاختباء والتجسس والانقضاض المفاجىء أيضاً .

قطع الميرة والتموين : كانت مراكز تموين الجيوش العباسية بعيدة عن جبهات القتال وكانت الميرة والمال والسلاح تنقل إليها بواسطة القوافل المحروسة ولكي يضغط بابك على الجيوش العباسية فإنه ركز قصارى جهده[٩٢] للحيلولة دون وصول تلك الامدادات إلى الجيش العباسي لكي يقحطه ويولد التذمر بين صفوفه من جراء نفاد الأرزاق والأموال بينما يحصل هو على الميرة والأموال . وكان جواسيسه المنتشرون يأتونه بأخبار تحركات الجيوش وقوافل تموينها أولاً بأول ، فكانت سراياه المنتشرة الموزعة على المسالك والطرق تهاجم قوافل الميرة والتموين حسب تعليماته وارشاداته ، وكثيرا ما كان يقوم هو بنفسه بمهاجمتها وما كانت تفلت منهم قافلة إلا في القليل النادر . وتحفل المصادر التاريخية بذكر الهجمات العديدة التي قامت بها جيوش الخرميين من أجل الحصول على الأموال والذخيرة والتموين حتى في أيام القائد الأفشين حيث أجاعوا جيشه مرتين .

وكانت مهاجمة قوافل تموين الجيش العباسي من القضايا الأساسية في حروب البابكيين والتي أولوها الأهمية القصوى وكانت من أشد الأمور خطورة بالنسبة للجيش العباسي .

د ـ الحلفاء الذين ساندوا الانتفاضة:

ذكرنا أن المأمون كان قد ساعد المنتفض توما الصقلبي ضد امبراطور الروم ميخائيل الثاني فكان هذا ، مع الأسباب الأخرى التي يحقد من أجلها أباطرة الروم على الخلافة العباسية ، دافعا لهم على مساندة الخرميين في انتفاضاتهم بوجه الخلافة وكان الروم يشنون الحروب على الحدود الإسلامية لا من أجل تخفيف ضغط الجيش العباسي على الخرميين فحسب وإنما لأغراضهم الشخصية بصورة أساسية . هذا بالإضافة إلى أنهم كانوا ـ بحكم عدائهم للعباسيين ـ ملجأ للمندحرين من الخرمية ، علما بأن الروم كانوا غير مخلصين لبابك وللخرمية لكرههم الانتفاضات الشعبية . أما الحلفاء الآخرون فهم أمراء الجزء الشرقي والجنوبي الشرقي في أرمينيا ، وقد بحثنا ذلك في نهاية الفصل السابق .

٢ـ أسباب اندحار الانتفاضة المسلحة في الدور الثاني ٢١٨ ـ ٢٢٢ هـ/٨٣٣ ـ ٨٣٧ م

ظلت الانتفاضة البابكية المسلحة تحرز النصر تلو النصر في معاركها قرابة ١٨ عاماً ، وقد أوضحنا العوامل التي ساعدت على نجاحها في تلك الفترة فلما تفاقم خطرها وعجزت جيوش الخلافة عن إدراك النصر حرص الخليفة المعتصم (٢١٨ ـ٢٢٧ هـ/ ٨٣٣ ـ ٨٤٢م) ، بناء على وصية أخيه المأمون ، بالجد على الاجهاز عليها فأرسل جيوشاً مدربة ومتمرسة بقتال الجبال تحت إمرة قائد محنك هو الأفشين حيدر بن كاؤوس وأمده بقادة لا يقلون عنه مراساً وشدة وجهزه وأمده بالأموال والسلاح فتمكن أن يحصن بها مواقعه ويحاصر بابك ، وكان لهروب الاقطاعيين ودور الانتهازيين التخريبي وتباطؤ الروم في مساعدة المنتفضين أثر في تلك الاندحارات .

أ- العوامل العسكرية:

عزل خرمية الجبال عن منتفضي أذربيجان:

لمس الخليفة المعتصم خطر خرمية الجبال في أذربيجان والذين تجمعوا في

(٢١٨هـ/ ٨٣٣م) في همذان فبادر إلى ضربهم قبل التفرغ والاستعداد لحرب بابك وقد أرسل عدة جيوش كما شاهدنا ـ لدحرهم حتى تمكن اسحق بن إبراهيم بن مصعب من دحرهم وأنزل بخرمية الجبال ضربة قاصمة حيث قُتِلَ من قُتِلَ وهرب قسم إلى الروم وأُسِرَ الباقي ، فأدت هذه الضربة إلى محق هذه الجبهة وإضعاف مركز بابك حيث انعزلَ عن خرميي ايران الجبليين وقل احتمال الاعتماد عليهم لتلك الضربة الماحقة . ويشير الدوري إلى أن ساحة القتال انحصرت بأذربيجان معقل البابكية الأصلي(٩٣) ويرى تومارا أن من نتائج هذه الضربة برودة الكثير من الفلاحين عن الحركة بحيث تخلوا عن بابك وعادوا إلى قراهم(٩٤) . ولاشك في أن لتدرب الجيش العباسي وتمرسه بقتال الجبال من أثر في هذه التحولات التي حصلت بحيث أخذ الجيش العباسي ينتقل إلى الفوز بعد الهزائم التي كانت تحل به ، وكنتيجة لاشتباكات الجيوش العباسية العديدة مع خرمية إيران الجبليين ومع خرمية أذربيجان القاطنين في الجبال ، تدربت تلك الجيوش على أساليب قتال الجبال وتعودت على ظروف المناخ القاسية بخلاف ما كانت عليه الجيوش السابقة والتي كانت غالبيتها ترسل رأساً من البصرة أو من بغداد ، والتي ليس لها سابق عهد بقتال الجبال وقساوة المناخ ، وتزج فوراً بالمعارك مع الخرميين المتمنعين بذرى جبالهم ، فكانت تلك الجيوش العباسية غير المدربة صيداً سهلاً للجبليين المتربصين حيث كانوا يجرونها إلى النزال في المضايق الوعرة(٩٥) وهناك ينقضون عليها فتتمزق تلك الجيوش نتيجة تضافر عوامل الطبيعة والمناخ وتمنع الخرميين الجبليين وتمرسهم بقتال الجبال . وهكذا كانت تقع كل الجيوش العباسية فريسة الجهل بطبيعة الأرض وعدم التمرن على حروب الجبال ، أما الجيوش المتأخرة فقد تدربت على حروب الجبال ، كما أن تأني الأفشين في حروبه أعطى فرصة لأفراد جيشه للاطلاع على مسالك البلد والتمرن على منازلة الأعداء في المناطق الوعرة .

وكان الأفشين ، (حيدر أو خيذر بن كاؤوس الاشروسني) قائداً ماهراً حنكته التجارب في خدمة مصالح سادته ، فقد لازم مولاه منذ كان ولياً للعهد وحارب تحت إمرته في مصر وشمال أفريقيا ، وقد أظهر نبوغاً وتفوقاً ومهارة وشجاعة(٩٦) جعلت المعتصم يعتمد عليه في الملمات ويدخره للأيام العصيبة . وكانت خطة الأفشين البارعة هي في إطالة مدة الحرب وعدم التسرع وتضييق الخناق تدريجياً على بابك وتجويعه

وحصره في مركزه البذ بعد تمزيق فصائل الخرميين والاجهاز على قادة البابكيين وأعوان بابك المخلصين المهمين . ولم يفقه المحاربون هذه الخطة التي تجعل الطامعين والمترددين والخائفين من الملتصقين بالانتفاضة ينفضون أيديهم منها ويلتجئون إلى الحياد إن لم ينضموا إلى جيوش الخلافة ، لم يفقه المحاربون المسلمون تلك الخطة وتجرأوا بالشكوى من عدم مقارعة الأعداء وانتظارهم الطويل ، وقالوا عن الأفشين «هذا لا يشتهي إلا المماطلة... وإنه لايحب المناجزة وإنما يريد التطويل»(٩٧) ، بينما دوريات الخرميين تمر بهم وتزعق بوجوههم وهم ساكتون بل إنهم أدركوا جدران قلاع البذ ولكنهم أمروا بالعودة ولم يستلموا أمراً بارتقائها . هذه الخطة التي بنيت على دراسة أحوال البلد الطبيعية والظروف المناخية وطريقة قتال الخرميين حيث وجد الأفشين أن حروب البابكيين تعتمد على هجمات الفصائل السريعة الخاطفة وعلى المباغتة وعلى الكمائن ، ولهذا عمد إلى افساد خطط البابكيين بخطط معاكسة فقد عمد إلى النقيض من أساليب البابكيين وذلك بزحف الجيش بأكمله رويداً رويداً والتحصن في المواقع الجديدة بحفر الخنادق وبناء الحصون والتحوط من المباغتة «وكان الأفشين أبداً يخاف من كمين بابك»(٩٨) . وكان يجعل نصف الجيش على إهبة الاستعداد دوماً خشية البيات . ويرى الطبري أن المعتصم أمره بهذه التعبئة : «وكتب اليه المعتصم يأمره أن يجعل الناس نوائب كراديس تقف على ظهور الخيل كما يدور العسكر بالليل ، فبعض القوم معسكرون وبعض وقوف على ظهور دوابهم على ميل كما يدور العسكر بالليل والنهار مخافة البيات»(٩٩) . وخطة الافشين المبنية على التأني كانت الثغرة التي طعن منها «الأفشين» في إخلاصه وولائه على أساس أنه كان يحاول إعطاء الفرصة لعدوه بابك للتخلص من المأزق الحرج . وقد اهتم الافشين بتحصين القلاع وتنظيم الاتصال والتجهيزات . وكان بابك ـ كما ذكرنا سابقاً ـ قد عمد إلى تهديم القلاع والحصون التي يمكن أن تلتجىء اليها جيوش الخلافة ، وذلك من أجل إضعاف مقاومة تلك الجيوش ، فلما آل الامر إلى المعتصم وجه القائد أبا سعيد محمد بن يوسف إلى أردبيل وأمره أن يبني الحصون ما بين زنجان وأدربيل(١٠٠) ويترك فيها حاميات لتؤمن وصول قوافل الميرة التي ترسل إلى أردبيل(١٠١) ففعل محمد ذلك فلما جاء الأفشين الذي عسكر في برزند(١٠٢) أمر بترميم الحصون الواقعة

بين أردبيل وبرزند وأنزل تلك الحصون القادة التالية أسماؤهم : محمد بن يوسف(١٠٣) في خش(١٠٤) فاحتفر خندقاً فيه ، الهيثم الغنوي(١٠٥) في أرشق(١٠٦) فرمّ حصنه وحفر حوله خندقاً ، علوية الأعور(١٠٧) في حصن النهر(١٠٨) . وكانت قوافل الميرة تسير من أردبيل إلى برزند (١٤ فرسخاً - ١١٢ كيلومتراً)(١٠٩) بخفارة دوريات من هذه المعسكرات حيث تخرج القافلة ومن يخفرها إلى حصن النهر فيتسلمها منهم أصحاب علوية الأعور ويبادلون بما لديهم مع أصحاب أردبيل ويعود كل إلى حصنه ، ثم يسير جماعة علوية الأعور بالقافلة بعد اجتيازهم قلعتهم (حصن النهر) حتى يتوجهوا إلى منتصف الطريق بينهم وبين أرشق ، وهناك تنتظرهم جماعة الهيثم الغنوي ويجري التبادل فتسير جماعة الهيثم الغنوي بالقافلة إلى أرشق وتعود جماعة علوية إلى حصن النهر بما استلموه من جماعة الهيثم الغنوي ، ومن أرشق تسير جماعة الهيثم بخفارة (ببذرقة) القافلة إلى منتصف الطريق الذي بينهم وبين حصن خش(١١٠) حيث تنتظرهم جماعة محمد بن يوسف ، ويتم التبادل بينهم فتستلم جماعة محمد القافلة من جماعة الهيثم وتتجه به نحو خش ، أما جماعة الهيثم فتعود إلى أرشق بما استلمته من جماعة محمد (الآتية من خش) ، وبعد أن تجتاز جماعة محمد حصنها في خش تتجه نحو برزند (بين خش وبرزند ٦ فراسخ = ٤٨ كيلومتراً)(١١١) وفي منتصف الطريق تلتقي بها دوريات الافشين المقبلة من برزند فتستلم القافلة من جماعة محمد وتسير بها نحو برزند وتعود جماعة محمد بما استلمته من دورية الافشين إلى حصنها في خش(١١٢) . وبالرغم من تعرض جيش الافشين عدة مرات لخطر المجاعة نتيجة استحواذ بابك على قوافله ، رغم تلك الحيطة والحراسة والخطة المتينة ، إلا أن الافشين ضمن - لحد ما - بهذا التنظيم حراسة قوافل الميرة والتموين ووصول القوافل والميرة إليه بسلام(١١٣) . وبترميمه للحصون وتأمينه وصول الميرة والامدادات استطاع أن يتغلب على أخطر عوامل إفناء جيوش الخلافة .

استخدام جماعات متمرسة بقتال الجبال:

لم تقتصر وحدات الجيش العباسي المحارب في أذربيجان على الجماعات العراقية من عربية وإيرانية بل ضمت بالإضافة إلى هؤلاء أعداداً كبيرة من الكلغرية(١١٤)

والكوهبانية[١١٥] والفراغنة والاشروسنيين والعبيد والبربر[١١٦] وكان الكوهبانيون والفراعنة والاشروسنيون متمرسين بقتال الجبال (وغالبيتهم من غلمان الخليفة) وذوي صلابة وجلد .

وجيش الخلافة وإن كانت فيه عناصر هزيلة ضعيفة كالمتطوعة[١١٧] والتي كانت تجهل حرب الجبال وقد جاءت من أجل المغانم إلا أن الاشروسنيين والكلغريين والكوهبانيين والفراغنة كانوا عناصر قوة للجيش لمراسهم وطاعتهم وجلدهم ، وقد تذمر الافشين من المتطوعة والمرتزقة من أفراد الجيش فصرخ فيهم يوماً « من صبر منكم فليصبر ومن لم يصبر فالطريق واسع فلينصرف بسلام ، معي جند أمير المؤمنين ومن هم في أرزاقه يقيمون معي في الحر والبرد »[١١٨] . لقد كان الغلمان الأتراك ، وهم غالبية جيش الأفشين لهم الدراية على حرب الجبال ويمتازون بالطاعة والانصياع لأوامر أمرائهم ولاسيما إذا كان الأمراء من بني جلدتهم كالافشين وايتاخ والفضل بن كاؤوس (أخو الافشين) وغيرهم من أمراء الجند الأتراك .

طول الحصار:

أطال الافشين الحصار على بابك وضيّق عليه الخناق حتى أجبره على اللجوء إلى مركزه البذ . إن الزحف البطيء والتحصن في المناطق الجديدة وحفر الخنادق والاستحكامات وسد المسالك في المضايق المؤدية للبذ قد مكنت الأفشين ، الذي أمن وصول قوافل تموينه اليه ، من إضعاف بابك ودحره في عقر داره ، وقد ساعد على ذلك ايضاً قلة فرص تعرض بابك لقوافل تموين الافشين بسبب الخطة الحصينة التي وضعها لحماية قوافله ، فحرم بابك ولاسيما في العام الأخير من أهم موارد إعاشته بالإضافة إلى عدم تمكنه (بابك) من إجاعة جيش الخلافة والضغط عليه بحرمانه من موارد عيشه وتسلحه . لقد أصبح الطريق مفتوحاً من جهات عديدة أمام قوافل تموين وإمدادات جيوش الخلافة بينما بدأت المنافذ والمسالك التي توصل البابكيين باعوانهم تسد الواحدة تلو الأخرى . وكان تحصين خط الدفاع الممتد من برزند إلى زنجان عبر أردبيل أكبر ضربة وجهت إلى البابكيين حيث عزلهم هذا الخط عن أقوى أنصارهم « خرمية الجبال » و« الديلم » .

استمالة جواسيس بابك:

عمد الأفشين إلى استمالة من يقع بيده من جواسيس بابك فقد كان يطلقهم ويبذل اليهم الأموال ويقول لهم : اذهبوا وكونوا جواسيس لنا . وبدهائه هذا استمال عدداً من جواسيس بابك الذين أخذوا يعملون لحساب الطرفين على ما يظهر ، فكان يطلع على خفايا تحركات عدوه ولم تبق تنقلات وحدات بابك وتجوال قادته سراً ، وبهذه الواسطة عرف مرة مكان أعظم قادة بابك ، طرخان ، حيث اغتيل .

شدة اهتمام الخليفة المعتصم بأمر الخرمية وحسن تجهيزه للجيش:

ترك المأمون لأخيه المعتصم وصيته التي جاء فيها : « ...... والخرمية فاغزهم ذاحرمة وصرامة وجلد واكنفه بالأموال والجنود فإن طالت مدتهم فتجرد لهم فيمن معك من أنصارك وأوليائك وأعمل في ذلك عمل مقدم النية فيه راجياً ثواب الله عليه... »(١١٩) ولما كان المعتصم شاعراً بجسامة خطر الخرمية فأنه أخذ بوصية أخيه واهتم اهتماماً كبيراً بموضوع الخرمية وبأمر بابك حتى أن الدينوري يقول إنه لم يكن للمعتصم من شأن يشغله سوى بابك « فلما أفضى الأمر الى أبي إسحاق المعتصم بالله لم تكن همته غيره (يقصد بابك)... »(١٢٠) . كم يا ترى كانت ملاحظة الدينوري صائبة! لقد نقل المعتصم الجيوش التي تحارب الروم وقذف بها إلى بابك وترك الجبهة البيزنطية هادئة(١٢١) ، وقد أرسل لمحاربة بابك كل جيوش الخلافة(١٢٢) وقد تيسر له ذلك بعد القضاء على الفتن والاضطرابات والهدنة التي شملت الجبهة البيزنطية . لقد تيسر له أن يزج بكل جيوشه في الحرب مع الخرميين حتى إذا أنزل الضربة القاضية بخرمية إيران ـ في همذان ـ توجهت كل الجيوش إلى أذربيجان . ويتجلى اهتمام الخليفة بأمر بابك وعزمه على القضاء عليه لا بإرسال كل جيوشه إلى أذربيجان فحسب وإنما في حرصه وتتبعه وفي إطلاعه وتوجيهه على الحركات الحربية حيث كان يطلع على الخرائط ويبدي توصياته ، وكان الاتصال يتم بينه وبين الأفشين بسرعة بفضل تنظيم البريد واستخدام الحمام الزاجل للغرض نفسه . ويرى الدوري أن استعمال الحمام لنقل الأخبار كان لأول مرة في هذه الحرب(١٢٣) . وننقل ما يذكره الطبري عن تنظيم البريد بين أذربيجان وسامراء (مقر الخلافة في الأيام الأخيرة من

الانتفاضة) ، يقول الطبري «...وإن المعتصم لعنايته بأمر بابك وأخباره ولفساد الطريق بالثلج وغيره جعل من سامراء إلى عقبة حلوان خيلا مضرة على رأس كل فرسخ فرساً معه مجر مرتب فكان يركض بالخبر ركضاً حتى يؤديه من واحد إلى واحد يدا بيد وكان ما خلف حلوان إلى أذربيجان قد رتبوا فيه دواب المرج فكانت يُرْكَضُ بها يوماً أو يومين ثم تبدل ، ويصير غيرها ويحمل عليها غلمان من أصحاب المرج كل دابة على رأس فرسخ وجعل لهم ديادبة (حرّاسا) ، على رؤوس الجبال بالليل والنهار ، وأمرهم أن ينعروا (يصيحوا) إذا جاءهم الخبر ، فإذا سمع الذي يليه النعير تهيأ فلا يبلغ إليه صاحبه الذي نعر حتى يقف له على الطريق فيأخذ الخريطة منه ، فكانت الخريطة تصل من معسكر الأفشين إلى سامراء في أربعة أيام أو أقل»[١٢٤] .

وقد صرف المعتصم من الأموال مبالغ طائلة ولم يبخل على جيشه بشيء ، وقد اهتم بتنظيم وصول الأموال والإمدادات إلى الافشين وبذل للافشين أموالاً وهدايا وعطايا كثيرة ، يذكر الطبري : «وكان يجزي الافشين في مقامه بازاء بابك سوى الأرزاق والانزال والمعاون في كل يوم يركب فيه عشرة آلاف درهم وفي كل يوم لا يركب فيه خمسة آلاف درهم»[١٢٥] . هذا للافشين وحده أما نفقات جيشه كله فيكفينا أن نعلم أنه حوّل للافشين في عام ٢٢٢ هـ/ ٨٣٧ م ثلاثين مليون درهم[١٢٦] ، حتى أن الذهبي يتصور أن المعتصم أنفق بيوت الأموال في حرب بابك[١٢٧] . لقد كان المعتصم سخياً في بذله للأموال من أجل القضاء على انتفاضة أذربيجان الخرمية ، وقد جهز قائده الافشين بالجيوش والمؤن ولم يتركه تحت غائلة الجوع أو الاحتياج ، وقد أمده بخيرة القواد ، إذ كان يعمل مع الأفشين ، حسب روايات المؤرخين ، قادة ذوو خبرة وصلابة وجلد كأبي سعيد محمد بن يوسف بن عبد الرحمن الطائي وأبي دلف القاسم بن عيسى العجلي[١٢٨] وجعفر بن دينار الخياط والهيثم الغنوي وعلوية الأعور والفضل بن كاؤوس الاشروسني ومحمد بن خالد بخاراخذاه وأحمد بن الخليل بن هشام (ابن اخت علي بن هشام ، والي الجبال زمن المأمون) وبوزباره[١٢٩] وبغا الكبير وداود سياه وبشير التركي وجناح الأعور السكري وابن جوشن ومظفر بن كيدر وصالح آب كش (السقاء) وظفر بن العلاء والحسين بن خالد المدائني ومعاذ بن محمد[١٣٠] وايتاخ (في الحقيقة أن إيتاخ جاء بالمؤن والأموال وعاد إلى سامراء)[١٣١] .

ب- موقف الاقطاعيين المعادي للانتفاضة:

ومن العوامل التي أضعفت البابكيين وبالتالي أدت إلى اندحارهم معاداة الاقطاعيين لهم ، فالاقطاعيون المجاورون كانوا بموقف معادي للحركة ، وهم وإن لم ينضموا إلى جانب الخلافة في بداية الأمر لضعف مركز الخلافة وانقطاع الصلة بينها وبينهم ، غير أنهم وقفوا بوجه الانتفاضة ، ولم يكن ذلك غير اعتيادي لأنهم كانوا يخشون على مصالحهم ونفوذهم واستغلالهم من الضياع ، لهذا كان طبيعياً أن يعلنوا الحرب على الحركة التي تهددهم . وكان بابك مرغماً على خوض المعارك مع هؤلاء الذين يهددون مواقعه من الخلف سواء كانوا متفقين مع الخلافة أم غير متفقين معها فالأمر سيان لدى بابك . إنهم كانوا خطرا على الحركة ولهذا كان الخرميون يحاربون علي جبهتين ؛ جبهة الخلافة وجبهة الاقطاعيين سواء منهم الذين في أذربيجان أو في أرمينيا(١٣٢) .

هروب الاقطاعيين من صفوف الانتفاضة والتجاؤهم إلى صفوف جيش الخلافة:

التجأ إلى الانتفاضة في أيام انتصاراتها المتلاحقة فريق من الاقطاعيين من مختلف الأقوام بدافع الخوف وعدم التمكن من الوقوف بوجه تيار الانتفاضة العارم أو بسبب كره السلطة العباسية أو لشعورهم بأن أيام العباسيين قد انتهت . إلا أن هؤلاء أصبحوا مصدر خطر للانتفاضة بحكم مركزهم وكثرة أتباعهم ومناعة قلاعهم ومعرفتهم للبلاد . ولهذا اعتبر الطبري خيانة ابن البعيث لبابك هزيمة حلت ببابك لا تختلف عن الهزائم العسكرية الأخرى(١٣٣) . لأن ابن البعيث غدر بأحد قادة بابك عصمت الكردي وأتباعه ، وقتل قسماً من الأتباع وأرسل عصمت مخفوراً إلى المعتصم ، وقد شاهدنا كيف أن عصمت اضطر إلى الاعتراف والادلاء بما يعرف عن عورات البلاد ، وقد ظل عصمت مسجوناً حتى أيام الواثق . ولم يكتف ابن البعيث بتلك ، بل انضم إلى جيش الخلافة حيث ساهم في الحملة ضد بابك واشترك في معركة هشتادسر الثانية(١٣٤) . إن خيانة الاقطاعيين (الملتجئين إلى الانتفاضة خوفاً) للحركة لم يكن نادراً كما يقول بيلاييف(١٣٥) وقد علل يامبولسكي غدر هؤلاء للحركة وطعنها بسكين من الخلف بأن

الدهاقنة والبطارقة (الاقطاعيين) شعروا بأنفسهم بعمق الحركة الاجتماعية الفلاحية(١٣٦) . ويرى ايفانوف أن انتقال الخلافة في بداية ثلاثينيات القرن التاسع من الاندحارات إلى النجاحات في الأعمال العسكرية قد ساعد على خيانة الاقطاعيين لبابك ، هؤلاء الاقطاعيين الذين انحازوا في البداية إلى المنتفضين(١٣٧) . بينما جاء في تاريخ أذربيجان « خيانة الحلفاء المؤقتين ـ أضعفت الخرميين وساعدت العرب على بلوغ نقطة التحول في كفاحهم ضد حركة الشعب التحررية »(*) . والواقع أن هروب الاقطاعيين ساعد في إضعاف الحركة ، علماً بأنه لم يكن في إمكانهم الهروب أيام انتصارات البابكيين الأولى ، فابن البعيث لابد وأنه قد شعر برجحان كفة الخلافة فسارع في عرض خدماته على الخليفة . يذكر اليعقوبي : « كان ابن البعيث قد كتب إلى المعتصم يعلمه أنه في الطاعة وأنه في التدبير على بابك وأصحابه »(١٣٨) . ولم يكن ابن البعيث إلا واحداً من عديدين انحازوا إلى جبهة الخلافة . إن انصراف هؤلاء الاقطاعيين قد أحدث ثغرات في مناطق دفاع البابكيين حيث فقدوا مواقع محصنة كثيرة كانت تحمي ظهروهم .

جـ ـ العناصر التخريبية ودورها التخريبي في سير الحركة:

كأية حركة جماهيرية واسعة لابد وأن تتسلل إلى صفوفها الجماعات الانتهازية ولاسيما في أيام نجاحاتها ، وما أطولها بالنسبة لهذه الانتفاضة ، وكان من الصعب الكشف عن هوية هؤلاء لسعة المناطق التي شملتها الانتفاضة ولبراعة هؤلاء الانتهازيين في إخفاء هويتهم لخشيتهم المحاسبة والانتفاضة في عنفوانها ولصعوبة التعرف على خفايا الناس بسرعة ، إلا أن هؤلاء لم يتورعوا عن القيام بأخس الأعمال حينما أمنوا شر الملاحقة فكانوا يسرقون ويقتلون ويتجسسون لحساب الطرفين ويلتجئون بالتالي إلى الطرف القوي فيلعبون على الحبلين . وأخطر هذه الجماعات هم : قطاع الطرق واللصوص . وتشير بعض المصادر إلى انضمام هؤلاء اللصوص وقطاع الطرق للانتفاضة ، فالمقدسي المطهر بن طاهر يقول : « وانضوى إليه القطاع والحراب والذعار وأصحاب الفتن... »(١٣٩) ، وكتب ابن العبري : « واحتوى إليه القطاع وأصحاب

(*) م١ ، ص١٢١ .

الفتن »[١٤٠] ، بينما يرى جوزي أن انضمام هؤلاء كان « لأغراض سافلة معلومة »[١٤١] ، ويعلل الدوري انضمامهم (طمعاً في الفوائد المادية)[١٤٢] . وقد أدى انضمام هؤلاء إلى صفوف الحركة إلى تشويه سمعتها باضفاء صفات النهب والسلب والقتل على رجال الحركة من أجل المنافع المادية . هذا بالإضافة إلى أن هؤلاء كانوا عناصر خطرة في صفوف الحركة إذ أنهم يثيرون الفزع والتطير ويحرضون على الهرب وعدم الصمود إذ أنهم لا يفكرون إلا بالمغانم ، أما أهداف الحركة فتلك أمور لايفقهونها ولا يفكرون بها ، ولهذا ينهزمون في أولى النزالات وفي أخف المعارك .

المترددون والطامعون : في عنفوان المد الثوري والانتصارات الباهرة والهياج الجماهيري تنضم الألوف من الناس التي تغمرها موجة الفوران غير مدركة ولا مفكرة بمستقبلها ولا منطلقة من مصالحها لقلة وعيها وإدراكها وتفهمها لواقع حالها ، وإنما تبهرها الانتصارات وتخشى عدم مجاراة الانتفاضة ، لهذا لا تخلو حركة جماهيرية من انضمام هؤلاء المترددين القلقين ، ولكن هؤلاء لا نفع فيهم بقدر ما يجلبون الضرر ، إذ أنهم كثيراً ما يحجمون في اللحظات الحاسمة فتضيع الفرصة فيسددون طعنة للحركة من حيث يشعرون أو لا يشعرون ، إذ أنهم يرجحون مصالحهم الشخصية الآنية على مجموع مصالح المنتفضين ، وبسبب تخوفهم من سطوة الطبقة السائدة وعقوبة السلطان فهم لا يسهمون في مجمل نشاطات الحركة وإن ساهموا فبتحوط وحذر وتردد . أما الطامعون المتسللون إلى صفوف الحركة فهؤلاء لا تسيرهم إلا مصالحهم الشخصية الآنية وأطماعهم الذاتية . وفي عداد هؤلاء يدخل النفعيون وفئات من الاقطاعيين الصغار وكل الذين يفكرون بالحصول على المغانم عند انتصار الانتفاضة . ومن الطبيعي أن تأثير هؤلاء يكون ضعيفاً عندما تحرز الانتفاضة الانتصارات ، ولكن هؤلاء سرعان ما يقلبون ظهر المجن للانتفاضة ويولونها الأدبار ويذهبون عنها بعيداً عند أول انكسار يصيبها وحينذاك يأتي الخطر من تخلي هؤلاء حيث يضعفون معنويات الثائرين ويثبطون عزائمهم ، بل ويسارعون بالتودد إلى الطرف الآخر المنتصر .

عدم مساهمة جميع فلاحي مناطق الانتفاضة : صحيح أن انتفاضات الخرمية قامت على أكتاف الفلاحين ولكن ليس كل الفلاحين قد ساهموا فيها . فبالرغم من عناية

القائمين بالانتفاضة البابكية بمشاكل الفلاحين إلا أن فلاحي المناطق التي عمتها الانتفاضة لم تساهم بمجموعها في الانتفاضة البابكية ، ولا سيما في الفترة الأخيرة ، حيث فترت عزائمهم وعادوا إلى قراهم . فيذكر تومارا : « إن الاخفاقات التي بدأت تصيب بابك قد ساهمت في برودة الفلاحين إزاء الحركة ، وإن الكثيرن منهم بدأوا يتخلون عنه ويعودون إلى قراهم(*) . ولقد وضحنا سابقاً الأسباب التي تدعو إلى إحجام الفلاحين في القرون الوسطى عن المساهمة في الانتفاضات مسترشدين بتحليل انكلز لذلك عند بحثه الحروب الفلاحية في ألمانيا(**) . ولاحاجة بنا لتكراره(***) ، غير أننا نود أن نقول بأن إحجام أقسام واسعة من الفلاحين عن المساهمة في الانتفاضة البابكية ، ولاسيما في العهد الأخير ، قد أثر فيها تأثيراً واضحاً بينما كان للخلافة امكاناتها الواسعة في إعداد جيوشها الغفيرة وزجها في الجبهة الأذربيجانية .

تباطؤ الروم في مساعدتهم للمنتفضين بسبب تخوفهم من توسع الانتفاضة ذات البرامج الاجتماعية:

مر بنا أن الخرميين الناجين من معركة همذان(٢١٨ هـ) قد التجأوا إلى الروم ، وأن الروم كانوا يهاجمون الثغور الإسلامية كمساعدة منهم لبابك ونكاية بالمسلمين الذين آزروا المنتفض توما الصقلبي . والملاحظ أن الصلات بين بابك وبيزنطة لم تتوسع أكثر من ذلك ، فإن اتصال بابك بتيوفيل بن ميخائيل لم يتعد الطلب منه مهاجمة الحدود الإسلامية المكشوفة له(****) بعد أن زج العباسيون كل قواهم في أذربيجان ، وكان طلب بابك من أجل تخفيف الضغط(١٤٣) عليه وكانت مصالح الطرفين في القضاء على الجيوش العباسية وتحطيم السيادة العربية تدعو إلى قيام تحالف بينهما ، ولكن الواقع أثبت أن امبراطور الروم كان لا يميل إلى نجاح الانتفاضة وإنما كان يريدها وسيلة لاضعاف العباسيين ، وإلا بماذا يفسر ذلك الهدوء النسبي الذي شمل الجبهة البيزنطية قرابة الأعوام الأربعة لاسيما والجبهة خالية من أي أثر للجيوش العباسية ،

(*) بابك ، ص١١٨ .

(**) الحرب الفلاحية في المانيا ، ص٣١ .

(***) راجع الصفحة ١٥٨ من بحثنا هذا ـ الهامش ٣٥٠ .

(****) أمير علي ويذكر مازندران بدلاً من أذربيجان كمحل للحركة وهو مخطىء ولا شك . مختصر تاريخ العرب ، ص٢٧٢ ، ص٢٨٤ ، فازيليف ، بيزنطة والعرب ، ص١١٢ ـ ٤ .

اللهم سوى حاميات ضئيلة في ثغور مبعثرة ؟ لم أحجم تيوفيل عن مهاجمة الحدود الإسلامية بعد انسحاب الجيوش العباسية منها وانتقالها إلى أذربيجان ؟ لماذا هاجم امبراطور القسطنطينية الثغور الإسلامية بعد سقوط البذ ؟ لماذا لم يستجب تيوفيل لنداء بابك بمهاجمة الحدود الإسلامية وقد أخبره بعدم قدرة الخليفة على ملاقاته لأنه زج بكل جيوشه حتى أرسل خياطه وطباخه لمحاربة بابك في أذربيجان ؟(*) هل كان يجهل أمور الحرب بحيث يترك المسلمين ينتصرون على الخرمية ثم يغزوهم وبذلك تكون للجيوش الإسلامية القدرة على التفرغ له ومنازلته ودحره ؟ اسئلة كثيرة تواجه المعني بهذه القضية حول إحجام تيوفيل خلال أربع سنوات كاملات عن غزو الحدود الإسلامية ، ولاجواب لها إلا أن الامبراطور كان يكره كل انتفاضة شعبية ولاسيما إذا كانت ذات برامج اجتماعية ، أما قبوله للخرميين الفارين من إيران فلكي يستخدمهم في حروبه مع المسلمين ، وأما مساعداته السابقة في مهاجمة المسلمين فكانت نكاية بالمسلمين وليس كواجب تجاه الحليف . لقد أثبت تيوفيل (أو تيوفيلوس)(١٤٤) أنه لم يكن صادق النية تجاه حليفه بابك ، إذ لو كان مخلصاً لسارع لإنقاذه من محنته وذلك بتخفيف الضغط عنه بمهاجمة الحدود الإسلامية إبان اشتداد الحملة ، ولكنه على العكس أعطى فرصة كبيرة للمعتصم ليسحب جيوشه ويزج بها في أذربيجان(١٤٥) ، وحتى هجومه على زبطرة(٢٢٣هـ) جاء بعد سقوط البذ . وقد يعلل ذلك بأنه تأخر في استلام استغاثة بابك ، ولكن الحوادث تدلنا على أنه أخبر بعد وصول امدادات الخليفة عام (٢٢٢ هـ) حيث جاء ذكر جعفر وإيتاخ في رسالة بابك إليه . ويذكر الطبري تلك الرسالة : « إن ملك العرب قد وجه عساكره ومقاتلته اليه حتى وجه خياطه يعني جعفر بن دينار وطباخه يعني ايتاخ ولم يبق على بابه أحد فان أردت الخروج إليه فاعلم أنه ليس في وجهك أحد يمنعك »(١٤٦) . وبالرغم من توضيح بابك له فإنه لم يقدم على مهاجمة زبطرة إلا في عام (٢٢٣ هـ) وبذلك برهن لا على حقده وكراهيته للانتفاضة فحسب ، وإنما على جهله بأبسط أمور الحرب ، إذ أنه ترك

(*) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٢ ، جـ٢ ، ص١٢٣٤ ، انظر : فازيليف حيث كتب : « لقد وقع بابك مع تيوفيل اتفاقاً وكان يأمل الآن في هذا الظرف العصيب أن يقوم تيوفيل بغزو على حدود العرب في الوقت الذي أرسل فيه المعتصم كل الجيش ضد بابك ومن ناحية حدود بيزنطة لم يكن باستطاعة الخليفة القيام بأي مقاومة لأنه بعث حتى خياطه وطباخه » ، بيزنطة والعرب ، ص١١٣ ـ ٤ .

الجيوش الإسلامية تقضي على الانتفاضة ومن ثم بدأ بهجومه ، وما أحسب إلا أنه كان يتصور أن جيش المسلمين قد أنهك بالحروب مع الخرمية . ولكن كم كان واهماً فقد تيسر للمعتصم بسهولة توجيه ثلاثة جيوش(١٤٧) الحقت به شر هزيمة عند عمورية التي ذكر وقائعها أبو تمام وأشاد بانتصار المعتصم الذي قاد الجيش بنفسه يعينه الافشين ومن كان معه . لقد أنشد أبو تمام قصيدته المشهورة عن عمورية والتي مطلعها :

السيف أصدق أنباء من الكتب   في حده الحد بين الجد واللعب

وما كان بمقدور المعتصم أن يفتح عمورية ويوجه تلك الضربة القوية لتيوفيل أيام محاربة جيوشه لبابك ، وقد أشار الطبري إلى ذلك عند توضيحه الأسباب التي دفعت بابك إلى أن يطلب من تيوفيل مهاجمة المسلمين إذ قال : « طمعاً منه و (يقصد بابك) بكتابه ذلك إليه في أن ملك الروم إن تحرك انكشف عنه بعض ما هو فيه بصرف المعتصم بعض من بإزائه من جيوشه إلى ملك الروم واشتغاله به عنه »(١٤٨) . ولما لم يقم بذلك الهجوم إلا متأخراً فقد جنى نتيجة حمقه وتهوره .

٣ ـ فترة النضال المسلح تحت قيادة بابك ومجريات الحوادث:

الفترة بين ٢٠١هـ/ ٢١٨هـ، ٨١٦م/ ٨٣٣م:

في هذه الفترة الطويلة التي توافق سني حكم الخليفة المأمون (١٩٨ ـ ٢١٨هـ/ ٨١٣ ـ ٨٣٣م) كان الفوز دائماً حليف بابك ، حيث كانت تنتصر جيوشه على الجيوش التي كان يبعثها الخليفة . وتتفق غالبية المصادر(١٤٩) على بدء الفعاليات في سنة ٢٠١هـ ـ (٨١٦م) ، ولا شك في ان للمجاعة(١٥٠) التي أصابت مناطق مختلفة من شمال وغرب إيران أثراً في التجاء جموع الفلاحين الجائعين المعدمين إلى الانتفاضة .

لكن المصادر لا توضح نوعية الفعاليات التي قام بها بابك سوى ذكرها لقيامه بقيادة الخرمية من جماعات جاويدان في منطقة البذ . وتصف هذه الفعاليات بالعبث والفساد(١٥١) ، غير أن الدينوري يشير الى ما يفهم منه احتلال بابك للحصون المجاورة له وتهديمها(١٥٢) ، ومنذ عام ٢٠٤هـ (٨١٩م) تبرز الحوادث في المصادر

وتظل الى النهاية . ففي عام ٢٠٤هـ حصلت معركة بين يحيى بن معاذ بن مسلم وبابك ولكن دون ان يظفر أي منهما بنصر حاسم[١٥٣] على خصمه فاضطر المأمون سنة ٢٠٥هـ (٨٢٠م) الى ان يعهد الى عيسى بن محمد بن خالد[١٥٤] ولاية أرمينيا وأذربيجان ويطلب منه محاربة بابك فتوجه بجموع الحربية من بغداد حتى إذا كان في أرمينيا انضم اليه الاقطاعيون «كمحمد بن الرواد الأزدي وجميع رؤساء تلك البلاد»[١٥٥] ، ورغم تلك الحشود فقد ألجأه بابك الى أحد المضايق حيث انقض عليه بشدة أذعرته فولى عيسى هارباً من آذربيجان الى أرمينيا وهو يقول : «ليس لنا في قتال هؤلاء بخت إنما نخشى في قتال المسلمين»[١٥٦] ، وأشغل هذا القائد الكبير نفسه بمشاكل أرمينيا ولم يتجاسر ثانية علي مواجهة بابك الذي استعظم أمره وبدأ الولاة يتهيبونه ونتيجة لتلكؤ عيسى في محاربة بابك طيلة ثلاثة أعوام اضطر المأمون الى تكليف علي بن صدقة المعروف بزريق الأزدي[١٥٧] (٢٠٩هـ/ ٨٢٣ - ٨٢٤م) ، ولما لم يقم علي بن صدقة بأي شيء ضد بابك عزله المأمون وعين محله إبراهيم بن الليث بن الفضل التجيبي فيذكر الطبري في حوادث سنة ٢٠٩هـ : «وفي هذه السنة ولى المأمون صدقة بن علي المعروف بزريق أرمينيا وأذربيجان ومحاربة بابك وانتدب للقيام بأمره أحمد بن الجنيد بن فرزندي الاسكافي ثم رجع أحمد بن الجنيد بن فرزندي الى بغداد ثم رجع الى الخرمية فأسره بابك فولى إبراهيم بن الليث بن الفضل التجيبي أذربيجان»[١٥٨] ، وبعد ثلاثة أعوام من الفشل والهزائم وتهرب الوالي علي بن صدقة بن زريق من مواجهة بابك اضطر الخليفة إلى عزله ، فعصى فأصدر المأمون أمره بتعيين محمد بن حميد الطوسي[١٥٩] والياً وقائداً لمحاربة بابك والعاصي علي بن صدقة بن زريق عام ٢١٢هـ/ ٨٢٧م[١٦٠] .

١- معركة هشتادسر الأولى[١٦١](٢٥ربيع الأول ٢١٤هـ/ ٣ حزيران ٨٢٩م) :

انصرف الوالي الجديد محمد بن حميد الطوسي الى تثبيت مركزه في أذربيجان وتقوية جيشه قبل أن ينازل خصمه بابك فلما تم له أسر علي ويعلى بن مرة وغيرهما من القائمين بوجه الخلافة جهز جيشاً وسار به لمواجهة بابك ، وكان معه مهدي بن

اصرم السعدي[١٦٢] (وهو قريب لمحمد الطوسي ، وتولى قيادة الجيش بعد مقتل محمد) ومحمد بن يوسف بن عبد الرحمن الطائي والعباس بن عبد الجبار اليقطيني . وقد عبأ جيشه تعبئة جيدة فكان على القلب محمد بن يوسف وعلى الميمنة مهدي بن اصرم وعلى الميسرة العباس بن عبد الجبار اليقطيني[١٦٣] أما القائد محمد بن حميد نفسه فقد ظل في المؤخرة يحمي المواقع ويسد الثغرات التي قد تحصل في صفوف جيشه ، ورغم تحوطه الشديد حيث كان يترك في كل مضيق أو عقبة جماعة من رجاله لحفظ مؤخرته وتجنباً للمباغتة وكان يحفر الخنادق ، وهكذا فعل حينما وصل هشتادسر[١٦٤] . ولكن يؤتى الحذر من مكمنه ، فقد كان بابك مشرفاً على تحركاته بحكم سيطرته على القمم العالية كما أنه كان قد خبأ الكمائن في الأودية وراء الصخور ، فلما توغل محمد بن حميد وجيشه (٢١٤هـ - ٣ حزيران ٨٢٩م)[١٦٥] بعيداً عن مناطق تحصنهم ، وكانت غايتهم الاستحواذ على البذ[١٦٦] ، وبلغوا بعض المضايق الوعرة ، خرج عليهم الكمناء من أسفل وانقض عليهم بابك من الأعلى[١٦٧] في آن واحد ، فذعر جيش المسلمين (وكانت غالبيتهم من متطوعة الامصار المختلفة)[١٦٨] وارتبكت صفوفه ولم يثبت رغم صيحة قائده الذي ثبت في المعركة الى آخرها ، ولما اراد الهرب بعد ان يئس لمحه الخرميون فانقضوا عليه وارادوه قتيلاً ودفن على سفح هشتادسر[١٦٩] . ترك فشل هذه الحملة ومصرع قائدها أثراً كبيراً لدى الخليفة المأمون كما أثارت مخاوف من ولاهم المأمون أمر محاربة بابك بعد محمد بن حميد الطوسي إذ يقول الدينوري : «وقد عظم أمر بابك وتهيبه الناس»[١٧٠] ، فعبيد الله بن طاهر الذي عين بُعيد مصرع محمد بن حميد الطوسي والياً على أذربيجان ومحاربة بابك تلكأ في سيره نحو بابك رغم حسن تجهيزه وآثر البقاء في الدينور ، وكتب الى مهدي بن اصرم أن يتولى قيادة الجيش[١٧١] مما اضطر المأمون أن يبعث اليه من يخيره بين خراسان ومحاربة بابك ، فآثر العافية وفضل خراسان على محاربة بابك[١٧٢] . ولقد توهم الدينوري بأن عبد الله سار من الدينور إلى محاربة بابك وأن محمد بن حميد الطوسي قد قتل في تلك المعركة فقد كتب : «حتى وافى (يقصد عبد الله) البذ وقد عظم أمر بابك وتهيبه الناس فحاربوه فلم يقدروا عليه ففض جمعهم وقتل صناديدهم ، وكان ممن قتل في تلك الواقعة محمد بن حميد الطوسي»[١٧٣] . إن كلام الدينوري

غير صحيح لأن عبد الله لم يبرح الدينور الى أذربيجان وإنما سار منها الى خراسان . يقول ابن الأثير : «وفيها خرج عبد الله بن طاهر الى الدينور فبعث المأمون اليه اسحاق بن إبراهيم ويحيى بن اكثم يخيرانه بين خراسان والجبال وأرمينية وأذربيجان ومحاربة بابك فاختار خراسان وشخص اليها»(١٧٤) . فاذن لم يذهب عبد الله الى أذربيجان وانما سار الى خراسان كما أن محمد بن حميد كان قد قتل قبل مجيء عبد الله . يقول رأيت إن المأمون بعث عبد الله بن طاهر لمحاربة بابك في عام ٢٠٧هـ(١٧٥) وهذا غير صحيح لأن عبد الله كان يحارب في سورية نصر بن شبث(١٧٦) ولم يعين لمحاربة بابك الا بعد مصرع محمد بن حميد الطوسي . لقد امتنع عبد الله من السفر الى أذربيجان وفضل خراسان رهبة من بابك ورغبة في تثبيت مركز آل طاهر بعد وفاة أخيه(١٧٧) ، واضطر المأمون بعد رفض عبد الله الى تعيين علي بن هشام والياً على الجبل وأرمينيا وأذربيجان ومحاربة بابك ، إلاّ أن عليا لم يجسر على محاربة بابك مما أثار حفيظة الخليفة عليه بالاضافة الى سوء سلوكه . وهكذا ظل جيش الخليفة غير قادر على مواجهة بابك في معارك كبيرة حتى وفاة المأمون عام ٢١٨هـ/ ٨٣٣م .

الفترة ما بين ٢١٨هـ ـ ٢٢٢م/ ٨٣٣م ـ ٨٣٧م:

في هذه الفترة حكم الخليفة المعتصم (٢١٨هـ ـ ٢٢٧هـ/ ٨٣٣م ـ ٤٨٣م)(١٧٨) وحصل تحول بالنسبة للموقف في أذربيجان فأخذت الجيوش الاسلامية تنتقل من الهزائم الى الانتصارات ، وقد بينا أسباب الاخفاقات التي منيت بها جيوش الخرمية وأهم تلك الهزائم :

معركة همذان ٢١٨هـ/٨٣٣م:

أشرنا كثيراً الى هذه المعركة التي ألحقت بخرمية الجبال (في ايران) هزيمة منكرة إلا أننا نشير اليها هنا لأهمية الضرر الذي لحق بخرمية أذربيجان من هذه الهزيمة ، فالطبري يذكر عدد القتلى في المعركة ٦٠ ألفاً ، ويذكر أن مجموع القتلى بما فيهم الصبيان والنساء قد بلغ مائة ألف(١٧٩) وهرب الكثير من الناجين الى بيزنطة . لقد أدت هذه المعركة التي فاز بها القائد اسحق بن إبراهيم بن مصعب بعد أن فشل قادة آخرون منهم هاشم بن باتيجور ، الى ضعضعة جيش بابك ، فاقتصرت فعالياته على

أذربيجان وقل اعتماده على خرمية ايران ولا سيما بعد ترميم الحصون ما بين زنجان وأردبيل . والملاحظ أن نظام الملك لا يضبط الأرقام فقد جعل عدد الخرمية في هذه المعركة ٢٥ ألفاً بينما يوصل أرقام القتلى الى ١٠٠ ألف ويعتبر الحادثة في زمن المأمون(١٨٠) .

جبهة أذربيجان ٢١٨هـ ـ ٢٢٠هـ/ ٨٣٣م ـ ٨٣٥م:

انحسرت مواقع الخرميين بعد معركة همذان فاقتصرت على أذربيجان وكان القائد العام للجيوش العباسية أبو سعيد محمد بن يوسف الطائي وقد أمره المعتصم بترميم الحصن بين زنجان وأردبيل والتحصن بها وذلك من أجل حراسة طريق تموين أردبيل ، وقد أثر ذلك في اضعاف الاتصال بين من بقي من خرمية ايران والبابكيين .

هزيمة القائد معاوية:

ورغم قيام محمد بن يوسف بتحصين الحصون وحشد الرجال فيها فإنه لم يجسر على المبادرة لمهاجمة سرايا بابك ، إلاّ نه قام بغارة معاكسة على أعقاب غارة قامت بها سرية لبابك يقودها معاوية (يسميه تومارا بـ « مازيا »)(١٨١) ، وقد أبلى محمد ومن معه في تلك المعركة وحلت الهزيمة ببابك(١٨٢) حيث استطاع جيش محمد أن يقتل ويأسر الكثير من الخرميين بالاضافة الى انقاذهم الأسرى المسلمين(١٨٣) .

أسر عصمت الكردي في قلعة شاهي:

ذكرنا أن لمحمد بن البعيث قلعتا تبريز وشاهي ، وقد اتفق مع بابك وكان يمد سرايا بابك حينما كانت تمر به بما تحتاجه ، وعندما أحس ابن البعيث بانتقال الجيوش العباسية من مواقف الدفاع الى الهجوم وكسبها بعض المعارك (همذان ٢١٨هـ وانتصار محمد على معاوية) بدأ بالتفكير بالانتقال الى الجانب القوي . يقول اليعقوبي « كتب ابن البعيث الى المعتصم يعلمه في الطاعة وأنه في التدبير على بابك واصحابه ثم مكر بعصمت »(١٨٤) . فلما مر به القائد عصمت الكردي أمير مرند اهتبلها فرصة للتقرب واظهار الولاء للخليفة فأسره بعد أن أسكره وقتل قسماً من رجاله ، إذ كان يطلب من عصمت وهو موثوق أن ينادي على رجاله الذين كانوا أسفل القلعة ، واحداً واحداً

بأسمائهم ، وكل من كان يدعى فيرتقي يُقتل ، حتى أحس البقية بالوقيعة فهربوا . وقد بعث ابن البعيث بعصمت الى المعتصم وبذا طعن بابك من الخلف والحق به ضرراً كبيراً حيث فقد بابك أحسن اعوانه وأعظم قواد سراياه ، هذا بالاضافة الى اطلاع المعتصم على خفايا وعورة بلاد أذربيجان من قبل عصمت . ويعتبر المؤرخون هذا الحدث هزيمة ثانية لحقت ببابك بعد هزيمة قائده معاوية(١٨٥) .

٢- الفترة ٢٢٠هـ - ٢٢٢هـ/ ٨٣٥م - ٨٣٧م:

وهذه الفترة الحافلة بالمعارك الجسام هي الفترة التي قاد فيها الافشين ، حيدر بن كاؤوس الاشروسني ، جيوش الخلافة المحاربة في أذربيجان ضد بابك ، وكانت الحرب سجالاً بين قائدين عظيمين الافشين وبابك ، فقد حقق بابك فيها بعض الانتصارات ولكنه اضطر في الأخير نتيجة شدة الضربات ومقتل اعوانه الى الالتجاء الي قلعة البذ حيث سقطت في النهاية بيد الافشين . لقد أرخت المصادر العربية تاريخ توجيه المعتصم للافشين لمحاربة بابك في عام ٢٢٠هـ ، فقد ذكر الطبري «ووجه به لحرب بابك وذلك يوم الخميس لليلتين خلتا من جمادى الاخرة فعسكر بمصلى بغداد ثم صار الي برزند »(١٨٦) ، وذلك في حوادث سنة ٢٢٠هـ . ولكن زاخودير ينفرد بذكر تاريخ ٢٢١هـ (٨٣٦م)(١٨٧) .

١- معارك سنة ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م:

انصرف الافشين في بداية الأمر بعد نزوله في برزند الى تحصين القلاع وترميم الحصون بين أردبيل وبرزند ، وبهذا تكون له خط من القلاع ممتد من زنجان الى برزند(١٨٨) ، فقد رمم قبله محمد بن يوسف الحصون التي بين زنجان وأردبيل . وقد جعل في هذه الأماكن التي حصنها حاميات على رأسها قادة كلفوا بحماية مواقعهم ومراقبة اعدائهم ومحافظة قوافل الميرة والتموين ، وقد مر بنا كيفية ذلك(١٨٩) .

معركة أرشق(١٩٠):

وهي أول معركة يساهم فيها الافشين ضد بابك . وتفصيل الأمر هو أن جاسوساً اسمه صالح قد أعلم الافشين بأن المال الذي بعثه الخليفة اليه مع بغا الكبير قد وصل

الي أردبيل وان بابك قد استعد للانقضاض عليه وقد أعد كميناً في مواضع مختلفة[١٩١] ، وقد تأكد الافشين من اقوال الجاسوس حيث أرسل الى أبي سعيد يأمره التأكد من صحة الخبر فذهب أبو سعيد (محمد بن يوسف) وشاهد بنفسه الكمائن . وبعد تأكد الافشين من صحة الخبر طلب من بغا التريث في أردبيل وانتظار أوامره ، ثم أشار عليه بأن يسير بالمال والرجال في قافلة حتى إذا وصلت القافلة قلعة النهر (حصن النهر) ترك الرجال يستمرون في سيرهم منفردين متجهين نحو برزند[١٩٢] وأجل تسفير المال عن القافلة ، وهكذا فعل بغا الكبير حيث رجع بالمال من حصن النهر الى أردبيل واستمرت القافلة وكأن المال معها نحو برزند . وكان الافشين قد خرج بجنده من برزند متجهاً نحو خُشّ فبلغها عند الغروب وبات خارج معسكر ابي سعيد عند خُشّ ، ثم رحل في اليوم الثاني متجهاً نحو منطقة أرشق حيث قائده الهيثم الغنوي ، وكانت القافلة الخالية من المال قد خرجت من حصن النهر ومعها آمر حصن النهر علوية الأعور وكان بابك متهيئاً لها فانقض عليها وقتل من فيها واستولى على أمتعة وألبسة وعلى صاحب النهر[١٩٣] فارتدوا ألبسة جند حصن النهر تنكراً ، ثم توجه بابك الى مقابلة هيثم الغنوي ولم يعلم بابك بالمصيدة التي نصبها الافشين له فلما وصل مكان التقاء فريقي قلعتي النهر وأرشق لم يعرف الموضع الذي يقف فيه علوية الأعور عادة ، ولهذا وقف في مكان غيره ينتظر مجيء هيثم الغنوي ومن معه ، وقد أثار جهل بابك بالموضع المخصص لعلوية الأعور الشك والريبة ، حيث استراب الهيثم بعد وصوله الى المكان واستغرب من وقوف بابك وجماعته (وكان يظنهم جماعة علوية الأعور) في غير موضعهم فارسل طلائعه لمعرفة السب ، وعند عودة الطليعة علم بأن الخرميين فتكوا بزميله علوية الأعور ومن معه فقفل راجعاً مسرعاً الى حيث توجد قافلته التي أتى بها من أرشق ليسلمها الى علوية الأعور فطلب منها الإسراع بالعودة الي حصن أرشق ، وظل هو مع رجاله يحمي مؤخرة القافلة وأرسل فارسين مجدين ليخبرا القائد محمد بن يوسف والافشين بجلية الأمر ، وقد استطاع الهيثم أن يدرك وجنوده حصن أرشق ويحتمون به وما كاد يلجأ الهيثم الى الحصن حتى وافته سرية

بابك فأحاطت به واطل بابك من عل وطلب من الهيثم أن يترك الحصن ويستسلم ، ولكن الهيثم (كان معه ستمائة راجل واربعمائة فارس)(١٩٤) كان معتمداً على متانة حصنه الذي كان يحيطه خندق . وكان الفارسان قد أدركا جند الأفشين الذي كان متجهاً بدوره الى أرشق ولم يبق أمامه سوى أقل من فرسخ ، فلما علم الافشين بمحاصرة بابك للقلعة أغار برجاله دفعة واحدة وأخذ بابك على حين غرة ، فلم يفق بابك الا وجيش الافشين قد أحاق به وبعد معركة غير متكافئة أفلت بابك مع نفر من أصحابه بعد أن قضي على بقية رجاله المقاومين فهرب الى موقان(١٩٥) الواقعة خلف خطوط اعدائه ، وهناك بعد فترة جاءه فريق من جنده فتسلل معهم عائداً الى البذ(١٩٦) .

كانت هذه المعركة أول نصر أحرزه الافشين وقد رفعت من معنويات جنوده .

مهاجمة قوافل المسلمين:

رغم الخسارة الفادحة التي حلت ببابك وبجنده فإنه لم يركن الى الدعة بل سارع الى إنزال ضربات مقابلة بجند الخلافة وكان يعلم أثر القحط في ارباك الجيش ولهذا آثر الضغط على خصمه من هذه الناحية فقرر استخدام سراياه للتعرض لقوافل تموين الافشين لتجويعه من جهة وليحصل هو على الغنيمة . ومن هذه استيلاؤه على القافلة المتوجهة من خش الى برزند(١٩٧) وكانت بقيادة صالح آب كش (السقاء)(١٩٨) ، فانقض عليها أحد قادة بابك(١٩٩) واستولى على ما فيها وقتل رجالها ونجا صالح مع نفر من أصحابه وفروا بأرواحهم هاربين وقحط جيش الافشين من جراء ذلك مما اضطر الافشين ان يكتب الى حاكم مراغه أن يجهزه بالميرة . وقد لبى حاكم مراغه(٢٠٠) الطلب وجهز « قافلة ضخمة فيها قريب من ألف ثور سوى الحمر والدواب وغير ذلك تحمل الميرة ومعها جند يبذرقونها »(٢٠١) ، ولم تسلم هذه القافلة حيث انقضت عليها سرية لبابك بقيادة طرخان (او آذين)(٢٠٢) فاستباحوها ، مما سبب القحط في جيش الافشين ، وقد سارع الافشين في طلب المعونة من آمر الشيروان (او السيروان)(٢٠٣) فأمده بالطعام الكثير وبنفس الوقت وصل بغا بإمداده بما يحمل من المال والرجال .

٢- معارك سنة ٢٢١هـ/ ٨٣٦م

معركة هشتادسر الثانية:

مر بنا ذكر معركة هشتادسر الأولى التي اندحر فيها جيش الخلافة وقتل القائد محمد بن حميد الطوسي ، وبعد سبعة أعوام حصلت معركة هشتادسر الثانية وقد اندحر فيها جيش الخلافة ثانية . وتفصيل الأمر : بعد وصول بغا الكبير بالامدادات وجهه الافشين (في ربيع سنة ٢٢١هـ بعد عيد النوروز) مع جيش كبير ليدور به حول جبل هشتادسر وينزل في خندق محمد بن حميد الطوسي ليحفره ويحكمه ويخندق فيه ، وكانت خطة الافشين على ما يظهر توجيه ثلاثة جيوش من جهات مختلفة تسير نحو البذ لانزال ضربة قوية محكمة بحيث يسير الافشين من برزند ويسير محمد بن يوسف من خش ويتوجه بغا الكبير من خندقه قرب هشتادسر ، وقد التقى جيشا الافشين ومحمد بن يوسف في موضع يعرف لدى مؤرخي العرب بـ « دروذ » (لا بد وانها دو الروذ) فحفرا خندقا وبنيا سوراً[٢٠٤] ، إلا آن بغا تسرع فدار حول جبل هشتادسر القريب من البذ واشرف على البذ دون أن يُعلم الافشين بالأمر حتى أنه وصل الى قرية البذ واقام فيها ثم أرسل الفا من رجاله في عَلافة فانقض عليهم جيش بابك واستباح العلافة وقتل من قتل وأسر من قدر عليه وأرسل منهم رجلين للافشين ليطلعاه على جلية الأمر فتألم الافشين لتلك الهزيمة ولأن بغا بتسرعه قد أفسد عليه خطته ، وكان بغا الكبير قد تراجع الى خنادقه متخاذلاً وسارع بابلاغ الافشين ويسأله المدد فأمده الافشين بجيش عليه اخوه الفضل بن كاؤوس واحمد بن الخليل بن هشام وابن جوشن وجناح الأعور السكري وصاحب شرطة الحسين بن سهل فتوجه الجيش من دو الروذ ودار حول هشتادسر والتحق بجيش بغا الكبير المتحصن في الخندق .

ولقد أعلم الافشين بغا الكبير بأنه سيحارب بابك في يوم عينه له وأن خطته هي أن يوجه جيشين (ينقضان على بابك من جهتين) . وفي اليوم المقرر خرج الافشين من دو الروذ متجهاً نحو البذ وخرج بغا الكبير من خنادقه وصعد الى هشتادسر

وعسكر عند ربوة بجوار قبر محمد حميد الطوسي ، وقد أرغمت رداءة الأحوال لجوية ، لا سيما على المرتفعات ، حيث هبت ريح عاصفة مصحوبة بأمطار غزيرة ، يش بغا الكبير على العودة الى معسكره دون أن يقوم بما أسند اليه من واجب . أما جيش الافشين فقد استطاع ان يلحق ضربة بصفوف جيش بابك ، حتى أنه استولى على خيمته وامرأة كانت معه(٢٠٥) . ولكن الافشين وإن الحق الهزيمة بغريمه بابك لكنه لم يسدد الضربة القاضية كما كان يريد لأن بغا الكبير قد أفسد عليه خطته باستعجاله فلم يُطْبقا على جيش بابك من ناحيتين وانما تعرض الخرميون لهجوم لافشين فقط ، أما جيش بغا فقد تعذر عليه هذه المرة القيام بواجبه بسبب رداءة لأحوال الجوية . ولقد توجه بغا في اليوم التالي من أجل مقاتلة الجيش الخرمي الذي كان بازائه في هشتادسر ، ولكنه لم يحظ به لأنه انسحب في اليوم السابق حسب أوامر بابك الذي قرر الانسحاب والتحصن بقلعته البذ . يئس بغا من مواجهة عدوه هو يفتش عنه نهاره كله ولهذا طلب من داود سياه قائد مقدمته أن يفتش عن مكان مين يلتجئون اليه ليلتهم ، ومن ثم ينقضون في اليوم التالي على أعدائهم . فعثر القائد داود على محل مناسب ، وقد تراءت له من بعيد أعلام جيش الافشين(٢٠٦) . وفي تلك الليلة بلغت الأحوال الجوية إلى أقصى ما يمكن أن تصل اليه من رداءة حيث لعواصف الثلجية والرياح الزمهريرية والضباب الحالك(٢٠٧) . فلم يتمكنوا من مبارحة أماكنهم ثلاثة أيام . وقد نفد زادهم واضطر بغا في اليوم الثالث ، بعد الحاح الناس عليه ، على مغادرة المكان والهبوط الى الوادي . في تلك الفترة التي كان بغا الكبير معتكفاً في أعالي جبل هشتادسر كانت جيوش بابك قد قامت بهجوم معاكس أجبرت بقية جيوش الافشين على التراجع الى معسكرها في دو الروذ ولم يكن بغا ليعلم لك ، فعندما هبط الوادي وتوجه صعدا نحو البذ (لتطبيق الخطة وظنا منه بأن الافشين لا يزال يحارب) حيث لم يبق أمامه الا مقدار نصف ميل عرف من طلائع مقدمته أن جيش الافشين قد تراجع تحت تأثير الهجوم المعاكس الذي قام به بابك وأن بابك متهيئ لملاقاته ، وقد أعد له عسكرين ، لقد عرف ذلك من التحذير الذي حذر به بعض رجال بابك لقريب له في جيش بغا ، من غلمان ابن البعيث ، يذكر الطبري «وكان على مقدمته جماعة فيها غلام لابن البعيث له قرابة بالبذ فلقيتهم طلائع لبابك

فعرف بعضهم الغلام فقال له فلان فقال من ههنا فسمى له من كان معه من أهل بيته فقال أدن حتى أكلمك فدنا الغلام منه فقال له ارجع وقل لمن تعنى به يتنحى فانا قد بيتنا الافشين وانهزم الى خندقه وقد هيأنا لكم عسكرين فعجل الانصراف لعلك تفلت . فرجع الغلام فاخبر ابن البعيث بذلك وسمى له الرجل فعرفه ابن البعيث فأخبر ابن البعيث بغا بذلك فوقف بغا وشاور أصحابه فقال بعضهم هذا باطل هذه خدعة ليس من هذا شيء ، فقال بعض الكوهبانية أن هذا رأس جبل أعرفه من صعد الى رأسه نظر الى عسكر الافشين فصعد بغا والفضل بن كاؤوس وجماعة منهم ممن نشط فاشرفوا على الموضع فلم يروا فيه عسكر الافشين فتيقنوا أنه قد مضى وتشاوروا فرأوا أن ينصرف الناس في صدر النهار قبل أن يجنهم الليل »[٢٠٨] ، ولكن هذا التحذير جاء متأخراً فبغا بعيد عن الافشين وقد توغل بعيداً وطريق عودته محفوف بالمخاطر ، ولكن رغم ذلك صمم على العودة الى معسكره عن طريق الاستدارة حول هشتادسر ليتجنب المضايق . وقد سار القائد داود سياه في المقدمة وكان بغا قد حثه على الاسراع بالسير . ولكن بعد أن أخذ التعب من الناس مأخذه طلب بغا من داود أن يفتش عن ملجأ يبيت فيه الجيش فلم يعثروا والتجأوا الى جبل شديد الانحدار فاتخذوه ستراً يحمون به ظهورهم وأقاموا الحراسة والتعبئة من جهة المصعد ، إلا أن البابكيين ، وقد كانوا يراقبون مسيرة الجيش ، حيث كانت طلائعهم غير بعيدة عنهم ، قد شنوا هجوماً عنيفاً تمزقت من جرائه صفوف الجيش المتهاوي المتعب الجائع وفر القائد بغا على دابة بمساعدة ابن البعيث الذي دله على طريق في هشتادسر نزل منه على معسكره في الخندق . وقد خسر بغا كثيراً من رجاله فقد قتل جناح السكري وابن جوشن وجرح الفضل ابن كاؤوس (وأخذ الخرمية المال والمعسكر والسلاح والأسير ابن جويدان »[٢٠٩] ، وفرت فلول من الجيش والتجأت الى الخندق وهي منهوكة منهارة مذعورة . وهناك تخندق بغا خمسة عشر يوماً ثم جاءه أمر الافشين بالتوجه الي المراغة على أن يعيد المدد الذي أمده به . وهكذا عاد الفضل بن كاؤوس وجميع الذين هم في الأصل من جيش الافشين عادوا بقيادة الفضل الى معسكر الافشين في دو الروذ . لقد اعتمدنا رواية الطبري[٢١٠] وابن الأثير[٢١١] في تبسيط هذه المعركة ، أما اليعقوبي فلم تكن لديه الفكرة واضحة حيث كتب « فكانت بينه وبين بابك وقائع

وكان عسكره بموضع يقال له (برزند) فصار بموضع يقال له (سادراست)[٢١٢] فأقام في محاربته حولا حتى كثرت الثلوج ثم رجع الي برزند ثم وجه بخليفته[٢١٣] الى (سادراست) وزحف وصير في كل ناحية... وصار بـ (دروذ الروذ) فخندق وبنى سوراً وكمّن الكمائن »[٢١٤] .

لقد أثرت معركة هشتادسر في الافشين تأثيراً بليغاً فدفعته الى التروي والتريث في أمر مهاجمة البذ ، ولهذا فرق الناس الى حصونهم شتاء عام ٢٢١ منتظراً ربيع عام ٢٢٢هـ[٢١٥] .

مصرع طرخان شتاء ٢٢١هـ/٨٣٦م:

حينما عمد الافشين الى الهدوء في فصل الشتاء من عام ٢٢١هـ استعداداً لربيع عام ٢٢٢هـ وهدأت جبهات القتال طلب طرخان ، أعظم قادة البابكيين الإذن من بابك في السماح له بأن يشتي في قريته الواقعة في ناحية هشتادسر[٢١٦] ، فأذن له بابك لاعتقاده بعدم تمكن الافشين من القيام بالحرب ـ بعد معركة هشتادسر ـ في فصل الشتاء بعد اشتداد البرد وكثرة الثلوج . وسافر طرخان الى قريته ، وكان الافشين يراقب تحركات قادة الجيش ويتربص بهم الدوائر ، لهذا علم بمغادرة طرخان الى قريته فأرسل الى « ترك مولى اسحاق بن إبراهيم بن مصعب »[٢١٧] وهو في مراغة يأمره بقتل طرخان أو أسره وإرساله اليه ، وقد تمكن ترك من اغتيال طرخان ليلاً وبعث برأسه الى الأفشين . وكان لمصرع طرخان أثر كبير في معنوية بابك[٢١٨] وفي صفوف جيشه لمكانته البارزة لدى بابك ولمقدرته وقابليته وجرأته .

٣- معارك سنة ٢٢٢هـ/ ٨٣٧م:

أخلد الافشين للهدوء شتاء سنة ٢٢١هـ (٨٣٦م) بانتظار تحسن الظروف المناخية وبانتظار الامدادات من العراق ، ولا سيما بعد أن حلت به الخسائر في معركة هشتادسر شتاء ٢٢١هـ ـ كما شاهدنا ـ ، وجاءه المدد من سامراء فقد أمده المعتصم بجيش يقوده جعفر بن دينار الخياط[٢١٩] ثم أتبعه بايتاخ ومعه ٣٠ مليون درهم عطاء للجنود وللنفقات . «لم يمكث ايتاخ وانما سلم ما لديه وعاد »[٢٢٠] . وهكذا

تهيأت الظروف للافشين ليقوم بزحفه وهو أكثر أملاً في الفوز من السابق ولا سيما بعد مصرع طرخان . وأهم معارك هذا العام التي تكللت بالاستيلاء على البذ كانت :

معركة نهر كلان روذ[٢٢١] :

بعد أن استجم الافشين شتاء ٢٢١هـ ، وكمل إعداده خرج في أوائل ربيع ٢٢٢هـ (٨٣٧م) من برزند وسار حتى نزل على نهر كلان روذ « والذي يجري قرب البذ »[٢٢٢] فاحتفر خندقاً الى الشمال الشرقي من البذ ، وكان قد كتب الي ابي سعيد أن يوافيه ، فجاء أبو سعيد محمد بن يوسف ونزل بحذائه على نهر كلان روذ وعسكر في خندق على بعد ثلاثة أميال من معسكر الأفشين ولم يمكث أكثر من خمسة أيام حتى علم بأن جيشا بقيادة آذين نزل قبالة جيش الافشين وقد أرسل هذا القائد عياله الى جبل يشرف على روذ الروذ « وتقع هذه القرية الى الشمال من البذ على نهر ليكني على بعد ٦ فراسخ من برزند وعلى بعد فرسخ واحد من البذ »[٢٢٣] وكان من جراء تهوره واستهتاره بمقدرة جيش الخلافة أن رفض نصيحة بابك بادخال عياله الحصن قائلاً « لا أتحصن من اليهود يعني المسلمين »[٢٢٤] . ونصيحة بابك إنْ دلت على شيء فإنما تدل على شعور بابك بتعاظم بأس خصمه بحيث أخذ يحسب له حسابه ، إلاّ أن آذين دفع ثمن تهوره ، فإن الافشين لما علم بوجود عائلة آذين خارج الحصن أرسل جماعة من الخيالة معهم الكوهبانية بقيادة ظفر بن العلاء السعدي والحسين بن خالد المدائني[٢٢٥] وهم من قواد أبي سعيد ، فخرجوا ليلاً من كلان روذ وساروا عبر مضايق وعرة ضيقة وعند الفجر وصلوا نهر ليكني[٢٢٦] ـ قبالة روذ الروذ ـ فعبروه وارتقوا الجبل عند روذ الروذ واستولوا على عيال القائد آذين[٢٢٧] وعادوا بهم . وكان الافشين قد اتخذ الاحتياطات اللازمة فقد أمر قسماً من الكوهبانية أن يقفوا على القمم الشاهقة ومعهم الاعلام ليعطوا الاشارة فيما لو تعرض الجند للخطر[٢٢٨] ، فلما عاد الجند من جبل روذ الروذ ـ وقد كان القائد آذين قد علم بأخذ المسلمين لعياله ـ أرسل كتيبتين إحداهما لتسيطر على المضايق وتسد الطريق بوجه الجند المسلمين والاخرى تهاجمهم من الخلف قبل بلوغهم المضايق . فلما عاد الجند بمن معهم من عيال آذين تعرضت لهم الكتيبة الثانية فقتلوا قسماً من جند المسلمين

وانقذوا بعض النساء ، وقد لاحظ الكوهبانيون الذين على القمم ذلك فحركوا اعلامهم منذرين بالخطر ، وكان الافشين قد هيأ كتائب عديدة لمواجهة خطر تعرض جنده لهجوم مفاجىء ، فسارت الكتيبة الأولى مسرعة بقيادة مظفر بن كيدر ثم اتبعها الافشين بكتيبة يقودها محمد بن يوسف ، ثم بثالثة يقودها بخاراخذاه ـ وهذا يظهر أن الافشين كان يرمي الايقاع بجند الخرمية ومعرفة مدى شدة بأسهم أكثر من اهتمامه بالاستيلاء على عيال آذين ـ فلما اقتربت الكتائب الثلاث من المضايق تركها الخرميون الذين كانوا مسيطرين على المضايق وانضموا الى جماعتهم الذين يحاربون ، ولكن الكتائب الثلاثة سارعت الى نجدة جند المسلمين المشتبكين مع الخرميين وأدركتهم قبل أن يتمكن الخرميون منهم فأنقذوهم وعادوا جميعاً الى معسكر الافشين ومعهم بعض عيال أذين(٢٢٩) . لقد أدت هذه المعركة التمهيدية للاستيلاء على البذ ـ كما قال يامبولسكي(٢٣٠) ـ ، الى رفع معنوية جند الخلافة وإزالة تلك المخاوف التي كانت تسيطر على أذهان الناس من أن الخرميين لا يقهرون وأنهم شياطين الجبال ، فقد غزوهم في مقراتهم وسلبوهم في عقر دارهم وانتصروا عليهم بعد كسرهم اسطورة التفوق .

حصار قلعة البذ والهجوم عليها:

تقع قلعة البذ الحصينة ، وهي معقل بابك ومركز الانتفاضة(٢٣١) ، كما يعتقد بونيياتوف ، على جبل قرداغ الى الجنوب من نهر اراكس (أرس) والى الشرق من نهر كيرخو (بيفان) الذي هو أحد روافد أراكس(٢٣٢) .

الحركات التمهيدية:

كان كسب الافشين معركة كلان روذ مقدمة لزحفه على البذ ، فقد شجع هذا الكسب القائد المحنك الافشين على المضي قدماً نحو غايته ، وهي سحق الانتفاضة والقضاء على بابك والاستيلاء على البذ . . غير أن الملاحظ ، برغم ازدياد الأمل في الانتصار والذي خلقه مصرع طرخان وكسب معركة كلان روذ ، فان الافشين ، على غير ما كان يتوقعه جنده والقادة الذين معه ، أخذ يبطىء في زحفه حتى أثار الريبة والشكوك لديهم ، ولعل وعورة المنطقة وعدم سيطرة جيش الخلافة على كل المسالك

والمنافذ المؤدية للبذ وتلافي الوقوع في كمائن مهلكة ، قد دفعت الافشين الى اللجوء الى ذلك ، فقد سار بتؤدة وبطء وحذر وتحوط شديد[٢٣٣] بالرغم من ازدياد أمله في النصر عما كان عليه قبلاً ، وهناك قول بأنه كان يرغب في إتاحة الفرصة لبابك ليستعيد بأسه ويتمكن من المقاومة وأنه كاتب بابك في ذلك عارضاً عليه ميله اليه وناشده عدم التورط في أعمال حربية قد تعود عليه (على بابك) بالخسران . فالبغدادي يذكر مثلاً ، وذكروا أنه دخل في دعوتهم (الخرمية) «الافشين» صاحب جيش المعتصم وكان مراهناً لبابك الخرمي »[٢٣٤] . وذُكِرَ أيضاً « وأخرج الخليفة لقتالهم (الخرمية) الافشين فظنه ناصحاً للمسلمين ، وكان في سره مع بابك وتوانى في القتال معه ودله على عورات عساكر المسلمين »[٢٣٥] . ولكن الوقائع تدحض تلك الاتهامات وتثبت أن الافشين كان مجبرا على التأني إذ أنه كان يدرك خطورة المسالك الجبلية الوعرة . « وكان الافشين أبدا يخاف من كمين بابك وكانت الخرمية تستبطن الأودية »[٢٣٦] والتي كانت خطوط دفاع طبيعية لعاصمة الخرميين ومهالك خطيرة بالنسبة للمسلمين . هذا بالاضافة الى أن الخليفة قد أشار على الافشين بالتحوط التام والتأني . ويرى بونيياتوف أن الزحف البطيء (٣٢ كيلو متراً في العام) والتريث في الزحف كان نتيجة الأوامر المختلفة المتناقضة الصادرة من الخليفة[٢٣٧] . ولقد أجاب الافشين على تذمر جنده من الإبطاء في مواجهة العدو رغم تهيؤهم واستعدادهم التام ليل نهار ، أجاب بقوله « أنا والله أعلم أن ما تقولون حق ولكن أمير المؤمنين أمرني بهذا ولا أجد منه بدا »[٢٣٨] . بدأ الافشين زحفه متجهاً نحو المضيق المؤدي الى روذ الروذ ، وكان يعسكر في المناطق الجبلية الشائكة ويجبر الرجال والخيالة على أن يبقوا على أهبة الاستعداد إذ كان يخشى البيات وكان الخليفة قد أشار عليه بذلك وطلب منه أن يستمر الجند بالاستعداد التام بالمناوبة بالرغم من ابتعادهم عن جند أعدائهم بحوالي ٣٢ كيلو مترا (أربعة فراسخ)[٢٣٩] . وقد تمكن مع قليل من رجاله أن يبلغ قريباً من الربوة التي جرت عليها معركته مع بابك عام ٢٢١هـ ، وقد شاهد عليها كتيبة خرمية ولكن لم تجر بينه وبينها معركة وعاد الى معسكره . وقد كرر التوغل الى هناك مرات وكان يقوم بتلك الجولات حسب ما يرى للاستطلاع والتعرف على أماكن عدوه وقواه ، وأمر الكوهبانية بالتفتيش عن القمم التي يمكن استخدامها

كمراكز إشراف للاستطلاع والتحذير ، فاختاروا له ثلاثاً ، فسار الافشين الى روذ الروذ مع الكلغرية (فرقة مؤلفة من العمال تستخدم لبناء الحصون أو المسالك أو لحفر الخنادق أو ما اشبه) وأمر أبا سعيد بأن يشاغل كتيبة الخرميين حتى يستطيع الكلغرية بناء استحكامات على طول الطريق المؤدية الى القمم الثلاث وحفر الخنادق وراء الاستحكامات وسد المسالك الأخرى المؤدية الى القمم فتم له ذلك وأصبح الطريق الى القمم عبر استحكامات المسلمين فقط ، ونقل الى تلك القمم الرجال والمؤن والأغذية والعمال لبناء الاستحكامات عليها زيادة في الحيطة . وتم حفر خندق واسع لمعسكره وكان أبو سعيد يشاغل الخرمية أيضاً أثناء حفر الخندق الواسع . وبهذا أصبحت لدى الافشين أربعة خنادق[٢٤٠] محكمة أساسية ، واحد في برزند وآخر في كلان روذ والثالث في دروذ (دو الروذ) والرابع عند روذ الروذ . هذا بالاضافة الى تحصن الرجال في القمم العالية الثلاث وتحصن بخاراخذاه على رأس العقبة القريبة من الربوة التي لا تبعد عن روذ الروذ وقد تركها لحماية مؤخرته عند زحفه من روذ الروذ الى البذ ، لأنه كان يخشى هجوم البابكيين من واد قرب تلك الربوة على جيش المسلمين عند زحفه نحو البذ وبذلك ينحصر الجيش العباسي بين فكين (كماشة)[٢٤١] وكان بابك بالفعل قد أكمن قسماً من جيشه هناك . وبتحصن بخاراخذاه في مكانه ذاك حرم بابك من الاستفادة من ذلك الموقع الاستراتيجي . وكان يقع بالقرب من البذ واد وهو كخندق[٢٤٢] طبيعي يعزل البذ عن جيش المسلمين ، ولكي يقلل الافشين من أهمية هذا الحائل الطبيعي فقد أجرى تطبيقاً لاحتلال ثلاثة أطراف منه عدا الطرف القريب من الطريق المؤدي الى باب قلعة البذ ، فقد أمر ابا يوسف أن يعبر الى الجانب الثاني من الوادي[٢٤٣] ويحتل موضعاً عليه ، وأمر جعفرا الخياط وأحمد الخليل بن هشام أن يعبرا ويحتلا مواضع أخرى[٢٤٤] . وكان بخاراخذاه يشرف من ربوته على جهة من ذلك الوادي ، اما الافشين نفسه فكان يحتل جانب الوادي الذي يحاذي معسكره . أما الطريق المؤدي من الوادي الى باب قلعة البذ فإن بابك قد حشد فيه أهم جيوشه بقيادة آذين ليمنع وصول جند الخلافة الى باب الحصن . وكان تطبيق هذه الخطة قد جرى كثيراً حيث تنزل الجيوش العباسية صباحاً وتسير باتجاهات مختلفة عابرة الوادي وتحتل مواقعها من دون أن تقدم على مهاجمة البذ أو التعرض للخرمية[٢٤٥] ،

وأما جند بابك الذين هم خارج القعة فإنهم كانوا يتوارون مختفين حسب تعليمات بابك ولا يظهرون أنفسهم ، وتبقى جيوش الخلافة حتى العصر ثم تقفل راجعة ، وأول من يعبر عائداً الى روذ الروذ جيش أبي يوسف ثم يليه جيش أحمد الخليل ثم جيش جعفر الخياط(٢٤٦) ، أما الجيش الذي مع الافشين على الطرف الثاني فانه يبقى لحماية مؤخرة الجيوش العابرة وكاحتياطي لها ، وأما الجيش الذي مع بخاراخذاه (قوامه ١٠٠٠ فارس و٥٠٠ مشاة)(٢٤٧) فانه كان لحماية مؤخرة الجيش برمته وكانت التعليمات المبلغة الى بخاراخذاه أن يظل في موقعه ولا يتحرك وإنما يحمي مؤخرة الجيش ويحافظ على خط الرجعة ويمنع احتمال قيام الخرميين بالانقضاض على الجيوش العباسية عند توجهها نحو البذ . لقد أجرى الافشين هذه التطبيقات مرارا ليطلع على مخابىء الكمائن ومقدار الجيوش التي اعدها بابك للدفاع ومواقعها ، وقد نجح في معرفة تلك الأسرار بمحض الصدفة . ففي إحدى التطبيقات وعندما قفل الجيش العباسي عائداً من الجانب الثاني للوادي حسب الترتيب السابق وعبر أغلبه الوادي فتح قليل من الخرمية باب حصن البذ وأغاروا على جماعة جعفر الخياط ، فحمل عليهم جعفر وأعادهم الى باب حصنهم ، وفي هذه الاثناء ارتفع الصياح(٢٤٨) وظن أناس من كلا الجانبين بأن الحرب قد قامت ، فعبر المتطوعة الذين مع أبي دلف الوادي(٢٤٩) دون أمر الافشين وخرجت كمائن الخرمية من مكامنها دون أمر من بابك ، وكان الافشين ، الذي لا يزال في موضعه في الجانب الثاني من الوادي ، يستشيط غضباً على جعفر ويعد عمله خرقاً لأوامره حتى أنه قال : «لقد أفسد علي تعبيتي»(٢٥٠) لأن الافشين لم يصمم على الزحف نحو البذ بعد لأنه لا يزال يخشى المباغتة وقطع الطريق عليه من قبل الجيوش الكامنة خارج القلعة ، ولهذا وبالرغم من بلوغ المتطوعة والجند الذي مع جعفر أسوار القلعة فإن الافشين أصر على عدم جدوى ذلك الهجوم . ولقد استنجد جعفر بالافشين أن يمده بـ ٥٠٠ رجل من الناشئة ، غير أن الافشين أمره بتلافي الخطر والتخلص من المأزق والانسحاب المنتظم «فبعث اليه الافشين إنك أفسدت عليَّ أمري فتخلص قليلاً قليلاً وخلّص أصحابك وانصرف»(٢٥١) . وطبيعي لم يدرك جعفر خطة قائده وتحوطه الشديد إلاّ أن الافشين قد أطلع في حينه على مخابىء الخرمية حيث هبت منها الكمائن عند سماعها الصياح عند باب القلعة كما وأدرك الافشين

أهمية الموقع الذي يحتله بخاراخذه في حفظ مؤخرة الجيش العباسي برمته ، فقد كان ذلك الموقع يشرف على واد آخر اختبأ فيه جيش آخر للخرمية كان مهيأ من بابك للانقضاض على جيش الخلافة كله فيما لو تحرك نحو البذ بما فيهم بخاراخذه ، غير أن بقاء بخاراخذه في محله حال دون قيام جيش الخرمية ذاك بتنفيذ ما أوكل اليه ، ولكن موقع هذا الجيش قد انكشف للافشين أيضاً فقد تحرك عند سماعه الصيحة عند أبواب البذ . لقد عاتب جعفر الافشين بشدة على عدم تلبية استنجاده بارسال المدد اليه والذي كان حسب تصوره قادراً على فتح البذ بهم . ولقد جرت مشادة بين جعفر والفضل بن كاؤوس حول الموضوع . عندئذ أفهمه الافشين بأنه لو سار اليه المدد وترك بخاراخذاه محله لحلت بهم الكارثة بعد احتلال الخرمية لموقع بخاراخذاه . لقد كان لقصر مدة بقاء جعفر ولعدم اطلاعه الكافي على مجمل سير الحركات ما دفعه لأن يتصور بأن الافشين لا يرغب جدياً بالقضاء على بابك مما أتاح الفرصة للكتاب والمؤرخين أن يصوروا ذلك ، ولا سيما بعد تطاولات المتطوعة على الافشين لقلة اصطبارهم ، بأنه دليل على خيانة الافشين وتباطئه كما لاحظنا ذلك عند البغدادي مثلاً . لكن الافشين كما يتضح لنا لم يتخذ ذلك الموقف الا لشعوره بجسامة الخطر فيما لو جازف بقذف كل جيوشه لاحتلال البذ ذلك اليوم ، ولم يكن موقفه مبنياً على عطفه على بابك أو ميله نحوه ، بل العكس ، فإنه كان صارماً مع بابك حتى إنه عرض عليه مرة الأمان فطلب بابك أن يمهله يوماً واحداً فرفض الافشين وأصر عليه الآن وإلاّ فلا(٢٥٢) .

لقد كان لتلك الخطيئة التي ارتكبها بعض الخرمية بفتحهم باب القلعة ومهاجمتهم مؤخرة جيش جعفر ، أثرها فقد اطلعت الافشين على كثير من الأسرار الخطيرة ومهدت السبيل لاحتلال البذ فيما بعد .

احتلال البذ:

الزحف الأول:

بعد ان اطلع الافشين على مكامن الخرمية وأجرى تطبيقات كثيرة على عبور الوادي الفاصل بينه وبين البذ وتعرفت فصائل جيشه ووحداته على مواقعها وكيفية

عبورها وعودتها والواجبات الملقاة عليها ، استراح في معسكره عند روذ الروذ في انتظار ذوبان الثلوج[٢٥٣] ، غير أن المتطوعة ، وهم جند غير نظاميين برموا من الانتظار والابتعاد عن الغنائم ، ضجوا بالشكوى وحتى التطاول ، فزجرهم الافشين قائلاً : « من صبر منكم فليصبر ومن ولم يصبر فالطريق واسع فلينصرف بسلام »[٢٥٤] . فاتهموا الافشين بأنه يشتهي المماطلة . لكن الافشين لم يعرهم أذناً صاغية ولم يلتفت لتلك الاحتجاجات والأقاويل بل صمم على انتظار اليوم الذي استعد له فلما قرب الموعد المحدد جهز جيشه بكامل عدته وسلاحه ومؤونته وما يحتاج اليه من أدوات الحفر والهدم والحريق كالعرّادات والمجانيق والنفط والسلالم والفؤوس والمعاول وأدوات تطبيب الجرحى والأغذية . وزحف الجيش نحو البذ تاركاً بخاراخذاه محتلاً موقعه المعين ، وعبرت الجيوش الثلاثة باتجاهاتها المعينة بعد أن أبلغ جعفر بأنه مفوض بأن يأخذ ما يشاء من الجند وأن بقية الجيش الذي سيمكث مع الافشين على الجانب الثاني من الوادي سيكون احتياطيا له ، وهكذا ابقى جيش ابي سعيد وجيش أحمد الخليل على اهمية الاستعداد للنجدة كما وأبلغ أبا دلف على المتطوعة الذين هم أضعف جيش الافشين أن يحاربوا في أخف المناطق عليهم . فلما بدأ الزحف وسارت الجيوش العباسية متجهة نحو باب القلعة لاقت مقاومة عنيفة من الجيش الذي كان يقوده آذين ، وقد استخدم الخرميون كل ما أمكنهم استخدامه للدفاع ، ولكن مقاومتهم لم تمنع المسلمين من إدراك باب القلعة كما أدرك قسم من الكلغرية والمتطوعة السور ، ولكن الخرميين الذين في الداخل خرجوا من باب القلعة وأزاحوا الجند المهاجمين وصدوهم ، فتراجع المسلمون وقد أثخنوا بالجراح وعادوا الى معسكراتهم في روذ الروذ .

الزحف النهائي:

بعد اسبوعين من الحملة الفاشلة[٢٥٥] عادو الافشين الزحف ثانية على البذ ، غير أنه فكر هذه المرة في التغلب السريع على مقاومة الجيش الذي يحمي الطريق المؤدي من الوادي الى باب القلعة والذي يقوده آذين ، لهذا وضع خطة محكمة للاجهاز على هذا الجيش فأرسل عند الغروب جنداً من الناشبة يقدرهم الطبري بألف[٢٥٦] معهم أعلام

سود وزودهم بالغذاء وكلف الأدلاء أن يدوروا بهم من الجهة الثانية وأن يصعدوا بهم إلى أعالي الجبل الذي يشرف على موقع جيش آذين وطلب منهم أن ينحدروا ظهرا بعدما يرون أعلام العباسيين زاحفة على الخرميين ، وعند هبوطهم على جيش آذين عليهم أن يرموهم بالنشاب والصخور وهم يرفعون الأعلام العباسية السوداء(٢٥٧) . كما أمر الافشين بشيرا التركي وبعض قواد الفراغنة أن يكمنوا في الوادي الذي يقع أسفل جيش آذين(٢٥٨) ليحولوا بين الكمائن التي وضعها بابك في أسفل الوادي من الهجوم المباغت على جيش المسلمين ، وليعزلوا هذه الكمائن ويمنعوها من مساعدة جيش آذين عند الحاجة ، فسار بشير والفراغنة ليلا وكمنوا في مواقعهم من الوادي .

وفي نهار اليوم التالي(٢٥٩) لذلك التهيؤ الذي جرى ليلا(٢٦٠) زحفت جنود الافشين على تعبئتها المعهودة ، فقد عبر الوادي ولأول مرة بخاراخذاه مع جنده وساروا في المقدمة مع جعفر الخياط الذي سار معه أيضاً أبو سعيد وأحمد الخليل ، وبذلك يكون الافشين قد قام بمحاولة انتحارية لفتح البذ ، حيث رمى في جبهة القتال كل جيشه وقواه الاحتياطية والجيش الذي يحمي مؤخرته . ويظهر لنا بأنه لم يقم بتلك المجازفة إلاّ نتيجة اعتقاده بأنه لا يستطيع فتح البذ ما لم يحطم الجيش المدافع خارج أسوار القلعة ، ولا يتم تحطيم هذا الجيش الذي يقوده آذين الا بعزله وارباكه بالهجوم الصاعق عليه من الأعلى والأسفل والأمام ، وهذا يتطلب منه زج كل قواه . وبالفعل فقد ارتبكت صفوف ذلك الجيش حيث هوجم من أماكن لم يكن ليتوقعها ، كما وشُلّت كمائن بابك من القيام بما أسند اليها من مهام ، حيث واجهت بشيرا التركي مع الفراغنة .

وقد لجأ الخرميون الى كل ما ادخروه لأجل دفاعهم فاستخدموا حتى الأكداس الهائلة من الحجارة اهيلت على جند الافشين ، ولكن دون جدوى ، فهي وإنْ أخرت الجند قليلاً عن زحفهم ، فقد استمروا في زحفهم وأدركوا السور والباب . ولما شاهد بابك إحاطة الجند بقلعته وضعف مقاومة جماعته تسلل من ناحية مع نفر من رجاله قاصداً الافشين للتفاوض معه على الصلح وطلب الأمان ، فترك جيشه يحارب ويقاوم وذهب هو الى الوادي ووقف قبالة الأفشين طالباً الصلح والأمان ، ويشير الى ذلك

اليعقوبي « وزحف الى البذ يوم الخميس لتسع خلون من شهر رمضان سنة ٢٢٢ فأرسل اليه بابك يسأله أن يكلمه فوافقه وبينهما نهر فعرض عليه الافشين الأمان فسأله أن يؤخره يومه ذلك فقال له إنما تريد أن تحصن مدينتك فإنْ أردت الأمان فاقطع الوادي ، فانصرف ، واشتدت الحرب ودخل المسلمون مدينة البذ »[٢٦١] . لقد طلب بابك أن يمهل ليتجهز هو وعياله ويغادر المنطقة وكاد الأمر أن يتم غير أن الافشين قد أبلغ بأن الفراغنة قد دخلوا البذ وأن اعلامهم ترفرف على قصور بابك فعند ذلك هرول الافشين وهو يدعو الناس الى الزحف والاجهاز على البقية ، وسارع الافشين ليشرف مع جماعته على نهاية البذ . ولدينا صورة أخرى للمقابلة التي تمت بين بابك والافشين وهي أكثر تفصيلاً ، ويرويها الطبري « فقال بابك أريد الأمان من أمير المؤمنين فقال له الافشين قد عرضت عليك هذا وهو لك مبذول متى شئت ، فقال قد شئت الآن على أن تؤجلني أجلاً أحمل فيه عيالي واتجهز ، فقال له الافشين قد والله نصحتك غير مرة فلم تقبل نصيحتي وأنا أنصحك الساعة خروجك اليوم في الأمان خير من غد ، قال قد قبلت أيها الأمير وأنا على ذلك ، فقال له الافشين فابعث بالرهائن الذين كنت سألت قال نعم أما فلان وفلان فهم على ذلك التل فمر اصحابك بالتوقف قال فجاء رسول الافشين ليرد الناس فقيل له أن أعلام الفراغنة قد دخلت البذ وصعدوا بها القصور فركب وصاح بالناس فدخل ودخلوا وصعد الناس بالاعلام فوق قصور بابك »[٢٦٢] . ومن النص الذي أوردناه عن الطبري يتضح بأن مفاوضات الصلح قد جرت مراراً وكانت هذه هي المرة الأخيرة ويمكن اعتبار المطاعن التي وجهت الى الافشين بأنه يتصل به سراً بنيت على أساس هذه المفاوضات ، والمفاوضات من الأمور الطبيعية بين الأطراف المتخاصمة ، ولكن المؤرخين استغلوها مجالا للطعن كما شاهدنا البغدادي ، ويشير اليها نظام الملك أيضاً[٢٦٣] . لقد سارع الافشين للاشراف بنفسه على نهاية البذ وكان في المدينة بقية من جند يعدهم الطبري ستمائة رجل « وكان قد كمن في قصوره ، وهي اربعة ، ستمائة رجل »[٢٦٤] . ولكن صاحب العيون والحدائق يعدهم اربعة آلاف وستمائة « وكان بابك قد كمن في قصورها أربعة آلاف وستمائة رجل واشتبك الناس وخرج هؤلاء الكمناء من القصور »[٢٦٥] . ولا شك أنه نتيجة التحريف ارتفع العدد الى اربعة آلاف وستمائة لدى صاحب العيون والحدائق .

لقد أبى هؤلاء الجند أن يستسلموا فأمر الافشين النفاطين بتوجيه النيران عليهم فوجهت عليهم النيران وأحرقوا وأهيلت عليهم الدور[٢٦٦] ، وأسر بعض من عثر عليه من عائلة بابك ، أما بابك نفس فقد استطاع الافلات الى واد يتجه الى هشتادسر ، ولم يمكث الافشين في المدينة المغتصبة وانما قفل بجيشه الى معسكره في روذ الروذ ، ولهذا استطاع بابك والذين معه أن يعودوا الى مدينتهم علهم يعثرون على ما تبقى من مال وطعام ، فاستطاعوا الحصول على ما يبغون ، وهربوا الى الوادي المطل على هشتادسر ، ثم تعرضت المدينة في اليوم الثاني الى تفتيش دقيق عمن بقي من الأحياء فيها فلم يجدوا أحداً ، فأمر الافشين الكلغرية بتهديم القصور وحرقها ، وجرى ذلك لثلاثة أيام على التوالي ، ويقول الطبري : ولم يدع فيها بيتاً ولا قصراً إلاّ أحرقه وهدمه[٢٦٧] . وجاء في العيون « ولم يزل الافشين يهدم ويحرق ثلاثة أيام ورجع وقد أفلت بابك في بعض أصحابه... »[٢٦٨] . ولقد تم تحرير الأسرى المسلمين الذين كانوا في البذ ، يعدهم اليعقوبي « واخرج من كان بالبذ من أسارى المسلمين فكانوا سبعة آلاف وستمائة »[٢٦٩] ، والطبري وإنْ اتفق مع اليعقوبي في العدد إلاّ أنه ذكر الرواية بصيغة أخرى « واستنقذ ممن كان في يده من المسلمات واولادهم سبعة آلاف وستمائة انسان »[٢٧٠] . ولقد تم اسر (٣٣١٩) شخصاً[٢٧١] من الخرمية ، ويدخل في هذا العدد بابك وعائلته .

تتفق غالبية المصادر على أن سقوط البذ قد تم يوم الجمعة من شهر رمضان سنة ٢٢٢هـ. إلاّ أن تلك المصادر لا تتفق على تاريخ اليوم ، فاليعقوبي يعتبره يوم (١٠ رمضان) وذلك عندما أرخ يوم الهجوم العام السابق للسقوط يوم الخميس فيقول « وزحف الى البذ يوم الخميس لتسع خلون (مضين) من شهر رمضان سنة ٢٢٢ »[٢٧٢] . وأما الطبري فيذكر يوم الجمعة السابق لنهاية شهر رمضان بعشرة أيام « وفي هذه السنة(٢٢٢) فتحت البذ مدينة بابك ودخلها المسلمون واستباحوها وذلك في يوم الجمعة لعشر بقين من شهر رمضان في هذه السنة »[٢٧٣] . ولما كان الشهر العربي بين ٢٨ يوماً و٣٠ يوماً فيحتمل أن يكون تاريخ الاستيلاء ، حسب رواية الطبري هذه ، يوم ١٨ رمضان أو ١٩ رمضان أو ٢٠ رمضان . أما المسعودي فإنه لا يذكر اليوم ولا التاريخ ولا يحدد الشهر وإنما جعله بين رمضان وشوال : « وكان

الفتح وأسر بابك في شهر رمضان وقبل شوال سنة ٢٢٢هـ»(٢٧٤) ويكرر أبو الفداء رواية الطبري «وافتتح الافشين البذ مدينة بابك واستباح ما فيها وذلك يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان»(٢٧٥) . ونتيجة لاختلاف المؤرخين في تحديد تاريخ سقوط البذ فإن المراجع الحديثة «اختلفت أيضاً في تحديد تاريخ الاستيلاء على مدينة البذ ، ففي الموسوعة الاسلامية (بالالمانية) نجد تحديد التاريخ بـ١٨ رمضان ٢٢٢هـ/ ٢٦ نيسان ٨٣٧م(٢٧٦) ، بينما حدد في الموسوعة الاسلامية (بالانكليزية) بـ٩ رمضان سنة ٢٢٢هـ/ ١٥ آب ٨٣٧م(٢٧٧) ، وقد اكتفى كل من تاريخ إيران(٢٧٨) وتاريخ أذربيجان(٢٧٩) بذكر شهر آب ٨٣٧م لتحديد تاريخ سقوط البذ . ونجد الدوري يأخذ بروايتي اليعقوبي والطبري رغم التفاوت بينهما «وأخيراً كان الزحف العام على البذ يوم الخميس ٩ رمضان سنة ٢٢٢ وفتحت المدينة ودخلها المسلمون لعشر بقين من رمضان»(٢٨٠) ، بيمنا نجد يامبولسكي حدد تاريخ الاستيلاء على البذ بـ ١٨ رمضان ٢٢٢هـ/ ٢٤ آب ٨٣٧م(٢٨١) وقد حدد بونيياتوف تاريخ الاستيلاء على البذ بـ ٢٠ رمضان ٢٢٢هـ/ ٢٦ آب ٨٣٧م(٢٨٢) .

إن رواية اليعقوبي(٢٨٣) لا يمكن اعتمادها لأن يوم الخميس من شهر رمضان ٢٢٢هـ لا يصادف ٩ رمضان/ ١٥ آب وإنما يصادف ١٠ رمضان/ ١٦ آب حسب جداول يوسف أوربلي(٢٨٤) وأن اليعقوبي لا بد وأنه يعني الخميس السابق ليوم الجمعة (يوم الفتح) . ولو رجعنا الى جداول أوربلي لوجدنا أن شهر رمضان سنة ٢٢٢هـ يبدأ يوم الثلاثاء المصادف ٧ آب ٨٣٧م وينتهي في يوم الاربعاء ٣٠ رمضان(٢٨٥) المصادف ٥ايلول ٨٣٧م . وعلى هذا الاساس فإن يوم ٢٠ رمضان هو يوم الأحد المصادف ٢٦آب ، وهذا ما أخذ به بونيياتوف معتمداً على قول الطبري (لعشر بقين من رمضان) ، ولكن الطبري ذكر يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان ، فاذا رجعنا الى الجداول وجدنا أن الجمعة تصادف يوم ١٨ رمضان ٢٤ آب ، وهذا ما أخذ به يامبولسكي معتمداً رواية الطبري أيضاً ومعتبراً كالطبري شهر رمضان في ذلك العام ٢٨ يوماً وليس ٣٠ يوما . إن قول الطبري يوم الجمعة لا يحتمل الشك ، ولما كان الطبري ـ حسب اعتقادنا ـ يعلم أن يوم السقوط هو ١٨ رمضان ، لهذا قال لعشر

بقين من رمضان ظناً منه أن رمضان ٢٨ يوماً . والصواب أن يقول في يوم الجمعة لاثني عشر يوماً بقين من رمضان . وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار يوم الجمعة ١٨رمضان ٢٢٢هـ/ ٢٤ آب ٨٣٧م تاريخ سقوط قلعة ومدينة البذ على يد الافشين .

هوامش الفصل الرابع

(١) يعتبر المسعودي المدة ٢٢ عاماً إذ يقول : « فكان من أدركه ممن قتله بابك في اثنتين وعشرين سنة من جيوش المأمون والمعتصم... » ، التنبيه والإشراف ، ص ٣٥٣ ، وهو مخطىء ولاشك .

(٢) ذكر الطبري : « وكان جميع من قتل بابك في عشرين سنة مائتي الف وخمسة وخمسين الفا وخمسمائة انسان » ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ٢ ، ص ١٢٣٣ ، ويأخذ بهذه الأرقام المبالغ بها كل من المقدسي ، البدء والتاريخ ، جـ ٦ ، ص١١٦-٧ ، وابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص٢٥٣ ، وابن خلدون ، كتاب العبر ، جـ٣ ، ص٢٦٢ . ويبالغ المقدسي حتى يوصل القتلى إلى المليون . البدء والتاريخ جـ ٦ ص١١٦-٧ ولكن المسعودي قد تواضع قبله فجعل العدد « في القول المقل خمسمائة ألف وقيل أكثر من ذلك وإن الإحصاء لا يحيط به كثرة » ، التنبيه والإشراف ، ص ٣٥٣ .

(٣) يقول شلبي : « فليس في التاريخ ما يحدثنا عن أن تولية العهد لأكثر من واحد اسقطت الدولة أو كانت سبباً هاماً في اضطرابها وأما الحرب بين الأمين والمأمون فإنها وإن كانت حقيقة واقعة إلا أن لي فهماً خاصاً فيها ، وهو أنها وقعت بسبب تولية خراسان وما حولها » ، كيف تكتب بحثاً أو رسالة ـ ط ١٩٦٣/٤ ص ١٤ .

(٤) الكامل ، لابن الأثير ، جـ ٥ ، ص ١٤٩ .

(٥) م .ن . ، جـ ٣ ، ص ١٣٩ ، ويقول اليعقوبي : « وبويع للمأمون بالخلافة وخلع محمداً فأعطى جميع أهل خراسان الطاعة للمأمون » ، التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٦٧ .

(٦) ابن الاثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص ١٨١ .

(٧) م .ن . ، جـ ٥ ، ص ١٨٤ .

(٨) التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٧٨ .

(٩) م .ن . ، جـ ٣ ، ص ١٧٨ . ابن الاثير . الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٧٩ .

(١٠) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٧٩ .

(١١) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٨٢ ـ ٣ .

(١٢) المقريزي ، الخطط ، جـ ١ ، ص ٧٩ ، جـ ٢ ، ص ٤٩٤ ، الدوري ، العصر العباسي الأول ، ص ٢٢٠ .

(١٣) يذكر ترتون : « ونستدل على كثرة الثورات في مصر على أن الحكم الإسلامي كان عبئاً ثقيلاً على كاهل البلاد » ، أهل الذمة ، ص ٢٥٤ ، وأشار أيضاً إلى أن « الأقباط غير راضين عن الأوضاع » ، أهل الذمة ، ص ١٥٥ .

(١٤) انظر ميور ، الخلافة ، ص ٥٠٤ ، الموسوعة التاريخية (السوفييتية) ، م ٢ ص ١٤ ، الدوري ، العصر العباسي الأول : « فاضطر المأمون إلى القدوم بنفسه لضخامة هذه الثورة وخطورتها وكان على جيشه الافشين » ، ص٢٢٠ ، بيلاييف ، يه . ا . ، العرب ، الإسلام والخلافة العربية ، ص ٢١٦ . بونيياتوف ، اذربيجان ص ٢٥٣ .

(١٥) التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٢ ، انظر ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢٢٠ ـ ١ ، أبو الفداء ، البداية والنهاية ، جـ ١٠ ، ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧١ .

(١٦) اليعقوبي ، التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٢ ـ ٣ ، ابن خلدون ، كتاب العبر ، جـ ٣ ، ص ٢٥٥ .
(١٧) اليعقوبي ، التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٣ .
(١٨) ابن خلدون ، كتاب العبر ، جـ٣ ، ص ٢٥٥ ، المقريزي ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٠٠ .
(١٩) اليعقوبي ، التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٣ ، المقريزي ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٠٠ ، بيلاييف يه .ا . ، العرب ، الإسلام والخلافة العربية ، ص ٢١٦ .
(٢٠) ذكر البلاذري «أن الزط كان من نصيب بني حنظلة» ، فتوح البلدان ، ص ٣٧٣ ، وذكر امير علي «قبائل الجت الهندية المعروفين لدى المؤرخين العرب بالزط» ، مختصر تاريخ العرب ، ص ٢٨٣ .
(٢١) يذكر الدوري «... ويظهر أن وضعهم المعاشي كان واطئاً جداً وهذا يدعو إلى الظن بأنهم كانوا يشاركون العبيد الهاربين (الاباق) في التذمر من سوء الوضع المعاشي وأن ذلك التذمر كان سبب ثورتهم» ، العصر العباسي الأول ، ص ٢٤٠ .
(٢٢) اليعقوبي ، التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٨٢ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١٠٤٤ .
(٢٣) الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٩٧ .
(٢٤) يسميه ابن الاثير في الكامل «ابن ماسحور» ، جـ ٥ ، ص ٢٠٤ ، ويسميه ابن خلدون في كتاب العبر «داود بن مسخور» ، جـ ٣ ، ص ٢٥٤ .
(٢٥) اليعقوبي ، التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٨ .
(٢٦) م .ن ، ص ١٩٨ .
(٢٧) كانوا جميعاً ٢٧ ألفاً والمقاتلة منهم ١٢ ألفاً ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢٣٣ .
(٢٨) م . ن . ، ص ٢٣٢ .
(٢٩) انظر فازيليف ، بيزنطة والعرب ، ص ١١٣ ـ ٤ ، رستم ، الروم ، جـ ١ ، ص ٢٢٠ ـ ٢٢٢ ، العدوي ، الدولة الإسلامية ، ص ٩٨ ، تاريخ القرون الوسطى ، (طبعة ١٩٥٢) ، م ١ ، ص ٢١٥ ـ ٧ ، وتاريخ القرون الوسطى (طبعة ١٩٦٤) ، ص ١٤٩ ـ ١٥٠ .
(٣٠) العدوي ، الدولة الإسلامية ، ص ٩٨ ، رستم ، الروم ، جـ ١ ، ص ٢٢٠ .
(٣١) بيلاييف ، يه .ا . ، العرب ، ص ٢٤٤ .
(٣٢) يعقوب بن اسحاق ، دفاع الكندي عن المسيحية ضد الإسلام ، وقد حضر يعقوب بن اسحاق المجلس العلمي الذي أعد في قصر المأمون للمناقشة حول أفضلية الإسلام على المسيحية ونشر هذا الكتاب بالانكليزية وليم موير .
(٣٣) يرى بونيياتوف أن المناقشة جرت أيام نكبة محمد بن حميد الطوسي ، اذربيجان ، ص ٢٤٩ ـ ٢٥ ، وجاء في هامش ص ٤٦ ـ٧ كتاب دفاع الكندي «أن المحاورة جرت في سنة ٢١٤ هـ أو قبلها بقليل» .
(٣٤) دفاع الكندي ، ص ٢٥ ، ص ٤٥ ـ ٤٦ ، انظر ايضاً موير ، الخلافة ، ص ٥٠٤ ، ص ٥١٥ ، وبونيياتوف ، اذربيجان ، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ حيث استخدموا كلام الكندي الآنف الذكر .
(٣٥) المصادر المذكورة سابقاً .
(٣٦) بونيياتوف ، اذربيجان ، ص ٢٤٩ .
(٣٧) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١١٠٢ ـ ٣ ، حوادث سنة ٢١٥ هـ ، وص ١١٠٤ حوادث سنة ٢١٦ هـ ، انظر موللر ، تاريخ الإسلام ، ص ١٩٩ .
(٣٨) بعد انكسار الجيش العباسي في معركة هشتادستر سنة ٢١٤ هـ ومصرع القائد محمد الطوسي .
(٣٩) الخلافة . ص ٥٠٥ .
(٤٠) بيزنطة والعرب ، ص ١١٣ ـ ٤ ..
(٤١) بابك وبيزنطة ، محاضرة منشورة في مجلة اكاديمية العلوم الاذربيجانية السوفياتية ، المجلد ١٥ ، عدد ٧ ، ١٩٥٩ ، ص ٦١٣ .
(٤٢) يرد اسمه في المؤلفات العربية توماس الصقلبي أو توما الصقلبي .

(٤٣) تاريخ القرون الوسطى (ط ١٩٥٢) ، م ١ ، ص ٢١٦ .

(٤٤) م .ن . ، ٢١٦ .

(٤٥) م.ن . ، م١ ، ص ٢١٦ .

(٤٦) رستم ، الروم ، جـ ١ ، ص ٣٢٢ .

(٤٧) بيلاييف ، يه . ا . ، العرب ، ص ٢٤٤ .

(٤٨) تاريخ القرون الوسطى ، ط ١٩٥٢ ، م ١ ، ص ٢١٦ .

(٤٩) التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٢ . انظر الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١١٠٢ ، ص ١١٠٣ ، ص ١١٠٤ .

(٥٠) التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٣ . الطبري ، ص ١١٠٩ ـ ١١١٠ .

(٥١) التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٦ ، انظر الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، جـ ٢ ، ص ١١٣٤ . الذهبي ، دول الإسلام ، جـ ١ ، ص ٩٥ ـ ٦ .

(٥٢) ذكر الطبري في حوادث سنة ٢٢٣هـ عن تيوفيل بن ميخائيل : «حتى صار الى زبطرة ومعه من المحمرة ، الذين كانوا خرجوا بالجبال فلحقوا بالروم حين قاتلهم اسحاق بن إبراهيم بن مصعب ، جماعة رئيسهم بارسيس ، وكان ملك الروم (تيوفيل) قد فرض لهم وزوجهم وصيرهم مقاتلة يستعين بهم في أهم أموره اليه» ، تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١٢٣٥ ، وذكر المسعودي : «فانكشف الملك (يقصد توفيل بن ميخائيل) وحماه من كان معه من المحمرة والخرمية ممن كان استأمن اليه من ناحية أذربيجان والجبال لما واقعهم اسحاق بن إبراهيم بن مصعب الطاهري وكانوا الوفاً» ، تنبيه الاشراف ، ص١٦٩ ، انظر فازيليف ، بيزنطة والعرب ، ص١١٤ .

(٥٣) بونيياتوف ، أذربيجان ، ص٢٥٣ .

(٥٤) راجع هامشنا المرقم ١٠ الفصل الرابع .

(٥٥) كانتفاضة ابي السرايا الضخمة (السري بن منصور الشيباني) ومعه ابن طباطبا بالكوفة سنة ١٩٩هـ/ ٨١٥م ، انظر الدوري ، العصر العباسي الأول ، ص٢٠٤ .

(٥٦) البعقوبي ، التارريخ ، جـ٣ ، ص١٨٤ .

(٥٧) يسميه البلازي «صدقة بن علي» ، فتوح البلدان ، ص٣٣٠ ، ويسميه اليعقوبي «زريق بن علي بن صدقة» ، التاريخ ، جـ٣ ، ص١٩٠ .

(٥٨) الدوري «وكان أصحاب بابك أدرى بمسالك الجبال وأعرف بالخطط اللازمة لها فكانوا يحصرون أعداءهم في المضايق وينقضون عليهم» ، العصر العباسي الأول ، ص٢٣٦ .

(٥٩) التاريخ ، جـ٣ ، ص١٩٠ .

(٦٠) ذكر اليعقوبي : «وأخذ في مضيق فلقيه بابك فيه فهزمه فمر عيسى مولياً لا يقف على شيء فصاح به بعض شطار الحربية الى أين يا ابا موسى فقال (ليس لنا في قتال هؤلاء بخت...)» ، التاريخ ، جـ٣ ، ص١٨٩ .

(٦١) م . ن . ص١٨٩ .

(٦٢) الخلافة ، ص٥٠٤ .

(٦٣) مختصر تاريخ العرب ، ص٢٧٢ .

(٦٤) العصر العباسي الأول ، ص٢٣٦ .

(٦٥) الاخبار الطوال ، ص٢٣٩ .

(٦٦) الكامل جـ ٥ ص٢١٨ .

(٦٧) لويس : «وكان بابك من الهراطقة وذا مواهب عسكرية وسياسية عظيمة» ، العرب في التاريخ ، ص١٤٤ .

(٦٨) يامبولسكي : «كانوا قلة ومحتقرين» ، انتفاضة بابك ، ص١٩ ، وهو يردد أقوال المقدسي ، البدء والتاريخ ، جـ٦ ، ص١١٦ ، انظر بونيياتوف «عندما تولى بابك رئاسة الخرميين في البذ فان عدد اتباعه لم يكن عظيماً» ، أذربيجان ، ص٢٤٤ .

(٦٩) تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١١٧٢ ، انظر ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ٢٣٤ ، ابن خلدون ، كتاب العبر ، جـ٣ ، ص٢٥٨ .

(٧٠) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١١٧١ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص٢٣٤ ، ابن حلدون ، كتاب العبر ، جـ٣ ، ص٢٥٨ .

(٧١) يقول ابن خرداذبة : «وكانت برزند خرابا فعمرها الافشين» ، المسالك والممالك ، ص١٢٠ .

(٧٢) الهامش رقم ٧٠ .

(٧٣) الاخبار الطوال ، ص٣٢٨ .

(٧٤) م . ن . ، ص٣٢٨ .

(٧٥) الفهرست ، ص٤٩٤ .

(٧٦) البدء والتاريخ ، جـ٦ ، ص١١٦ .

(٧٧) مختصر تاريخ الدول ، ص٢٤٠ .

(٧٨) إيران ، يقول : «ومن أجل ذلك حرم على المزدكية أكل لحم الحيوان» ، ص٣٢٨ .

(٧٩) البدء والتاريخ ، جـ٤ ، ص٣٠ .

(٨٠) التاريخ ، جـ٣ ، ص٢٠٠ ، انظر الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١٢٣٣ .

(٨١) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١٢٢٧ .

(٨٢) البدء والتاريخ ، جـ٦ ، ص١١٦ ، والشيء نفسه قد حصل للمزدكية وقد نبه عليه الطبري ، تاريخ الرسل ، م١ ، جـ٣ ، ص٨٨٥ ، راجع هامشنا ٥٩ .

(٨٣) مجلة جمعية الاستشراق الألمانية ZDMG لايبزغ ١٨٦٩ ، ص٥٣١ .

(٨٤) الانتفاضة البابكية ص١٩ .

(٨٥) أذربيجان ص٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

(٨٦) أذربيجان ص٢٤٥ .

(٨٧) وقد أشار الدوري إلى أن ضرب بابك لحصون أذربيجان التابعة للعباسيين قد أضعف دفاعهم . العصر العباسي الأول ص٢٣٦ .

(٨٨) الأخبار الطوال ، ص٣٢٩ .

(٨٩) ذكر اليعقوبي قلعة لابن البعيث (التي يقال لها شاهي) ، التاريخ ، جـ٣ ، ص١٩٩ ، وذكر الطبري (شاهي وتبريز) ، تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١١٧١ ـ ٢ ، غير أن البلاذري قد ذكر مرند أيضاً : «وأما مرند فكانت قرية صغيرة فنزلها حلبس أبو البعيث ، ثم حصنها البعيث ، ثم ابنه محمد بن البعيث وبنى بها محمد قصوراً...» ، فتوح البلدان ، جـ٢ ، ص٤٠٥ ، أنظر : ابن الأثير الكامل ، جـ٥ ص٢٣٤ .

(٩٠) الدينوري «وقد كان احتفر حوله الآبار ليمتنع الخيل منهم» ، الاخبار الطوال ، ص٣٢٩ .

(٩١) وكانت الخرمية تستبطن الأودية فلا يقدم المسلمون على التقدم ، العيون والحدائق ، ص١٨ .

(٩٢) الدوري ، العصر العباسي الأول ، ص٢٣٦ .

(٩٣) العصر العباسي الأول ، ص٢٣٦ .

(٩٤) يقول تومارا «لحقت بابك الهزيمة تلو الهزيمة . ومع ذلك فإن وضعيته لا تزال بعيدة عن اليأس . عشرات الألوف من جنوده سقطوا عند همذان في أذربيجان . عشرات الألوف هربوا الى الامبراطورية الرومية . كثير من الفلاحين بردوا عن الحركة تخلوا عنه وعادوا الى قراهم» بابك ، ص١١٨ . ولا بد أن أذربيجان حلت خطأ محل الجبال .

(٩٥) انظر موير ، الخلافة ، ص٥٠٤ .

(٩٦) يقول عنه ابو الفداء «فسار الافشين وقد أحكم صناعة الحرب في الارصاد» ، البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص٢٨٢ - ٣ ، انظر : رايت - مجلة العالم الاسلامي - ص٥١ ، هامش رقم ١٧ ، انظر : الموسوعة التاريخية (السوفييتية) ، م٢ ص١٤ ، موير ، الخلافة ، ص٥١٤ ، انظر عن «الافشين» بارتولد ، وقد بين بأن هذا اللقب قد اشتهر به ، وهذا اللقب معروف في اشروسنة في أواسط آسيا من قبل الاسلام ، وهو لقب حكام محليين ، المؤلفات ، المجلد الثاني ، القسم الثاني (بالروسية) ، موسكو ، ١٩٦٤ ، ص٤٩٦ .

(٩٧) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١٢٠٩ .

(٩٨) العيون والحدائق ، وكان الافشين لا يتقدم الا على تعبئة ولا يرجع الا على تعبئة ، ص١٨ .

(٩٩) العيون والحدائق .

(١٠٠) العيون والحدائق ، ص٩ .

(١٠١) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ، ص١١٧١ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص٢٣٤ .

(١٠٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٣٢٩ - ٣٣٠ ، ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١٢٠ ، العيون والحدائق ، ص١٠ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص٢٣٤ ، وبرزند الى الشمال الشرقي من البذ والى الشمال من أردبيل والى الجنوب من نهر أراكس في إقليم موقان ، وليست ناحية من نواحي تفليس كما توهم الدوري ، العصر العباسي الأول ، ص٢٣٧ .

(١٠٣) ابو سعيد محمد بن يوسف بن عبد الرحمن الطائي الثغري وكان على قلب جيش محمد بن حميد الطوسي في معركة هشتادسر الأولى سنة ٢١٤هـ ، وقد مدحه ابو تمام والبحتري كثيراً . انظر الملحق الشعري .

(١٠٤) من أردبيل الى خش ثمانية فراسخ (٦٤ كيلو متراً) ، ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١٢٠ ، الفرسخ يساوي ٨ كيلو مترات تقريباً .

(١٠٥) يقول عنه الطبري «الهيثم الغنوي القائد من أهل الجزيرة» ، تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١١٧٣ .

(١٠٦) ذكر ياقوت الحموي عن أرشق «جبل بأرض موقان من نواحي أذربيجان عند البذ مدينة بابك الخرمي» ، معجم البلدان ، م١ ، ص١٥٢ .

(١٠٧) ذكر عنه الطبري أنه «من قواد الابناء» ، تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١١٧٣ .

(١٠٨) مما يلي أردبيل ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١١٧٣ .

(١٠٩) بين أردبيل وخش ثمانية فراسخ وبين خش وبرزند ستة فراسخ ، ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١٢٠ . ويقول قدامة بن جعفر : «ومن أردبيل الى خان بابك ثمانية فراسخ ومن خان بابك الى برزند ستة فراسخ» ، نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، ص٢١٢ . ولا بد أن خان بابك هي خش .

(١١٠) من أهم مراكز تحصينات الافشين .

(١١١) ابن خرداذبة ، ص١٢٠ ، قدامة ، ص٢١٢ .

(١١٢) هذه الصورة لتنقلات الدوريات التي تخفر (تبذرق) قوافل التموين اعتمدناها عن الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١١٧٢ - ٣ .

(١١٣) الدوري : « ثم اهتم قواد الخليفة بتأمين المواصلات لايصال الميرة بسلام الى جيش الافشين فنجحوا في ذلك الى حد كبير » ، العصر العباسي الأول ، ص٢٣٧ .

(١١٤) الكلغرية - العمال العسكريون - يقول عنهم الطبري : هم الفعلة ، تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١١٩٩ .

(١١٥) الكوهبانية - الجبليون ، وتعني كلمة كوه بالفارسية والكردية جبل - انظر : الموسوعة الاسلامية (بالألمانية) ، م١ ، ص٥٦٨ .

(١١٦) ايفانوف ، مختصر تاريخ ايران ، ص٤٠ ، يذكر رايت أن الجيش كان خليطاً من الصغد والاتراك ومتطوعة الكوفة ، مجلة العالم الاسلامي ، العدد ٣٨ ، ص٥١ .

(١١٧) يقول ابن الأثير عن المتطوعة « وهؤلاء ليس لهم ثابت في الحرب » ، الكامل ، جـ٥ ، ص٢١٨ .

(١١٨) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١٢٠٩ .

(١١٩) ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص٢٢٧ ، وجاء في كتاب مختصر أخبار الخلفاء لابن الساعي البغدادي : « والحربية فاغزهم... » ، ص٥٧ ، ولا شك في أن كلمة الحربية تحريف لكلمة الخرمية .

(١٢٠) الاخبار الطوال ، ص٣٣٩ .

(١٢١) جاء في الموسوعة التاريخية (السوفييتية) : « ... وبعد وفاة المأمون عقد الخليفة المعتصم سلماً مع بيزنطة وبعث كل قواه لاخماد الانتفاضة » ، م٢ ، ص١٤ ، والحقيقة أنه سحب كل الجيوش ولم يترك في الثغور سوى حاميات قليلة ، ولم يهتم لجبهة الروم ولم يعقد سلماً .

(١٢٢) سيل ، القرآن ، ص١٣٠ ، والملاحظ أنه يسمي الافشين بالافشيد Afshid انظر بونيياتوف ، أذربيجان ، ص٢٥٦ .

(١٢٣) العصر العباسي الأول ، ص٢٣٧ .

(١٢٤) تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١٢٢٩ .

(١٢٥) م .ن . ، ص١٢٣٢ - ٣ .

(١٢٦) م .ن . ، ص١١٩٥ .

(١٢٧) دول الاسلام : « وقد أنفق المعتصم بيوت الأموال في حرب هذا فانفق في ذلك في هذا العام (٢٢٢هـ) نحوا من ألف ألف دينار » ، جـ١ ، ص٩٧ .

(١٢٨) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص٢٨٤ .

(١٢٩) ذكره الطبري بوزباره ، تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١٢٢٥ ، بينما يذكره الدينوري ، يوباره ، الاخبار الطوال ، ص٣٣٩ .

(١٣٠) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ ، ص١٢٢٦ ، والطبري غير متأكد من الاسم حيث يقول « محمد بن معاذ » .

(١٣١) م .ن . ، ص١١٩٥ ، ابن الأثير : « ووجه اليه إيتاخ... فأوصل ذلك للافشين وعاد » ، الكامل ، جـ٥ ، ص٢١٨ .

(١٣٢) انظر الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص٣٢٨ ، المقدسي ، البدء والتاريخ ، جـ٦ ، ص١١٦ ، ليو ، تاريخ أرمينيا ، م٢ ، ص٤٣١ ، يامبولسكي ، انتفاضة بابك ، ص٢٠ .

(١٣٣) تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١١٧١ ـ ٢ .

(١٣٤) م .ن . ، ص١١٩٠ ـ ١ .

(١٣٥) تاريخ بلدان الشرق الاجنبية ، ص٢١٦ .

(١٣٦) انتفاضة بابك ، ص١٥ ـ ٦ .

(١٣٧) مختصر تاريخ إيران ، ص٤٠ ، وجاء في الموسوعة التاريخية السوفييتية «اندحار بابك ساعد على خيانة الاقطاعيين...» ، م٢ ، ص١٤ .

(١٣٨) التاريخ ، ص١٩٩ ، جـ٦ . انظر : الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١١٧١ ـ ٢ .

(١٣٩) البدء والتاريخ ، جـ٦ ، ص١١٥ .

(١٤٠) تاريخ مختصر الدول ، ص٢٤١ .

(١٤١) من تاريخ الحركات الفكرية ، ص١٠١ .

(١٤٢) العصر العباسي الأول ، ص٢٣٥ .

(١٤٣) تومارا ، بابك ، ص١١٨ ، ليو ، تاريخ أرمينيا ، م٢ ، ص٤٣٥ .

(١٤٤) تيوفيل في المصادر العربية وقد ورد لدى رستم ، أسد ، باسم «تيوفيلوس ، أي حبيب الله» ، الروم ، جـ١ ، ص٣٢٤ .

(١٤٥) بونيياتوف ، أذربيجان ، ص٢٥٦ .

(١٤٦) تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١٢٣٤ .

(١٤٧) رستم ، أسد «ولكن المعتصم استطاع أن يقضي على ثورة بابك في أواخر ٨٣٧م ففرغ للروم وأعد ثلاثة جيوش سيّر أحدها بقيادة الافشين عبر طوروس من درب الحدث وقاد هو الجيشين الآخرين وعبر بهما من أبواب قليقية» ، الروم ، جـ١ ، ص٣٢٦ .

(١٤٨) تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١٢٣٤ .

(١٤٩) اليعقوبي ، التاريخ ، جـ٣ ، ص١٨٩ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م٢ ، جـ٢ ص١٠١٥ ، ابن لأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص١٨٤ .

(١٥٠) يشير الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١٠١٥ ، وابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص١٨٩ الى أن المجاعة حدثت سنة ٢٠١هـ ، وينفرد المسعودي ، مروج ، جـ٤ ، ص٢٩ بأن المجاعة حدثت سنة ٢٠٤ وأن خروج بابك كذلك عام ٢٠٤هـ . ورواية الطبري وابن الأثير أدق من رواية المسعودي .

(١٥١) اليعقوبي ، الطبري ، ابن الأثير .

(١٥٢) الاخبار الطوال ، ٣٣٨ .

(١٥٣) اليعقوبي ، التاريخ ، جـ٣ ، ص١٨٩ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١٠٣٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص١٩٦ ، الموسوعة الاسلامية (الانكليزية) ، م١ ، ص٨٤٤ ، (الألمانية) ـ ص٥٦٩ ، رايت ، مجلة العالم الاسلامي ، العدد ٣٨ لسنة ١٩٤٨ ، ص٥٠ ، يامبولسكي ، انتفاضة بابك ، ص٢٠ ، بونيياتوف ، أذربيجان .

(١٥٤) اليعقوبي ، التاريخ ، جـ٣ ، ص١٨٩ ، لقد ورد في تاريخ أذربيجان «وجه الخليفة المأمون جيشا كبيراً

ضد الخرمية تحت قيادة عيسى بن محمد في معركة قرب بردعة كسر الثائرون العدو وحطموا الخصم ، وكان القائد العربي قد قتل» ، ويذكر التاريخ عام ٨٢٢م ، جـ١ ، ص١٢٠ ، ولا أدري علام يُحسد تأريخ أذربيجان! فلم تحدث الواقعة في ٨٢٢م وإنما في ٨٢١م ، وثانياً فر القائد عيسى بجلده ولم يقتل ، وثالثاً من أين جاء بمدينة بردعة ؟ لا أدري . انظر : يامبولسكي ، حيث يسميه عيسى بن محمد بن ابي حامد ، والصواب ابي خالد ، انتفاضة بابك ، ص٢٠ .

(١٥٥) اليعقوبي ، التاريخ ، جـ٣ ، ص١٨٩ .

(١٥٦) م .ن . ، ص١٨٩ .

(١٥٧) م .ن . ، ص١٩٠ ، ويسميه زريق بن علي بن صدقة الأزدي ، أما الطبري فيسميه تارة صدقة بن علي وتارة علي بن صدقة بن زريق واخرى يسميه زريق بن علي بن صدقة ، تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١٠٧٢ ، ص١٠٩٩ ، ص١٢٣٣ ، انظر نظام الملك ، ويسميه خطأ «زريق بن علي بن صادق» ، سياست نامه ، النص الفارسي ، ص٢٩٢ .

(١٥٨) تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١٠٧٢ ، عن احمد بن الجنيد بن فرزندي ، انظر البلاذري ، فتوح ، جـ٢ ، ص٤٠٥ ، انظر بونيياتوف ، حيث يذكر تعيين ابراهيم بن الليث بن الفضل بعد مصرع محمد بن حميد الطوسي في سنوات ٨٢٩ ـ ٨٣٠م (أي في عام ٢١٤هـ) ، أذربيجان ، ص٢٤٨ .

(١٥٩) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١٠٩٩ .

(١٦٠) اليعقوبي ، التاريخ ، جـ٣ ، ص١٩٩ .

(١٦١) هشتادسر ـ جبل وواد . يقع الجبل الى الشرق من البذ على بعد أقل من فرسخ (حوالي سبعة كيلومترات) ذو موقع استراتيجي حيث يسيطر على السبل المؤدية الى البذ ، والكلمة فارسية تعني ثمانين رأساً لتدل على مناعة المنطقة وكثرة القمم ويسميها اليعقوبي (ساد راس) الكلمة دون نقط ، التاريخ ، جـ٣ ، ص١٩٩ ، ويسميه ابن خرداذبة في المسالك والممالك (سادارسب) ، ص١٢٠ . وجاء في العيون والحدائق ذكرها بـ(هشنادس) ، ونعتقد أن تسمية الطبري (هشتادسر) اصحها .

(١٦٢) ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص٢١٧ .

(١٦٣) اليعقوبي ، التاريخ ، جـ٣ ، ص١٩٠ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١١٠٢ .

(١٦٤) يتصور تاريخ أذربيجان أن هشتادسر تقع بقرب مراغة ومراغة تقع الى الجنوب الشرقي من بحيرة أورمية . بينما يقع جبل هشتادسر الى الشرق من البذ . تاريخ أذربيجان ، م١ ، ص١٢٠ .

(١٦٥) بونيياتوف ، أذربيجان ، ص٢٤٨ .

(١٦٦) م . ن . ، ص٢٤٨ .

(١٦٧) يقول ابن الأثير : «فلما تقدم اصحاب محمد وصعدوا في الجبل مقدار ثلاث فراسخ (حوالي ٢٤ كيلومترا) خرج عليهم الكمناء وانحدر بابك اليهم فيمن معه وانهزم الناس...» ، الكامل ، جـ٥ ، ص٢١٨ .

(١٦٨) م . ن . ، ص٢١٨ . ويقول عنهم «وهؤلاء ليس لهم ثابت في الحرب» .

(١٦٩) الطبري ، م٣ ، جـ٢ ، ص١١٠١ .

(١٧٠) الاخبار الطوال ، ص٣٢٨ ـ ٩ .

(١٧١) اليعقوبي ، التاريخ ، جـ٣ ، ص١٩٠ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص٢١٨ .

(١٧٢) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١١٠٢ .

(١٧٣) الاخبار الطوال ، ص٣٢٨ ـ ٩ .

(١٧٤) الكامل ، جـ٥ ، ص٢١٨ .

(١٧٥) مجلة العالم الاسلامي ، العدد ٣٨ لسنة ١٩٤٨ ، ص٥٠ .

(١٧٦) ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص٢٠٧ .

(١٧٧) يقول بونيياتوف : «إن عبد الله كان مرغماً على تولي إدارة خراسان بعد وفاة أخيه» ، أذربيجان ، ص٢٤٩ .

(١٧٨) بويع لابي اسحاق محمد بن هارون الرشيد -المعتصم- بالخلافة الخميس ١٨ رجب ٢١٨هـ (الطبري ١١٦٤)/ ١٠ آب ٨٣٣م (بونيياتوف ، أذربيجان ، ٢٥٣) .

(١٧٩) تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١١٦٦ .

(١٨٠) ساست نامه ، النص الفارسي ص٢٩٢ والنص الروسي ص٢٢٥ .

(١٨١) بابك ، ص١١٧.

(١٨٢) تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٥ ، ص١١٧١ .

(١٨٣) ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص٢٣٤ .

(١٨٤) التاريخ ، جـ٣ ، ص١٩٩ .

(١٨٥) م .ن . ، ص١٩٩ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١١٧١ ، انظر المراجع أيضاً ـ يامبولسكي ، انتفاضة بابك ، ص٢١ ، رايت ، بابك البذي والافشين ، مجلة العالم الاسلامي ، العدد ٣٨ لسنة ١٩٤٨ ، ص٥١ ، بونيياتوف ، أذربيجان ، ص٢٥٨ .

(١٨٦) تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١١٧١ ، لاحظ بونيياتوف «٢ حزيران ٨٣٥م عين الخليفة المعتصم الافشين حيدر بن كاؤوس قائداً على كل الجيش المحارب للخرميين» ، أذربيجان ، ٢٥٧ .

(١٨٧) الترجمة الروسية لـ «سياست نامه» ـ الحاشية رقم ٤٧٦ ، ص٣٥٠ .

(١٨٨) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ٣ ، ص١٩٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص٢٣٤ ، العيون والحدائق ، ص١٠ ، يامبولسكي ، انتفاضة بابك ، ص٢٢ ، بونيياتوف ، أذربيجان ، ص٢٥٩ .

(١٨٩) العيون والحدائق ، ص١٠ .

(١٩٠) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١١٧٤ ـ ٥ ، العيون والحدائق ، ص١٠ ـ ١ .

(١٩١) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١١٧٥ .

(١٩٢) ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص٢٣٥ .

(١٩٣) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١١٧٥ .

(١٩٤) م .ن . ، ص١١٧٧ .

(١٩٥) العيون والحدائق ، ص١٠ ـ ١ .

(١٩٦) الكامل ، لابن الأثير ، جـ٥ ، ص٢٣٥ ، العيون والحدائق ، ص١١ ، يامبولسكي ، انتفاضة بابك ، ص٢٤ .

(١٩٧) في سنة ٢٢٠ .

(١٩٨) الطبري ، ويقول تفسيره السقاء ، تاريخ الرسل ، م٣ . جـ٢ ، ص١١٧٨ .

(١٩٩) يسميه يامبولسكي «سعيد الاصبهذ» ، انتفاضة بابك ، ص٢٤ .

(٢٠٠) يامبولسكي ، انتفاضة بابك ، ص٢٤ .

(٢٠١) ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ص٢٣٥ .

(٢٠٢) الطبري ، تاريخ الرسل ، لم يتأكد فذكرهما معاً ، م٣ ، جـ٢ ، ص١١٧٩ ، يذكر يامبولسكي ، طرخان فقط ، انتفاضة بابك ، ص٢٤ .

(٢٠٣) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١١٧٩ ، وقد ذكر السيروان فقط . انظر يامبولسكي ويذكر السيروان فقط ، انتفاضة بابك ، ص٢٤ ، انظر بونيياتوف ، يذكر الشيروان والسيروان ، أذربيجان ، ص٢٥٩ .

(٢٠٤) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١١٨٧ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص٢٣٧ ـ ٨ ، انظر يامبولسكي ويسميها : درواز ، انتفاضة بابك ، ص٢٤ ، بونيياتوف : دولزود ، أذربيجان ، ص٢٤٤ .

(٢٠٥) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١١٨٩ .

(٢٠٦) ان الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص٢٢٨ .

(٢٠٧) م .ن . ، ص٢٢٨ .

(٢٠٨) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١١٩٠ ـ ١ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص٢٣٨ ـ ٩ .

(٢٠٩) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص١١٩٣ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ص٢٣٩ ، انظر يامبولسكي ، انتفاضة بابك ، ص٢٥ ـ ٦ .

(٢١٠) تاريخ الرسل ، م٣ جـ ص١١٨٧ ـ ١١٩٣ .

(٢١١) الكامل جـ٥ ص٢٣٧ ـ ٢٣٩ ، انظر أيضاً ، العيون والحدائق ، ص١٥ .

(٢١٢) الكلمة كما ذكرنا سابقاً غير منقوطة ولا بد وأن اليعقوبي يقصد بها هشتادسر .

(٢١٣) المقصود به بغا الكبير .

(٢١٤) التاريخ ، جـ٣ ص١٩٩ ـ ٢٠٠ .

(٢١٥) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص١١٩٢ ، انظر يامبولسكي ، انتفاضة بابك ، ص٢٦ .

(٢١٦) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص١١٩٢ ، يامبولسكي ، انتفاضة بابك ، ص٢٦ ، بونيياتوف ، أذربيجان ، ص٢٦٠ .

(٢١٧) الطبري ، تاريخ الرسل م٣ جـ٢ ص١١٩٣-٤ . ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص٢٣٩ .

(٢١٨) بونيياتوف ، أذربيجان ص٢٦٠ .

(٢١٩) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص١١٩٤ .

(٢٢٠) م . ن ص١١٩٥ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ص٢٣٩ ، العيون والحدائق ، ص١٧ .

(٢٢١) بونيياتوف ، أذربيجان ص٢٤٤ .

(٢٢٢) بونيياتوف ، أذربيجان ، ص٢٤٤ .

(٢٢٣) م .ن . ، ص٢٤٤ .

(٢٢٤) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص١١٩٦ .

(٢٢٥) م ٠ن ٠ ، ص١١٩٦ .

(٢٢٦) م ٠ن ٠ ، ص١١٩٦ ، بونيياتوف ، أذربيجان ، ص٢٤٤ .

(٢٢٧) توهم يامبولسكي بأنهم عائلة طرخان ، انتفاضة بابك ، ص٢٦ .

(٢٢٨) كجنود المخابرة في أيامنا ، ولا بد أنها أول مرة تستخدم الأعلام للإشارة .

(٢٢٩) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص١١٩٦ .

(٢٣٠) انتفاضة بابك ، ص٢٦ .

(٢٣١) ذكر أبو دلف مسعر بن المهلهل الخزرجي عن البذ « وبالبذين موضع... وفيه تعقد أعلام المحمرة المعروفين بالخرمية ومنه خرج بابك... » ، الرسالة الثانية ، ص١٢ ـ ٣ ، وكتب ياقوت الحموي « بذ بتشديد الذال المعجمة كورة بين أذربيجان وأران بها كان مخرج بابك الخرمي أيام المعتصم » ، م١ كراسة رقم ٣ ص٣٦١ ، ويقول سورديل في الموسوعة الاسلامية (بالانكليزية) ، بأن موقع البذ لم يتحقق لحد الان ، يقع في المنطقة الجبلية من أران ليس بعيداً عن أراكس ، م١ ص٨٤٤ (ط لندن ، ١٩٦٠م) ، انظر حول موقع البذ ، مينورسكي ، دراسات في التاريخ القفقاسي ، ص١٠٤ . يامبولسكي ، انتفاضة بابك ص٢٧-٨ ، رايت ، بابك البذي والأفشين ، مجلة العالم الاسلامي ، العدد ٣٨ لسنة ١٩٤٨ ص٤٦ .

(٢٣٢) انظر مناقشة بونيياتوف لمختلف الآراء المتضاربة حول تحديد مكان مدينة البذ ، أذربيجان ، ص٢٤٠-٤ ، ومقالته عن مدينة وقلعة البذ في مجلة أخبار المجمع العلمي الأذربيجاني ، العدد ٥ لسنة ١٩٥٩ ، ص٢٧ـ ٣٢ .

(٢٣٣) وعلى الضد من قولنا يذكرروبرت باين « بعد عدة معارك سريعة استولى الافشين على قلعة الثائر وجاء ببابك الى سامراء أسيراً » ، السيف الذهبي ، ص١٧٨ ، فهو يرى أن الافشين سار بمعارك سريعة نحو هدفه ، وهو يذكر اسم بابك دائماً باسم (باربك) .

(٢٣٤) الفرق بين الفرق ، ص٢٨٤ .

(٢٣٥) م ٠ن ٠ ، ص٢٨٤ .

(٢٣٦) العيون والحدائق ، ص١٨ .

(٢٣٧) أذربيجان ، ص٢٦٠ .

(٢٣٨) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص١١٩٨ .

(٢٣٩) م ٠ن ٠ ، ص١١٩٩ .

(٢٤٠) بونيياتوف ، أذربيجان ص٢٤٤ .

(٢٤١) الكماشة أداة من حديد تشبه الملقط لمسك المسامير وغيرها وتستعمل اللفظة في الجيش كاصطلاح حين الهجوم على جيش ما من ناحيتين .

(٢٤٢) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص١٢٠٤ .

(٢٤٣) م ٠ن ٠ ، ص١٢٠٤ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ص٢٤١ .

(٢٤٤) م ٠ن ٠ ، ص١٢٠٤ .

(٢٤٥) ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ص٢٤١ .

(٢٤٦) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ ج٢ ص١١٠٤ .

(٢٤٧) م ٠ن ٠ ، ص١٢٠٣ .

(٢٤٨) م ٠ن ٠ ، ص١٢٠٦ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ص٢٤١ .

(٢٤٩) ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ص٢٤١ .

(٢٥٠) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص١٢٠٦ .

(٢٥١) م ٠ن ٠ ، ص١٢٠٦ ـ ٧ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ص٢٤١ .

(٢٥٢) اليعقوبي ، التاريخ ، جـ٣ ص٢٠٠ .

(٢٥٣) الاسبوع الأول من شهر رمضان سنة ٢٢٢هـ . الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص١١٩٧ .

(٢٥٤) م ٠ن ٠ ، ص١٢٠٩ .

(٢٥٥) م ٠ن ٠ ، ص١٢١٤ ، وجاء في الموسوعة الاسلامية (باللغة الألمانية) : «وبعد محاولات غير موفقة في احتلال البذ من قبل قوات المتطوعة من البصرة جاءت القوات الفرغانية واحتلت مدينة البذ وأبيحت ونهبت» . م١ ص٥٦٩ ، والملاحظ أن القوات المهاجمة في الزحف الأول لم تكن من المتطوعة فقط .

(٢٥٦) تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص١٢١٤ .

(٢٥٧) م ٠ن ٠ ، ص١٢١٤ .

(٢٥٨) م ٠ن ٠ ، ص١٢١٥ .

(٢٥٩) يوم الجمعة ، الطبري «يوم الجمعة لعشر بقين من شهر رمضان في هذه السنة (٢٢٢هـ)» ، تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص١١٩٧ .

(٢٦٠) يوم الخميس ، اليعقوبي «من شهر رمضان سنة ٢٢٢» ، التاريخ جـ٣ ص٢٠٠ .

(٢٦١) م ٠ن ٠ ، ص٢٠٠ .

(٢٦٢) تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١٢١٧ ـ ٨ ، انظر العيون والحدائق ، ص٢٠ ـ ٢١ .

(٢٦٣) سياست نامه ، النص الفارسي ، ص٢٩٣ ، والترجمة الروسية ، ص٢٢٦ حيث يشير الى وجود اتفاق سري بين بابك والافشين .

(٢٦٤) تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص١٢١٨ .

(٢٦٥) العيون والحدائق ، ص٢٠ ـ ١ .

(٢٦٦) م ٠ن ٠ ، ص٢١ .

(٢٦٧) تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص١٢١٩ .

(٢٦٨) ص٢١ .

(٢٦٩) التاريخ ، جـ٣ ص٢٠٠ .

(٢٧٠) تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص١٢٣٣ .

(٢٧١) م ٠ن ٠ ، ص١٢٢٣ .

(٢٧٢) التاريخ ، جـ٣ ص٢٠٠ .

(٢٧٣) تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص١١٩٧ .

(٢٧٤) التنبيه والاشراف ص٣٥٣ .

(٢٧٥) البداية والنهاية ، جـ١٠ ص٢٨٣ .

(٢٧٦) م١ ص٥٦٩ .

(٢٧٧) م١ ص٨٤٤ .

(٢٧٨) ص١٠٩ .

(٢٧٩) م١ ص١٢٤ .

(٢٨٠) العصر العباسي الأول ، ص٢٣٨ .

(٢٨١) وهو بهذا يطابق الطبري في اليوم الذي حدده لسقوط البذ ، انتفاضة بابك ، ص٣٤ .

(٢٨٢) مقالة عن موقع مدينة وقلعة البذ ، مجلة المجمع العلمي الأذربيجاني ، العدد ٥ لسنة ١٩٥٩ ، ص٢٠ ، وهو محق باعتبار رمضان ٣٠ يوما فعند طرح ١٠ يكون الأحد المصادف ٢٦ آب ، انظر كتابه ، أذربيجان ، ص٢٦٣ ، وهنا اكتفى بـ ٢٦ آب ٨٣٧م ولم يشر الى التاريخ الهجري .

(٢٨٣) أخذ بهذه الرواية الدوري والموسوعة الاسلامية (بالانكليزية) .

(٢٨٤) جداول لتحويل السنوات الهجرية الى السنوات الميلادية ، موسكو ، ١٩٦١ ، ص٥١ .

(٢٨٥) انظر جدول شهر رمضان لسنة ٢٢٢ ومطابقته لاشهر سنة ٨٣٧م في الملحق رقم ـ د ـ .

الفصل الخامس

حياة بابك وآثار الانتفاضة
ثبت بأسماء المصادر

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

من القضايا المعقدة في تاريخ الحركة البابكية معرفة حياة قائدها بابك من حيث مولده ونشأته وأصله وأهله والقادة الذين عمل معهم ، فالآراء متضاربة والأقوال فيها اختلافات واسعة نتيجة تحامل المؤرخين على الحركة ووصمهم إياها بكل ما هو شنيع ، ولأن بابك ولد في وسط معدم لا يأبه أفراده بتاريخ ولادة أطفالهم . وأقدم رواية كتبت عن بابك هي المنسوبة إلى واقد بن عمرو التميمي(١) حيث أشار إليها ابن النديم «وعمل أخبار بابك»(٢) ، غير أن هذا المؤلف لم يصل إلينا مع الأسف .

يرجع الدينوري أصل بابك إلى أبي مسلم الخراساني حيث كتب عنه : «وقد اختلف الناس في نسبه ومذهبه والذي صح عندنا وثبت أنه كان من ولد مطهر بن فاطمة بنت أبي مسلم هذه التي ينتسب إليها الفاطمية من الخرمية»(٣) ، أما الطبري فلا يشير إلى هذا النسب بل يعتبر بابك من أصل وضيع حيث ينقل رواية مصدرها محمد بن عمران كاتب علي بن مر يقول فيها إن علياً بن مر حدث كاتبه محمداً بأن رجلاً من الصعاليك يقال له مطر قال له (أي لعلي بن مر) : «كان والله يا أبا الحسن (يعني علياً بن مر) بابك ابني قلتُ : وكيف ؟ قال كنا مع ابن الرواد وكانت أمه (بروميد)(٤) العوراء من علوج (فلاحين) ابن الرواد فكنت أنزل عليها وكانت مصكة فكانت تخدمني وتغسل ثيابي فنظرت إليها يوماً فواثبتها بشبق السفر وطول الغربة فأقررته في رحمها ، ثم قال : غبنا غيبة بعد ذلك ثم قدمنا فإذا هي تطلق فنزلت في منزل آخر فصارت إلي يوماً فقالت : حين ملأت بطني تنزل ههنا وتتركني ، فأذاعت أنه مني قلت والله لئن ذكرتني لأقتلنك فأمسكت عني فهو والله ابني»(٥) . أما ابن النديم ، الذي اعتمد رواية واقد فيما كتبه عن بابك ، وعن الفهرست تناقلت المصادر(٦) والمراجع(٧) أخبار بابك ، يذكر في الفهرست : قال واقد (وكان أبوه رجلاً من أهل

المدائن -دهانا- نزع إلى ثغر أذربيجان فسكن قرية تدعى بلال آباذ من رستاق ميمد . وكان يحمل دهنه في وعاء على ظهره ويطوف في قرى الرستاق فهوى امرأة عوراء وهي أم بابك . وكان يفجر بها برهة من دهره فيما هي وهو منتبذان عن القرية . متوحدان في غيضة ومعهم شراب يعتكفان عليه إذ خرج من القرية نسوة يسقين الماء من عين الغيضة فسمعن صوتاً نبطياً يترنم به . فقصدن إليه فهجمن عليهما . فهرب عبد الله وأخذن بشعر أم بابك وجئن بها إلى القرية وفضحنها فيها . قال واقد : ثم أن ذلك الدهان رغب إلى أبيها فزوجه منها فأولدها بابكا ثم خرج في بعض سفراته إلى جبل سبلان واعترضه من استقفاه وجرحه فقتله فمات بعد مُدَيْدة»(٨) ، وأخذ بهذه الرواية مع الإيجاز والتحوير من تلا ابن النديم من المؤرخين والمؤلفين ، فالمقدسي كتب عن أصل بابك «ذكروا أنه كان لغير رشدة وأن أمه كانت امرأة عوراء فقيرة من قرى أذربيجان فشغف بها رجل من نبط السواد يقال له عبد الله فحملت منه وقتل الرجل وبابك حمل»(٩) . ويقول ابن الجوزي عنه «وأصله أنه ولد زنا»(١٠) . وقد ذكر المؤرخ فاردان «رجل من الفرس المسمى باب(١١) الخارج من بغداد . .»(١٢) . وينسبه المؤرخ السرياني ميخائيل إلى أبي مسلم «وإن أتباعه اعتبروه كملك وينتظرونه وهذا يعني أنه المهدي المنسوب إلى أبي مسلم الخراساني»(١٣) . وكتب تومارا عن بابك «من الممكن أنه ولد ٧٩٨-٨٠٠ واسم أبيه كان عبد الله . كان عبد الله نبطياً من المدائن والاسم العربي الأصل عبد الله يشير إلى أنه كان مسلماً . مات عبد الله تاركاً زوجه وطفلين حسن وعبد الله ، الابن الأكبر حسن سمي بعدئذ بالتسمية الإيرانية بابك»(١٤) ، ويذكر عنه مارغليوث (وتاريخه الخاص كتب بواسطة واقد بن عمرو التميمي الذي لوحظ في الفهرست ، وقد ترجم بواسطة فلوكل في ZDMGXXIII . هذا الكتاب يتفق مع الطبري الذي يعتبره خلفاً لجاويدان . والبغدادي (الفرق بين الفرق ، ص٢٥٢) يؤكد أن أتباع بابك يجعلون مؤسس دينهم أميرهم الذي عاش قبل الإسلام المدعو شارون Sharwin الذي كان أبوه زندي Zandi(١٥) ، بينما والدته كانت ابنة ملك فارسي . وهذا يظهر شكلاً آخر لقصة ابن اسفنديار (ترجمة براون ص٢٣٧) ذلك أن شارون من بيوتات باو Baw (الذي يسمى في الطبري شارون بن سورخاب بن باب Bab) على أنه أول

شخص يلقب بملك الجبال)[١٦] . ويعتمد رايت رواية ابن النديم وينقلها بحذافيرها[١٧] .
ويذكر بونيياتوف (خلال عام توفي عبد الله فانتقلت برومند مع ابنها بابك إلى سراب)[١٨] .

أمامنا اذن ثلاث روايات حول أصل ومنشأ بابك . أولها رواية ترجع أصله الى أبي مسلم الخراساني وهذه الرواية التي أول من ذكرها الدينوري ، الذي لم يحاول المس بسمعة بابك وطعن نسبه بالرغم من اطلاعه على مختلف الروايات التي طعنت بابك ، إن هذه الرواية تستند على الآراء التي تعزو ظهور الخرمية الى مقتل أبي مسلم وظهور حفيده كمطالب بالثأر لجده ، وقد أشرنا سابقاً الى ضعف الاراء وبينا أن الخرمية فرقة متطورة عن المزدكية وسابقة لعهد أبي مسلم . ورغم تأكيد الدينوري (والذي صح عندنا وثبت) على صحة روايته فانه ، كما يرى ، يصعب الأخذ بها . وقد ردد هذه الرواية بشكل أو آخر المؤرخون السريان والأرمن فهم يذكرون مؤسس الخرمية جاويتان (جاويدان) ثم هارون ثم المهدي ، والذي هو بابان (بابك) ، وهذا الخلط العجيب تجده أيضاً لدى الكاتب الأرمني المعاصر ليو[١٩] . والرواية الثانية تجعل بابك إبنا غير شرعي لصعلوك اسمه مطر وقد ظل هذا الأب منكرا لابنه حتى ذاع صيته (بابك) فأسرّ هذا الصعلوك يوما إلى علي بن مر بأن بابك ابنه . هذه الرواية التي أوردها الطبري يتضح فيها طابع الاختلاق والطعن ويصعب الأخذ بها لأن المصادر الباقية تشير الى أن والد بابك (والذي هو من العراق) توفي بعد زواجه من أم ابنه بابك وبعد ولادته بمدة قصيرة ، إثر طعنة قاتلة . فالطبري لم يذكر موطن هذا الصعلوك وقد اعتبره حيا حتى ذاع اسم بابك ، بينما نجد المقدسي الذي اعتمد روايتي الطبري وابن النديم حدد موطن الرجل وأشار الى مصرعه وذكر أن ذلك حدث قبل ولادة بابك ، ويشير المؤرخون الى أن عبد الله (نبطي أو إيراني ، من أهل العراق) ونجد ترديد اسم عبد الله وموطنه العراق في الأدبيات المعاصرة ، ويثار هنا سؤال وهو : كيف يصح أن يكون اسم والد بابك عبد الله واسم أخيه الذي أسر معه عبد الله ؟ ألا يكون ذلك تناقضاً أو اضطراباً في المصادر ؟ أعتقد أنه من الميسور افتراض زواج أم بابك برجل ثان بعد مصرع زوجها الأول الذي ترك لها طفلاً واحداً هو الحسن (بابك فيما بعد) ومن الزوج الثاني خلفت الآخرين حيث هناك عبد الله ومعاوية . إن

تسمية الطبري لوالد بابك بمطر لا تعطي مسوغاً لقبول روايته على أنها أقرب للقبول على أساس أن رواية الفهرست التي تذكر اسم والد بابك عبد الله تناقض تسمية أخيه عبد الله .

أما الرواية الثالثة فتجعل بابكا اليتيم الابن الوحيد الشرعي لكاسب عراقي اسمه عبد الله . وهذه الرواية التي ينقلها ابن النديم عن واقد بالرغم من التشويش والطعن والمس بسمعة بابك فإنها كما نرى أكثر الروايات قبولاً ، لا لأن الكثير من المصادر والمراجع اعتمدتها ولكنها تحوي وقائع أكثر احتمالاً للصدق من الروايتين الأخريين . أما أم بابك فلا تختلف الروايات على كونها امرأة فقيرة من فلاحات أذربيجان يسميها الطبري (بروميد) ، وتذكر المصادر أنها عوراء فقيرة امتهنت حرفاً عديدة كمرضعة وغسالة وخادمة لتربي ابنها اليتيم حسن (بابك فيما بعد) . يمكننا أن نتوصل في ضوء المصادر العربية إلى أن بابك الخرمي عراقي الأصل (من ناحية أبيه) أذربيجاني المولد والمنشأ وأنه تربى ونشأ في أحضان الفقر وذاق مرارة العوز والفاقة وانحدر من فئة الكسبة وعاش وسط الفلاحين ، لهذا كان متفهماً وشاعراً بأحاسيس ومشاكل مجتمعه . أما أصله فالآراء متضاربة فيه أيضاً ، فهل هو من أصل عربي أم من النبط أم من الايرانيين الساكنين في العراق أم أذربيجاني ؟ أكثرية المصادر تشير الي أن والده من نبط العراق أومن نبط السواد أو المدائن ، إلا أن الطبري لم يحدد أصله واكتفى الفهرست بقوله بأنه من أهل المدائن . وهنا لا يمكن تحديد أصله ، لأن في المدائن كان يعيش السكان الاصليون (النبط) والايرانيون والعرب . أما الدينوري فيشير الى أن أصله من الايرانيين وهذه الرواية ضعيفة كما قلنا . وحتى يتم العثور على ما كتبه واقد التميمي ، والذي فصل فيه أخبار بابك كما يظهر من أقوال ابن النديم ، وعلى ما يعثر عليه من أخبار في صفحات مطوية ، فإنه من الصعوبة تحديد أصل بابك (عنصره) في ضوء ما لدينا من مصادر ، أما اعتباره أذربيجانيا من ناحية الأم ، فان ذلك راجع لجهل المصادر لأصل والد بابك لأن العادة الجارية أن ينسب الولد الى أصل والده ولا ينظر الى أمه فأولاد الإماء اعتبروا عربا ولو أن أمهاتهم أجنبيات حتى لدى الأمويين المتعصبين ، لأن آباء هؤلاء من العرب . ولكن لا يعني هذا أننا لا نعتبر بابك أذربيجانياً من حيث الموطن والوسط الذي عاش فيه ، فهو قد عاش وسط

المجتمع الأذربيجاني وكان يمت لهم بصلة من ناحية أمه ويشعر بشعور وأحاسيس الشعب الأذربيجاني ، ولا يستبعد أن والدته قد أطلعته على أصل والده وموطنه الأصلي ، غير أن ذلك لم يخلق لديه شعوراً وتحسساً نحو أصل وموطن والده كالشعور والتحسس الذي تولد لديه نحو موطنه وابناء الشعب الأذربيجاني .

أما محل ولادة وسكنى بابك فالآراء متضاربة أيضاً ، إذ لم يحدد محل سكنى والدة بابك وان اتفق الجميع على أنها من أذربيجان ، فابن النديم ينفرد بتحديد سكناها في قرية بلال آباذ في رستاق ميمد بينما يعتبرها الطبري من سكان منطقة تبريز ، لأنه ذكر بأنها كانت من علوج ابن الرواد ، وابن الرواد كان ينزل تبريز كما يذكر البلاذري (واما تبريز فنزلها الرواد الأزدي ثم الوجناء بن الرواد وبنى بها وأخوته بناء وحصنها بسور فنزلها الناس معه)[٢٠] . ولهذا لا يمكن تحديد المكان الذي قضى فيه بابك طفولته وردحا من شبابه وذلك لأنه نشأ يتيماً[٢١] معدماً لا يعنى بمولده ومنشئه أحد . واما لغته فهي الآذرية ، يقول اليعقوبي : (وأهل مدن أذربيجان وكورها أخلاط من العجم الآذرية والجاودانية القدم أصحاب مدينة البذ التي كان فيها بابك ثم نزلتها العرب لما افتتحت...)[٢٢] ، واما ابن حوقل فلا يذكر الآذرية وانما يعد العربية والفارسية فقط من اللغات الموجودة في أذربيجان وأرمينيا (فأما لسان أهل أذربيجان وأكثر أهل أرمينية فالفارسية والعربية)[٢٣] ، ويشير ابن النديم الى ما يفهم منه بأن أم بابك كانت تفهم النبطية (لغة سكان العراق القدماء)[٢٤] ، ويذكر في مكان آخر (وناطقه « يشير الى اتصال جاويدان ببابك» فوجده ، على رداءة حاله وتعقد لسانه ، بالاعجمية فَهِماً ورآه خبيثا...)[٢٥] . وأما ياقوت الحموي فيقول عن أهل أذربيجان : (ولهم لغة يقال لها الآذرية لا يفهمها غيرهم)[٢٦] . ولقد أشار مينورسكي عند كلامه عن لغات ولهجات أذربيجان الى وجود الآذرية : (ويتكلمون العديد من اللهجات « آذرية تاليشي Talishi»[٢٧] التي بقي قسم منها كجزر عائشة وسط متكلمي التركية ، هذه هي القاعدة التي اعتمد عليها بابك في انتفاضته ضد الخلافة)[٢٨] . اذن فلغة بابك الأصلية هي الآذرية ويعرف الفارسية والعربية ، ومعرفته للفارسية يكن استخلاصها من رواية ابن النديم (وتعقد لسانه بالاعجمية) ، وأما معرفته للعربية فبحكم اشتغاله أثناء طفولته مع سادة عرب ، فقد عمل حسب رواية

واقد مع (الشبل بن المنقى الأزدي برستاق سراة)[٢٩] ، واشتغل مع محمد بن الرواد الازدي نحو سنتين في تبريز[٣٠] ، لقد قضى بابك طفولته وردحاً من شبابه في أعمال جسمانية مرهقة بعيداً عن والدته ثم عاد اليها وسكن معها بعد بلوغه الثامنة عشرة من عمره ثم التحق بجماعة جاويدان الخرمية . أما دياتته فقد كان مسلماً قبل أن ينضم الى الخرمية حيث تخلى تدريجياً عن الاسلام .

اتصال بابك بالقادة الخرّميين:

تشير المصادر الى وجود خصومات فردية بين قادة الخرمية السابقين لرئاسة بابك ، وكان للضربة القوية التي وجهت للخرميين أيام هارون الرشيد أثر في تفكك وحدة الخرميين وضعفها ، وقد أشار ابن النديم الى أن جاويدان كان يحاذر من عقد اجتماع موسع للخرمية خشية شر العرب[٣١] ، فكانت الخرمية ضعيفة منقسمة الى جماعات حتى أخذنا نسمع حسب أقوال المؤرخين بوجود قائد باسم أبي عمران وآخر جاويدان وكانا متنازعين تقوم الحروب بينهما . ويقول ابن النديم حسب رواية واقد : (وكان بجبل البذ وما يليه من جباله رجلان من العلوج متخرمين[٣٢] ولهما جدة وثروة وكانا متشاجرين في التملك على من بجبال البذ من الخرمية ليتوحد أحدهما بالرياسة يقال لأحدهما جاويدان بن سهرك والآخر غلبت عليه الكنية يعرف بأبي عمران وكانت تقوم الحرب بينهما صيفاً وتحول بينهما الثلوج في الشتاء لانسداد العقاب)[٣٣] . فاذن كان هناك خصام وحروب مستمرة ويظهر أن هؤلاء كانوا منصرفين لاعمالهم واشغالهم أكثر من انصرافهم لشؤون الانتفاضة الخرمية أو أن الأطماع الشخصية كانت طاغية لديهم بحيث دفعت بهم الى شن الحرب بعضهم ضد بعض ، ويتضح انصرافهم الى الاعمال الخاصة من أن جاويدان بن سهرك حسب رواية ابن النديم[٣٤] أما الطبري فيسميه جاويذان بن سهل[٣٥] والمسعودي جاويذان بن شهرك[٣٦] وابن الاثير يسميه جاويدان بن سهل[٣٧] ، وفي المصادر الأرمنية[٣٨] والسريانية[٣٩] جاويتان بن سهل أو سحل ذهب مرة إلى زنجان ليبيع هناك ٢٠٠٠ شاة له ، وعند عودته تعرف على بابك ، وتصف الرواية العربية هذا اللقاء بأن جاويدان بعد أن عاد من زنجان مر ليلاً بقرية أم بابك (كان بابك يبلغ الثامنة

عشرة)[٤٠] فنزل مع غلمانه لديها فهيأت لهم بمساعدة بابك ما استطاعت تهيئته وقام بابك ، بنشاط ملحوظ ، في خدمة جاويدان ، فأعجب جاويدان به لذكائه وبراعته وعرض على والدة بابك موافقتها في استخدامه بمرتب قدره ٥٠ درهماً شهرياً[٤١] هكذا تصور الرواية العربية اتصال بابك بالخرمية . صحيح أن بابك كان فقيراً معدماً وكان مرغماً على القيام بمختلف الأعمال لمساعدة والدته ومنها الخدمة لدى الاغنياء ولكن رواية اتصال بابك بالحركة الخرمية وبرئيسها جاويدان على تلك الصورة لا يمكن قبولها ، لأنه عقيب اتصال بابك بجاويدان تعرض الأخير لطعنة قاتلة في احدى حروبه مع أبي عمران (الذي قتل هو الآخر في تلك المعركة) ، وبعد وفاة القائد جاويدان انتخب الخرمية بابك رئيساً لهم . فكيف يا ترى تيّسر للخرمية اكتشاف المواهب والميزات العظيمة لدى خادم يافع حديث العهد بخدمة رئيسهم لكي ينتخبوه خلفاً لرئيسهم الراحل ؟ هل أجدبت الخرمية الى ذلك القدر بحيث استعصى عليها أن تجد ضالتها المنشودة بين رجالها البارزين حتى راحت تفتش بين الخدم ؟ هناك احتمالان للقضية : إما أن بابك عمل في خدمة سيده مدة طويلة واكتسب احترام وثقة جاويدان وأهله والمقربين اليه ورؤساء الخرمية ، وإما أن بابك عمل مع الخرمية كعضو بارز في الفرقة ساهم في فعالياتها بنشاط وتحمس مما جلب الانتباه اليه وكان في مركز أرفع من خادم ، وهذا الاحتمال الأخير هو المقبول بنظري لأن اتصال بابك (حسب الروايات) بخدمة جاويدان كان قصيراً لا يتيح الفرصة لكسب الثقة والاحترام لخادم يافع . ولهذا يستبعد انتخاب الخرمية لخادم شاب مع احتمال وجود من هم أعلى منه مركزاً وشأناً ، ومهما يعزو ابن النديم لزوجة جاويدان الشابة من دور في تفضيل بابك على غيره على أساس انه كان عشيقها ـ حسب مزاعمه من اجل الطعن وتشويه السمعة ـ فإن ذلك لا يعطي مبرراً لتخطي مساعدي جاويدان والرؤساء الذين كانوا يعملون معه وانتخاب غلام حديث العهد بخدمة رئيسهم ، إذن ، لا بد وأن بابك قد انضم الى فرقة الخرمية كفرد مساهم في نشاطاتها وأعمالها (على ضعفها في ذلك الحين) تحت قيادة جاويدان وأن الأخير وجد (أثناء الحروب وفي الحياة العامة) في الشاب المتحمس من القابلية والشخصية ما يؤهله لقيادة الفرقة ولا بد وانه أسرّ بذلك الى خلصائه ومن بينهم زوجته الشابة ، فلما مات من جرحه البليغ دعت زوجته الى

انتخاب بابك حسب وصية زوجها الراحل ، ولاقت هذه الدعوة استحسان الجميع لما عهدوا في بابك من الأهلية لذلك ولما سبق وان سمعوه من رئيسهم جاويدان من اطراء لشجاعة واقدام وقابلية بابك للرئاسة . قد يقال بأن في حروب القرون الوسطى كان العبيد والخدم يحاربون مع أسيادهم(٤٢) وهذا صحيح ، ولكن هذا لا يبرر سرعة انتخاب الخرمية لخادم . إن وصية جاويدان لانتخاب بابك من بعده لتنفي رواية استخدام جاويدان لبابك لأن جاويدان وزوجته وبقية الخرمية لمسوا شدة بأس وجرأة واقدام بابك وحسن تصريفه للامور ، وهذه تلمس في الحروب والاعمال العامة وقلما تكتشف في الخدمات الخاصة التي يقدمها الخدم .

زوجات بابك:

يرد بين دفات المصادر أسماء أو ذكر لزوجات بابك ، فالطبري يذكر عن هرب بابك : (فخرج هو وأخواه عبد الله ومعاوية وأمه وامرأة له يقال لها ابنة الكلندانية)(٤٣) ، ولدينا قصة واقد عن زواج بابك بأرملة رئيس الخرمية الشابة(٤٤) . فمن هاتين الروايتين يفهم أن بابك باشر الحياة الزوجية بامرأة واحدة وانتهى ولديه زوجة واحدة ، ولكن هنالك روايات تفيد بوجود زوجات عديدات لدى بابك . فهل كان يباشر تعدد الزوجات ؟ أم كان يعاشر زوجة واحدة ؟ . الطبري يذكر ما يفهم منه وجود زوجات عديدات عند تفسيره لقول سهل بن سنباط لبابك (وكل من ههنا (في أرمينيا) من البطارقة انما هم أهل بيتك قد صار لك منهم أولاد)(٤٥) فهو يفسر قول سهل هذا ، هكذا : (وذلك أن بابك كان إذا علم عند بعض البطارقة ابنة أو أختا جميلة وجه اليها يطلبها فاذا بعث بها اليه والا بَيَّتَه وأخذها وأخذ جميع ما له من متاع وغير ذلك وصار به الى بلده غصبا)(٤٦) ، ان تفسير الطبري لقول سهل بن سنباط يشم منه رائحة الطعن اذ لا يعقل زواج بابك من كل بنات أو أخوات البطارقة ورؤساء الأرمن وانما أشار سهل الى زواج بابك من ابنة سافاك وبهذه الصورة اعتبره الأرمن قريباً لهم . ولربما كان زواج بابك ببعض بنات وأخوات البطارقة في فترات متفاوتة خلال الاعوام العشرين وعلى انفراد وليس بصورة مجتمعة . هذا التفسير من جانب الطبري قد أوحى للكثيرين بأن لدى بابك كان الكثير من الزوجات . يذكر كورديان في (بازما

فيب) عن زوجة بابك التي هربت معه (ومع واحدة من زوجاته الخالندانية «الكلندانية») [٤٧] ويقول عنها أيضاً : (لم يذكر ابن خلدون عنها أي شيء ولم يسمها الطبري . فمن كانت هي من بين زوجات بابك الكثيرات التي نالت ذلك الشرف . يمكن التفكير بأن هذه الابنة الخلندانية (الكلندانية) يمكن أن تكون ابنة سافاك التي تزوجها بابك والتي أبدت مساعدتها لزوجها في انقاذه...) [٤٨] . لا يمكن التصديق بأن بابك قد جمع لديه ذلك الحشد من الزوجات كما يصوره الطبري في تفسيره لقول سهل ، وذلك لأن الخرميين كانوا يدعون الى الاكتفاء بامرأة واحدة وذلك بموجب دعوتهم لاحترام مركز المرأة . يقول تومارا : إننا لم نواجه مشاعية النساء طيلة تاريخ الحركة الخرمية بل على العكس شاهدنا حتى القادة كانت لكل واحد منهم زوجة واحدة) [٤٩] ، كما أن الحوادث تشير الى أن بابك هرب مع زوجة واحدة وليس مع زوجات . قد يقال بأنها المفضلة ولكن لمَ لم يشر الى البقية حتى ولو بحرف واحد ؟ . فعند ذكر الطبري للأسرى من عائلة بابك بقوله : (وعدة من صار في يد الافشين من بني بابك سبعة عشر رجلاً ومن البنات والكنات [٥٠] (زوجات الابناء أو الاخوة) ثلاث وعشرون امرأة) [٥١] ، قد اشار الى بنات بابك وبنات إخوته وأولاده وزوجات أخوة بابك وابنائه ولم يشر الى زوجات بابك وإنما سبق وأن أشار الى أسر زوجة بابك ابنة الكلندانية مع والدته ، وهذا يعني وجود امرأة واحدة لدى بابك في أيامه الأخيرة .

هروب بابك:

اضطر بابك بعد سقوط البذ الى الهروب وسلك وادي هشتادسر المكتظ بالأدغال ، وقد هرب معه أخواه عبد الله ومعاوية [٥٢] وأمه وزوجته وغلام له وبعض خاصته . ولما علم الافشين بافلات بابك شدد الحراسة على المسالك والطرق المؤدية للغيضة التي التجأ اليها الفارون ، فقد كان الافشين يخشى من لجوء بابك الى مكان أمين منيع يستعيد فيه قواه ويجدد نشاطه ويعود فيهدد الخلافة بالخطر [٥٣] . ولهذا حرص على أن لا يفلت من قبضته فأرسل الكتائب العديدة [٥٤] وكتب الرسائل الى جميع الجهات [٥٥] ، ووعد بالمبالغ الطائلة [٥٦] . ولما كاد الزاد يفنى لدى بابك ورهطه في الغيضة صمم بابك على اختراق الطوق المضروب عليه فاجتاز مسلكا خلوا من

الحراس لتطرفه وقلة المياه فيه فعبره مسرعاً غير أن هروبه قد انكشف بعد هنيهة من قبل المراقبين الذين كانوا يراقبون ذلك المسلك من بعيد فأخبروا بأنهم رأوا جماعة يغادرون الغيضة ووصل الخبر الى الجند فانطلقوا في إثرهم وكان على رأس الجند ابو الساج[٥٧] فأدركوهم واسروا معاوية وأم بابك وزوجته وافلت بابك وأخوه عبد الله وغلام لهم واجتازوا الحدود الى أرمينيا[٥٨] . ورد أمان الخليفة لبابك في الفترة التي كان فيها مختبئاً في الغيضة ، فبعثه الافشين مع اثنين من البابكية الأسرى لديه وقد أرفقه بكتاب من ابن بابك لابيه يناشده الرضوخ والانصياع للامر الواقع وقد خاف الجميع عدا هذين الاسيرين من توصيل كتاب الأمان والرسالة الى بابك لما يعلمونه من أنفته ، فقد وافقا على نقل الامان الى بابك في الغيضة بعد أن وعدهما الافشين بتأمين عيش ذويهما ، ولقد أوصلا الأمان والرسالة الى بابك ، الذي تأثر جداً من انهيار ابنه الأسير ، ورفض الأمان واجاب ابنه بتوبيخ شديد[٥٩] . ويعتقد رايت بأن الأمان قد وصل ولما يمض على هروب بابك اكثر من عشرة أيام . سلك بابك طريقه في الهرب عبر أرمينيا متجها نحو الشمال ويشير قسم من المصادر الى انه كان يروم الذهاب الى بلاد الروم ، فالدينوري يقول : (توجه الى أرمينية وسار حتى عبر نهر الرّس (أرس) متوجهاً الى الروم »[٦٠] . ويذكر الطبري ان سهل بن سنباط سأل بابك عن وجهته فأجابه (قال اريد بلاد الروم او موضعا سمّاه »[٦١] ، ويقول ابن العبري (فلما ضاق أمره خرج هاربا ومعه أهله الى بلاد الروم)[٦٢] . فهل يا ترى فكر بابك باللجوء الى امبراطور الروم علّه يجد لديه بارقة من أمل في معاودة نشاطه بعد ان يلم شعثه ؟ ولكن لم اتجه شمالاً عبر سونيك ولم يسر غربا نحو بيزنطة ؟ قد يقال بأن المطاردة أجبرته ان يسلك هذا الطريق ، ولكن بعد أن عبر نهر أراكس وأمن الطرد لماذا استمر شمالاً أيضاً ؟ قد يقال ان زوجته أوحت اليه بالأمان الذي يلاقيه عند السونيكيين لو وصل اليهم ؟ ولكن بابك اجتاز القسم الشرقي من سونيك ولم يسر غرباً بل سار شمالاً ودخل مقاطعة أران حيث وقع في أراضي سهل بن سنباط . يخيل الي بأن بابك لم يفكر جدياً في موضوع اللجوء الى بيزنطة والاعتماد على امبراطورها تيوفيل وإنما كان يريد اللجوء الى مكان أمين يختفي فيه ويكون قريباً من أتباعه الذين تبعثروا ونستدل على ذلك من تجاهل العديد من المصادر[٦٣] لذكر الروم أو اللجوء الى

امبراطور الروم ومن أقوال بابك وآماله في معاودة النضال والاهتمام بشؤون فرقة الخرمية . فقد جاء على لسان بابك بانه لا يحبذ بقاء اخيه عبد الله معه في قلعة سهل بن سنباط اذ قال له : (ليس يستقيم ان أكون أنا وأخي في موضع واحد فلعله أن يعثر بأحدنا فيبقى الآخر ، ولكن أقيم عندك أنا ويتوجه عبد الله أخي الى ابن اصطفانوس ، لا ندري ما يكون وليس لنا خلف يقوم بدعوتنا)[٦٤] فنرى تأكيده على الاستمرار في الدعوة ويقول يامبولسكي (وهذا يعني أنه لم ينفض عنه فكرة استمرار النضال في ذات الموضوع الذي حارب من أجله الخرّميون بتفان)[٦٥] . لهذا فان تفكير بابك في اللجوء الى الروم لم يكن واضحا أو لم يكن ليحظى باهتمامه بصورة رئيسية ولا سيما وقد تباطأ الامبراطور تيوفيل ولم يصغ الى استنجاده بالضغط على المسلمين من ناحية ليخفف من شدة الحملة على بابك ويتضح كذلك من ذكر بابك لاسم محل آخر غير بلاد الروم في جوابه لسهل بن سنباط ، ويعتقد يامبولسكي ان بابك لم يذكر بلاد الروم امام سهل الا تملصا من الجواب[٦٦] .

اجتاز بابك الحدود الأذربيجانية الأرمنية بعد عبوره نهر أراكس في نقطة التقائه برافده نهر كيرخسو ودخل أراضي سونيك من طرفها الشرقي ولكنه لم يلبث في مقاطعة سونيك رغم وجود حلفائه[٦٧] فيها ولكنه غادرها الى أران حيث بلغ أراضي سهل بن سنباط صاحب قلعة شاكي[٦٨] Waku . وهناك تعرف عليه ابن سنباط الأرمني بعد ان أعلمه أتباعه بوجود بابك وأخيه وغلامه . وبخطة بارعة في التمويه والخداع استطاع سهل أن يقنع بابك بالذهاب معه الى قلعته والاختفاء فيها ، وكان ان سنباط من الأمراء الأرمن الذين سبق وأن تحالفوا مع بابك ولكنهم انجروا بعد تغيّر الموقف وشاهدوا رجحان كفة الخلافة ، الا أن سهلا «المستلم رسالة مغرية جدا من الافشين) أخفى نواياه عن بابك وأظهر أنه لا يزال على موقفه السابق من السلطة ، وبهذا استدرج بابك الى النزول في قلعته . وسار بابك معه وهو غير مطمئن على سلامته فقد أصر على أن ينزل هو لدى سهل ويذهب أخوه عبد الله الى عيسى بن اصطيفانوس صاحب قلعة كتيش[٦٩] في البيلقان وكان بابك يثق به . وكان سهل يحاول ان يثني بابك عن رأيه ويهون لديه الأمر ، إلا أن بابك أفهمه بخطورة بقائمهما في محل واحد[٧٠] . وهكذا غادر عبد الله اليوم الثاني قلعة شاكي وتوجه الى ابن

اصطيفانوس . أما ابن سهل فلم يتوان حيث أخطر الافشين بوجود بابك لديه واتفق الطرفان بعد تأكد الأفشين من الخبر على إرسال قوة تسير حسب مشورة ابن سنباط لالقاء القبض على بابك وقد أبلغ سهل القائدين اللذين بعثهما الافشين على رأس القوة ، وهما أبو سعيد وبوزياره[٧١] ، أبلغهما بأنه يفضل القاء القبض على بابك خارج قلعته . ويامبولسكي على صواب حين يعلل ذلك (بان سهلاً كان يخشى من بطش الخرمية ان هو سلم بابك في قلعته »[٧٢] . وكان ان دبر سهل الخروج الى الصيد وعرض فكرة الخروج على بابك الذي وافق دون تردد بعد أن ذكر له سهل أهمية التنزه والتخلص من جو القلعة الذي يدعو الى السأم وكان قد بعث برسله الى أبي سعيد وبوزياره يعلمهما عن خروجه مع بابك في اليوم التالي ، وعيّن لهما الوادي الذي سيكونان فيه وطلب منهما أن ينقضا عليهما من سفحي الجبل المشرف على الوادي ويقبضا عليهما . وقد نفذت خطة سهل بحذافيرها غير أن بابك قد عرف في آخر لحظة خيانة سهل حيث بادره بالقول عند القبض عليه إنما بعتني لليهود (يقصد المسلمين) بالشيء اليسير[٧٣] . أراد سهل أن يظهر الحادثة وكأنما وقعت صدفة ولكنها لم تنطل على بابك . وكوفئ سهل على ذلك حيث أنعم عليه بالامارة (البطرقة) وأعفيت بلاده مما عليها من واجبات ومنح مليون درهم ومنطقة مغرقة بالجوهر[٧٤] . أقتيد بابك أسيراً وأوصل بحراسة شديدة الى الافشين بمعسكره في برزند ، واذا أخذنا برواية الطبري[٧٥] فإن وصوله الى الافشين يكون يوم السبت ١٠ شوال ٢٢٢هـ المصادف ١٥ ايلول ٨٣٧م ، فتكون المدة بين هروبه ووصوله الى الافشين اقل من شهر ، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على شدة اهتمام الافشين بأمر القاء القبض على بابك ، والى أي مدى كان تأثير الوعيد والاغراء قوياً! أعلم الخليفة بالأمر بأسرع وقت . ويشير المسعودي الى استخدام الحمام الزاجل لذلك الغرض[٧٦] . وكان للخبر وقع عظيم لدى الخليفة والخاصة لزوال ذلك الخطر الجسيم ولدى سكان العاصمة الذين اكتوى ذووهم بنار الانتفاضة وفقدوا الكثير من اهليهم في معاركها ، فكان يوما مشهوداً ـ كما تصف المصادر ـ او عيداً كبيراً ، ضج الناس فيه بالتكبير ، وكتب الخليفة الى الامصار معلناً فرحته بالانتصار ولأجل بعث الثقة واعادة الهيبة لسمعة الخلافة المتداعية . إن استقبال الخبر بذلك الوقع وبتلك الصورة ليدل على عظم وجسامة خطر

الانتفاضة البابكية على الخلافة[٧٧] . ولما استلم الافشين بابك بمفرده علم بأن عبد الله لا يزال طليقاً وهو لدى عيسى بن اصطيفانوس (يسميه الطبري : عيسى بن يوسف المعروف بابن أخت اصطفانوس ملك البيلقان[٧٨] ، وفي المصادر الارمنية يعرف بـ ياي ابو موسى)[٧٩] . فأرسل الافشين الى عيسى يأمره بارسال عبد الله اليه فبعثه اليه ، وللمسعودي رواية أخرى عن أسر بابك لا تحتمل التصديق وتحتوي كثيراً من الطرف قد ضللت بعضاً من المؤرخين والمؤلفين يقول فيها : «وقال له : ايها الملك ، قم الى قصرك الذي فيه وليك وموضع يمنعك الله فيه من عدوك فسار معه الى أن أتى قلعته وأجلسه على سريره ورفع منزلته ووطأ له منزله ومن معه وقدمت المائدة وقعد سهل يأكل معه فقال له بابك بجهله وقلة معرفته بما هو فيه وما دفع اليه : أمثلك يأكل معي ؟ فقام سهل عن المائدة وقال : اخطأت أيها الملك ، وأنت أحق من احتمل عبده ، إذ كانت منزلتي ليست بمنزلة من يأكل مع الملوك ، وجاءه بحداد ، وقال له : مد رجلك أيها الملك وأوثقه بالحديد فقال له بابك أغدرا يا سهل ؟ قال يا ابن الخبيثة إنما أنت راعي غنم وبقر ، ما أنت والتدبير للملك ونظم السياسات وتدبير الجيوش ؟ . وقيد من كان معه وأرسل الى الافشين يخبره الخبر وان الرجل عنده فسرح اليه الافشين اربعة آلاف فارس عليهم الحديد وعليهم خليفة يقال له بوماده ، فتسلموا بابك ومن معه واتى به الافشين ومعه سهل بن سنباط»[٨٠] ، وقد اعتمد هذه الرواية المقدسي[٨١] ، وابن العبري[٨٢] بشيء من التحوير ، ويظن جوزي بأن سهلا قد سلم بابك واخاه «فقبض عليه وعلى أخيه عبد الله ومن كان معهما من الأهل والأصدقاء وسلمهم جميعاً بعد أن أمنهم ، الى رسول الخليفة»[٨٣] . لكن مصادر أخرى غير المسعودي والمقدسي وابن العبري تذكر عن لجوء عبد الله الى قلعة كتيش ، العائدة لعيسى بن اصطيفانوس ، بعد ان بات ليلة واحدة مع أخيه في قلعة شاكي عند سهل .

استقبل الافشين بابك بعرضه بين صفين من جنده لا احتراماً لمقام بابك ولكن ليظهر للجند عظمته وفخره بقهره بابك الذي روع الجميع ، ثم حبسه في دار منتظرا مقدم أخيه عبد الله فلما قدم عبد الله مرسلاً من عيسى أودعه الدار التي حبس فيها بابك ، فلما جاءه أمر الخليفة بالشخوص اليه أخبر بابك بأمر السفر وعرض عليه أنه بوسعه أن يعلن رغبته في شيء قبل مغادرته أذربيجان فرجاه بابك أن يسمح له

بالقاء آخر نظرة على مركز الحركة البذ فسمح له ليلا وسار به الحراس بخشوع في ليلة هادئة مقمرة من ليالي خريف ٨٣٧م وتجول البطل في قلعته الخاوية المهدمة مرت بخاطره سني النضال المريرة الطويلة وكيف كانت البذ على طرف كل لسان وكان منظرها الكئيب وهي خاوية على عروشها تحت ظلال أشعة البدر الباردة لا يمكن احتماله فقفل راجعاً بصمت مهيب ولم يجسر الحرس على تعكير ذلك الصمت كأنهم في موكب جنائزي وأخبر الافشين بأنه لم يبق لديه مطلب آخر فعزم الافشين على السفر وكان طيلة أيام السفر من برزند الى سامراء يخبر الخليفة إذ كانت رسله تترى وقد جئنا سابقاً على وصف سعادة البريد المنتشرين على طول الطريق والذين نصبهم الخليفة خصيصاً للاطلاع على اخبار بابك أولاً بأول .

متى ابتدأ الركب يغادر برزند وهو محمل ببابك وأخيه عبد الله ؟ هذا أمر لم يعن به المؤرخون إلا أنهم يشيرون الى تاريخ وصول الركب الى سامراء وإنْ اختلفوا في تاريخ اليوم إلا أنهم يكادون يجمعون على شهر صفر سنة ٢٢٢هـ ، فاليعقوبي يذكر «وقدم (يقصد الافشين) على المعتصم وهو بسر من رأى فتلقاه القواد والناس على مراحل ودخلها لليلتين خلتا من صفر سنة ٢٢٢ »(٨٤) ، أي في ٢ صفر بينما يقول الطبري « ذكر أن قدومه عليه به كان ليلة الخميس لثلاث خلون من صفر بسامرا »(٨٥) أي ٣ صفر ، أما المسعودي فيقول : « دخل سامراء يوم الخميس لليلتين خلتا من صفر سنة ثلاث وعشرين ومائتين »(٨٦) ، ولما كان اليوم الثاني من صفر سنة ٢٢٢هـ يصادف الخميس ٣ كانون الثاني عام ٨٣٨م لهذا فان روايتي اليعقوبي والمسعودي أضبط من رواية الطبري وإنْ اتفق الطبري مع المسعودي بذكر الخميس . ولما بلغ الموكب قناطر حذيفة استقبلهم هارون بن المعتصم وآخرون من عائلة الخليفة ثم انزل الافشين بابكا في قصره بالمطيرة عند بلوغهم سامراء وزاره الوزير أحمد بن أبي داود متنكراً وكان الخليفة يتلهف لرؤية بابك فلما عاد وزيره واخبره بما رأى لم يصطبر الى غد وانما سار إليه في جوف الليل متنكراً وسأله بعض الأسئلة أجاب عليها دون أن يميز سائلها وفي اليوم الثاني نقل بابك من قصر الافشين الى الدار العامة باستعراض مهيب كما يصفه الطبري « واصطف الناس من باب العامة الى المطيرة وأراد المعتصم أن يشهره ويريه الناس... فأمر بتهيئة الفيل وأمر به فجعل في قباء ديباج

قولنسوة سمور مدورة وهو وحده فقال محمد بن عبد الملك الزيات :

قد خُضّب الفيل كعادته يحمل شيطان خراسار
والفيل لا تخضب اعضاؤه الا لذي شأن من الشأر

فاستشرفه الناس من المطيرة (حيث قصر الافشين) الى باب العامة فأدخل الدار العامة »[٨٧] . اما المسعودي ، الذي يُطنب في الوصف ، فيذكر ان العرض بدأ من القاطول (على بعد خمسة فراسخ من سامراء = ٤٠ كيلو متراً) حيث استقبله هارون[٨٨] ، ولكن رواية الطبري أقرب الى التصديق إذ لا يعقل أن يستعرض ببابك هذه المسافة الطويلة والفيل لا يسير الا على مهل والخليفة متلهف لرؤية أسيره بابك .

لم يمهل بابك طويلاً إذ نطق الخليفة باعدامه فور وصوله لديه وقد قطعت اطرافه أولاً فلطخ وجهه لكي لا يترك شحوب وجهه إثرَ نزف دمه انطباعاً بأن ذلك الشحوب من خشية الموت . هكذا أجاب بابك حينما سئل عن سبب صبغه وجهه بدمائه[٨٩] . ثم علق جسده على خشبة طويلة في طرف من سامراء ظل يحمل اسم بابك ، اما رأسه فقد أرسل الى بغداد برفقة أخيه عبد الله حيث علق رأس بابك هناك[٩٠] ومنها الى خراسان . متى أعدم بابك ؟ المصادر لا تحدد اليوم والتاريخ فالطبري يقول كان ذلك يوم الاثنين او الخميس[٩١] إلا أن المصادر تشير الى أنه أعدم بعد العرض . فحسب رواية الطبري كان يوم العرض هو اليوم التالي لبلوغ موكب الافشين مدينة سامراء ، ولما كان يوم البلوغ هو الخميس (٣ كانون الثاني ٨٣٨م - ٢ صفر ٢٢٣هـ) فان يوم اعدام بابك على هذا الأساس يكون الجمعة (٣ صفر ٢٢٣هـ/ كانون الثاني ٨٣٨م) ولقي عبد الله المصير نفسه في بغداد على يد اميرها اسحاق بن إبراهيم[٩٢] ، حيث أمر اسحاق بقطع اربعة أطراف عبد الله وصلب في الرصافة (الجانب الشرقي من بغداد) علي رأس الجسر[٩٣] وقد أبدى عبد الله شجاعة وجلداً كأخيه بابك حيث أشار الطبري الى أنه لم ينطق ولم يتكلم حينما قُطِعَتْ أطرافه[٩٤] .

هل كان بابك ملكاً أو أميراً اقطاعياً ؟ أم ظل ثورياً (فكرياً وسياسياً وعسكرياً) للانتفاضة البابكية ؟ وإذا كان رئيساً أو قائداً ثوريا في أول أيامه ألم يتحول تدريجياً

وبمرور الزمن الى أمير اقطاعي أو ملك في الجزء المحرر من أراضي الخلافة ؟ هذه من المسائل المعقدة أيضاً في تاريخ الانتفاضة البابكية وذلك لأن أغلبية المصادر لم تتطرق الى نوعية الحكم أو تصريف الأمور أو شكل الإدارة في الأجزاء التي حررتها الانتفاضة . فليست هنالك صورة واضحة عن ماهية الحكم طيلة السنوات العشرين ، ومن ناحية ثانية ترد في بعض المصادر كلمات (ملك ، تملك ، ملوكية) عند وصفها لبابك أو أسلافه ، والشيء الثالث عدم ورود تلك الكلمات التي تشير إلى الملوكية في أقرب المصادر زمناً للانتفاضة . فالدينوري (أبو حنيفة) واليعقوبي لم يشيرا بأدنى كلمة و إشارة الى الملوكية أو التملك وهما أقرب المؤرخين عهداً بالانتفاضة ، بل إن الصورة التي تعكسها رواياتهما عن بابك كقائد ثوري للحركة حسب . وأما الطبري فقد وردت لديه رواية تفيد بأن بابك كان ملكاً إذ يقول إن بابكا قد بعث بجوابه الى ابنه (الذي كتب الى أبيه عندما كان في الغيضة يطلب من أبيه أن يستجيب للأمان الذي بعثه اليه الأفشين) يقول بابك في جوابه « عسى أن أعيش بعد اليوم قد كنت باسم هذه الرياسة وحيث ما كنت أو ذكرت ملكاً ولكنك من جنس آخر... »[٩٥] . وبالرغم من أنها الحالة الوحيدة التي يذكر الطبري فيها كلمة ملك فإن بابك قد قدم موضوع الرئاسة على الملوكية وهذا يعني أنه رئيس الطائفة البابكية ، إلاّ أن الناس يذكرونه كملك وبابك يؤكد كثيراً على موضوع رئاسة الحركة الخرمية . فقد أصر عند التجائه الى قلعة سهل بن سنباط على أن يظل هو لدى سهل ويذهب أخوه الى عيسى بن اصطيفانوس ، وقد علل ذلك « فلعله أن يعثر بأحدنا فيبقى الآخر ، ولكن أقيم عندك أنا ويتوجه عبد الله أخي الى ابن اصطفانوس لا ندري ما يكون وليس لنا خلف يقوم بدعوتنا . فقال له ابن سنباط ولدك كثير ، قال ليس فيهم خير وعزم »[٩٦] فهنا تأكيد على رئاسة الفرقة الخرمية (وليس لنا خلف يقوم بدعوتنا) فحتى الأيام الأخيرة ظل بابك يعتبر نفسه رئيساً روحياً وقائداً فكرياً لفرقة الخرمية آخذاً على نفسه مهمة نشر دعوتها . ويذكر الطبري في مجال آخر بصورة غير مباشرة ما يوهم بأن بابك كان من الاقطاعيين ، فقد ذكر أن عبد الله سأل ابن شروين الطبري (الذي اقتاده من سامراء الى بغداد) عشية اعدامه أن يطعمه فالوذج ويسقيه خمراً ثم سأله (من أنت ؟ فقال : ابن شروين ملك طبرستان . فقال الحمد لله الذي وفق لي رجلاً من الدهاقين

يتولى قتلي... ثم قال : يا أبا فلان ستعلم غداً أني دهقان إن شاء الله »[٩٧] . وأما المسعودي الذي لا يلتزم الدقة في تعابيره واقواله فقد وردت لديه أقوال تشير بصراحة الى الملوكية فهو يذكر عن سهل بن سنباط « ... ترجل له ودنا منه وسلم عليه بالملك ،... وقال له : أيها الملك قم الى قصرك ، اخطأت أيها الملك وأنت أحق من احتمل عبده إذ كانت منزلتي ليست بمنزلة من يأكل مع الملوك... مد رجلك أيها الملك... ما أنت والتدبير للملك ونظم السياسات وتدبير الجيوش ؟ »[٩٨] . ويذكر الأقوال هذه عند المقابلة الأولى وفي القصر ، لكن هذه الأقوال لا يمكن أن تؤخذ أساساً للحكم ، لأنها من تصورات المسعودي ومن بنات أفكاره . أما ابن النديم فيورد نصوصاً كثيرة تذكر الملوكية والتملك فهو يذكر عن جاويدان وأبي عمران من قادة الخرمية السابقين لبابك (وكان بجبل البَذّ وما يليه من جباله رجلان من العلوج متخرمين ولهما جدة وثروة وكانا متشاجرين في التملك على من بجبال البذ من الخرمية ليتوحد أحدهما بالرياسة ، يقال لاحدهما جاويدان بن سهرك والأخر غلبت عليه الكنية يعرف بأبي عمران)[٩٩] . إلا أن كلمة التملك هنا لا تعني حسب رأينا سوى الاستحواذ ولا تعني الملوكية ولأن جاويدان قد سافر بعد ذلك الى زنجان ليبيع فيها أغنامه وليس من عادة الملوك التنقل بين المدن لبيع الأغنام . إذن فالنزاع كان بينهما للانفراد برئاسة الفرقة . لذا لم يكن جاويدان ملكاً حتى يورث من بعده ، ولهذا لم يرث بابك الملوكية عن أحد وانما تولى قيادة فرقة الخرمية بعد مقتل رئيسها ، ويشير ابن النديم الى أن زوجة جاويدان قالت عن بابك... (وإنه يملك الأرض)[١٠٠] ، ويُذكر عن لسانها أنها قالت بان زوجها أخبرها قبل وفاته (... وقد رأيت أن أملكه على أصحابي)[١٠١] والظاهر من القولين أن بابك يملك الأرض ويكون ملكاً على اصحاب جاويدان ، ولكن لا يصح اعتبار هذين القولين أساساً لافتراض ملوكية بابك على رقاب الناس أو تملكه للأرض ، فقد سبق وأن دحضنا ملوكية جاويدان فلا يمكن والحالة هذه أن يرث كملك على الناس أو مالك على الأرض . فما تفسير قولها إذن ؟ بيّنا سابقا أن قولها (وإنه يملك الأرض) يفسر على أنه يستحوذ على الأراضي من الاقطاعيين ويتم ذلك بمساعدة الخرمية له ويتم توزيعها على الفلاحين مشاعاً حسب برامج الخرمية . وأما قولها (وقد رأيت أن أملكه على أصحابي) فهذا القول يستعمل مجازاً على أن يعني ترؤسه

للجماعة أيضاً كما يعني تملكه على الجماعة ، ولهذا فإن جاويدان لم يعنِ إلاّ الاستعمال المجازي لقوله . ولقد وردت إشارات في المراجع أيضاً إلى أنه ملك لدى سيل[١٠٢] ورايت[١٠٣] ، ويقول شلبي عنه (وبابك هو زعيم الخرمية بعد جاويدان بن سهرك ملك جبال البَذّ ورئيس الخرمية الأكبر)[١٠٤] ، فهو يرى أن بابك جاء بعد ملك جبال البذ .

علاقة المازيارية بالبابكية:

يرد ذكر الانتفاضة التي قامت في طبرستان (٢٢٤هـ/ ٨٣٩م) مقرونا بالانتفاضة البابكية على أساس الاتصالات والمراسلات بين المازيار وبابك أساس اتفاقهما مع الأفشين على الانتفاض بوجه الخلافة ، فمن هو المازيار ؟ وما علاقة الانتفاضة الطبرستانية المعروفة بالمازيارية بالبابكية ؟ وما هو طابعها ؟ المازيار واسمه محمد بن قارن بن بندار هرمز أصبهذ طبرستان من الأمراء المحليين وكان ذا طموح في التخلص من السلطة الأجنبية ، ولما كانت المناطق الشمالية من ايران مسرحاً للانتفاضات والحروب التي قامت بوجه الخلافة العباسية في العصر العباسي الأول كما مر بنا في الفصل الثاني (١٢١ ص ـ ١٣٧ ص) ولا سيما انتفاضات الخرمية في اقليم الجبال أو في جرجان وطبرستان وخراسان ، فإن بلاده ظلت تحتفظ بذكريات الانتفاضات الفلاحية ، وظل فلاحو طبرستان يشكون من التعسف والارهاق وكانت الارستقراطية الاقطاعية من العرب أو من الابناء (الارستقراطية الايرانية) قد ربطت مصيرها مع السلطة العباسية . يقول الطبري إن سرخاستان ، أحد ولاة المازيار ، أعلم الفلاحين بأن الارستقراطية المحلية (الابناء) يكونون خطراً عليهم فقال لهم (إن الأبناء هواهم مع العرب والمسودة (العباسيين) ولست آمن غدرهم ومكرهم وقد جمعت أهل الظِنة ممن أخاف ناحيته فاقتلوهم لتأمنوا)[١٠٥] ، ولما كان المارزيار قد وطد نفسه على الانفصال وكانت الأرستقراطية متعاونة مع الخلافة لهذا لم يكن أمامه إلاّ أن يلتجىء الى الجماهير الشعبية ، الساخطة على السلطة وعلى الاقطاعيين ، فتعاون معها لأجل تحطيم القوة المحلية التي تعتمد الخلافة عليها وهي الارستقراطية . وتذكر المصادر بانه كاتَبَ بابك وشجعه على المضي في انتفاضته الأذربيجانية ضد السلطة ، وكان يرمي من كل ذلك الى اضعاف السلطة لكي يتسنى له من ناحيته النهوض بوجه

الخلافة فهو قد سعى لإضعاف الخلافة من الداخل وشجع على اضعافها من الخارج . يقول الطبري : (إن المازيار لما عزم على الخلاف دعا الناس الى البيعة فبايعوه كرها وأخذ منهم الرهان فحبسهم في برج الأصبهذ (الكلام عن الارستقراطية) وأمر أكرة الضياع (الفلاحين) بالوثوب بأرباب الضياع وانتهاب أموالهم ، وكان المازيار يكاتب بابك ويحرضه ويعرض عليه النصرة)(١٠٦) . لقد استغل المازيار النزاع القائم بين الفلاحين والملاكين حول الأرض من أجل مطامحه ووجهه نحو السلطة وذلك بتشجيعه هو وأعوانه للفلاحين بنهب الضياع وقتل أصحابها لتضعف شوكة الارستقراطية ، السند الرئيسي للخلافة هناك . يذكر الطبري (إن سرخاستان كان معه ممن اختاره من أبناء القواد وغيرهم من أهل آمل... في داره مئتان وستون فتى ممن يخاف ناحيته... ثم أمر بكتفهم ودفعهم الى الاكرة ليلاً فدفعوهم اليهم وصاروا بهم الى قناة هناك فقتلوهم ورموا بهم في آبار تلك القناة)(١٠٧) . ويذكر الطبري عن المازيار نفسه أنه طلب من الفلاحين قتل الامراء الاقطاعيين (وقال لهم صيروا الى الحبس فاقتلوا أرباب الضياع جميعهم قبل ذلك ثم حوزوا بعد ذلك ما وهبت لكم من المنازل والحرم ، فجبن القوم عن ذلك وخافوا وحذروا فلم يفعلوا ما أمرهم به)(١٠٨) . وكان خوف الفلاحين مبعثه ما تراكم لديهم من تهيب الارستقراطية وخشية نفوذها ، ولو انصاع الفلاحون لأوامر المازيار لربما كان للانتفاضة نتيجة أخرى ، ولكن الفلاحين لم يذهبوا كثيراً مع الانتفاضة(١٠٩) ، وهذا كان أحد عناصر ضعفها .

أما اتصال الانتفاضة بالافشين فالمصادر تشير الى المكاتبات التي قامت بين الطرفين وكان كلاهما يسعى لاتخاذ الاخر وسيلة لتحقيق مطامحه ، فالأفشين كان يطمع بولاية خراسان التي أصبحت وقفاً على آل طاهر ، وكان يسمع تذمر المعتصم من عبد الله بن طاهر ، ولما كانت طبرستان تابعة في إدارتها إلى خراسان فكان يتصور في حالة اشتداد الخصومة بين المازيار وعبد الله أن يعجز الأخير عن القضاء على الانتفاضة ، وحينئذ يعهد اليه الخليفة بمحاربة المازيار ويوليه خراسان ، وكان قد بعث بالرسائل المشجعة للمازيار على عصيان أوامر عبد الله ولقيت هذه التشجيعات قبولاً لدى المازيار واعتبرها ركيزة آماله في تعجيز السلطة والتحرر من نفوذها لاعتقاده بأن عبد الله أعجز من أن ينتصر عليه ، وإذا اضطر الخليفة أن يرسل جيوشاً

غير الخراسانية فمن المحتم أنه سيعهد بقيادتها الى الأفشين الذي يطمئن اليه حسب ما اتفقا عليه . وهناك آراء وأقوال للطبري حول سعي الأفشين وبابك والمازيار إلى تقويض السلطة العربية والدين الاسلامي وإعادة الأمور الى الأكاسرة والديانة القديمة ، وتنسب هذه الأقوال تارة الى بابك وأخرى الى الأفشين وتارة الى المازيار ، بل وأشرك معهم خاش أخو الأفشين وفوهيار أخو المازيار كالرسالة التي قيل إن خاش بعثها الى فوهيار والتي جاء فيها (... أنه لم يكن ينصر هذا الدين الأبيض غيري وغيرك وغير بابك... ويعود الدين الى ما لم يزل عليه أيام العجم)(١١٠) ، وهذه المزاعم وإنْ تكررت لدى المسعودي «فأقر (المازيار) على الأفشين : إنه بعثه على الخروج والعصيان لمذهب كانوا اجتمعوا عليه ودين اتفقوا عليه من مذاهب الثنوية والمجوس»(١١١) . وما يرويه ابن اسفنديار وكلامه مليء بالاخطاء والتلفيقات ويسرد الحوادث المسهبة على شكل قصص ، يقول عن المازيار «قال المازيار وهو مأسور عند عبد الله ـ أنا والأفشين حيدر بن كاؤوس وبابك قد اتفقنا أربعتنا (لم يخبرنا براون لماذا هم اربعة) على أخذ الامبراطورية من العرب وإعادتها لأكاسرة الفرس»(١١٢) . هذه الأقوال والآراء والتهم التي وجهت للأفشين من أجل الاطاحة به والقضاء عليه وإنْ تكررت ولكن من الصعوبة تصديق قيام تفاهم بين بابك والأفشين ، وعلى ماذا ؟ على إعادة الكسروية والمجوسية ؟ وكلنا يعلم أن المزدكية خاصمت الكسروية والديانة الزرادشتية ، فكيف يسعى الخرميون لإعادة ذلك والخرميون متطورون عن المزدكية ؟ فلا يمكن قيام تفاهم بين بابك والأفشين حيث كانا على طرفي نقيض ، لقد تكونت لدى الأفشين (الذي هو تركي وليس إيرانياً) مطامح وميول في السيطرة وقد يكون إسلامه ضعيفاً ويرغب في العودة الى دينه السابق ولكن اتفاق الثلاثة على إعادة مجد الأكاسرة والديانة المجوسية لا يمكن قبوله ، أما مكاتبات المازيار الى بابك والأفشين وإنْ أنكرها المازيار نفسه فيمكن قبولها ، وكان الدافع له في ذلك توطيد حركته . متى بدأت الحركة ؟ وأين ؟ هنالك اختلافات في المصادر عن تأريخ الحركة فالبلاذري يقول عن المازيار إنه قام (بعد ست سنوات وأشهر من خلافة «المعتصم»(١١٣) ، أي في عام ٢٢٤هـ ٨٣٩م ، ويذكر عنه أنه ضرب بالسياط فلما رفعت السياط عنه مات فصلب بسر من رأى مع بابك الخرمي وذلك سنة ٢٢٥)(١١٤) . ولا يشير الدينوري الى

السنة ولكنه يذكر أنه قام في طبرستان (حتى قتله وصلبه الى جنب بابك)[١١٥] ولا شك في أن المقصود الى جانب خشبة بابك وليس في زمن واحد حيث صلب بابك في عام ٢٢٣هـ . أما اليعقوبي فيذكر روايتين يعتبر المازيار أولا انتفض في عهد المأمون[١١٦] وفي الثانية في عهد المعتصم ويقول فيها (... وقدم به سنة ٢٢٦ فضرب بالسياط حتى مات وصلب الى جانب بابك)[١١٧] ، أما الطبري فيعتبر الانتفاضة في طبرستان فقط وبدأت في عام ٢٢٤هـ[١١٨] ويعتبر وفاته تحت السياط سنة ٢٢٥هـ[١١٩] ، أما المسعودي فيذكر في عام ٢٢٥هـ صلب المازيار الى جانب بابك[١٢٠] ، وأما البغدادي فلا يذكر السنوات وقد ذكر جرجان كميدان لحركة المازيار بالاضافة الى ذكره طبرستان . يقول البغدادي (وأما المازيارية منهم فهم أتباع مازيار الذي أظهر دين المُحمرة بجرجان)[١٢١] وله أيضاً (وكانت فتنة مازيار قد عظمت في ناحيته الى أن أخذ في أيام المعتصم وصلب بسر من رأى بحذاء بابك الخرمي)[١٢٢] . ويظل البغدادي يصر على ذكر جرجان فعند كلامه عن المتأخرين من الخرمية يقول (واتباع مازيار اليوم في جبلهم أكرة من يليهم من سواد جرجان)[١٢٣] ، ثم يعود فيذكر طبرستان مع جرجان وذلك عند كلامه عن عبد الله أخي بابك) ثم أخذ أخوه اسحاق وصلب ببغداد مع مازيار صاحب المحمرة بطبرستان وجرجان)[١٢٤] . وقد وقع البغدادي في أخطاء كثيرة هنا فقد أورد النص على شكل يظهر فيه اسحاق كأنما هو أخو بابك ، بينما اسحاق هو أمير بغداد الذي عهد اليه صلب عبد الله كما مر بنا ، ثم يذكر ان المازيار صلب في بغداد وكل المصادر تشير الى صلبه في سامراء ، ان جملة (أخذ أخوه اسحاق) لا يمكن أن تعني سوى أن اسحاق هو أخو بابك لأن الفعل صيغ على هيئة المبني للمجهول ولهذا يتعذر اعتبار اسحاق فاعلاً وكان الصحيح أن يكتب وأخذ أخاه اسحاق . لقد انفرد البغدادي بجعل جرجان ميداناً لفعاليات المازيار وأظنه حسب محاولة غزو جرجان من قبل اتباع المازيار ، والتي لم يكتب لها النجاح كما يوضح الطبري[١٢٥] ، حسب ذلك توسعاً لفعاليات المازيارية حتى شملت جرجان ، ولوجود بقايا الخرمية (المحمرة) والذين لعبوا دوراً انشط من خرمية طبرستان فيما مضى غير أنهم لم يستطيعوا الانضمام الى خرمية طبرستان ابان انتفاضة المازيار . لقد أخذ باقوال البغدادي كل من

يامبولسكي[١٢٦] والدوري[١٢٧] وبونيياتوف[١٢٨] ، ولكنني لا أميل الى الأخذ به لأن غالبية المصادر ذكرت طبرستان دون غيرها ميداناً للحركة ، إلاّ الذهبي ، وهو من المتأخرين ، فقد ذكر جرجان[١٢٩] أيضاً ، ولأن عبد الله بن طاهر والي خراسان الدائم كان قد سارع في إرسال جيش الى حدود طبرستان ليمنع قوات المازيار من التوغل في الأراضي الجرجانية ، لأنه كان يخشى من انتشار الحركة بين محمرة جرجان حيث كانوا بعدد يحسب له حسابه . ولقد وفق في صد القوات الزاحفة نحو جرجان وأوقفها عند الحدود كما يروي ذلك الطبري : (ثم وجه مازيار أخاه فوهيار الى مدينة طميس وهي على حد جرجان من عمل طبرستان فخرب سورها ومدينتها... ثم توجه بعد ذلك الى طميس سرخاستان وانصرف عنها فوهيار فلحق بأخيه المازيار... وانتهى الخبر الى عبد الله بن طاهر والي المعتصم فوجه اليه عبد الله بن طاهر عمه الحسن بن الحسين بن مصعب وضم اليه جيشاً كثيفاً يحفظ جرجان وأمره أن يعسكر على الخندق الذي عمله سرخاستان في طميس الى البحر على الحدود بين طبرستان وجرجان ، فنزل الحسن بن الحسين معسكراً على الخندق الذي عمله سرخاستان وصار بين العسكرين عرض الخندق)[١٣٠] .

من المصادر المتقدمة نعلم أن الانتفاضة كانت قصيرة الأمد حيث اتفقت غالبية المصادر على أن عام ٢٢٤هـ هو بداية الانتفاضة وأن المازيار صلب في سامراء بعد أن مات تحت السياط في عام ٢٢٥هـ ، ولا شك في أن المازيار لم يحسن توقيت انتفاضته إذ أنه لو قام بها في سنوات سابقة أيام كانت جهود الخلافة كلها موجهة للقضاء على الانتفاضة البابكية في أذربيجان لربما كانت الظروف مواتية له أكثر من التاريخ الذي قام به ، هذا الى أن المازيار لم يكن زعيماً روحياً أو رئيساً لفرقة الخرمية في طبرستان كما كان بابك ، وإنما كان أميراً ذا مطامح في التحرر من نفوذ السلطة استخدم حقد الخرمية على الاقطاع والسلطة ، لهذا لم يكن هنالك تجاوب روحي تام بينه وبين الجماهير المنضمة الى حركته . إن استغلاله حقد خرمية طبرستان وقيادته لانتفاضة الفلاحين الخرمية وتشجيعه لبابك قد أوحته مصالحه الشخصية ، وإلا فبماذا يبرر تفاهمه مع الأفشين والذي هو عدو الخرمية وعدو الجماهير المنتفضة سواء في شمال أفريقيا بما فيها مصر أم في ايران وأرمينيا وأذربيجان ، أليس هو الذي قضى على

الانتفاضة البابكية ؟ . وما كان الأفشين مخلصاً أبداً لقضايا الجماهير وإنما كان في اتفاقه مع المازيار يسعى لاغراضه الشخصية . لقد قاد المازيار الحركة الفلاحية وشجع الفلاحين على قتل ونهب أملاك الاقطاعيين من أجل تحطيم ركائز السلطة والقضاء على الخطر الذي يهدده من الخلف . إن المازيار وإن قاد حركة فلاحية اجتماعية سعت الى تحرر الفلاحين من ربقة الاقطاعيين إلاّ أن تلك الحلول بالنسبة له كانت وسائل لتحقيق أغراضه لا غايات سعى لها من أجل تحقيق أهداف جماعته ، ولهذا وجدنا تقاعس الفلاحين وترددهم وعدم مشاركتهم بصورة جماعية ، ولهذا كان عمر الانتفاضة قصيراً . أما السبب الذي أدى الى قيام المازيار بالانتفاض حسب رأي المصادر فإنه كان يطمع بالتخلص من نفوذ السلطة ويكره ويحسد آل طاهر ولاة خراسان ، حيث كان يتبعهم مباشرة ، ولهذا استنكف عن تحويل الضرائب السنوية الى خراسان ، وبدأ بتوجيهها الى العاصمة . إلا أن المعتصم كان يعيدها من منتصف الطريق الى عبد الله بن طاهر والي خراسان ، مما كان يثير حقد عبد الله على المازيار حتى إذا اطمأن الى الأفشين وشجعه هذا الأخير انتفض . ولم تشر المصادر الى تعاظم جور الاستغلال الاقطاعي ، والذي ادى الى اشتداد حقد المستغلين ونفرتهم من التسلط ، وكان المازيار بين أمرين : إما الوقوف مع الارستقراطية المساندة للسلطة ، وإما مع الجماهير ، فمال الى استغلال حقد الجماهير وتحويله لمصالحه .

علاقة منكجور الفرغاني خال ولد الأفشين بالبابكية:

في العام الذي انتفض فيه فلاحو طبرستان بقيادة المازيار حصل تمرد منكجور الفرغاني وكيل الأفشين على أذربيجان . وكان الأفشين قد عُين والياً على أذربيجان ، وبعد أن تم اخماد الانتفاضة البابكية قفل راجعا الى العراق واصطحب معه بابك وبقية الأسرى بعد أن وضع يده على جميع خزائن وأموال البابكية وترك منكجور الفرغاني وكيلاً عنه على ولاية أذربيجان ، وبعد عامين (٢٢٤هـ/ ٨٣٩م) تمرد منكجور على الخلافة ، وقد انضمت اليه فلول الخرمية التي نجت من الموت وأفلتت من الأسر ولم يكن انضمام بقايا البابكية لتمرد منكجور بسبب تأييدهم له وموافقتهم لنهجه ومطلبه ولكن -كما يخيل لنا ـ انضموا بدافع أخذ الثأر وبسبب تعاظم حقدهم على ازدياد

الجور والتعسف . أما اسباب تمرد منكجور فهناك روايتان ، يذكر اليعقوبي (وكان أول سبب حبس الأفشين أن منكجور الفرغاني خال ولد الأفشين وخليفته بأذربيجان خلع هناك وجمع اليه أصحاب بابك وسار الى ورثان فقتل محمد بن عبيد الله الورثاني وجماعة من أولياء السلطان ، فقال المعتصم للأفشين أحضر منكجور فوجه اليه المعتصم بأبي الساج المعروف بديوداذ في جيش عظيم ثم بلغ المعتصم أن منكجور إنما خلع بأمر الأفشين وانما وجه اليه بأبي الساج مددا ، فوجه محمد بن حماد على البريد ووجه بغا التركي فحارب منكجور فطلب الأمان فأعطى وجيء به الي سامراء »(١٣١) ، فاليعقوبي لم يوضح بدقة سبب تمرد منكجور وإنما عزاه الى الأفشين وأن الخليفة سخط عليه لما قتل محمد الورثاني وجماعة الخليفة في مدينة ورثان . أما الرواية الثانية التي يرويها الطبري تقول « خالف منكجور الاشروسني قرابة الأفشين بأذربيجان... فأصاب في قرية بابك في بعض منازله مالاً عظيماً ، فاحتجزه لنفسه ولم يعلم به الأفشين ولا المعتصم ، وكان على البريد بأذربيجان رجل من الشيعة يقال له عبد الله بن عبد الرحمن فكتب الى المعتصم بخبر ذلك المال وكتب منكجور يكذّب ذلك ، فوقعت المناظرة بين منكجور وعبد الله بن عبد الرحمن حتى هم منكجور بقتل عبد الله بن عبد الرحمن ، فاستغاث عبد الله بن عبد الرحمن بأهل أردبيل فمنعوه مما أراد به منكجور فقاتلهم وبلغ ذلك المعتصم فأمر الأفشين أن يوجه رجلاً بعزل منكجور ووجه رجلاً من قواده في عسكر ضخم فلما بلغ منكجور ذلك خلع وجمع اليه الصعاليك وخرج من أردبيل فرآه القائد فواقعه فانهزم »(١٣٢) يجعل الطبري سبب الخلاف هنا هو عثور منكجور على اموال وامتناعه عن تسليمها . هاتان الروايتان وإنْ اختلفتا بالاسباب لكنهما صورتا حقيقة الوضع المتردي في أذربيجان . وإن انضمام البابكية للمتمرد الفرغاني عكس التذمر الشعبي ودل على أن انتصار الخلافة على بابك لم ينه النزاع ولم يضع حداً لسخط الجماهير على الاستغلال والارهاق .

نهاية الافشين:

ارتبط اسم الأفشين بالانتفاضة البابكية حيث تم على يده ـ كما مر بنا ـ سقوط البذّ وأسر بابك ، ولأن لنهايته علاقة بالانتفاضة البابكية ، لا بد لنا أن نطلع على

نهايته . حُكم الأفشين متهما بالزندقة والالحاد وبسرقة الاموال التي وضع يده عليها بعد احتلال البذ وبالخيانة بممالأته بابك وتهاونه مع وكيله على أذربيجان منكجور وتشجيعه للمازيار على الانتفاض . ولم يشفع له إخلاصه ولا حسن بلائه في الحروب التي قادها ظافراً منتصراً سواء في إخماده الانتفاضات الجماهيرية في شمال افريقيا بما فيها مصر أو في أذربيجان أو في حروبه مع الروم ، فقد حُكم عليه بالحبس ومات في سجنه وصلب وأحرقت جثته(١٣٣) وانتهى نتيجة صراع الارستقراطية الملتفة حول القصر . يقول الدينوري «ثم أن أحمد بن أبي داود وَجَدَ على الأفشين لكلام بلغه عنه فأشار على المعتصم أن يجعل الجيش نصفين نصف مع الأفشين ونصف مع اشناس وفعل المعتصم ذلك فَوَجَدَ الأفشين منه وطال حزنه واشتد حقده»(١٣٤) . ونتيجة أطماعه الشخصية فقد أثار خصماً عنيداً هو عبد الله بن طاهر والي خراسان ، ويرجع الطبري الخصومة بينهما الى أيام حروبه في أذربيجان .(١٣٥) وكان في اطماعه يمثل بداية محاولات تسلط الامراء الاتراك وقد اشار الذهبي «وخافه أيضاً المعتصم»(١٣٦) ، ولم يكن الأفشين ليعدم منافسين له من بين الاتراك أنفسهم . ولقد أبدى ملاحظته حينما اقتاده بغا الكبير الي السجن حيث قال «قد كنت أتوقع هذا منكم قبل اليوم»(١٣٧) .

ويشير ليفي الى أن الأفشين «قد أثار غيرة منافسيه وعداوتهم فعملوا على إسقاطه باتهامه بالزندقة»(١٣٨) قام بمحاكمة الأفشين جماعة على رأسهم أحمد بن داود ومحمد بن عبد الملك الزيات . وقد وجهت اليه تهم عديدة وجوبه بشهود عديدين منهم المازيار صاحب طبرستان والموبذ والمرزبان بن تركش ، أمير من الصغد ، ومسلمين من الصغد أحدهما مؤذن المسجد والآخر إمام فيه . ويفصل الطبري المحاكمة(١٣٩) وملخصها : سأل محمد بن عبد الملك الزيات الأفشين عن سبب جلده لإمام ومؤذن جامع الصغد ، فأجاب الأفشين بأنه ضرب كل واحد منهما الف سوط (الرقم مبالغ فيه كثيراً) لأنهما بنيا مسجداً بأشروسنه ، وبينه وبين ملوك الصغد عهدٌ وشرطٌ أن يترك كل قوم على دينهم . سأل محمد عن سبب احتفاظه بكتاب الحاد مزين بالذهب والجوهر والديباج . أجاب الأفشين بأنه ورثه عن أبيه وكان يعنى بأدبه ويهمل كفره ، وكان في غنى عما فيه من الجواهر ، ثم طعن بشهادة الموبذان (الذي ذكر بأن الأفشين كان يأكل المخنوقة وهو غير مطهر) ، وقال عنه بأنه لم يكن ثقة .

ولما تقدم المرزبان بشهادته التي جاء فيها أن الأفشين كان يستلم رسائل الاشروسنيين التي يبدؤونها الى الاله من عبده فلان بن فلان ، صرخ محمد بوجه الأفشين : فماذا أبقيت لفرعون ؟ فأجابه الأفشين : هذه عادة القوم لأبي وجدي من قبلُ ولي قبلَ أن أدخل الإسلام فكرهت أن أضع نفسي دونهم فتفسد عليَّ طاعتهم . ثم جيء بالمازيار وسئل عن الرسائل المتبادلة بينهما فأنكرها المازيار ولكنه قال بأن خاش أخا الأفشين كتب الى أخي قوهيار (لم يكن ينصر هذا الدين الأبيض غيري وغيرك وغير بابك... ويعود الدين الى ما لم يزل عليه أيام العجم)[١٤٠] فاستغرب من تحمله مسؤولية رسالة بين أخويهما وحتى لو صدرت منه فهي وسيلة لاستدراج المازيار . وتوجه بالسؤال الأخير اليه أحمد بن أبي داود فسأله أمطهر أنت ؟ فأجاب بالنفي . فسأله أحمد ولكن ذلك يكمل إسلامك ؟ فأجاب أن الذي منعه من ذلك هو الخوف . وقال فيما بعد أنه خشي أن يقول نعم فلا يصدق وتكشف عورته . وبعد أن طرح أحمد سؤاله الأخير أعلن للحكام : قد بان لكم أمره . يا بغا عليك به فضرب بيده بغا على منطقته فجذبها[١٤١] ولم يُسأل الأفشين عن ممالأته لبابك أو تهاونه مع منكجور ، ولكن المؤرخين يوجهون هذين الاتهامين اليه في مناسبات عديدة ويروي الطبري رواية عن محاولة الأفشين لسم المعتصم أو كبار القواد الاتراك في وليمة يعدها لذلك الغرض[١٤٢] . ولقد صورها ابن اسفنديار في كتابه تاريخ طبرستان وأشار الى أن المازيار أعلم عبد الله بن طاهر بقرب نهاية المعتصم على يد الأفشين ولما سقاه كثيراً من الخمر وسكر ذكر تفاصيل المؤامرة[١٤٣] . ولكن طابع الاختلاق فيها واضح ، إذ كيف تسنى للمازيار أن يعرف نوايا الأفشين واليوم الذي ستتم فيه المؤامرة كما وأنه يسمي أولاد المعتصم بالقابهم (الواثق والمتوكل) مع العلم بأن الالقاب لقبوا بها عند توليهم الخلافة أي بعد ممات المازيار[١٤٤] . لا يستبعد ضعف ايمان الأفشين بالاسلام ولا مجال لنكران مطامحه ومساهمته مع ارستقراطيين في دس الدسائس بناء على تنافس الارستقراطيات الثلاث (العربية والايرانية والتركية) وتشجيعه للمازيار على الانتفاض ومنكجور الفرغاني على التمرد ولكن ممالأته لبابك لا أساس لها من الصحة وإنْ وردت في كثير من المصادر العربية كما مر بنا ـ ونورد على سبيل المثال اقوال البغدادي في الأفشين : «واتهم أفشين الحاجب بممالأة بابك في حربه وقتل لأجل

ذلك .»[١٤٥] ، وذكروا أنه دخل في دعوتهم (الخرمية) الأفشين صاحب جيش المعتصم وكان مراهنا لبابك الخرمي... واخرج الخليفة لقتالهم الأفشين فظنه ناصحاً للمسلمين وكان في سره مع بابك وتوانى بالقتال معه ودله على عورات عسكر المسلمين وقتل الكثيرين منه... ولما قُتِلَ بابك ظهر للخليفة غدر الأفشين وخيانته للمسلمين في حروبه مع بابك فأمر بقتله وصلبه فصلب لذلك»[١٤٦] . ولقد بينا في حينه خطل هذه الآراء وأن الأفشين كان جادا في حربه مع بابك وأن الظروف الطبيعية والمناخية وتمرس الخرميين في القتال بمناطقهم الوعرة قد أجبرت الأفشين على التواني كما وأن المعتصم أنعم على الأفشين بأعظم التقدير والتبجيل وأمر الشعراء بمدحه . يذكر الطبري «فتوج المعتصم الأفشين وألبسه وشاحين بالجوهر ووصله بعشرين ألف ألف درهم (عشرين مليونا) منها عشرة آلاف الف صلة وعشرة الاف الف درهم يفرقها في أهل عسكره ، وعقد له على السند وأدخل عليه الشعراء يمدحونه»[١٤٧] . ويقول المسعودي «وتُوِّجَ الأفشين بتاج من ذهب مرصع بالجوهر واكليل ليس فيه من الجوهر الا الياقوت الأحمر والزمرد الأخضر قد شبك بالذهب ، وألبس وشاحين وزوج المعتصم الحسن بن الأفشين بأترجة بنت اشناس وزفت اليه»[١٤٨] . فلا يعقل أن يكرم المعتصم الأفشين بعد تهادنه أو تعاونه مع عدوه بابك . وقد يقال إن ذلك التعاون ربما كان في الخفاء ، ولكن ألم يكن للخليفة العيون والأرصاد ؟ وهؤلاء منبثون بين الجند والثوار ويخبرون الخليفة بكل شيء . ولِمَ لم يرد ذكر الخيانة في المحاكمة ؟ إنّ ابن أبي داود وابن الزيات وغيرهم لم يشيروا الى تعاونه مع بابك . لكن ذلك الاتهام جادت به قرائح المؤرخين لتبرير الحكم أكثر . إن السبب المباشر والحقيقي هو تنافس الارستقراطيين الملتفين حول القصر ومعاداة آل طاهر ولأطماع الأفشين وتخوف المعتصم من تعاظم نفوذ الأفشين كما قال الذهبي «وخافه أيضاً المعتصم»[١٤٩] .

أثر الانتفاضة البابكية في النظام الاجتماعي والسياسي للخلافة

إن الانتفاضة البابكية ، التي دامت عشرين عاماً ، لم تستطع ، شأنها شأن باقي انتفاضات الخرمية ، وكل انتفاضات مجتمع العبودية والاقطاع ، أن تضع حداً للاستغلال وذلك لعدم نضوج الشروط الضرورية لمثل هذا الأمر ، فمستوى الانتاج لم يكن يسمح بعد بالانتقال الى نظام خال من الاستغلال والاضطهاد ، لأنها كانت

تفتقر الى التنظيم . ولم يكن لدى المتنفضين أنفسهم إدراك واضح لا لأهداف النضال ولا لطرق تحقيقها . فلم يكن المتنفضون في تلك العهود يملكون نظرية تقدمية تنير طريقهم في النضال ولا حزبا . وهذان الشرطان الأخيران تكونا فقط في عهد الرأسمالية(*) . ولكن الانتفاضة البابكية لم تمر كسحابة عابرة في سماء الخلافة العباسية دون ان تحدث تأثيراً ، بل إنها تركت آثاراً جسيمة في النظام الاجتماعي والسياسي معاً إذ أنها زعزعت كيان الخلافة وكبدتها الخسائر الفادحة في الأموال والأرواح ، والتي تضاربت اقوال المؤرخين في تقديرها بين ربع مليون الى مليون قتيل ، مما أضعف معنوياتها وأهبط سمعتها فتقلص نفوذها المركزي على الأطراف مما شجع الأمراء الارستقراطيين على الاستقلال المحلي ، كالطاهريين ، كما وتشجع الاتراك ، فيما بعد ، على التطاول على شخص الخليفة ، بل أن المعتصم خشي من زعماء الاتراك وكان قد خشي الأفشين كما مر بنا .

نشوء وتوطد الامارات الاقطاعية وتطور الاقطاع:

واكبنا ـ سابقاً ـ مسيرة الاقطاع ونموه ، وقلنا إن عدم تطور الاقطاع بوتائر أسرع كان يعود الى عدم اكتمال شروط التملك الاقطاعي للارض وهذا يرجع عدا العوامل الطبيعية وطريقة الارواء ، الى قوة السلطة المركزية والى غياب الامراء الاقطاعيين عن أراضيهم وسكناهم في العاصمة ، غير أن هذه الحال لم تدم بعد تعرض الخلافة للهزة العنيفة التي حلت بها من جراء الحروب المهلكة التي خاضتها لاخماد الانتفاضة البابكية . فقد أظهرت الخلافة طيلة عشرين عاماً عجزها عن القضاء على بابك بل كانت جيوشها في أغلب الأحيان تنهزم أمام قوات البابكيين مما ترك انطباعاً سيئاً حول مقدرة الخلافة وزعزع هيبتها لدرجة تجرأ فيها الكندي على الطعن بقدرة الجيوش العباسية والتهكم عليها نتيجة انتصارات جيوش بابك عليها . ولهذا وجدت الامكانات الطبيعية لتقليص الارتباط بالمركز . ومهما عد المؤرخون والباحثون عصر المأمون من العصور الزاهية العظيمة فإن في ذلك العصر بالذات نشأت الامارات الاقطاعية نتيجة ضعف السلطة المركزية في بغداد حيث نشأت الإمارة الطاهرية في

(*) ف . افناسييف ، أسس الفلسفة الماركسية ، ترجمة عبد الرزاق الصافي ، بيروت ، ص٢٢١ .

خراسان والمازارية في طبرستان وبعد وفاته (المأمون) بطريقية سهل بن سنباط في أران . ولم يغير انتصار الخلافة على بابك من الموضوع شيئاً ، فإن هيبة الخلافة السابقة ونفوذها السابق لم يعودا إلى الوجود . يذكر مينورسكي «بالرغم من إعدام بابك فإن احتلال العباسيين للقفقاز قد ضعف تدريجياً كما ظهر من تطور الابتعاد عن السلطة المركزية في العائلة الساجية»(١٥٠) . ويعزو خدابخش نجاح الطاهريين في جعل الولاية وراثية في أسرتهم في عهد المأمون الى السياسة وليس الى القوة(١٥١) ، ولكن فات خدابخش أن الخلافة كانت مكرهة على قبول إمارة الطاهريين وأن لا سبيل لها في إزاحتهم لضعفها فلم يحتاجوا للقوة .

تسلط الاتراك على الخلفاء:

كان الصراع بين الارستقراطيتين العربية والايرانية قد بلغ أوجه في الحرب الأهلية بين الأمين والمأمون ، وانعكس هذا الصراع على الجيش العباسي فلم يأمن المعتصم الاعتماد على الجيش المؤلف بصورة رئيسة من العرب والايرانيين ومعهم البربر وأسرى الحروب ، والذي انقسم على نفسه وقل احترامه لرؤسائه وفقد الثقة بنفسه ، نتيجة الانكسارات والانحدارات والهزائم المتلاحقة في الجبهة الأذربيجانية مع الخرميين ، ولجهل غالبية افراد الجيوش العباسية الحرب في الجبال دفع المعتصم الى ان يستعمل غلمانه الأتراك الذين كان قد استجلبهم لاستخدامهم كرقيق وحرس له ، دفعته الاسباب الآنفة الى ان يستعمل غلمانه الاتراك ويزج بهم في حروب أذربيجان ضد بابك ، وكانت براعتهم في قتال الجبال وتمرسهم فيها خير معين لهم في كسب المعارك ، وكانت هزيمة بابك وانتصار القادة الاتراك المساهمين في الحملة وعلى رأسهم الأفشين قد تركا لديهم انطباعاً بأن لهم الفضل وحدهم في ذلك الانتصار الحاسم . يضاف الى ذلك مساهمتهم في فتح عمورية فتكونت لديهم دالة على الخلافة وبدأوا يساهمون في الخصومات الدائرة بين الارستقراطيين الملتفين حول القصر ، كاشتراك البعض منهم في مؤامرة العباس بن المأمون ضد المعتصم(١٥٢) ، كما وأن القضاء على الأفشين كان بسبب التنافس على النفوذ . ولئن ذهب الأفشين ضحيتها فان البقية لم يكفوا عن النشاط والمساهمة في الخصومات والدسائس والمكائد البلاطية حتى استطاعوا ان

يكونوا لهم نفوذا بارزاً ويلعبوا دوراً رئيساً في تعيين وعزل الخلفاء وسمل أعينهم وقتلهم حتى غدا الخلفاء ألعوبة بأيديهم وحتى تندر عليهم الشعراء فقالوا :

خليفة في قفص بين وصيف وبغا
يقول ما قالا له كما تقول البغا

وقال دعبل في ذم المعتصم :

لقد ضاعَ أمرُ الناسِ حيث يسوسهم وصيفٌ واشناسٌ وقد عَظُمَ الخطبُ
وإني لأرجو أن ترى من مغيبها مطالعُ شمسٍ قد يَغَصُ بها الشرْبُ
وهمك تركي عليه مهانةٌ فأنت له أم وأنت له أب[١٥٣]

ويقول شاعر الزط :

فاستنصروا العبد من ابناء دولتكم من يازمان ومن بلج ومن توز
ومن شناسَ وأفشينٍ ومن فرجٍ المعُلمينَ بديباج وإبرز[١٥٤]

ويشير خدابخش الى أن بداية سيطرة الاتراك على جيش الخلافة كانت واحدا من الاسباب الكثيرة التي أدت الى سقوط الدولة العباسية[١٥٥] . والى هذا المعنى أشار الدوري[١٥٦] . ولم يقتصر ضرر تقريب الأتراك على الخلفاء وحدهم بل سبق وأن لحق جماهير بغداد أذى هؤلاء الجفاة ، فيذكر ابن الطقطقي «وقيل إن المعتصم استكثر المماليك فضاقت بهم بغداد وتأذى بهم الناس وزاحموهم في دورهم وتعرضوا بالنساء »[١٥٧] .

ومن آثار الانتفاضة العميقة في الحياة السياسية للخلافة :

انقسام الامبراطورية الاسلامية العظيمة اثناء وبعد انتهاء الانتفاضة:

قبل مجيء المأمون كانت الخلافة العباسية امبراطورية شاسعة مترامية الأطراف لم

يخرج من حوزتها إلا الأندلس (شبه جزيرة ايبريا) وكانت تمتاز بقوة السلطة المركزية وبهيبة السلطان . ولكن الحروب المستمرة التي خاضها الخرميون والمكللة بالانتصارات دوماً أضعفت قوة السلطة المركزية فبدأت تظهر الامارات الاقطاعية الوراثية المستقلة في الولايات حيث نشأت الطاهرية ٨٢١ - ٨٧٣م) في أثناء الاندحارات والهزائم التي منيت بها الخلافة ، وبالرغم من تمكنها أخيراً من الاجهاز على بابك إلاّ أن تأثير الانتفاضة ظل يعمل في زعزعة نفوذ السلطة المركزية ، وهكذا نشأت الامارة الصفارية (٨٧٦ - ٩٠٣م) والسامانية (٨٧٥ - ٩٩٨م) والغزنوية (٩٦٢ - ١١٨٦) في الجهات الشرقية من الخلافة والطولونية (٨٦٨ - ٩٠٥) في الجهات الغربية من الخلافة (مصر) . ولا يخفى أن نشوء هذه الامارات الأرستقراطية الوراثية كان مرجعه ضعف نفوذ الخلفاء وتقليص سلطانه في الاطراف بسبب عجزهم عن مقاومة الانتفاضة الخرمية في حينه ، ولهذا فنشوء الامارات هو أسلوب لتطور الاقطاع ونمو اللا مركزية . ولم تعد عاصمة الخلافة سامراء أو بغداد ، فيما بعد ، لتغري الطامعين من الأمراء على المكوث فيهما والتردد على السلطان ، بل أخذ هؤلاء يتوجهون الى الأطراف لتكوين كيانات مستقلة لها عواصمها وجيوشها ونفوذها مكتفية بالاعتراف الاسمي بسيطرة الخلافة ، اما من الناحية الفعلية فلم يكن للخلافة أي نفوذ عليها . ولقد شجع هذا الاستقلال على تطوير الاقطاع بوتائر أسرع مما كان عليه في بداية العصر العباسي الأول .

سقوط هيبة الخلافة:

كان للخلافة قبل الانتفاضة سمعتها وقدسيتها وهيبتها لدى الشعوب وكان اسم الخلافة يتردد بهيبة وخشوع ، ولئن تعرضت الخلافة العباسية الى انتفاضات وتمردات وحروب واسعة إلاأنّ سمعة الخلافة وجلال السلطان ظلا مرتفعين . ولئن هددت الانتفاضات والحروب أمن الخلافة وسلامة البلاد بالخطر فإن هيبة الخلافة ظلت محافظة على مكانها المرموق . إلا أنه في الانتفاضة البابكية لم تتعرض سلامة الخلافة للخطر فقط ، بل ارتعش جلال السلطان وسقطت هيبة الخلافة من عليائها من جراء تخاذلها

وعجزها عن كسب المعارك مع المنتفضين رغم توفر الامكانات الواسعة لديها ، وقد ولد عجز الخلافة عن احراز النصر انطباعا سيئاً لدى الشعوب نجم عنه استصغار شأن الخلافة وعدم المبالاة بسلطانها وسطوتها وهذا ما جرأ الكندي المسيحي على أن يقف في بلاط المأمون وأمام علماء المسلمين ليتطاول على أقدس ما يعتز به المسلمون ، وكانت حججه الدامغة انتصارات بابك نفسها وعجز جيوش المسلمين عن الوقوف أمامه . يقول الكندي : لو كان الله مع المسلمين والمسلمون على حق فلماذا ينصر الله بابك الكافر ؟[١٥٨] ، وبمرارة وأسى أبلغ المأمون أخاه المعتصم بأن يبذل قصارى جهوده لإعادة هيبة الخلافة وذلك بالقضاء على الخرمية ، ولم يكن المعتصم بحاجة الى من يوصيه بخطر الانتفاضة البابكية وتأثيرها البليغ في هيبة الخلافة وما تسببه من تنامي فرص التخلص من نفوذ السلطة المركزية لدى الأطراف ، وأنّ استقلال الامارات الوراثية دليل على فقدان الخلافة لهيبتها وسلطانها . لقد فكر المعتصم بكل شيء واستخدم جل طاقاته للقضاء على الانتفاضة ولم يبخل بمال أوأي شيء . يقول الذهبي : «وقد أنفق المعتصم بيوت الأموال في حرب هذا (يقصد بابك)»[١٥٩] . لقد أراد أن يستعيد هيبة الخلافة وجلال السلطان بأي ثمن ، ولكنه وإنْ حقق النصر على بابك فإنه لم يستطع أن يعيد للخلافة رونقها وصيتها وجلالها . لقد فقدت ذلك الى الأبد . وكان هؤلاء الغلمان الاتراك الذين استخدمهم للقضاء على الانتفاضة قد أجهزوا على ما تبقى من هيبة مهلهلة متداعية ، فكان تسلط الاتراك على الخلفاء الضربة القاضية التي سددت الى سمعة الخلافة المتدنية .

ولئن تيسر للخلافة بعدئذ الفرصة لأن تتظاهر بالوقوف على قدميها ، ولو على وهن ، فإنها دون شك لم تعد ذلك الجبار المارد المهيب الذائع الصيت وإنما أصبحت كياناً هزيلاً واهياً معتمدة على ما لها من سابق عز ومجد ، فلهذا لم يبق للخلافة بعد خروجها من الانتفاضة البابكية وما رافقها من إرهاصات ، لم يبق لها رونقها وصيتها المجلجل المدوي .

بقايا الخرمية:

هل قضي على الخرميين عند القضاء على انتفاضة بابك بعد سقوط البَذّ ؟ هل

ركدوا وسكنوا ؟ أم حافظوا على تقاليدهم الثورية ؟ يخبرنا اليعقوبي عن انضمام الخرمية بعد عامين من سقوط البَذّ الى تمرد منكجور الفرغاني[١٦٠] ، وما كان انضمامهم الى هذا التمرد الذي يخالفونه في العقيدة والأهداف إلاّ لطلب الثأر ومقاومة التعسف والاستغلال . وفي الرسالة الثانية لأبي دلف الذي سافر وتجول في تلك المناطق بين ٣٣١ ـ ٣٤١هـ/ ٩٤٢ ـ ٩٥٢م يرد كلام عن جبل البَذّ (وفيه تعقد اعلام المحمرة المعروفين بالخرمية ومنه خرج بابك وفيه يتوقعون المهدي...»[١٦١] ، ولقد ذكر المسعودي أنه زار مناطق الخرمية ـ والتي ذكرناها في مناسبات سابقة ـ في عام ٣٣٢هـ (أي بعد مائة وعشرة أعوام من سقوط البذ) فوجد أكثر هؤلاء الخرمية في القرى والضياع وسيكون لهم عند أنفسهم شأن وظهور يراعونه وينتظرونه في المستقبل من الزمان الآتي[١٦٢] . كما أن المقدسي المتوفى٥٠٧هـ ذكر بأنه زارهم في مناطقهم وشاهدهم وناقشهم .[١٦٣] فمن هذه الاخبار نعلم أن الخرمية ظلوا بعقائدهم وآرائهم . وإذا لم يكتب للانتفاضة البابكية ، رغم عمقها وشمولها واتساع ميادينها واستطالة فترات أزمانها ، إذا لم يكتب لها النجاح لاسباب موضوعية وذاتية لاحظناها ، واذا لم تستطع ، شأن كل الانتفاضات والثورات التي قامت في عهود الرق والاقطاع ، أن تضع حدا للاستغلال ، فإن هذه الانتفاضة الواسعة لم تفقد ، ولا شك ، التأثير الكبير المدوي الذي لازمها فجأة وإنما تناقص ولا ريب ذلك التأثير الذي كان لها تدريجياً وخلال عدة قرون ، إذ لا يمكن قلع جذور حركة اجتماعية من محيطها بمجرد كسب معارك حربية على معتنقي مبادئها ، ولهذا ظلت الخرمية وظل أنصارها لأحقاب وإنْ لم يكن لهم ذلك التأثير . ونتيجة عدم الدقة في استخدام التعابير والمصطلحات الحديثة واطلاقها على عهود سابقة لأوانها وقع جوزي في ارتباك فكري حينما يقول : « إن البابكيين غلبوا على أمرهم وماتوا كحزب اشتراكي(؟) إلاّ أنهم عاشوا الى أيام سلجوق ومن ورثهم من سلاطين خوارزم كنحلة دينية لا أهمية لها كبرى »[١٦٤] .
وعلى النقيض من هذه الأقوال المرتبكة استخلص يامبولسكي عدم فقدان تأثير أي حركة اجتماعية في مسيرة تطور المجتمع . فقد كتب عن نهاية الانتفاضة البابكية : « فشل أي حركة اجتماعية واسعة لا ينهي تأثيرها الجدي في مسيرة تطور المجتمع الذي نمت ونضجت وتوسعت فيه[١٦٥] ، وهذا ما أكدته الحوادث وما اشرنا اليه سابقاً .

وقد نفت الموسوعة الاسلامية أن تكون نهاية بابك قد وضعت حداً لحركة الخرمية(١٦٦) ، وقد أشار بونيياتوف الى أن تلك النهاية لا تعني أن جماهير أذربيجان والمناطق المجاورة قد سكنت وهدأت(١٦٧) . ويخبرنا جوزي بأن المتأخرين من الخرمية اضطروا ان يتستروا ويخففوا دعوتهم وأن ينشروها بطرق خفية(١٦٨) . ويتوصل يامبولسكي من دراسته للشاعر نظامي(١٦٩) ، وفي اعتماده على آراء كريمسكي في تحليل الصوفية(١٧٠) ، إلى أنه دخل في صوفية أذربيجان الكثير من البابكيين ـ الخرميين بعد اندحار الانتفاضة الأذربيجانية(١٧١) . إن تقوقع الخرمية وتسربلهم بلباس الصوفية حصل تدريجياً مع ذوبان الروح الثورية لديهم بمرور الزمن ، ولا ريب أنهم نقلوا معهم الى الصوفية بعضاً من مفاهيمهم الاجتماعية حيث تركت انطباعاً او تأثيراً لدى هذا الشاعر او ذاك .

الخاتمة

لم تكن البابكية ـ انتفاضة الشعب الأذربيجاني بمعونة شعوب أخرى ضد الخلافة العباسية ـ وليدة الصدفة ، وإنما هي نتيجة حتمية طبيعية ولها جذورها العميقة في التاريخ . فمن أجل تشخيص أسبابها الحقيقية ودوافعها الرئيسة وأهدافها وبرامجها التي سعت الى تطبيقها تحتم الضرورة دراسة الفرقة الخرمية التي تنتمي اليها البابكية . ولما كانت الخرمية متطورة عن المزدكية اقتضى الأمر دراسة أحوال معتنقي أفكار هذه الفرقة وأهم مبادئها لكي تتوضح المعتقدات والمبادىء والبرامج في تسلسلها التاريخي وتطورها الزمني . لأن الانتفاضة البابكية وان كانت انتفاضة فلاحية ضد الجور والاستغلال الطبقي الاقطاعي والتسلط الحكومي ، فإنها اتخذتت التعاليم الخرمية الدينية اطاراً ايديولوجياً لها . وكما هو معروف فإنّ المعارضة الثورية ضد الاقطاع كانت تتخذ أحياناً ـ كما بيّن انكلز ـ شكلاً دينياً[١٧٢] . لقد قامت الانتفاضة البابكية في أذربيجان وفي جزء من أرمينيا وفي الجزء الشمالي الغربي من إيران ، فمن أجل معرفة ظروف وأحوال سكان تلك المناطق الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ولأجل دراسة سير تطور أساليب الانتاج وأثر ذلك في تغيير العلاقات الانتاجية ومشاهدة أثر كل ذلك في تغيير بناء المجتمع وتكوينه الاجتماعي والسياسي وتشخيص الصراع الطبقي والمفاهيم التي استغلت في تلك الميادين ، حتمت الضرورة دراسة الوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي لتلك البلدان قبل وبعد الفتح الاسلامي ومن ثم في العصرين الأموي والعباسي .

نشأت في تلك الاقطار ، بأوقات متفاوتة نسبياً ، بعد انحلال المشاعية ، مجتمعات العبيد ومن ثم مجتمعات الاقطاع ، وقد ظهرت الديانة الزرادشتية في إيران لمساندة الملاك ولتحبيذ الطاعة وخدمة الأسياد فناهضتها المانوية بفرديتها السلبية

وتقشفها وزهدها . وكان المجتمع الإيراني والأذربيجاني والأرمني ، بحكم السيطرة الساسانية ، يئن طيلة عهود مجتمع الرق من الظلم والاستغلال الطبقي المرهق ، فلما بلغت أزمة مجتمع العبيد ذروتها وكانت قد نمت الحرف والتجارة الى جانب الزراعة ، تصدت المزدكية ، التي كانت تعبيراً لأزمة مجتمع العبيد ، تصدت لمحاربة الاستغلال البشع وناهضت الزرادشتية ، دين الدولة الساسانية الرسمي ، المؤيد لتسلط الاشراف . وكان الصراع سجالاً حقق فيه الشعب بفلاحيه وعبيده وكسبته بعض المكاسب وأذعنت الارستقراطية ومعها الملك قباذ للواقع ولاقى المقاومون مختلف المصائر من قتل وتشريد ونهب أملاك ، ولكن الارستقراطية التي ضربت مصالحها وولي العهد (كسرى أنوشروان فيما بعد) الحاقد على المزدكية دبروا مؤامرة للقضاء على الحركة المزدكية وبرضى من قباذ وتحت علمه فأجهزوا على قسم من المزدكيين ، بضمنهم مزدك ، وأجهز أنو شروان على من تبقى عقب توليه الحكم . لقد نادت المزدكية بمشاعية الأرض الزراعية واحترام مركز المرأة إضافة الى اهتمامها بقضايا فلسفية دينية ، وكانت برامجها الاجتماعية عناصر جذب قوية وسط الفلاحين المعدمين والعبيد والكسبة وفقراء المدن وصغار التجار . ولئن أجهز على الغالبية من معتنقي المزدكية ، فإن المزدكية كفرقة لم تمت وعاشت سرية حيث ظهرت متطورة في العهد الاسلامي باسم الخرمية . لقد ساهمت المزدكية في الاجهاز على عهد الرق وساعدت على نشوء الاقطاع ، وكانت الضرائب التي وضعها أنو شروان وتوزيعه الأراضي على الأشراف ومساعدتهم مالياً نتيجة الحركة المزدكية ، قد ساعدت على الاسراع في نشوء الاقطاع أيضاً .

لقد كانت أذربيجان وأرمينيا وإيران مسرحاً للحروب بين الامبراطوريتين الساسانية والرومانية ـ البيزنطية وكان المجتمع يئن من نير الاستغلال الاقطاعي الذي نشأ ونما أبان الحركة المزدكية وفي أعقابها . وقد أنهكت الحروب كلتا الامبراطوريتين مما ساعد على تقدم الفتوحات الاسلامية بسرعة . ومن جراء محاولة العرب فرض الارستقراطية القبلية ولطبيعة الأرض ولعوامل المناخ وأثر ذلك في طريقة الارواء وابتعاد الملاك عن أملاكهم فان الاقطاع سار بوتائر أبطأ بالرغم من أن الخلفاء كانوا يقطعون الأرض لاعوانهم ، فلم تظهر الأراضي المكتملة فيها شروط التملك الاقطاعي

حتى نهاية العصر العباسي الأول . ومع ذلك فإن المجتمع كان اقطاعياً ، ومن أجل ذلك تتوجب دراسة الاقطاع ونموه في العهد الاسلامي ودراسة المجتمع وطبقاته الاساسية والثانوية المختلفة ودراسة الضرائب التي هي استمرار لأنظمة الضرائب البيزنطية والساسانية مع بعض التغييرات ، ودراسة معاملة أهل البلد المفتوح الموالي (المسلمين) والذميين (غير المسلمين) . ولقد عانت شعوب تلك البلدان من نير الاستغلال الاقطاعي والجور الحكومي المتمثل بفداحة الضرائب وازديادها على مر الأعوام ، فقد استسلمت المدن على قدر معين وحددت الجزية على الأفراد بالنسبة الى دخولهم ، ولكن الأمويين زادوا في كمية الضرائب على المدن وعلى الأفراد فجعلوها (على قدر الطاقة) بالرغم من أنها كانت محدودة (على قدر مسمى) مما أثار حفيظة الشعوب على الضرائب المتزايدة . ولقد أحتُقِرَتْ الشعوب المحكومة غير العربية ، ولهذا ساهم أبناء الشعوب المغلوبة (مسلمون وذميون) في انتفاضات عديدة من أجل تخفيف الضائقة الاقتصادية ومن أجل المساواة . لقد ناضلت الشعوب سياسياً وفكرياً من أجل تخلصها من نير الاستغلال الاقطاعي والجور والاحتقار الحكومي ، وأبرز مساهماتهم كانت مساهمة الشعب الإيراني في الدعوة العباسية . ولما لم يحقق العباسيون الوعود التي وعدوا بها انتفضت جماهير الفلاحين والكسبة والعبيد ضد السلطة بقيادة الخرميين ، الذين باشروا بدعايتهم الى مشاعية الأراضي الزراعية والتخلص من الضرائب المتزايدة والى احترام مركز المرأة ، منذ أواخر الحكم الأموي . وقد تميزت في العصر العباسي الصفات الطبقية في انتفاضات الخرميين أكثر من الانتفاضات التي ساهمت فيها الشعوب في العصر الأموي حيث كانت الارستقراطية المحلية ، المتضررة مصالحها ، مساهمة غالباً في الانتفاضات ضد الأمويين ، أما في انتفاضات الفلاحين الخرمية فكانت الارستقراطية المحلية مع السلطة ، وقد رفعت هذه الارستقراطية لواء الشعوبية بطابع رجعي ومعاد للعرب فتخلت عنها الجماهير اذ اعتمدت على النضال المسلح دون النضال الفكري . لقد قمعت الانتفاضات الفلاحية الخرمية ، الواحدة تلو الأخرى ، لكن أعظمها كانت الانتفاضة البابكية التي أنهكت قوى الخلافة العباسية طيلة عشرين عاماً وكان النجاح في سنوات (٢٠١هـ ـ ٢١٨هـ) حليف البابكيين بسبب درايتهم بحروب الجبال وتمنعهم في المناطق المنيعة ولانهماك الجيش العباسي

الضعيف في قمع انتفاضات فلاحي مصر والزط في العراق وخرمية إيران ولانشغاله في حروب الروم ، وكان ذلك في عهد الخليفة المأمون ، فلما جاء المعتصم وقد أخمدت الانتفاضات وأهمل شأن الجبهة البيزنطية ، تيسر للجيش العباسي ، الذي طعّم بعناصر كفوّة متدربة على قتال الجبال وأسندت قيادته الى قائد محنك وُضِعَ تحت تصرفه ما يبتغي من الأموال والرجال هو الأفشين وقد تم بناء الحصون والقلاع وترميمها من قبل قادة سبقوا الأفشين في أعوام ٢١٨ ــ ٢٢٠هـ ، فتمكن الجيش بقيادة الأفشين ومعه قادة ذوو مهارة وجلد ، في حروبه ٢٢٠ ـ ٢٢٢هـ أن يحقق انتصارات ويقلل من رقعة الأرض التي تحتلها الانتفاضة تدريجياً حتى تيسّر للأفشين أخيراً محاصرة البَذّ ، قلعة البابكيين الحصينة ومركزهم المنيع ، وفتحها . وكان لانتقال الاقطاعيين ، المنضمين الى الانتفاضة خوفاً ، من صفوفها الى صفوف جيش الخلافة وتهاون إمبراطور الروم في مساعدة الانتفاضة ، ذات البرامج الاجتماعية الخطرة على مصالحه ، كان لذلك أثر أيضاً في اندحار الانتفاضة . أما بابك ، الذي التجأ الى أرمينيا هرباً ، فقد سَلّمه غدراً أمير أرمني اقطاعي (سهل بن سنباط) ، الذي كوفئ على خيانته لحليفه السابق . وقد أعدم بابك في سامراء وأخوه عبد الله في بغداد واعتبر يوم القاء القبض عليه يوماً عظيماً وعيداً كبيراً ونصراً مؤزراً لجسامة الانتفاضة البابكية على الخلافة . لقد صورت الانتفاضة الفلاحية الأذربيجانية أبشع تصوير من لدن المؤرخين الحاقدين على كل انتفاضة جماهيرية ضد السلطة ، ولا غرابة في ذلك والانتفاضة قد أنزلت بالخلافة خسائر جسيمة بالأرواح والأموال وهددت المصالح الشخصية للطبقة الارستقراطية ، لهذا انبرى المؤرخون للهجوم عليها بأشد مما على كل انتفاضة أو حركة فلاحية قامت بوجه الاستغلال والجور . فقد وُصِفَتْ بالدعر والفسق والانحلال والإباحية وبالقساوة والوحشية والنهب والسلب ، تماماً مثل ما وصمت به الحركة المزدكية وسائر انتفاضات الخرمية ، واستخدمت التعابير السابقة وأضيفت عليها مستحدثات جديدة ، ووصم بابك بأنه ابن زنا وإباحي وكافر ومجرم ، وبجهود مثابرة توصلنا ، بالقدر الضئيل من الاقوال المنصفة المبعثرة هنا وهناك ، الى مناقشة تلك المفتريات ودحض الأقول المعادية والآراء الخاطئة . ولم يكن ذلك سهلا يسيراً نتيجة تراكم الاكاذيب والمفتريات واجترارها عبر سنين طوال ولتبني علماء برجوازيين

تلك المزاعم والطعون لاستخدامها من أجل تشويه الاشتراكية العلمية لافتراضهم أن الحلول الاجتماعية التي نادت بها تلك الانتفاضات شيوعية . ولقد انطلت تضليلاتهم ومع الأسف على بعض الكتاب السوفييت . لقد كان بابك ، العراقي الأصل الأذربيجاني الأم والمولد والمنشأ المسلم في حداثته ، رئيساً روحياً وفكرياً وقائداً سياسياً وعسكرياً لفرقة الخرمية ولم يصبح ملكاً أو أميراً إقطاعياً ولم يباشر تعدد الزوجات ، ولم يعتد على الآمنين المسالمين ، وإنما حارب المستغلين والسلطة ومن تعاون مها من اقطاعيي أذربيجان وأرمينيا وإيران ، فهو لم يحارب الإسلام أو العروبة ولم يسع لاعادة مجد الأكاسرة أو دين المجوس ، وإنما حارب الخلافة وحارب الاستغلال والتسلط . ففي صفوف الانتفاضة كان العرب والديالمة والإيرانيون والأكراد والأرمن ، كما أنه لم يتهاون مع القائد الطامع الأمير التركي الأفشين ولم يتفق معه سراً ولا علانية حيث لم ترد في محاكمة الأفشين الاشروسني أية اشارة الى ذلك ، ولكن المؤرخين دسوا ذلك ليبرروا إعدام القائد الطموح . لا يمكن قبول افتراض تفاهم بابك مع الأفشين لأن بابك قاوم الاقطاع والسلطة الممثلة لمصالحه والأفشين خير ممثل وأداة لمصالح الارستقراطية .

ولئن فُتحت البَذّ وأُعدم بابك فان الحركة العميقة الجذور في مجتمعها لم يقض عليها بسهولة ، وقد تركت آثارها الجسيمة في حياة الخلافة العباسية السياسية والاجتماعية أبرزها انقسام الامبراطورية ونشوء الامارات الاقطاعية وتوطد الاقطاع وتدني هيبة الخلافة وتسلط الاتراك على الخلفاء ، فضعفت السلطة المركزية وخرجت الخلافة من حروبها مع بابك واهنة ضعيفة فاقدة ذلك الصيت المدوي والجلال والهيبة . ولئن تيسر لها الوقوف على قدميها بعدئذ لكنها لم تسترجع مركزها المفقود أبداً فظلت تعيش على ذكريات أمجادها القديمة . أما من أفلت من الانصار المخلصين من البابكيين فقد ظلوا يحملون في طياتهم حبهم وولاءهم ، فما أن تمرد الوالي منكجور في أذربيجان حتى انضموا اليه رغم اختلافهم معه في الأهداف ، وما كان انضمامهم الا حقداً وكراهية للسلطة التي نكلت بهم .

لقد ظل الخرميون في أذربيجان طويلاً وترد في المصادر إشارات كثيرة إلى

ذكرهم واجتماعاتهم في جبل البَذّ . وتظل المصادر تردد كلمات بابكية ، محمّرة ، خرمية حتى القرن الثاني عشر الميلادي . ولا ريب أنهم تفتتوا بعد ضعف ثوريتهم وتقوقع البعض منهم في صوفية أذربيجان ناقلين معهم ما احتفظوا به من مفاهيمهم الاجتماعية ، ولربما تركوا أثراً في هذا الشاعر أو ذاك المفكر .

هوامش الفصل الخامس

(١) الفهرست ، ص ٤٩٤ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٤٩٤ .

(٣) الأخبار الطوال ، ص ٣٢٨ .

(٤) جاء في الهامش «يومنذ» . والكلمة غير واضحة ولا بد أنها اسم أم بابك ، تاريخ الرسل ، م ٣ جـ ٢ ص١٢٣٢ ، يسميها بونيياتوف (برومند) تاريخ أذربيجان ، ص ٢٣٧ .

(٥) م٣ جـ٢ ص١٢٣٢ .

(٦) يشير فلوكل الى أن الشهرستاني أهمل ذكر بابك ـ مقالة بابك ص٥٢١ .

(٧) اعتمد تومارا ، بابك ص٣٢ ـ ٤ ، ورايت مجلة العالم الاسلامي العدد ٣٨ لسنة ١٩٤٨ ، ص٤٥ ، ٤٦, ٤٧ ، علي رواية الفهرست ، ولقد وردت لدى الخضري مشوهة (نشأ بابك بن بهرام بقرية تدعى بلال أباد من رستاق ميمد ثم اتصل بجاويدان ابن سهرك ملك جبال البذ ورئيس من بها من الخرمية) ، تاريخ الأمم الاسلامية ، ط٩ ص١٩٧ ، ولا نعلم من أين أتى باسم بهرام والداً لبابك .

(٨) الفهرست ، ص٤٩٤ .

(٩) البدء والتاريخ ، جـ٦ ، ص١١٤ ـ ٥ .

(١٠) نقد العلم والعلماء ، ص١٠٠ .

(١١) يسميه المؤرخون السريان والأرمن (باب ، وبابان) بدلاً من بابك .

(١٢) بازمافيب ، صفحة من تاريخنا في القرون الوسطى ، ص١٥ .

(١٣) م .ن . ، ص١٤ ـ ٥ ، انظر ذلك لدى المؤرخ ابن العبري (بار ـ أبراوس) م .ن . ، ص٧٣ ، انظر ليو ، تاريخ أرمينيا ، م٢ ص٤٢٧ .

(١٤) بابك ، ص٣٣ ـ ٤ ، بينما تشير غالبية المصادر الى أن عبد الله خلف وراءه زوجته وطفلا واحدا وليس طفلين .

(١٥) هكذا وردت لديه . أما لدى البغدادي فقد وردت كالآتي (والبابكية ينسبون أصل دينهم الى أمير كان لهم في الجاهلية اسمه شروين ، ويزعمون ان أباه كان من الزنج ، وأمه بعض بنات ملوك الفرس) ، الفرق بين الفرق ،

ص٢٦٩ ، فهنا وردت الزنج بيما وردت لدى مارغليوث زندي Zandi وهناك فرق كبير ولا شك بينهما .

(١٦) الموسوعة الاسلامية المختصرة ، ص٢٥٨ .

(١٧) مجلة العالم الاسلامي ، العدد ٣٨ لسنة ١٩٤٨ ، ص٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ .

(١٨) أذربيجان ، ص٢٣٦ ـ ٧ ، وقد أشار الى اختلاف المؤرخين في تسمية والد بابك .

(١٩) لاخظ أقوال فاردان ص١٤ وميخائيل ص١٤ ـ ١٥ (وبار ـ أبراوس) ص٧٣ في كتاب بازمافيب ، صفحة من تاريخنا في القرون الوسطى ، باللغة الأرمنية ، انظر أيضاً ليو ، تاريخ أرمينيا ، م٢ ص٤٢٦ ـ ٧ .

(٢٠) فتوح البلدان ، ص٣٣٠ .

(٢١) يتيماً حسب رواية ابن النديم والمقدسي ، وأما رواية الطبري فتعتبر بابك غير يتيم حيث ظل مطر والد بابك عائشاً حتى عرف بابك ، وهذه الرواية ضعيفة كما قلنا .

(٢٢) البلدان ، ص٢٧١ .

(٢٣) المسالك والممالك ، ص٢٥٠ .

(٢٤) الفهرست ، ص٤٩٤ .

(٢٥) م .ن . ، ص٤٩٥ .

(٢٦) معجم البلدان ، جـ١ ص١٢٨ .

(٢٧) أشار مينورسكي في الهامش الى (الآن مثل هذه اللهجات عادة تسمى شمالية غربية ومن المحتمل أنها تكمل التقاليد الميدية كمناهض للتقاليد (الجنوبية) الفارسية ، واعتماداً على ابن حوقل ٢٤٩ (باعتناء كريمر جـ٢ ، ٣٤٧) فيما جاور جبل سبلان Sablan (سافالان Savalan) قرب أردبيل ، كل قرية امتلكت لهجة خاصة ، دراسات في التاريخ القفقاسي ، ص١١٢ ـ ٣ .

(٢٨) م .ن . ، ص١١٢ ـ ٣ .

(٢٩) الفهرست ، ص٤٩٤ .

(٣٠) م .ن . ، ص٤٩٥ .

(٣١) م .ن . ، ص٤٩٦ .

(٣٢) يسمي ابن النديم الخرمية بالحرمية (بالحاء دون الخاء) ولا بد أن ذلك تحريف للكلمة .

(٣٣) الفهرست ، ص٤٩٥ .

(٣٤) م .ن . ، ص٤٩٥ .

(٣٥) تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص١٠١٥ .

(٣٦) مروج الذهب ، جـ٤ ص٢٩ .

(٣٧) الكامل ، جـ٥ ص١٨٤ .

(٣٨) انظر الهامش رقم ١٩ الفصل الرابع .

(٣٩) انظر الهامش ١٩ الفصل الرابع .

(٤٠) وذلك سنة ٢٠١هـ ٨١٦م .

(٤١) الفهرست ، ص٤٩٥ .

(٤٢) هكذا كان المألوف حسب قوانين القرون الوسطى ، لاحظ إشارة ولهاوزن حول استخدام العرب للموالي ، الدولة العربية ، ص٢٠٠ .

(٤٣) تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص١٢٢١ ، ويقول بونيياتوف (من الواضح أن ابنة الكلندانية ربما كانت ابنة فاساك أمير سونيك التي تزوجها بابك بعد مساعدته لفاساك ضد العرب ، فبعد أن حطم بابك العرب في ٨١٨م أخذ بابك ابنته (فاساك) ومد سلطته على هذه المنطقة (سونيك) . وهذه هي التي أغرته على الهرب عبر موطنها الى بلاد بيزنطة ، أذربيجان ، ص٢٦٦ ، انظر مينورسكي ، دراسات في التاريخ القفقاسي ، ص٦٩ .

(٤٤) الفهرست ، ص٤٩٦ .

(٤٥) تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص١٢٢٣ .

(٤٦) م .ن . ، ص١٢٢٣ .

(٤٧) مجلة بازمافيب ، بابك وسهل بن سنباط ، صفحة من تاريخنا في القرن التاسع ، ص٩ ، هل هناك علاقة بين تسمية كورديان لآخر زوجات بابك بالخالندية وبين الدولة الكردية الخلدية (نسبة الى الههم القومي) والتي تعرف بالدولة الأراراتية (نسبة لموقعهم الجغرافي في منطقة أرارات ـ أراراتو) أيضاً ، لاسيما وإن أراضي الأمير فاساك الذي تعاقد مع بابك في نفس منطقة الدولة الخلدية التي ظهرت في القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد (٨٨٣ق .م ـ ٧١٤ ق .م) التي عاصرت الدولة الاشورية من عهد الملك الاشوري آشور ناصربال الى الملك الاشوري سرجون الثاني الذي غزا الدولة الخلدية وقضى عليها الى الأبد عام ٧١٤ ق .م . فهل كان فاساك منحدراً من أسرة تمتد جذورها الى الخلديين الأكراد حتى يطلق على ابنته : ابنة الخالندانية ؟

(٤٨) م . ن . ، ص٢٠ .

(٤٩) تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص١٢٢٣ .

(٥٠) وردت الكنات محرفة عند الخضري على شكل (الكتاب) ، تاريخ الأمم الاسلامية ، ط٩ ص١٩٩ .

(٥١) تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص١٢٢٣ .

(٥٢) يقول رايت عن معاوية ، الذي هو أخو بابك ، بأنه أحد جنرالاته ، وهذا التباس وقع فيه ولا شك ، مجلة العالم الاسلامي ، العدد ٣٨ لسنة ١٩٤٨ ، ص٥٢ .

(٥٣) انظر المسعودي ، مروج ، جـ٤ ص٥٦ .

(٥٤) قدرها الطبري بـ ١٥ كتيبة ، م٣ جـ٢ ص١٢١٩ ، ويقول رايت بأن الافشين أرسل ٥٠٠٠ رجل على شكل جماعات في كل جماعة ١٠٠ أو ٢٠٠ للبحث في المسالك ومراقبة الهاربين ، مجلة العالم الاسلامي ، العدد ٣٨ لسنة ١٩٤٨ ، ص٥٢ .

(٥٥) الدينوري (وقد كان الافشين كتب الى أصحاب تلك النواحي والى الأكراد بأرمينية والبطارقة بأخذ الطرق عليه ، الأخبار الطوال ، ص٣٤٠ .

(٥٦) اليعقوبي ، وضمن لمن جاء به ألف ألف درهم والصفح عن بلادهم ، التاريخ ، ص٢٠٠ .

(٥٧) يسميه ابن خلدون : (ابا السفاح) ، العبر ، جـ٣ ص٢٩١ ، وهذا تحريف ولا شك .

(٥٨) العيون والحدائق ، ص٢١ ـ ٢ .

(٥٩) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص١٢٢٠ ـ ١ .

(٦٠) الأخبار الطوال ، ص٣٤٠ .

(٦١) تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص١٢٢٢ .

(٦٢) تاريخ مختصر الدول ، ص٢٤١ . ويأخذ بهذه الأقوال جوزي ، من تاريخ الحركات ، ص١١٣ والدوري ، العصر العباسي الأول ، ص٢٢٥ .

(٦٣) لم يذكر اليعقوبي والمسعودي وابن النديم وصاحب العيون والحدائق موضوع اللجوء الى بيزنطة .

(٦٤) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص١٢٢٤ .

(٦٥) انتفاضة بابك ، ص٣٦ ـ ٧ .

(٦٦) م .ن . ، ص٣٦ .

(٦٧) انظر ليو ، تاريخ أرمينيا ، م٢ ص٤٣٦ .

(٦٨) جوزي ، من تاريخ الحركات ، ص١١٢ . يرى بونيياتوف أن قلعة شاكي العائدة لسهل بن سنباط تقع في القرية التي تحمل الاسم نفسه ، شاكي (في مقاطعة سيسيان الأرمنية السوفياتية) وليس في مدينة نوخا الأذربيجانية السوفياتية ، معلومات جديدة عن موقع قلعة شاكي ، مجلة المجمع العلمي الأذربيجاني ، العدد ٩ لسنة ١٩٥٩ ، ص٨٧١ .

(٦٩) بونيياتوف ، م .ن . ، ص٨٦٩ ـ ٨٧٠ . وذكرت القلعة في تجارب الامم الملحق بكتاب العيون (كبيش . وفي الهامش كيس ، كيش ،كيْش) ، ص٥٤٨ .

(٧٠) انظر هامش الفصل الرابع رقم ٦٣ .

(٧١) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص١٢٢٥ ، يسميه المسعودي (يوماده) المروج ، جـ٤ ص٥٦ .

(٧٢) انتفاضة بابك ، ص٣٧ .

(٧٣) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص١٢٣١ .

(٧٤) م .ن . ، ص١٢٣٢ ، انظر أيضاً بارتولد ، المؤلفات ، المجلد الثاني القسم الأول (بالروسية) ، موسكو ،١٩٦٣ ، ص٦٨١ ـ ٢ .

(٧٥) تاريخ الرسل ، ويقول : (وكان وصول بابك الى الافشين ببرزند لعشر خلون من شوال (سنة ٢٢٢هـ) بين بوزياره وديوداذ) م٢ جـ٣ ص١٢٢٨ ، وديوداذ هو أبو الساج ، ويعتبر المقدسي (المطهر) تاريخ القاء القبض على بابك يوم الجمعة ١٤ رمضان سنة ٢٢٣هـ ، البدء والتاريخ ، جـ٦ ص١١٨ ، وهو مخطىء ولا شك اذ ان بابك قد أعدم قبل هذا التاريخ ، أنظر أوربلي ، يوسف ، جداول لتحويل السنوات الهجرية الى السنوات الميلادية ، ص٥١ .

(٧٦) المروج ، جـ٤ ص٥٦ ويشير حتي ، فيليب ، الى أن أول ذكر لاستخدام الحمام الزاجل ورد في نقل خبر القاء القبض على بابك ، تاريخ العرب (المطول) جـ١ ط٢ لسنة ١٩٦١ ، ص٤٠٠ .

(٧٧) يقول المسعودي : (وأطلقت الطيور الى المعتصم ، وكتب اليه بالفتح فلما وصل اليه ذلك ضج الناس بالتكبير وعمهم الفرح) ، المروج ، جـ٤ ص٥٦ ، ويقول المقدسي (وكان ذلك من اعظم الفتوح في الاسلام) ، البدء والتاريخ ، جـ٦ ، ص١١٨ .

(٧٨) تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص١٢٣٢ ، كذلك التسمية في تجارب الامم الملحق بكتاب العيون ، ص٥٤٨ .

(٧٩) بازمافيب ، صفحة من تاريخنا في القرن التاسع ، ص١٣٤ ، بارخوداريان ، تاريخ أغوان ، م١ ص١٣٦ .

(٨٠) المروج ، جـ٤ ص٥٦ .

(٨١) البدء والتاريخ ، جـ٦ ص١١٧ ـ ٨ .

(٨٢) تاريخ مختصر الدول ، ص٢٥٣ ـ ٤ .

(٨٣) من تاريخ الحركات ، ص١١٣ .

(٨٤) التاريخ ، جـ٣ ص٢٠٠ .

(٨٥) تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص١٢٢٩ .

(٨٦) المروج ، جـ٤ ص٥٧ .

(٨٧) تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص١٢٣٠ ، والشعر الذي يرويه هنا قد ذكره أيضاً عن حادث وصول المازيار الى بغداد ، في ص١٣٠٣ (قد خضب الفيل كعادته ـ يحمل كيلان خراسان) ، وأعتقد ان الشعر يخص فقط المازيار ولا ينطبق على بابك ، والا فما علاقة خراسان ببابك ؟

(٨٨) المروج ، جـ٤ ص٥٦ ـ ٧ .

(٨٩) حول هذه الحادثة راجع ، التنوخي ، جامع التواريخ ، جـ١ ص٧٥ ، سياست نامه ، لنظام الملك ، ص٢٩٥ (الترجمة الروسية ص٢٢٧) ، المقدسي ، البدء والتاريخ ، جـ٦ ص١١٧ ـ ٨ .

(٩٠) حسب رواية المسعودي ، المروج جـ٤ ص٥٨ ، وأما الطبري فلا يشير الى بغداد وانما يذكر خراسان مباشرة ، تاريخ الرسل م٣ جـ٢ ص١٢٣١ ، ويقول باين ، روبرت (ثم قطع رأس باربك (يقصد بابك) وعلق على جسر بغداد لإخطار الثوار البغداديين بينما قرر الخليفة إرساله بعد ذلك الى خراسان) ، السيف المقدس ، ص١٧٨ ، ولا أجد معنى (لإخطار الثوار البغداديين) هنا حيث لم تكن في بغداد أية ثورة في عهد المعتصم ؟ .

(٩١) تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص١٢٣٠ .

(٩٢) م .ن . ،ص١٢٣١ .

(٩٣) اليعقوبي ، التاريخ ، جـ٣ ص ٢٠٠ ، أما الطبري فيذكر انه شنق في الرصافة بين الجسرين ، تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص١٢٣١ .

(٩٤) الطبري ، المصدر السابق ، ص١٢٣١ .

(٩٥) م .ن . ، ص١٢٢١ .

(٩٦) م .ن . ، ص١٢٢٤ .

(٩٧) م .ن . ، ص١٢٣١ .

(٩٨) المروج ، جـ٤ ص٥٦ ، ابن أبي السرور ، عيون الاخبار ، مخطوط الورقة ٥٦ أ ، ب .

(٩٩) الفهرست ، ص٤٩٥ .

(١٠٠) م .ن . ، ص٤٩٦ .

(١٠١) م .ن . ، ص٤٩٦ .

(١٠٢) القرآن ، ص١٣٠ .

(١٠٣) مجلة العالم الاسلامي ، العدد ٣٨ لسنة ١٩٤٨ ، ص٥٣ .

(١٠٤) في قصور الخلفاء العباسيين ، ص١٠١ .

(١٠٥) تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص١٢٧٨ .

(١٠٦) م .ن . ، ص١٢٦٩ .

(١٠٧) م .ن . ، ص١٢٧٨ .

(١٠٨) م .ن . ، ص١٢٧٨ ـ ٩ .

(١٠٩) م .ن . ، ص١٣١١ ـ ٢ .

(١١٠) نفسه ، ص١٣١٢ .

(١١١) المروج ، جـ٤ ص٦١ ، انظر الدوري الذي آمن بهذه الأقوال ، العصر العباسي الأول ، ص٢٤١ ـ ٢ .

(١١٢) تاريخ طبرستان ، ترجمة براون ، ص١٥٥ .

(١١٣) فتوح البلدان ، ص٣٣٩ .

(١١٤) م .ن . ، ص٣٤٠ .

(١١٥) الاخبار الطوال ، ص٣٣٨ .

(١١٦) التاريخ ، جـ٣ ص٢٠٢ .

(١١٧) م .ن . ، ص٢٠٢ ـ ٣ .

(١١٨) تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ص١٢٧٤ ـ ٥ .

(١١٩) م .ن . ، ص١٣٠٣ .

(١٢٠) المروج ، جـ٤ ، ص٦١ .

(١٢١) الفرق بين الفرق ، ص٢٦٨ .

(١٢٢) م .ن . ، ص٢٦٨ .

(١٢٣) م .ن . ، ص٢٦٩ .

(١٢٤) م .ن . ، ص٢٨٤ .

(١٢٥) تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١٢٧٥ .

(١٢٦) انتفاضة بابك ، ص٤١ .

(١٢٧) العصر العباسي الأول ، ص٢٣٤ .

(١٢٨) اذربيجان ، ص٢٤٦ .

(١٢٩) دول الاسلام ، وذكر خروجه عام ٢٢٤هـ ونهايته ٢٢٥هـ ، جـ١ ، ص٩٨ .

(١٣٠) تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١٢٧٥ .

(١٣١) التاريخ ، جـ٢ ، ص٢٠٢ ، يعتبر الطبري أن الورثاني قد امتنع عن الخلافة في ورثان (تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٥ ، ص١٣٠١) وبهذا يكون قد خالف ما ذهب اليه اليعقوبي .

(١٣٢) تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٥ ، ص١٣٠١ .

(١٣٣) اليعقوبي ، التاريخ ، جـ٣ ، ص٢٠٢ ، المسعودي ، المروج ، م٤ ، ص٦١ ـ ٢ ، ابن أبي السرور ، عيون الاخبار ، مخطوط ، الورقة ٥٦ب ، بارتولد ، المؤلفات ، المجلد الثاني/ القسم الثاني (بالروسية) ، موسكو ، ١٩٦٤ ، ص٤٩٦ .

(١٣٤) الاخبار الطوال ، ٣٤١ .

(١٣٥) تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١٣٠٣ ـ ٤ ، انظر العيون والحدائق ، ص٦١ .

(١٣٦) دول الاسلام ، جـ١ ، ص٩٨ .

(١٣٧) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١٢١٣ .

(١٣٨) تراث فارس ، ص١١٦ .

(١٣٩) تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ص١٣٠٤ الى ١٣١٣ .

(١٤٠) م ن . ، ص١٣١١ ، العيون ، ص٦٥ .

(١٤١) م ن . ، ص١٣١٣ .

(١٤٢) م ن . ، ص١٣٠٦ .

(١٤٣) تاريخ طبرستان ، ص١٥٥ .

(١٤٤) م ن . ، ص١٥٥ .

(١٤٥) الفرق بين الفرق ، ص٢٦٨ .

(١٤٦) م ن . ، ص٢٨٤ .

(١٤٧) تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١٢٣٣ .

(١٤٨) المروج ، جـ٤ ، ص٥٩ .

(١٤٩) دول الاسلام ، جـ١ ، ص٩٨ .

(١٥٠) دراسات في التاريخ القفقاسي ، ص١١١ ، ويقول ماكوفلسكي «ومع أن انتفاضة بابك قد أخمدت إلاّ أنها وجهت للخلافة البغدادية (كانت العاصمة حينذاك سامراء) تلك الضربة التي لم تصح منها» ، اعمال القسم الفلسفي ، المجلد السادس ، ١١ باكو ، ١٩٦٠ ، من التاريخ الفلسفي في أذربيجان في القرنين الحادي عشر والثاني عشر ، ص٥ (بالروسية) .

(١٥١) الحضارة الاسلامية ، ص١٤٢ ـ ٣ .

(١٥٢) انظر الطبري (عن حوادث سنة ٢٢٣هـ) ويفصّل المؤامرة التي ساهم فيها الامراء الاتراك الذين منهم عمرو الفرغاني وأحمد بن الخليل ، تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ، ص١٢٥٦ ـ ١٢٦٦ .

(١٥٣) ابن البغدادي ، مختصر اخبار الخلفاء ، ص٥٩ .

(١٥٤) الطبري ، تاريخ الرسل ، م٣ ، جـ٢ ، ص١١٦٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص٢٣٢ ـ ٤ .

(١٥٥) الحضارة الاسلامية ، ص٦٤ .

(١٥٦) العصر العباسي الأول ، ص٢٢٩ ، دراسات ، ص١٢ .

(١٥٧) الفخري في الآداب السلطانية ـ ص٢٣١ . ابن ابي السرور ، عيون الاخبار ، مخطوط ، الورقة ٥٩ب .

(١٥٨) محاورة الكندي ، الصفحات ٤٥ ـ ٤٦ .

(١٥٩) دول الاسلام ، جـ١ ، ص٩٧ .

(١٦٠) التاريخ ،جـ٣ ، ص٢٠٣ .

(١٦١) ص١٣ .

(١٦٢) المروج ، جـ٣ ، ص٣٠٥ ـ ٦ ، التنبيه ، ص٣٥٣ ـ ٤ .

(١٦٣) البدء والتاريخ ، جـ٤ ، ص٣٠ .

(١٦٤) من تاريخ الحركات ، ص١١٧ .

(١٦٥) انتفاضة بابك ، ص٣٩ .

(١٦٦) م١ ، ص٨٤٤ (بالانكليزية) .

(١٦٧) أذربيجان ، ص٢٧٠ .

(١٦٨) من تاريخ الحركات ، ص١١٧ .

(١٦٩) نظامي ، الياس يوسف أوغلي (ولد حوالي ١١٤٤م وتوفي حوالي ١٢٠٣) من كبار شعراء ومفكري أذربيجان .

(١٧٠) مختصر تطور الصوفية ، موسكو ، ١٨٩٥ ، ص٦ .

(١٧١) انتفاضة بابك ، ص٤٢ .

(١٧٢) الحرب الفلاحية في ألمانيا ، ص٣٤ .

الملاحق

الملحق (أ)

قوائم الخراج

١ ـ قائمة الجهشياري[١]، كتاب الوزراء والكتاب[٢] ص ٢٢٧ ـ ٢٣٥

اسم المنطقة	مجموع الدراهم	موارد أخرى
أثمان غلات السواد	٧٨٠٠٠٠	الحلل النجرانية مائتا حلة ، الطين للختم مائتان وأربعون رطلا .
أبواب المال بالسواد	١٤٨٠٠٠٠	
كسكر	١١٦٠٠٠٠٠	
كور دجلة	٢٠٨٠٠٠٠٠	
حلوان	٤٨٠٠٠٠٠	
الاهواز	٢٥٠٠٠٠٠٠	السكر ثلاثون الف رطل
فارس	٢٧٠٠٠٠٠٠	ماء الزبيب الأسود عشرون ألف رطل ، الرمان والسفرجل مائتا ألف وخمسون ألف ، ماء الورد ثلاثون ألف قارورة الخ .
كرمان	٤٢٠٠٠٠٠	المتاع اليمني والخبيصي خمسمائة ثوب ، التمر عشرون الف رطل .
مكران	٤٠٠٠٠٠	
السند وما يليه	١١٥٠٠٠٠٠	الطعام بالقفيز الكيرخ : مليون قفيز ، النيلة ثلاثة ، الثياب ألف ثوب ، الفوط ٤ الاف ، العود ٣٠٠ منا .

اسم المنطقة	مجموع الدراهم	موارد أخرى
سجستان	٤٦٠٠٠٠٠	الثياب المعينة ثلاثمائة ثوب . الفانيذ عشرون الف رطل .
خراسان	٢٨٠٠٠٠٠٠	نقر الفضة الامناء ألف نقرة . البراذين ٤ آلاف برذون ، الرقيق ألف رأس ، المتاع ٢٧ ألف ثوب ، الإهليلج ٣٠٠ رطل ، الابرسيم ألف من .
جرجان	١٢٠٠٠٠٠٠	الابرسيم ألف من .
قومس	١٥٠٠٠٠٠	نقر الفضة الامناء ألفا نقرة . الاكسية سبعون كساء .
طبرستان والدوبان ودونباوند	٦٣٠٠٠٠٠	الفرش الطبري ستمائة قطعة ، الاكسية مائتا كساء ، الثياب خمسمائة ثوب ، المناديل ٣٠٠ منديل ، الجامات ٦٠٠ .
الري	٠١٢٠٠٠	الرمان مليون رمانة ، الخوخ ألف رطل .
اصفهان (سوى خمتش ورساتيق عيسى واويس)	١١٠٠٠٠٠٠	العسل عشرون ألف رطل ، الشمع عشرون ألف رطل .
همذان ودستبي	١١٨٠٠٠٠٠	رب والريقاس ألف من ، العسل الاروندي عشرون ألف رطل .
ماهي البصرة والكوفة	٢٠٧٠٠٠٠٠	
شهرزور وما يليها	٢٤٠٠٠٠٠٠	
الموصل وما يليها	٢٤٠٠٠٠٠٠	العسل الأبيض عشرون ألف رطل .
الجزيرة والديارات والفرات	٣٤٠٠٠٠٠٠	
آذربيجان		
موقان وكرخ	٠٤٠٠٠٠٠٠	
جيلان	٣٠٠٠٠٠	
	——	من الرقيق مائة رأس
التتر والطيلسان	——	من العسل اثنا عشر زقا ومن البزاه عشرة بزاه ومن الاكسية عشرون كساء .

أرمينية	١٣٠٠٠٠٠٠	البسط المحفورة عشرون بساط ، الرقم خمسمائة وثمانون قطعة ، البغال ٢٠٠ بغل .
قنسرين والعواصم	٤٩٠٠٠٠	
حمص	٣٢٠٠٠٠	الزبيب ألف راحلة .
دمشق	٤٢٠٠٠٠	
الأردن	٠٩٦٠٠٠	
فلسطين	٣٢٠٠٠٠	ومن جميع أجناد الشام من الزبيب ٣٠٠ ألف رطل .
مصر		
سوى تنيس ودمياط والاشمونين (فان هذه وقفت للنفقات)	١٩٢٠٠٠٠	
برقة	١٠٠٠٠٠٠	
افريقيا	١٣٠٠٠٠٠٠	ومن البسط مائة وعشرون بساط .
اليمن (سوى الثياب)	٨٧٠٠٠٠	
مكة والمدينة	٣٠٠٠٠٠	

المجموع:

العملة الورق : ٠٠٠ ٤٠٨ ٤١٤ درهم

العينيات وقيمتها : ٠٠٠ ٠٠٠ ١١٠ درهم

---

٠٠٠ ٤٠٨ ٥٢٤ درهم

لقد ورد في الصفحة ٢٣٥ ما يلي : فذلك العين خمسة الاف دينار قيمتها حساب اثنين وعشرين درهماً بدينار مائة ألف درهم وخمسة وعشرون ألف ألف وخمسمائة واثنان وثلاثون الف درهم . الورق اربعمائة الف الف وأربعة الاف الف وسبعمائة الف وثمانية آلاف درهم . يكون الورق مع قيمة العين ـ خمسمائة ألف ألف وثلاثين الف الف وثلثمائة ألف واثني عشر الفا . أي = ٠٠٠ ٣١٢ ٥٣٠ درهم وهذا غير صحيح من حيث الجمع إذ يجب أن يكون = ٠٠٠ ٤٠٨ ٥٢٤ درهم .

٢- قائمة ابن خرداذبة «المسالك والممالك»[٣]

اسم المنطقة	المبلغ مثقال درهم	موارد أخرى
السواد	١٠٠٠٠٠٠٠٠	جباه الملك قباذ بن فيروز - ص١٤
السواد	١٢٨٠٠٠٠٠٠	جباه عمر بن الخطاب - ص١٤
السواد	١٢٤٠٠٠٠٠٠	جباه عمر بن عبد العزيز - ص١٤
السواد	١٨٠٠٠٠٠٠	جباه الحجاج بن يوسف - ص١٤-١٥
خراج مملكة الفرس	٤٢٠٠٠٠٠٠٠	اجتباه كسرى ابرميز بعد مضي١٨ سنة من حكمه - ص ١٥
الجبل واذربيجان والري وهمذان والماهين وطبرستان ودنباوند وماسبذان ومهرجان فذق وحلوان وقومس (الماهين ماه الكوفة وماه البصرة ص٢٠)		
خراسان[٤]	٠٤٤٠٠٠٠٠٠	الدواب للركوب ١٣ رأساً ومن الغنم الفا شاة ومن السبي العزبة الفا رأس قيمته ستمائة الف درهم ومن الثياب ١١٨٧ ثوباً ومن المرمر وصفائح الحديد ١٣٠٠ قطعة - ص ٣٩ .
اذربيجان	٠٠٢٠٠٠٠٠٠	خراج . ص ١٢١
ارمينية	٠٠٤٠٠٠٠٠٠	خراج - ص ١٢٣
الدينور (وهي ماه الكوفة)	٠٠٣٨٠٠٠٠٠	خراج . ص ٢٠
اصبهان وقم	٠١٦٠٠٠٠٠٠	قبلها الفضل بن مروان بالكفاية - ص٢١ .

٣ ـ ملخص مجموعة قوائم واردة في كتاب التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري[٥]

اسم المنطقة	في عهد معاوية	في عهد الرشيد	في عهد المأمون	في عهد المتوكل	ورد لدى ابن خرداذبة	ورد لدى اليعقوبي	ورد لدى المقدسي
الاهواز	٤٠,٠	٢٥,٠	١٨,٠	٤٩,٠	٣٠,٠	—	٣٠,٠
فارس	٧٠,٠	٢٧,٠	٢٤,٠	٣٥,٠	٣٣,٠	—	—
كرمان	—	٠٤,٢	٠٦,٠	—	٠٥,٠	—	—
سجستان	—	٠٤,٦	١,٠	—	—	١١,٠	—
أصفهان	—	١١,٠	١٠,٥	١٦,٠ مع قم	٠٧,٠	٠٢,٠	—
نهاوند (ماه البصرة)	٣٠,٠ مع الدينور والجبل	٢٠,٧ مع الدينور والجبل	٠٤,٨	— ٠٣,٨	٠٣,٨	٠٢,٠	—
الدينور	—	—	٠٥,٠	—	٣٧,٠	٤٠,٠	٤٤,٠
(ماء الكوفة)				—	—	—	١٥٠٠٠ دينار
خراسان	٣٠,٠	٢٨,٠	٣٨,٠				
اليمامة والبحرين	٠,١٥	—	—				
عشور البصرة (بما فيها الكوفة وبغداد)	١٣,٧	٠٦,٠	—	٠٦,٠	—	—	—

يذكر العلي، صالح أحمد في ص ١١٧ : «أورد لنا اليعقوبي في تاريخه قائمة بمقدار ما كانت تدفعه المقاطعات في زمن معاوية، كما رويت لنا أرقام عن جباية بعض المقاطعات في أزمنة مختلفة من العصر الأموي إلاّ أنه ليس لدينا عن الخراج فيما عدا ذلك أخبار حتى العصر العباسي» .

ملاحظة حول قوائم العلي:

١ ـ المبالغ مقدرة بالدراهم . ٢ ـ لقد ورد في قائمة ابن خرداذبة مبلغ ٤٤ مليون درهم وارد خراسان بينما نقله العلي ٣٧ مليوناً . ٣ ـ أشار العلي إلى أن الأرقام المذكورة تبين ما جبي في سنوات مختلفة تمتد إلى ٢٠٠ سنة وأن الأرقام الصحيحة تمثل الملايين والكسور مئات الألوف .

٤ـ قائمة قدامة بن جعفر، كتاب الخراج وصنعة الكتابة[٦]

اسم المنطقة	المبالغ المستحصلة درهم	أرقام مختلفة للمبالغ المستحصلة
الاهواز	١٨٠٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٢)	وورد في ص ٢٤٩ : وارد الاهواز ٢٣٠٠٠٠٠٠ درهم
فارس	٢٤٠٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٢)	
كرمان (مقاطعة في السنة)	٠١٠٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٢)	وورد في ص ٢٥٠ : وارد كرمان ٠٦٠٠٠٠٠٠ درهم
أصبهان	١٠٥٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٢)	
سجستان	٠١٠٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٢)	
خراسان (وارتفاع خراسان على ما كان عليه عبد الله بن طاهر لسنة ٢٢١ هـ عن ثمن السبي والغنم والكرابيس)	٣٨٠٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٣)	وورد في ص ٢٥٠ : وارد خراسان ٣٧٠٠٠٠٠٠ درهم[٧]
ماه الكوفة	٠٥٠٠٠٠٠٠	
ماه البصرة	٠٤٨٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٣)	
ماسبذان	٠١١٠٠٠٠٠	وورد في ص٢٥٠ : وارد ماسبذان ١٢٠٠٠٠٠درهم
مهرجان قذق	٠١١٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٣)	
الايغارين	٠٣١٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٣)	
اذربيجان	٠٤٥٠٠٠٠٠ ص(٢٤٤)	

اسم المنطقة	المبالغ المستحصلة درهم	أرقام مختلفة للمبالغ المستحصلة
قم وقاشان	٠٣٠٠٠٠٠٠ (ص٢٤٤)	
الري	٢٠٢٠٠٠٠٠ (ص٢٤٤)	وورد في ص٢٥٠ : وارد الري ودماوند ٢٠٠٨٠٠٠٠ درهم
قزوين على عبره سنة ٢٣٧ هـ	٠١٦٢٨٠٠٠ (ص٢٤٤)	وورد في ص ٢٥٠ قزوين وزنجان وابهر ١٨٢٨٠٠٠٩ درهم
قومس	٠١١٥٠٠٠٠ (ص٢٤٤)	
جرجان	٠٤٠٠٠٠٠٠ (٢٤٥)	
طبرستان على عبره سنة ٢٣٤ هـ	١١٦٣٠٧٠ (ص٢٤٥)	وورد في ص ٢٥٠ : وارد طبرستان ٤٢٨٠٧٠٠ درهم
أرمينيا	٤٠٠٠٠٠٠ (ص٢٤٦)	
السواد على عبره سنة ٢٠٤ هـ	١٣٠٢٠٠٠٠٠ (ص٢٤٩)	
حلوان (المكتوب عن وارد حلوان في ص ٢٥٠ بانه ٩٠٠٠٠٠٠٠ وهذا غير صحيح وأظنه ٩٠٠٠٠٠ درهم) .		
تكريت والطيرهان والسن والبوازيج	٩٠٠٠٠٠ (ص٢٥١)	
كورة الموصل	٦٣٠٠٠٠٠ (ص٢٥١)	
قردي ويزيدي	٣٢٠٠٠٠٠ (ص ٢٥١)	
ديار ربيعة	٩٦٢٥٠٠٠	
ارزن وميافارقين	٤٢٠٠٠٠٠	

اسم المنطقة	المبالغ المستحصلة درهم	أرقام مختلفة للمبالغ المستحصلة
مقاطعة طرون	١٠٠٠٠٠	
أرمينيا	٤٠٠٠٠٠٠	
آمد	٢٠٠٠٠٠٠	
ديار مضر	٦٠٠٠٠٠٠	
اعمال طريق الفرات	٢٩٠٠٠٠٠	
قنسرين والعواصم	٣٦٠٠٠٠ (ص٢٥١)	
جند حمص	٢٢٨٠٠٠ (ص٢٥١)	
جند دمشق	١١٠٠٠٠ (ص٢٥١)	
جند الاردن	١٠٩٠٠٠	
جند فلسطين	٢٥٩٠٠٠	
مصر والاسكندرية	٢٥٠٠٠٠٠	
الحرمين	١٠٠٠٠٠	
اليمن	٦٠٠٠٠٠	
اليمامة والبحرين	٥١٠٠٠٠	
عمان	٣٠٠٠٠٠	

المجموع:

١ ـ مجموع الدراهم : ٠٧٠ ٤٧٦ ٣١٦ درهماً

٢ ـ مجموع الدنانير : ٠٠٠ ٠٧٦ ٥ دينار

وبتحويل الدنانير إلى دراهم (بقيمة ١٥ درهماً للدينار) يكون مجموع الدراهم المحولة عن الدنانير ٠٠٠ ١٣٠ ٧٦ درهم . والمجموع الكلي للواردات ٣٩٢٦٠٦٠٧٠ درهماً .

ذكر قدامة أن حساب السواد اعتبره على معدل سنة ٢٠٤ هـ لأن الحسابات القديمة قد أحرقت أيام فتنة الأمين والمأمون (ص ٢٣٦ ـ ٧) . وذكر أيضاً : ويقال أن كسرى ابرويز أحصى جباية مملكته في سنة ثماني عشرة من ملكه... من العين سبع مائة الف وعشرين الف مثقال يكون من الورق ستمائة ألف ألف درهم (ص ٢٥٢) ، أي ما يعادل ٦٠٠ مليون درهم .

٥ـ قائمة ابن خلدون، عبد الرحمن كما وردت في المقدمة(٨)

اسم المكان	المبالغ	المواد العينية وغيرها	الملاحظات كما وردت لدى الجهشياري
غلات السواد	٢٧ مليون درهم مرتين وثمانمائة ألف درهم	الحلل النجرانية مائتا حلة ومن طين الختم مائتان وأربعون رطلاً	مرتين . زائدة وذكر الجهشياري ١٤٨٠٠٠٠٠ درهم
كنكر	١١ مليون درهم مرتين وستمائة ألف درهم	كنكر تحريف عن كسكر	في الجهشياري كسكر بدون مرتين
كور دجله	٢٠ مليون درهم و٨درهم		في الجهشياري ٢٢٨٠٠٠٠٠ درهم مرتين زائدة
حلوان	٤ ملايين درهم مرتين وثمانمائة ألف درهم		
الاهواز	٢٥ ألف درهم مرة	من السكر ثلاثون ألف رطل	
فارس	٢٧ مليون درهم	من ماء الورد ٣٠ ألف قارورة ومن الزيت الأسود ٢٠ ألف رطل	في الجهشياري ماء الزبيب الأسود
كرمان	٤ ملايين مرتين ومائتا ألف درهم	ومن المتاع اليماني خمسمائة ثوب ومن التمر عشرون ألف رطل	بدون مرتين
مكران	أربعمائة ألف درهم مرة		
الشند وما يليه	١١ مليون درهم مرتين وخمسمائة ألف درهم	من العود الهندي ١٥٠ رطلا	بدون مرتين ـ وخمسون منا
سجستان	٤ ملايين مرتين	ومن الثياب المعينة ٣٠٠ ثوب ومن الفانيد عشرون رطلاً	٤٦٠٠٠٠٠ بدون مرتين ومن الفانيد عشرون ألف رطل
خراسان	٢٨ مليون درهم مرتين	ومن نقر الفضة الفا نقرة ومن البراذين ٤ آلاف ومن الرقيق الف رأس ومن المتاع عشرون ألف ثوب ومن الاهليلج ٣٠ ألف رطل	من دون مرتين
جرجان	١٢ مليون درهم مرتين	ومن الابريسم الف شقة	بدون مرتين ألف من
قومس	مليون درهم مرتين و٥٠٠ ألف درهم	من نقر الفضة (؟)	بدون مرتين . من نقر الفضة الفا نقرة

اسم المكان	المبالغ	المواد العينية وغيرها	الملاحظات كما وردت لدى الجهشياري
طبرستان والرويان ونهاوند	٦ ملايين درهم وثلثمائة ألف درهم	ومن الفرش الطبري ٦٠٠ قطعة ومن الاكسية ٢٠٠ والثياب ٥٠٠ ثوب ومن المناديل ٣٠٠ ومن الجامات ٣٠٠	طبرستان والدوبان ودنباوند بدون مرتين ٦٠٠ جام
الري	١٢ مليون مرتين	ومن العسل ٢٠ ألف رطل ومن الرمانين ألف رطل ومن العسل ١٢ ألف رطل	بدون مرتين بدون عسل
همدان	١١ مليون درهم مرتين وثلاثمائة الف درهم	ومن الرمانين الف رطل ومن العسل اثنا عشر الف رطل	١١٨٠٠٠٠٠ بدون مرتين رب والريباس الف من والعسل ٢٠ الف رطل
ما بين البصرة والكوفة	١٠ ملايين درهم مرتين و٧٧٠ الف درهم		ما هي البصرة والكوفة ٢٠٧٠٠٠٠٠ درهم
ماسبذان والدينبار	٤ ملايين درهم مرتين		لا وجود لهما عند الجهشياري ٢٤٠٠٠٠٠٠ درهم عند الجهشياري
شهرزور	٦ ملايين درهم مرتين و٧٠٠ الف درهم		
الموصل وما إليها	٢٤ مليون مرتين	ومن العسل الأبيض عشرون مليون رطل	بدون مرتين والعسل ٣٠ ألف رطل
اذربيجان	٤ ملايين مرتين		بدون مرتين
الجزيرة وما يليها من أعمال الفرات	٣٤ مليون درهم مرتين	ومن الرقيق الف رأس ومن العسل ١٢ ألف زق ومن البزاه عشرة ومن الاكسية عشرون	بدون مرتين أما المواد العينية فلا وجود لها لدى الجهشياري
ارمينيا	١٣ مليون درهم مرتين	ومن القسط المحفور عشرون ومن الزقم خمسمائة وثلاثون رطلا ومن البغال ٢٠٠ ومن المهر ٣٠ ومن الزيت الف حمل	بدون مرتين البسط المحفورة ٢٠ والزقم ٥٨٠ قطعة والبزاة ٣٠ بازيا ٤٩٠ دينار بدون زيت
قنسرين	٤٠٠ آلف دينار		
دمشق	٤٢٠ الف دينار		

اسم المكان	المبالغ	المواد العينية وغيرها	الملاحظات كما وردت لدى الجهشياري
الاردن	٩٧ الف دينار		٩٦ ألف دينار
فلسطين	٣١٠ الف دينار	ومن الزيت ٣٠٠ ألف رطل	٣٢٠ الف دينار ومن الزيت
مصر	٠٠٠٠ ١٩٢ دينار		
برقه	مليون درهم مرتين		بدون مرتين
افريقيا	١٣ ألف درهم مرتين	ومن البسط ١٢٠ بساطاً	١٣ مليون درهم
اليمن	٣٧٠ الف دينار	سوى المتاع	٨٧٠ الف دينار
الحجاز	٣٠٠ الف دينار		

الملحق (ب)

الزنادقة والغنوص

١ ـ الزنادقة:

الزندقة حركة ذوي الآراء الحرة من الملحدين لمناهضة الاديان . ويعرف الاشخاص بالزنادقة (جمع زنديق) ـ نسبة إلى كتاب الزند ـ وهو تفسير كتاب (الافستا المجوسي) ، وقد اختلف العلماء والمؤرخون والباحثون قديماً وحديثاً في أصل اشتقاق الكلمة ، وعلى أي الجماعات تطلق ، هل ينفرد بها المانيون ـ أتباع ماني ـ ؟ أم كل الذين يبطنون الشرك ويظهرون التوحيد ؟ . ولكنهم ـ أي العلماء ـ لم يختلفوا على حقيقة أن الكثيرين من ذوي الآراء الحرة والأفكار الجريئة اتهموا جزافاً بالزندقة . وأرى بأن الزندقة لم تناهض الإسلام كدين ، وإنما ناهضت السلطة الإسلامية الحامية لمصالح الطبقة السائدة والمضطهدة لكل معارضة ، ولو أن مناهضة الزنادقة للسلطة كانت سلبية ضعيفة وفردية ليست جماهيرية . ذكر الألوسي ، محمود شكري : والزنديق بكسر الزاي من الثنوية أو القائل بالنور والظلمة أو من يبطن الكفر ويظهر الايمان أو من لا يؤمن بالآخرة والربوبية[٩] ، وقد ذكر كولدتسهير عن الزندقة «وكانت تطلق في العصر العباسي على من ينحو من المسلمين في تفكيره الديني نحو العقائد الزرادشتية والمانوية»[١٠] ، يقول ابن كمال باشا : لفظ الزنديق ، فارسي معرب ، على ما نص ائمة اللغة ـ أصله زنده ، أو زندي ، على اختلاف القولين ، والراجح هو الأول على ما حققناه في مسألتنا المعمولة في تحقيق التعريب ، وعلى الوجهين نسبته إلى زند[١١] . وقد أورد محفوظ ، حسين علي في تعليقه على هذا النص[١٢] ، مختلف الآراء حول كلمة زنديق إذ يقول : وقد اختلفوا في أصله اختلافاً كبيراً ففي جمهرة اللغة ـ ابن دريد الأزدي[١٣] : زنده كر ، وفي المخصص ـ ابن سيده ـ مصر ١٣٢٠ هـ جـ ١٤ ص ٤٣ : زندكر ، وفي لسان العرب ـ ابن منظور الافريقي ـ مصر ١٣٠٢ هـ جـ ١٢ ص ١٢ : زندكر ، وفي المزهر في علوم اللغة وأنواعها ـ جلال الدين السيوطي ـ مصر (طبعة البجاوي) جـ ١ ص ٢٧٨ ـ ٩ : زنده كرد ، وفي المحيط ـ الصاحب بن عباد (مخطوط ١٣٥٤ هـ كتبه الشيخ محمد السماوي بالنجف) جـ ١ ص ٤٤٠ : زنده ،

وفي شفاء الغليل فيما في كلام العرب من دخيل ـ الخفاجي ـ مصر ١٢٨٢ هـ ص ١١٢ : زنده كرد زند زندي زن دين زنده ، وفي تاج العروس ـ السيد مرتضى الزبيدي ـ مصر ط ١ ـ ١٣٠٦ ـ ٧ هـ جـ ٦ ص ٣٧٣ : زن دين ، وفي المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ـ الجواليقي ـ مصر ـ ١٣٦١ هـ ص ١٦٦ ـ ٧ : زنده كرد ، زنيده ، وفي منتهى الأرب في لغة العرب ـ الصفى بوري ـ طهران ـ ١٢٩٦هـ جـ١ ص٥١٨-٩ : زن دين ، وفي مجمع البحرين -الطريحي- طهران -١٢٩٨هـ. مادة زن دق) زند زندا زن دين ، وفي القاموس ـ الفيروز ابادي ـ مصر ١٣٥٢ هـ جـ ٣ ص ٢٤٢ : زن دين ، وفي أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد ، الشرتوني بيروت ١٨٨٩م جـ ١ ص ٤٧٧ : زنده ، وفي محيط المحيط ـ المعلم بطرس البستاني ـ بيروت ١٨٦٧ م جـ ١ ص ٨٨٩ : زن دين ، وفي البستان ـ الشيخ عبد الله البستاني ـ بيروت ١٩٣٧ م جـ ١ ص ١٠١٧ : زن دين ، راجع المصباح المنير ـ الفيومي ـ مصر ـ ١٩٣٩ م جـ ١ ص ٢٤٩ ، وصحاح اللغة ـ الجوهري ـ مصر ـ ١٢٩٢ هـ جـ ٢ ص ٨٨ ، ودائرة المعارف ـ البستاني ـ بيروت ـ ١٨٨٧ م جـ ٩ ص ٢٧٠ ، ودائرة معارف القرن الرابع عشر ـ محمد فريد وجدي ـ مصر ١٣٤٢ هـ ج ٤ ص ٦٠٨ ، وفرنود سار ـ ناظم الأطباء ـ طهران ـ ١٣١٩ ـ ١٣٢٠ هـ جـ ٣ ص ١٧٨٣ ، وبرهان قاطع ـ محمد حسين بن خلف التبريزي ـ طهران ـ ١٣٣١ ش جـ ٢ ص ١٠٣٩ ، وكتاب صديقي ـ ص ٢١ و ٩٠ ، والبديع في معرفة اللغة ـ السيد علي الميبدي ـ طهران ـ (؟) ـ ص ٩٥ ، والألفاظ الفارسية المعربة ـ أدي شير ـ بيروت ـ ١٩٠٨ م ص ٨٠ ـ ١ ، وترجمان ولغة ـ محمد يحيى بن محمد شفيع القزويني ـ طهران ١٢٧٣ هـ : مادة (زن دي ق) ، والانساب ـ السمعاني ـ ليدن ـ ١٩١٢ م (ورقة ٢٨٠/ب) في مادة الزندي ، وجامع التعريب بالطريق القريب (مخطوط ١٢٠٢ هـ) نسخة (مكتبة الأوقاف العامة ببغداد) المرقومة ٦٠١٥ (ورقة ٧١ أ ـ ورقة ٧٢ أ) ، وضياء الحلوم المختصر من كتاب شمس العلوم ـ محمد بن نشوان بن سعيد الحميري (نسخة خزانة المشكاة بطهران) مخطوط جـ ٢ (ورقة ٥٠/ب)[١٤] ، انتهى تعليق محفوظ .

حول الزنادقة راجع أيضاً الدوري ، عبد العزيز في كتابه العصر العباسي الأول[١٥]

الصفحات ١٠٩ ـ ١١٦ ويذكر في ص ١١١ ما يلي : ولكن يجب أن نلاحظ أن الزنادقة لم يكونوا جميعاً مانوية وأن الاسم تدرج معناه فشمل جميع اتباع الديانات الفارسية الذين يظهرون الإسلام ، ثم صار يشمل الملحدين أو المتشككين في الدين .

ويعرض الدوري آراء براون Browne وديفن Deven وفون كريمر Von Kremer ، القائلة بأن الزنادقة هم من المانوية .

وذكر الدوري في كتابه «الجذور التاريخية للشعوبية»[١٦] : «وقد استمرت الحركة المانوية باسم الزندقة في المجتمع الاسلامي» ـ ص ٢٤ ، كما ذكر الدوري في كتابه مقدمة في تاريخ صدر الإسلام[١٧] : «وانتشرت الزندقة وهي تمثل نزاعاً سياسياً دينياً بين الديانات الفارسية ، والطموح الفارسي وبين الروح العربية والدين الإسلامي» ص ٩١ . راجع أيضاً جب H.A.R. Gibb في كتابه Studies on the Civilisation of Islam [١٨] وفيه فصل عن الشعوبية والزندقة العربية ص ٨٢ ـ ٩٤) .

أما في المصادر العربية فيمكن مراجعة الملطي ، كتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، طبع استانبول ، ١٩٣٦ م ص ٧٢ . والجاحظ ـ البيان والتبيين ، جـ ٣ ، ولو أننا لا نتفق مع قوله : فإنما عامة من أرتاب بالإسلام إنما جاءه هذا عن طريق الشعوبية فإذا أبغض شيئاً أبغض أهله وإنْ أبغض تلك اللغة أبغض تلك الجزيرة فلاتزال الحالات تنتقل به حتى ينسلخ من الإسلام إذ كانت العرب هي التي جاءت به وكانوا السلف ، الجزء الثالث طبع القاهرة ، ١٩٣٢ م ص ١٤ ، إذ أن بين الزنادقة كان هناك عرب ، مثل صالح بن عبد القدوس ومطيع بن اياس ، كما أن الجاحظ أرجع الزندقة إلى العنصرية وهذا غير صحيح . وابن النديم ، الفهرست[١٩] ص ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، والجهشياري ، الوزراء والكتاب[٢٠] ، والمسعودي ، مروج الذهب جـ ١ ص ٢٥٠[٢١] ، والبغدادي ، الفرق بين الفرق[٢٢] ، والشهرستاني ، الملل والنحل[٢٣] وابن الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية[٢٤] .

راجع : حتي ، فيليب ، تاريخ العرب (مطول)[٢٥] حيث يذكر : زندقة في العربية مأخوذة من زنديك الفارسية ـ مجوسي عباد نار ، ـ جـ ١ ط ٣ لسنة ١٩٦١ ص

١١٤ ، هامش رقم ٢ ، وذكر أيضاً : أطلق قدماء العرب لفظة زنديق (وهي مشتقة من زنديك البهلوية) على كل مسلم أظهر عقائد الفرس لا سيما المانوية وصارت لفظة زنديق فيما بعد تدل على من اتصف بالحرية الفكرية . ص ٤٤٠ هامش رقم ٢ . راجع أيضاً بارتولد ، الحضارة الإسلامية[٢٦] (مترجم للعربية) ص ١١ ـ ١٢ ، ويذكر شلبي ، أحمد : وقد ظهرت الزندقة قبل أن يظهر الإسلام فالزندقة ليست خروجاً على الإسلام خاصة وإنما هي خروج على جميع الأديان وعلى كل القيم والمعايير الأخلاقية السليمة ، في قصور الخلفاء العباسيين[٢٧] ، ـ ص ٣٤ .

ب ـ الغنوصية:

يقترن بذكر ماني والتعاليم المانوية ذكر الغنوصية والديصانية والمرقيونية . فما هي الغنوصية ؟وما علاقة الغنوص بكل من الديصانية والمرقيونية ؟ ومن ثم بالمانوية ؟

ذكر ابن النديم عن الديصانية : إنما سمي صاحبهم بالديصان باسم نهر ولد عليه ، وهو قبل ماني ، والمذهبان (يقصد الديصانية والمانوية) قريب بعضهما من بعض ، وإنما بينهما خلاف (اختلاف) في اختلاط النور بالظلمة ، فإن الديصانية اختلفت في ذلك على فرقتين : فرقة زعمت أن النور خالط الظلمة باختيار منه ليصلحها ، فلما حصل فيها ورام الخروج عنها امتنع ذلك عليه ، وفرقة زعمت أن النور أراد أن يرفع الظلمة عنه لما أحس بخشونتها وتننها ، شابكها بغير اختياره... وزعم ابن ديصان أن النور جنس واحد والظلمة جنس واحد ، الفهرست[٢٨] ص ٤٨٨ . ويقول الشهرستاني عن الديصانية ـ وهو تقريباً يردد أقوال ابن النديم : «أصحاب ديصان اثبتوا أصلين ، نورا ، وظلاما . فالنور يفعل الخير قصداً واختياراً والظلام يفعل الشر طبعاً واضطراراً فما كان من خير ونفع ، وطيب وحسن فمن النور . وما كان من شر وضرر ، ونتن وقبح ، فمن الظلام . وزعموا أن النور : حي ، عالم ، قادر ، حساس ، دراك ، ومنه تتكون الحركة والحياة . والظلم ميت ، جاهل ، عاجز ، جماد ، موات ، ولا فعل له ولا تمييز ـ الملل والنحل[٢٩] ، جـ ١ ص ٢٥٠ . وكتب ابن النديم عن المرقيونية : أصحاب مرقيون ، وهم قبل الديصانية ، وهم طائفة من النصارى ، أقرب من المانية والديصانية ، وزعمت المرقونية أن الأصلين القديمين النور والظلمة ،

وأن ههنا كونا ثالثاً مزجها وخالطها... واختلفوا في الكون الثالث ما هو ، فقالت منهم طائفة هو الحياة ، وهو عيسى ، وزعمت طائفة أن عيسى رسول ذلك الكون الثالث ـ الفهرست ص ٤٨٨ ـ ٩ . وبشيء من التفصيل يضيف الشهرستاني إلى أقوال ابن النديم عن المرقيونية ، فيقول : أصحاب مرقيون اثبتوا أصلين قديمين متضادين : أحدهما النور والثاني الظلمة . واثبوا أصلاً ثالثاً هو المعدل الجامع وهو سبب المزاج . فإن المتنافرين المتضادين لا يمتزجان إلاّ بجامع . وقالوا : إن الجامع دون النور في المرتبة ، وفوق الظلمة ، وحصل من الاجتماع والامتزاج هذا العالم... وهذا خلاف ما قالته المانوية ، وإن كان ديصان أقدم ، وإنما أخذ ماني منه مذهبه وخالفه في المعدل . وهو أيضاً خلاف ما قال زردشت ، فإنه يثبت التضاد بين النور والظلمة ، ويثبت المعدل كالحاكم على الخصمين ، الجامع بين المتضادين . ـ الملل والنحل ـ جـ ١ ص ٢٥٢ .

ويذكر ابن النديم عن ماني : «واستخرج ماني مذهبه من المجوسية والنصرانية» ـ الفهرست ص ٤٧٢ . ويذكر البيروني عن ماني : وكان عرف مذهب المجوس والنصارى والثنوية ـ الآثار الباقية [٣٠] ـ ص ٢٠٧ . وقال عنه الشهرستاني : أحدث دينا بين المجوسية والنصرانية ـ الملل والنحل ـ جـ ١ ص ٢٤٤ .

أما الغنوص فهو مجموعة آراء وثنية ذات أصول مختلفة لهذا احتوى على عقائد مختلفة بضمنها ثنائية الوجود وقد تسربت هذه الآراء إلى المسيحية وإلى المانوية . يذكر كريستنسن ، آرثر عن ماني : وقد نشأ الطفل الصغير (يقصد ماني) على مذهب المغتسلة (يقصد الصابئة) . ولكنه تعمق بعد ذلك في درس أديان زمانه الزرادشتية والمسيحية والمذاهب الكنيستيكية (الغنوصية) وخاصة مذهبي ابن ديصان ومرقيون فترك مذهب المغتسلة ـ ايران في عهد الساسانيين[٣١] ـ ص ٢٧١ ـ ٢ ،... ولا يستطيع الباحث أن يغفل الأصل الكنوستيكي (الغنوصي) لخلق الدنيا والمعاد عند ماني . وقد وجد شيدر في ملخص عقائد ماني الذي ذكره الكسندر الليكوبوليسي في صورة فلسفية (يحتمل أن يكون حوالي سنة ٣٠٠) أساس الفلسفة الهيلينية التي بنى عليها ماني ، تلميذ ابن ديصان ، نظريته ـ ايران في عهد الساسانيين[٣٢] ـ ص ١٧٩ وقد أشار بارتولد ، فاسيلي فلاديميروفيتش إلى تأثير الغنوصية في المانوية : إن آراء

بردسان الكاتب السرياني الذي حاول التأليف بين الفلسفة الوثنية المسماة الغنوستية (الغنوصية Ganosticisme) وبين بعض آراء النصرانية ، ولاريب قد أثرت في المانوية التي ظهرت في القرن الثالث(٣٣) . ويعلق المؤرخ التركي كوبريلي ، محمد فؤاد على كلام بارتولد ، ف . فيقول :... فالغنوص gnos معناها (المعرفة العليا ذات الأسرار) وتسمى العقائد الدينية الفلسفية المختلفة التي تتصل بالـ (غنوص) الغنوصية... ومع وجود أسرار مشتركة بين الغنوصيين الذين يؤمنون بوقوفهم على معرفة عالية ذات أسرار لا يطلع عليها غيرهم ، فإن هنالك مذاهب غنوصية قد نشأت من أصول مختلفة ومتميزة عن بعضها من حيث عقائدها . وتشاهد تحت هذا الاسم مذاهب مختلفة نشأت من الوثنية واليهودية والمسيحية ، اختلطت عقائدها بعضها ببعض ونسأت من أصول قديمة جداً(٣٤) .

ويرى الدوري ، عبد العزيز : أن كلا من ابن ديصان ومرقيون سبق ماني في المزج بين الزردشتية والمسيحية وتكوين مذهب خاص من الاثنين ، العصر العباسي الأول(٣٥) ، أما بروكلمان ، كارل فيقول : ظهر ماني كمؤسس لديانة غنوصية جديدة متأثرة بالنصرانية من ناحية وببابل وايران من ناحية أخرى ، تاريخ الشعوب الاسلامية(٣٦) .

الملحق (جـ)

القصائد والأشعار التي قيلت بمناسبة الانتفاضة وما يتعلق بها

١ ـ الشاعر علي بن الجهم، أبو الحسن علي بن الجهم بن بدر بن الجهم بن مسعود القرشي الشامي، ١٨٨ هـ؟ ٢٤٩ هـ.

قال(*) علي بن الجهم بن بدر يمدح المعتصم بالله[٣٧] :

١ـ متى عطلت رباك من الخيام
سقيت معاهدا صوب الغمام ـ ٣ ـ

٣٦ ـ وليت (فلم)[٣٨] تدَعْ للدينِ ثأرا
سيوفُكَ والمثقفةِ الدوامي ـ ٩ ـ

٣٧ ـ نصبت المازيار على سَحوقٍ
وبابك والنصارى في نظام[٣٩] ـ ٩ـ

٣٨ ـ مناظرُ لا يزالُ الدينُ منها
عزيزَ النصرِ ممنوعَ المرام ـ ٩ـ

٤٣ ـ وجمعُ الزط حين عموا وصمّوا
عن الداعي إلى دار السلام ـ ١٠ ـ

٤٤ ـ أطلَّ عليهمُ يومٌ عبوسٌ
(تعوّذُ) منه أيام الحِمام ـ ١١ ـ

٢ـ الشاعر البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى، ٢٠٦ هـ/٨٢١م ـ ٢٨٤ هـ/٨٩٧م[٤٠]

قال يمدح أبا سعيد[٤١] (القائد محمد بن يوسف) :

١ـ زَعَمَ الغرابُ منبئُ الانباءِ
أن الأحبة آذنوا بتناءِ ـ ٢٢٧ ـ

(*) ملاحظة : ان الأرقام التي تسبق بيت الشعر تعود إلى تسلسل الأبيات في القصيدة بينما الأرقام التي في نهاية بيت الشعر فتعود إلى صفحات الديوان أو المصدر المنقولة عنه القصيدة .

٣٢ـ ثار محمد[٤٢] لهم على
كلبِ العدى وتخاذلِ الأحياءِ ـ٢٢٨ـ
٣٣ـ ما آنفكَ سيفُكَ غادياً أو رائحاً
في حَصْدِ هاماتٍ وسَفْكِ دماءِ ـ٢٢٨ـ
٣٤ـ حتى كفيتهم الذي استكفوكَ من
أمْرِ العدا ووفيتَ أيَّ وفاءِ ـ٢٢٨ـ
٣٥ـ ما زلتَ تَقرعُ بابَ بابكَ بالقنا
وتزوره في غارةٍ شعواءِ ـ٢٢٨ـ
٣٦ـ حتى أخَذْتَ بنصلِ سيفِكَ عنوةً
منه الذي أعيا على الأمراءِ ـ٢٢٨ـ
٣٧ـ أخليتَ منه البذَّ وهي قرارهُ
ونصبتَه علماً بسامراءِ ـ٢٢٨ـ
٣٨ـ لم يُبْقِ فيه خوفُ بأسكَ مطمعاً
للطير في عَوْدٍ ولا إبْداءِ ـ٢٢٨ـ
٣٩ـ فتراه مُطَّرداً على أعوادهِ
مثل اطّرادِ كواكبِ الجوزاءِ ـ٢٢٨ـ
٤٠ـ مُستشفعاً للشمس منتصبا لها
في أخرياتِ الجِذْعِ كالحَرباءِ ـ٢٢٨ـ

* * *

وقال يمدح اسحاق بن ابراهيم[٤٣] :
١ـ عارضنا أصلاً فقلنا الربربُ
حتى أضاءَ الاقحوانُ الأشنبُ ـ١٨٧ـ
٢٧ـ ولحربةِ الإسلام حين يَهُزّها
حَوْلٌ يَراعُ له النفاقُ ويُرْعَبُ ـ١٨٨ـ
٢٨ـ تلكَ المُحَمَّرَةُ الذين تهافتوا
فَمُشَرِّقٌ في غَيِّهِ ومُغَرِّبُ ـ١٨٨ـ

٢٩ـ والخـــرمـــيـــةُ إذ تَـجَـــمَّـعَ منهمُ
بجـبــالِ قــرّانَ الحــصى والأثلبُ ـ١٨٨ـ
٣٧ـ سُلِبُــوا وأشْــرَقَتِ الدمــاءُ عليــهمُ
مُــحْــمَـرَّةً فكأنهم لم يُسْلَبُــوا ـ١٨٨ـ

* * *

وقال يمدح محمد بن يوسف(٤٤) (أبا سعيد) :
١ ـ فِــيْمَ ابتــدارُكُمُ الملامَ ولوعــا
أبـكـيتَ إلاّ دُمْـنَـةً وربـوعــــا ـ ١٦٧ـ
٢٥ـ لـله دَرّكَ(٤٥) يومَ بـابكَ فــارســاً
بطلاً لأبواب الحــتــوف قَــروعــا ـ١٦٨ـ
٢٦ـ لما أتاك يقــودُ جــيــشــاً أرعناً
يمشي إليـه كـشـافـةً وجـمـوعـا ـ١٦٨ـ
٢٧ـ وزعــتــهـم بين الأسنةِ والظُبى
حـتى أبَدْتَ جـمـوعَـهم توزيعـا ـ١٦٨ـ
٢٨ـ في مـعـــركٍ ضنكٍ تَـخـالُ به القنا
بين الضـبوع إذا انحينَ ضُلوعــا ـ١٦٨ـ
٢٩ـ مـا إن ثنى فــيـه الأسنة والظُبى
لطي الفــوارسُ سـجـدا وركـوعـا ـ١٦٨ـ
٣٠ـ جلبـتــه بشــســاع رأس رده
لبس الـتـرائك للـهـيـاج صليـعـا ـ١٦٨ـ
٣١ـ فـدعــوتهم بظُبى الســيــوفِ إلى الردى
فـأتوكَ طُرّاً مـهطعين خـشـوعـا ـ١٦٨ـ
٣٢ـ حـتى ظَفَــرْتَ ببـذِّهم فـتـركـتَـهُ
للذلِ(٤٦) جـانبُـه وكـان منيـعـا ـ١٦٨ـ

* * *

وقال البحتري يرثي بني حميد ويخص أبا مسلم[٤٧] :

١ـ اقصرْ حميدٌ لا عزاءٌ لمغرمٍ
ولا قصَّرَ عن دمعٍ وإنْ كان من دم ـ٥٥ـ

٩ـ بشاهقةِ البذين قبر محمد
بعيد عن الباكين في كل مأتم ـ٥٥ـ

١٠ـ تشقُ عليه الريحُ كلَّ عشيةٍ
جيوبُ الغمامِ بينِ بكرٍ وأيِّمِ ـ٥٥ـ

* * *

وقال يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف (الصامتي)[٤٨] :

١ـ لا دمنةً بلِوى خبّت ولا طلُ
يَرُدُّ قولاً على ذي لوعةٍ يَسِلُ ـ١٧٥٨ـ

٢٩ـ تهفو به رايةٌ صفراءُ تحسبُها
أرديَّةً صبغتها الهونُ والشللُ ـ١٧٦٢ـ

٣٠ـ أمسى يردُ حريقُ الشمسِ جانبَهُ
عن (بابك) ، وهي في الباقين تشتعلُ ـ ١٧٦٣ـ

٣١ ـ كأنهم ركبوا للحربِ وهو لهم
بَنْدٌ ، فما لفَّ مذ أوفى ولا نزلوا ـ١٧٦٣ـ

* * *

ذكر ابن الأثير ـ في الكامل[٤٩] ـ عن الزط بعد اندحارهم لما جلبهم عجيف بن عنبسة أسرى بسفنهم إلى بغداد ما يلي : وأقام الزط في سفنهم ثلاثة أيام ثم نُقِلُوا إلى الجانب الشرقي وسُلِّمُوا إلى بشر بن السميدع ، فذهب بهم إلى خانقين ثم نُقِلوا إلى الثغر إلى عين زربه فأغارتْ الرومُ عليهم فاجتاحوهم فلم يفلت منهم أحد . فقال شاعرهم في ذلك[٥٠] :

يا أهلَ بغدادَ موتوا دامَ غيظُكم
شوقاً إلى تمر برنيٍ وسهريز ـ٢٣٣ـ

نحن الذين ضـربناكم مُـجَـاهَرةً

قِسْراً وسقناكم سوقَ المعاجيز ـ ٢٣٣

لم تشكروا اللهَ نعماه التي سَلَفَتْ

ولم تحوطوا أياديهِ بتعزيز ـ ٢٣٣

فاستنصروا العبدَ من أبناءِ دولتكم

من يا زمانَ ومن بلجٍ ومن تُوزِ ـ٢٣٣

ومن شناسَ وأفشينٍ ومن فرجٍ

المُعْلِمِيْنَ بديباجٍ وابريز ـ٢٣٣

واللابسين كخانِ الصينِ قد خَرُطَتْ

أردانُه دَرْزَ برواز الدخاريز ـ٢٣٣

والحاملينَ الشُكى نِيْطَتْ عَلائِقُها[51]

إلى مناطقُ خاصٍ غير مخروز ـ٢٣٣

يغرى ببيض من الهند هامهم

بنو بهلة في أبناء فيروز[52] -٢٣٣

فوارسُ خَيلُها دهمُ مُودَّعَةٌ

على الخراطيمِ منها والفراريز[53]-٢٣٣

مسخرات لها في الماء أجنحة

كالآبنوس إذا استحضرن والشيز -٢٣٣

متى ترموا لنا في غمر لجتنا

حذرا نصيدكم صيد المقاقيز -٢٣٣

أو اختطافاً وارها كما اختطفت

طير الرجال حشانا بالشناقيز ـ ٢٣٤

ليس الجلاد جلاد الزط فاعترفوا

أكل الثريد ولا شرب القواقيز ـ٢٣٤

نحن الذين سقينا الحرب ذرتها

ونقتنيها مقاسات الكواليز ـ٢٣٤

لنسفعنكم سفعا يذل له

رب السرير ويشجى صاحب التيز ـ٢٣٤

فابكوا على التمر أبكى الله أعينكم

في كل أضحى وفي فطر ونيروز(٥٤) ـ٢٣٤

* * *

ذكر الدينوري ، أبو حنيفة أحمد بن داود في كتابه «الأخبار الطوال»(٥٥) : ولما قَدِمَ الأفشين ومعه بابك أجلسه المعتصم على سرير أمامه وعقد التاج على رأسه وفي ذلك يقول اسحاق بن خلف الشاعر في قصيدته التي مدح فيها المعتصم بالله(٥٦) :

ما غبتَ عن حرب تَحَرَّقُ نارُها

بالبذِّ كنت هنا وأنتَ هناكا ـ٣٤١

عَزَّتْ بأفشينِ حسامُكَ أمةٌ

والدينُ ممتسكٌ به استمساكا ـ٣٤١

لما أتاكَ ببابكٍ توّجته

وأحقُّ من أضحى له تاجاكا ـ٣٤١

* * *

وذكر الدينوري ، أبو حنيفة أيضاً(٥٧) : إن أبا تمام رثى محمد بن حميد الطوسي بقصيدة يقول فيها :

كأن بني نبهانَ يومَ وفاتِهِ

نجومُ سماءٍ خرَّ من بينها البدرُ ـ٣٣٩

وفيها يقول :

فأثبتَ في مستنقع الموتِ رِجْلَهُ

وقال لها من تحتِ أخمصكِ الحَشْرُ ـ٣٣٩

* * *

قصيدة إبراهيم بن المهدي

ذكر المسعودي في «مروج الذهب»[٥٨] : ولما قُتِلَ بابكُ وأخوه وكان من أمره ما تقدم ذكره قام في مجلس المعتصم الخطباء فتكلموا وقالت الشعراء ، فممن قام في ذلك اليوم إبراهيم بن المهدي فقال شعراً بدلاً من الخطبة وهو :

١ـ يا أمينَ اللهِ أنّ الحمدَ لله كثيرا ـ ٥٨

٢ـ هكذا النصرُ ، فلا زالَ لك الله نصيرا ـ٥٨

٣ـ وعلى الأعداءِ أُعطيتَ من الله ظهيرا ـ٥٨

٤ـ وهنيئاً هيأ الله لك الفتحَ الخطيرا ـ٥٨

٥ـ فهو فتح لم ير الناسُ له فتحاً نظيرا ـ٥٨

٦ـ وجزى الأفشين عبد الله خيرا وحبورا ـ٥٩

٧ـ فلقد لاقى به بابكُ يوماً قمطريرا ـ٥٩

٨ـ ذاك مولاك الذي ألفيته جلدا صبورا ـ٥٩

٩ـ لك حتى ضرج السيف له خدا نظيرا ـ٥٩

١٠ـ ضربة القت على الدهر له في الوجه نورا ـ٥٩

* * *

أورد ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ، في المسالك والممالك[٥٩] بيتاً للشاعر الحسين بن الضحاك :

لم يدعْ للبذِّ من ساكنِهِ

غيرَ أمثالٍ كأمثالِ إرمْ ـ ٢٢٠

* * *

وقد أورد هذا البيت مع بيتين آخرين ، المقدسي ، المطهر بن طاهر في كتابه «البدء والتاريخ»[٦٠] دون أن يذكر قائله إذ كتب : وأمر (الخليفة) بمدحه (للافشين) وجعل صلتهم عنده فمما قيل فيه :

كل مجد غير ما أثّلَهُ

لبني كاووسَ أولادُ العجمْ ـ١١٧

إنما الأفشين سيف سلّه
قدرُ الله لكفِ المعتصمْ ـ ١١٧
لم يدعْ في البذِّ من ساكنهِ
غيرَ أمثالٍ كأمثال إرمْ ـ ١١٧

* * *

كتب الطبري يصف عرض بابك في سامراء حيث أركبوه على فيل : وأُمِرَ به فجُعِلَ في قباء ديباج وقلنسوة سمور مدورة وهو وحده فقال محمد بن عبد الملك الزيات[٦١] :

قد خضب الفيل كعادته
يحمل شيطان خراسان ـ ١٢٣٠
والفيل لا تخضب أعضاؤه
إلا لذي شأن من الشأن ـ ١٢٣٠

* * *

قال المسعودي[٦٢] ـ في التنبيه والاشراف ـ ليدن ، ١٨٩٣ :

ولحق الأفشين بالمعتصم فنزل معه على عمورية وفي ذلك يقول الحسين بن الضحاك الخليع الباهلي في قصيدة طويلة يمدح أبا الحسن الأفشين :

أثبت المعصوم عزاً لأبي
حَسَنٍ اثبتَ من رُكْنٍ أضمْ
كلُ مجدٍ دون ما أثّلَهُ
لبني كاوسَ أملاكُ العجم
لم يدع بالبذِّ من ساكنِهِ
غيرَ أمثالٍ كأمثالِ إرَمْ
وقرى توفيل طعنا صادقنا
فض جمعيه جميعا وهزم
ص ١٧٠

وقال الحسين بن الضحاك في كلمة له طويلة يخاطب المعتصم :

لم يَبق من أنقرة نقرةٌ
واجتحتَ عمورية الكبرى
إن يشك توفيل بتأريخه
فحقّ أن يُعذر بالشكوى

وقال :

تفنى بنو العيصِ وأيامُهُمْ
وذكرُ أيامكِ لا تفنى
يا رب قد أملكتَ من بابكٍ
فأجعل لتوفيلهم العقبى

ص ١٧٠

* * *

ذكر ابن اسفنديار ، محمد بن الحسن في كتابه (تاريخ طبرستان)[٦٣] قصيدة لم يذكر قائلها[٦٤] :

١ ـ وقايلةٌ جرتم غداة يسوقكم
أسارى إلى اللفور قلف الأساور ـ١٥٣
٢ـ لعمرك لو شئنا امتنعنا وأصبحت
بنو قارن فينا طحين الدوائر ـ١٥٣
٨ـ أيرضى أمير المؤمنين بما نرى
وليس أمير المؤمنين بجائر ـ١٥٣
٩ـ أيجعلنا نهب المجوس وما نرى
اليهم سوى دين الهدى من جرائر ـ١٥٣
فان ينج مثل المازيار ولم يذق
سلافة موت من كؤوس البواتر ـ١٥٣

وإني ألاقي المازيار كأنني
أرى رأسه تاجا لرمح بن طاهر -١٥٣

* * *

٣- الشاعر أبو تمام ، حبيب بن أوس الطائي ، يذكر بأنه ولد ١٨٠ هـ ، ٧٩٦ م أو ١٨٨ هـ/ ٨٠٤ م والراجح ١٩٠ هـ/ ٨٠٦م ، وتوفي ٢٢٨ هـ/ ٨٤٣ م ، وهو أكثر الشعراء ذكراً للانتفاضة ومواقعها ومعاركها .

قال يمدح أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي(٦٥) :

١- على مثلها من أربُعٍ وملاعبِ
أُذيلت مصوناتُ الدموعِ السواكبِ -٢٠٥

٣١- وقد عَلِمَ الأفشينُ وهو الذي بهِ
يُصان رداءُ الملكِ عن كلِّ جاذبِ -٢١٧

٣٢- بأنّكَ لما اسحنككَ الأمْرُ واكتسى
أهابيَّ تَسْفي في وُجوهِ التجاربِ - ٢١٨

٣٣- تجلّلْتَهُ بالرأي حتى أريْتَهُ
به ملءَ عينيهِ مكانَ العواقبِ -٢١٨

٣٤- بأرشقَ إذْ سالتْ عليهم غمامةٌ
جَرَتْ بالعوالي والعتاقِ الشوازبِ -٢١٨

* * *

يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف ويذكر وقعته مع الخرمية(٦٦) :

١- أبى فلا شَنَباً يهوى ولا فَلَجا
ولا احوراراً يُراعيه ولا دَعَجا -٣٣٣

٢- كفى فقد فَرَّجَتْ عنه عَزيمتُهُ
ذاكَ الوُلُوعَ وذاكَ الشوقَ فانفرجا(٦٧) -٣٣٣

٣- كانت حوادثُ في مُوقانَ ما تَرَكَتْ
للخرميةِ لا رأساً ولا ثَبَجا(٦٨) -٣٣٣

٥ـ أبلغ مـــحـــمـــدا الملقي كـــلاكله

بأرض خش أمـــام القـــوم قـــد لبـــجـــا ـ٣٣٤

١٢ـ ويَـوْمَ أرشقَ والآمـــالُ مُـــرْشِـــقَـــةٌ(٦٩)

إليكَ لا تَـتَـــبـــغي عنك مُنْعَـــرَجـــا ـ٣٣٥

١٤ـ للـه أيـامُكَ اللاتي أغْـــرَتْ بـهـــا

صـفـرَ الهُـدى وقـديماً كـان قـد مَـرجـا(٧٠)ـ٣٣٦

١٥ـ كـانتْ على الدينِ كـالسـاعـاتِ من قِـصَـرٍ

وعـــدَّها بابكُ من طولِـهـــا حِـجَـجـاً(٧١)ـ٣٣٦

٢٨ـ إنْ ينـجُ مـنك أبـو نصــرٍ فـــعن قَـــدَرٍ

تَنْجُـــو الرجـالُ ولكنْ سلْهُ كـيف نَجـا(٧٢)ـ٣٣٩

٢٩ـ قـد حلَّ في صـخـرةٍ صـمـاءَ مُـعْنِقَـةٍ(*)

فـــانجِتْ برأيكَ في أوعـــارها درجـــا ـ٣٣٩

* * *

قال أبو تمام يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري(٧٣) :

١ـ خَـمَـشْـتُهُ فـاحـتـمى طعمَ الهـجـودِ

غـداةَ رمـشْـتُهُ بـالطرفِ الصـيـود ـ٨١

٢٤ـ أليـسَ بـأرْشقٍ كـنـتَ المحـــامـي

عـن الإســـلامِ ذا بأسٍ شـــديدِ ـ ٨٣

٢٥ـ رآك الخُـــرَّمـيُّ عـليـــه نـاراً

تَلَهَّبُ غـيـرَ خـامـدةِ الوَقُـود ـ٨٣

٢٦ـ دَلَفْـتَ لـهـم بـأبـنـاءِ المـنـايـا

على العُـقْـبـانِ في خلقِ الأسـودِ ـ٨٣

٢٧ـ رجـا صـيـداً فـردَّتْهُ المنايا

إلى أنيـابِ مُـقْـتَنُص الصـيـودِ ـ٨٣

(*) معنقة مرتفعة وأصل ذلك في طول العنق .

٢٨ـ وقد كان الجليدُ فغادرتَه
رماحُكَ غيرَ مصطبرٍ جليدِ ـ٨٣
٢٩ـ وفي مُوْقَانَ كنتَ غداةَ ماقوا
أشد قُوىً من الحجرِ الصَلُودِ ـ٨٣
٣٤ـ ويوم البَذّا لما يبقَ حقدٌ
على الأعداءِ في قلبٍ حقودِ ـ٨٣
٣٥ـ حططتَ ببابَكٍ فانحطَ لمّا
رأى أجلَ الشقيِ مع السعيدِ ـ٨٣
٣٦ـ وما إنْ زلْتَ تأنَسُه بوعدٍ
وتُوحِشَهُ بإنذارِ الوعيدِ ـ٨٣
٣٧ـ فطوراً تَجْلُبُ الدنيا عليهِ
بخيلٍ في السروج وفي اللبودِ ـ٨٣
٣٨ـ وطوراً تستشيرُ عليه رأياً
كحدِ السيفِ في حَبْلِ الوريدِ ـ٨٣
٣٩ـ تَمَثَّلُ نَصْبَ عينيه المنايا
فيَرْغَبُ في القيامِ وفي القعودِ ـ٨٣
٤٠ـ وما شيء من الأشياءِ أقضى
على المُهَجاتِ من رأيٍ سديدِ ـ٨٣
٤١ـ فما ندري أحدُّكَ كان أمضى
غداةَ البَذِّ أمْ حدُ الحديدِ ـ٨٣
٤٢ـ لَئِنْ طَلَعَتْ نجومُهمُ بنَحْسٍ
لقد طَلَعَتْ نجومُكَ بالسُعودِ ـ٨٤

* * *

وقال يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي(٧٤) :
١ـ سرتْ تستجيرُ الدمعَ خوفَ نوى غد
وعادَ قَتاداً عندها كلُّ مَرْقدِ ـ٢٢

١١ــ رمى الله منه بابكاً وولاته
بقصامةِ الأصلابِ في كلِّ مَشهَدِ[٧٥] ـ٢٤
١٤ـ فتىً يومَ بَذِّ الخرميةِ لم يكنْ
بهيّابةٍ نِكْسٍ ولا بمُعَرِّدِ[٧٦] ـ٢٤
١٥ـ قِفَا سَنْدَبَايا والرماحُ مشيحةٌ
تُهَدّى إلى الروح الخفي فتهتدي[٧٧] ـ٢٥
١٦ـ عدا الليلُ فيها عن معاوية الرّدى
وما شكّ ريبُ الدهر في أنه رَدي ـ٢٥
١٩ـ وفي أرشقَ الهيجاءِ والخيلُ ترتمي
بأبطالِها في جاحمٍ متوقّدِ ـ٢٦
٢٠ـ عَطَطْتَ على رغم العدا عزمَ بابكٍ
بصبرك عطَّ الأتحميِّ المُعَضَّدِ[٧٨] ـ ٢٦
٢٣ـ ومُوقانَ كانتْ دارَ هجرتهِ فقد
تَورّدْتَها بالخيلِ أيَّ تَوَرُّدِ ـ٢٦
٣١ـ وللكَذَجِ العُليا سَمَتْ بك هِمةٌ
طَمُوحٌ يَروحُ النصرُ فيها ويغتدي[٧٩] ـ٢٨
٣٤ـ وبالهَضْبِ من أبرشْتَويم ودروذٍ
علتْ بك أطرافُ القنَا فاعلُ وازددِ ـ٢٨
٤٢ـ جلوتَ الدجى عن أذربيجان بعدما
تَرَدّتْ بلونٍ كالغمامةِ أربدِ ـ٢٩
٤٤ـ رأى بابكٌ منكَ التي طلعتْ له
بِنَحْسٍ وللدينِ الحنيفِ بأسْعُدِ ـ٣٠

وقال يمدح أبا سعيد[٨٠] (محمد بن يوسف) :

١ـ داعٍ دَعا بلسانِ هادٍ مُرشِدِ
فأجابَ عَزمٌ هاجدٌ في مَرْقَدِ ـ١٠٢
٢١ـ إن الخلافةَ لو جزتْكَ بموقفٍ
جعلتْ مثالكَ قبلةً للمسجدِ ـ١٠٣

٢٢ــ وســـعتْ إليكَ جنودُها حــتى إذا
وافــتكَ خــرَّ لديكَ كلُّ مُــقلَّدِ ــ١٠٣

٢٣ــ والله يشكرُ والخليــفــةُ مــوقــفاً
لكَ شــائعــاً بالبَذِّ صَــعْبَ المَشْــهَــدِ ــ١٠٤

٢٤ ــ في مَــأزقٍ[٨١] ضَنْكٍ المِكَرِّ مُــنَــغَّصٍ
أرزِ المجــالِ من القنا المتــقــصِّــدِ ــ١٠٤

٢٧ــ يا فــارسَ الإســلامِ أنتَ حَــمَــيْــتَــهُ
وكــفَــيْــتَــهُ كَلَبَ العــدوِ المعــتــدي ــ١٠٤

٣٠ــ أدركتَ فــيــه دمَ الشــهــيــدِ وثأرَه
وفَلَجْتَ فــيــه بشُكرِ كلِّ مــوحــد ــ١٠٤

٣١ــ ضَــحِكَتْ له أكــبــادُ مكّةَ ضِــحْكَهــا
في يومِ بدْرٍ والعُــتــاةِ الشُــهَّــدِ ــ١٠٤

٣٢ــ أحــيــيتَ للإســلام نَجْــدَةَ خــالدٍ
وفَــسَــحْــتَ فــيــه لمُتْــهِمٍ ولمُنْجِــدِ ــ١٠٤

* * *

وقال يمدح أبا سعيد ، محمد بن يوسف الطائي[٨٢] :

١ــ يا بُعْــدَ غــايةِ دمعِ العين إنْ بَعُــدُوا
هي الصــبــابةُ طُولَ الدهرِ والسُــهُــدُ ــ١٠

٣٤ــ ترَكْتَ منهم ســبــيلَ النارِ ســابِلةً(*)
في كلِ يومٍ إليــهــا عُــصْــبَــةٌ تفِــدُ ــ١٨

٣٥ــ كــأنّ بــابكَ بالبَــذَّيْنِ بَعْــدَهُمُ
نُؤيٌ أقــامَ خــلافَ الحَيِّ أو وَتِدُ[٨٣] ــ١٨

٤٢ــ وأهْلُ مُــوقــانَ إذْ مــاقُــوا فــلا وَزَرٌ
أنْجــاهُمُ منكَ في الهــيــجــا ولا سَنَدُ[٨٤] ــ٢٠

(*) سابلة : عامرة . يقول تركت سبل جهنم منهم عابرة ، لأنهم يصيرون اليها إذا قتلوا .

٤٤ـ لم تَبْقَ مُشْرِكَةٌ إلاّ وقد عَلِمَتْ
إنْ لم تَتُبْ أنّه للسيفِ ما تَلِدُ[٨٥] ـ٢٠

٤٥ـ والبَبْرُ[٨٦] حينَ اطْلَخَمَّ الأمرُ صبّحَهُم
قَطْرٌ من الحربِ لمّا جاءهم خَمَدوا ـ٢٠

* * *

وقال أبو تمام يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي[٨٧] :

١ـ أظنُّ دُموعَها سَنَنَ الفريدِ
وَهَى سِلْكاه من نَحْرٍ وجيدِ ـ٣٢

٦ـ بأرضِ البَذِّ في خَيْشومِ حربٍ
عقيمٍ من وشيكِ ردىً وَلُودِ ـ٣٤

١٧ـ قضى من سَنْدَبايا كلَّ نَحْبٍ
وأرشقَ والسيوفُ من الشُّهودِ[٨٨] ـ٣٦

١٨ـ وأرسلَها على مُوقانَ رَهْواً
تثيرُ النَّقْعَ أكْدرَ بالكَديدِ[٨٩] ـ٣٧

٢٥ـ وفي أبْرشْتَويمَ وهضبَتَيْها
طَلَعْتَ على الخلافةِ بالسُّعودِ[٩٠] ـ٣٨

٢٧ـ وبيَّتَّ البياتَ بعقدِ جَاشٍ
أشدَّ قُوىً من الحَجَرِ الصلودِ ـ٣٨

٣١ـ ويومَ التلِّ تلِّ البَذِّ أُبْنا
ونحن قِصارُ أعمارِ الحقودِ ـ٣٩

٣٢ـ قَسَمناهم فَشَطْرٌ للعوالي
وآخرُ في لظىً حَرِقِ الوَقُودِ ـ٣٨

٣٤ـ ويومَ انصاعَ[٩١] بابكُ مستمِرّاً
مُباحَ العُقْرِ مُجْتاحَ العبيدِ ـ٤٠

٣٥ـ تأمَّلَ شَخْصَ دولتِهِ فعنَّتْ
بجسمٍ ليس بالجسمِ المديدِ ـ٤٠

٣٦ــ فــأزمع نيَّــةً هَرَباً فــحــامتْ

خُــشَــاشَــتُــهُ على أجل بليــد[٩٢] ــ ٤٠

٣٧ــ تقنصَــه بنو سِنبــاطَ أخْــذاً

بأسْــراكِ المواثق والعــهــودِ ــ ٤٠

٣٨ــ ولــولا أنّ ريحَــكَ دَرَبَتْــهــم

لأحــجــمتِ الكلابُ عن الأســود ــ ٤٠

٣٩ــ وهرجــامــاً[٩٣] بطشتَ به فــقلنا

خــيــارُ البَــزِّ كــان على القــعــود ــ ٤٠

٤٠ــ وقــائع قــد سَكَبْتَ[٩٤] بهــا ســواداً

على مــا آحــمَــرَّ من ريشِ البــريدِ ــ ٤١

* * *

وقال أبو تمام يمدح المعتصم ويذكر أمر الافشين[٩٥] وهو خيذر بن كاوس :

١ــ الحقُ أبلَجُ والســيــوفُ عــوارِ[٩٦]

فــحــذار من أسدِ العــرينِ حــذارِ ــ ١٩٨

١٩ــ مــا كــانَ لولا فُــحْشُ غَــدْرَةِ خَــيْــذَرٍ

ليكونَ في الإســلامِ عــامُ فِــجَــارِ ــ ٢٠٢

٢٠ــ مــا زالَ سِــرُّ الكُفْــرِ بين ضلوعِــهِ

حــتى اصطلى سَــرَّ الزنادِ الواري ــ ٢٠٣

٢١ــ ناراً يُســاوِرُ جِــسْــمَــهُ من حــرِّها

لهبٌ كــمــا عَــصْــفَــرْتَ شِقَّ إزار ــ ٢٠٣

٢٢ــ طارتْ لهــا شُــعَلٌ يُهَــدِّمُ لَفْــحُــهــا

أركــانَهُ هَدمــاً بغــيــر غُــبَــارِ ــ ٢٠٣

٢٣ــ مَــشْــبُــوبَةٌ رُفِــعَتْ لأعْظَمِ مُــشْــرِكٍ

مــا كــان يَرْفَعُ ضــوءَها للســاري ــ ٢٠٣

٢٤ــ صلى لهــا حــيــاً وكــانَ وَقُــودَها

مَــيْــتــاً ويدخُلُهــا مع الفُــجّــارِ ــ ٢٠٣

٣٩ـ يا قـــابضـــا يَدَ آلِ كـــاوُسَ عـــادِلاً

أتْبِعْ يمينا منهم بيـــســـــــارِ ـ٢٠٦

٤٤ـ ولقــد شــفى الأحــشــاءَ من بُرَحـــائهـــا

أنْ صـــار بابَكُ جـــار مـــازيارِ[٩٧] ـ٢٠٧

٤٥ـ ثانيـــهِ في كَـــبِـدَ الســمـــاءِ ولم يَكُنْ

لاثـنين ثانٍ إذْ همـــا في الغـــارِ[٩٨] ـ٢٠٧

٤٦ـ وكـــأنما انتـــبـــذا لكيـــمـــا يطويا

عن ناطس[٩٩] خـــبـــراً من الأخـــبـــارـ ٢٠٧

٤٧ـ ســودُ الثـيـــابِ[١٠٠] كـــأنما نَسِـجَتْ لهم

أيدي السَّـمُـــومِ مَـــدَارعـــاً من قـــارِ ـ٢٠٨

٤٨ـ بكروا وأسْـــرُوا في مـــتـــونِ ضـــوامـــرِ

قِـــيْـــدَتْ لهم من مَـــرْبُطِ النّجـــارِ ـ٢٠٨

٤٩ـ لا يَبْـــرَحُـــون ومن رآهم خـــالَهُم

أبداً على سَـــفَـــرٍ من الأســـفـــارـ ٢٠٨

٥٠ـ كـــادوا النُبُّـــوةَ والهُـــدىَ فـــتـــقطعت

أعـنـاقـــهـم في ذلـك المضـــمـــــارِ ـ٢٠٨

٥١ـ جَـــهِلُوا فلم يســـتكثـــروا من طاعـــةٍ

مـــعـــروفـــةٍ بعـــمـــارةِ الأعْـــمـــارِ ـ٢٠٨

* * *

قال أبو تمام يمدح أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي[١٠١]:

١ـ أمّـــا الرُسُـــومُ فـــقـــد أذْكَـــرْنَ مـــا سلفـــا

فـــلا تَكُفَّنَّ عن شـــانيكَ أو يكفـــا[١٠٢] ـ٢٥٩

٢٥ـ إن الخليـــفـــةَ والأفـــشينَ قـــد عَلِمـــا

من اشْـــتَـــفَى لهُـــمـــا من بابكٍ وشَـــفَى ـ٣٦٧

٢٦ـ في يوم أرْشَقَ والهـــيـــجـــاء قـــد رَشَـــقَتْ

من المنيّـــةِ رشـــقـــاً وابلاً قَـــصِـــيفـــا ـ٣٦٧

٣٢ـ ومَــرَّ بَابَكُ مُــرَّ العـيشِ مُنْجَـذِمـاً[١٠٣]
مـحلَوليـاً دَمُـهُ المَغْـسُـولَ لو رشَـفـا ـ ٣٦٩

٣٣ـ حـيـرانَ يَحْـسَـبُ سَـجْفَ النَّقْعِ من دَهَشٍ
طوداً يُحَـاذِرُ أنْ ينقض أو جُـرُفـا ـ ٣٦٩

٣٤ـ ظلَّ القنا يَسْـتـقي من صـفْـوِ مُـهـجـاً
إمّـا ثمـاداً وإمّـا ثرّةً خُـسُـفـا ـ٣٦٩

٣٩. ورُبَّ يـومٍ كـأيـام تـرَكْـتَ بـهِ
مَـتْنَ القناةِ ومَـتْنَ القِـرْنِ منقـصـفـا ـ ٣٧١

٤٠ ـ آزَرْتَ[١٠٤] آبَرْشَـتَـويـا[١٠٥] والقنا قِـصَـدٌ
غَـيـابَةَ الموتِ والمُقْـوَرَّةَ الشُّـسُـفَـا ـ ٣٧١

٥٢ ـ وظلّ بـالـظـفـر الأفـشـينُ مُـرْتَـديـاً
وبـاتَ بـابَكُهـا بـالذلِ مُلْتَـحِـفـا[١٠٦] ـ ٣٧٤

٥٣ ـ أعطى بـكلتـا يـديه حين قـيـل لـه
هـذا أبـو دُلَفَ العـجْلـيُّ قـد دلـفـا

٥٤ ـ تركتَ أجـفـانه مـغـضـوضـةً أبداً
ذلاً تَمكَّنَ من عـينيـه ، لا وَطَفـا ـ ٣٧٥

* * *

وقال يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف[١٠٧] :

١ ــ أمَـا إنّـه لـولا الخليـطُ المُـودِّعُ
ورَبْعٌ عـفـا منه مَـصـيفٌ ومَـرْبَعُ ـ١٤٢

٢٢ ـ ويـومٍ يَظَلُّ العـزُّ يُحْـفَـظُ وَسْطَهُ
بسُـمْـرِ العـوالي ، والنُفُـوسُ تُضَيَّعُ[١٠٨] ـ١٤٢

٣٦ ـ شـقـقتَ إلى جـبـارهِ حَـوْمَـةَ الوَغى
وقنعـتَـهُ بالسـيفِ وهو مُـقَنَّعُ[١٠٩] ـ١٤٤

٣٧ ــ لـدى سَنْدبَـايا والهـضـابِ وأرْشَقٍ
ومُـوْقَـانَ والسُـمْـرُ اللِّدانُ تَزَعْـزَعُ[١١٠] ـ ١٤٤

٢٨ ـ وأبْرَشْـــتـــويمِ والـكذّاجِ ومُلْتـــقى
سَنابِكِهـا والخَـيل تَرْدِي وتَمْـزَعُ[١١١] ـ ١٤٤

* * *

وقـال يمدح المعـتصم ويذكـر الأفـشين[١١٢] : وقـال غـير أبي بكر كـان أبو تمام بنيسابور على باب عبد الله بن طاهر (والي خراسان) فخرج أبو العميثل حاجبه برقعة فيها بيتان من شعر قالهما عبد الله فقال لأبي تمام يقول لك الأمير قل في معنى هذين البيتين ووزنهما وهما في الأفشين وكان يحارب بابك في مدينة أرشق والبيتان هما :

لعـــمـــري لنعمَ السـيـفُ سـيفُ بأرشقِ
نضى الجـفنَ عنه خـيـرُ حـافٍ وناعل
تمنى به ضـربا دراكـا فـأجـفلتْ
نعـامـتُـهم عن بيـضِـهـا المتـقـابل

فقال أبو تمام هذه القصيدة :

١ ـ غَـدا المُلْكُ مَـعْـمُـورَ الحِـمى والمنازل
مُنَـوَّرَ وخْفِ الروض عَـذْبَ المناهـلِ ـ ١٨٦
٩ ـ لقـد لَبِسَ الأفـشينُ قَـسْطَلَةَ الوَغى
مِـحَـشّـاً بنَصْلِ السـيفِ غـيرَ مـواكِلِ ـ١٨٦
١٢ ـ رأى بابَكٌ منه التي لا شَـوَى لهـا
فَـتُـرجى سـوى نَزْعِ الشَّـوى والمفـاصلِ-١٨٧
١٧ ـ فلمّـا رآه الخُـرَّمـيـون والقَنا
بِوَبْلِ أعـاليـهِ مُـغِـيْثَ الأسـافلِ ـ ١٨٧
١٩ ـ عَـشِـيَّـةَ صَـدَّ البَـابَكيُّ عن القنا
صُـدُو دَ المقـالي لا صُـدودَ المُجـاملِ ـ ١٨٧

* * *

وقال يمدح المعتصم ويذكر أخذ بابك[١١٣] :

١ـ آلتْ أُمـورُ الشِّـركِ شَـرَّ مـآلِ
وأقـرَّ بَعْـدَ تَخَـبُّطٍ وصِـيـالِ[١١٤] ـ ١٩٦

٢- غَـضِبَ الخليفـةُ للخلافـةِ غَـضْبَـةً
رَخُصَتْ لهـا المُهجاتُ وهْيَ غَـوالي ـ ١٩٦
٣ـ لما انتـضى جـهلَ السـيوفِ لبَابَكٍ
أغـمـدنَ عنه جَـهالةَ الجُـهّال ـ١٩٦
٤ ـ فـلآذْربيجـان اختـيالٌ بعـدمـا
كـانت مُـعَـرَّسَ عَـبْـرةٍ ونَكالِ ـ ١٩٦
٢١ ـ فـرمـاهُ بالأفـشينِ بالنجمِ الذي
صَـدَعَ الدُّجَى صَـدْعَ الرداءِ البـالي ـ ١٩٧
٢٣ـ يا يـومَ أرشـقَ كُـنْـتَ رَشْـقَ مَـنَيَّـةِ
للخُـرَّمـيَّـةِ صـائبِ الآجـالِ ـ ١٩٧
٢٧ـ لمـا رآهـم بَـابـكٌ دون المُـنـى
هَجَـرَ الغَـوَايَةَ بعـد طُول وصـالِ ـ ١٩٧
٢٨ـ تَخِـذَ الفِـرارَ أخـاً وأيقـنَ أنَّه
صِـرِّيُ عَـزْمٍ مِنْ أبي سَـمَّـال ـ١٩٧
٣١ ـ ووَرَدْنَ مُـوْقَـاناً عليـه شَـوازِباً
شُـعْـثـاً بشُـعْثٍ كـالقطا الأرْسـالِ ـ١٩٧
٣٥ ـ وانصـاع عَنْ مُـوْقـانَ وَهْيَ لجُنْدِهِ
ولـهُ أبٌ بَـرٌّ وأمُّ عِـيـالِ ـ ١٩٧
٤١ ـ وبَهـضْبـتَي أبَرشْـتـويمَ ودَرْوَذٍ
لَقِحَتْ لقـاحَ النصـرِ بعـد حِيـالِ ـ١٩٨
٤٤ـ فليـشكُروا جُنْحَ الظـلام ودَرْوَذاً
فَـهُمُ لِدَرْوَذَ والظـلام مـوالِ[١١٥] ـ ١٩٨
٥٣ ـ فـالبَـذُّ أغْـبَـرُ دارسُ الأطـلالِ
لِيـدِ الردى أُكُلٌ مِـنَ الآكـالِ ـ ١٩٨
٥٤ ـ ألْوَتْ بـه يومَ الخَـمـيسِ كَـتـائبٌ
أرْسَلْنَهُ مـثـلاً مَنَ الأمـثـالِ ـ١٩٨

* * *

وقال يمدح أبا سعيد(١١٦) :

١ـ عـــــسى وَطَنٌ يَدْنُو بـهِمْ ولـعلّمــــا
وأنْ تُعْــتَبَ الأيامُ فــيـهم فــرُبّمــا ـ ٢٢٢

١٨ ـ جَـدَعْتَ لهم أنْفَ الضَّــلالِ بَوَقْــعَــةٍ
تَخَــرّمْتَ في غَــمّــائِها من تَخَــرّما ـ ٢٢٣

١٩ ـ لَئِنْ كـانَ أمـسَى في عَـقَـرقُسَ أجْـدَعـا
لِمِنْ قـبلِ مـا أمـسى بميـمـذَ أخْـرَمـا ـ ٢٢٣

٢١ ـ قَطَعْتَ بنان الكُفْــرِ منهم بمَيْــمَــذٍ
وأتبـعْـتَـهَـا بالرُّومِ كـفّـاً ومِـعْـصَمـا ـ ٢٢٣

٢٢ ـ وكم جَــبَلٍ بالبَــذِّ منهم هدَدْتَه
وغـاوٍ غَــوَى حلّمْــتَــهُ لو تَحَلّمـا ـ ٢٢٣

* * *

وقال يمدح اسحاق بن ابراهيم المصعبي(١١٧) :

٤٠ـ غــادرتَ بالجــبلِ الأهواءَ واحِــدَةً
والشّمْلَ مـجْتَـمِـعاً والشّعْبَ ملتـئمـا ـ ٢٣٠

وقال يمدح اسحاق بن إبراهيم المصعبي(١١٨) :

٢٢ ـ نفــسي فـداؤكَ والجِـبـالُ وأهلُهــا
في طِرْمِــســاءَ من الحـروب بَهــيمِ ـ ٢٣٢

٢٣ ـ بالدَّاوذَوَيْهِ وخَــيْــزَجٍ وذَوَاتِـهـا
عَـهْـدٌ لسـيـفِكِ لم يَكُنْ بذمـيمِ ـ ٢٣٢

* * *

وقال يمدح الافشين(١١٩) :

١ـ بَذَّ الجِــلادُ البَــذَّ فــهــو دَفِينُ
مـا إنْ بـهِ إلاّ الوحـوشَ قطينُ(١٢٠) ـ ٢٤٧

٢ ـ لم يُقْرَ هذا السيفُ هذا الصَبْرَ في
هَيْجاءَ إلاّ عَزَّ هذا الدِّينُ[١٢١] ـ ٢٤٧
٣ ـ قد كان عُذْرَةَ مَغْرِبٍ فافتَضَّها
بالسيفِ فحلُ المشرقِ الأفشينُ[١٢٢] ـ ٢٤٧
٤ ـ فأعادَها تَعْوي الثَّعالبُ وَسْطَها
ولقد تُرَى بالأمس وَهْيَ عَرينُ[١٢٣] ـ ٢٤٧
٥ ـ جادتْ عليها من جماجِمِ أهلِها
دِيَمٌ أمارَتُها طُلىً وشؤونُ[١٢٤] ـ ٢٤٧
١٣ ـ قادَ المنايا والجُيُوشَ فأصبحَتْ
وَلَها بأرْشقَ قَسْطَلٌ عُثْنونُ ـ ٢٤٨
١٤ ـ فتركتَ أرشقَ وَهيَ يُرْقى باسمِها
صُمُّ الصَّفا فتفيضُ منه عُيونُ ـ ٢٤٨
١٦ ـ لاقاكَ بابَكُ وهو يَزْأرُ وانثَنى
وزئيرُه قدْ عادَ وهوَ انينُ ـ ٢٤٨
٢٠ ـ أوقعتَ في أبْرَشْتَوِيمَ وقائعاً
أضْحِكْنَ سِنَّ الدهر وهو حَزينُ ـ ٢٤٨
٣٠ ـ وأخذتَ بَابَك حائراً دون المُنى
ومُنَى الضَّلالِ مياهُهُنَّ أُجونُ ـ ٢٤٨
٣١ ـ طَعَنَ اللهفُ قلبَه فَفؤادُهُ
من غيرِ طعنةِ فارسٍ مَطْعُونُ ـ ٢٤٨
٣٢ ـ ورجا بلادَ الرُومِ فاستعصى به
أجَلٌ أصَمُّ عن النجاءِ حَرُونُ ـ ٢٤٩
٣٣ ـ هيهاتَ لم يَعْلمْ بأنكَ لو ثَوى
بالصينِ لم تَبْعُدْ عليكَ الصينُ ـ ٢٤٩
٣٤ ـ ما نالَ ما قد نالَ فِرعونٌ ولا
هامانُ في الدنيا ولا قارونُ ـ ٢٤٩

٣٥ ـ بلْ كـــان كـــالضـــحـــاكِ في سطواته

بـالعـــــالمين وأنتَ افـــــريدُون[١٢٥] ـ ٢٤٩

٣٦ ـ فـــســـيـــشكرُ الإســلامُ مـــا أوليْــتَــهُ

واللـهُ عنـه بـالـوفـــــاءِ ضَـــــمينُ ـ ٢٤٩

* * *

(أ)

الملحق (د)

جدول مقابلة التاريخ الهجري بالميلادي

شهر رمضان لسنة ٢٢٢ هـ

١	رمضان	يصادف	الثلاثاء	٧	آب	٨٣٧ م
٢	رمضان	يصادف	الأربعاء	٨	آب	٨٣٧ م
٣	رمضان	يصادف	الخميس	٩	آب	٨٣٧ م
٤	رمضان	يصادف	الجمعة	١٠	آب	٨٣٧ م
٥	رمضان	يصادف	السبت	١١	آب	٨٣٧ م
٦	رمضان	يصادف	الأحد	١٢	آب	٨٣٧ م
٧	رمضان	يصادف	الاثنين	١٣	آب	٨٣٧ م
٨	رمضان	يصادف	الثلاثاء	١٤	اب	٨٣٧ م
٩	رمضان	يصادف	الاربعاء	١٥	آب	٨٣٧ م
١٠	رمضان	يصادف	الخميس	١٦	آب	٨٣٧ م
١١	رمضان	يصادف	الجمعة	١٧	آب	٨٣٧ م
١٢	رمضان	يصادف	السبت	١٨	آب	٨٣٧ م
١٣	رمضان	يصادف	الأحد	١٩	اب	٨٣٧ م
١٤	رمضان	يصادف	الاثنين	٢٠	آب	٨٣٧ م
١٥	رمضان	يصادف	الثلاثاء	٢١	آب	٨٣٧ م
١٦	رمضان	يصادف	الأربعاء	٢٢	آب	٨٣٧ م
١٧	رمضان	يصادف	الخميس	٢٣	آب	٨٣٧ م
١٨	رمضان	يصادف	الجمعة	٢٤	آب	٨٣٧ م
١٩	رمضان	يصادف	السبت	٢٥	آب	٨٣٧ م
٢٠	رمضان	يصادف	الأحد	٢٦	آب	٨٣٧ م
٢١	رمضان	يصادف	الاثنين	٢٧	آب	٨٣٧ م
٢٢	رمضان	يصادف	الثلاثاء	٢٨	آب	٨٣٧م
٢٣	رمضان	يصادف	الأربعاء	٢٩	آب	٨٣٧ م
٢٤	رمضان	يصادف	الخميس	٣٠	آب	٨٣٧ م
٢٥	رمضان	يصادف	الجمعة	٣١	آب	٨٣٧ م
٢٦	رمضان	يصادف	السبت	١	ايلول	٨٣٧ م
٢٧	رمضان	يصادف	الأحد	٢	ايلول	٨٣٧ م
٢٨	رمضان	يصادف	الاثنين	٣	ايلول	٨٣٧ م
٢٩	رمضان	يصادف	الثلاثاء	٤	ايلول	٨٣٧ م
٣٠	رمضان	يصادف	الاربعاء	٥	ايلول	٨٣٧ م
١	شوال	يصادف	الخميس	٦	ايلول	٨٣٧ م

(ب)

تقويم شهر شوال سنة ٢٢٢ هـ/أيلول ٨٣٧م

٣٠	رمضان	يصادف	الاربعاء	٥	ايلول	٨٣٧م
١	شوال	يصادف	الخميس	٦	ايلول	٨٣٧م
٢	شوال	يصادف	الجمعة	٧	ايلول	٨٣٧م
٣	شوال	يصادف	السبت	٨	ايلول	٨٣٧م
٤	شوال	يصادف	الأحد	٩	ايلول	٨٣٧م
٥	شوال	يصادف	الاثنين	١٠	ايلول	٨٣٧م
٦	شوال	يصادف	الثلاثاء	١١	ايلول	٨٣٧م
٧	شوال	يصادف	الاربعاء	١٢	ايلول	٨٣٧م
٨	شوال	يصادف	الخميس	١٣	ايلول	٨٣٧م
٩	شوال	يصادف	الجمعة	١٤	ايلول	٨٣٧م
١٠	شوال	يصادف	السبت	١٥	ايلول	٨٣٧م (وصول بابك برزند)
١١	شوال	يصادف	الأحد	١٦	ايلول	٨٣٧م
١٢	شوال	يصادف	الاثنين	١٧	ايلول	٨٣٧م
١٣	شوال	يصادف	الثلاثاء	١٨	ايلول	٨٣٧م
١٤	شوال	يصادف	الاربعاء	١٩	ايلول	٨٣٧م
١٥	شوال	يصادف	الخميس	٢٠	ايلول	٨٣٧م
١٦	شوال	يصادف	الجمعة	٢١	ايلول	٨٣٧م
١٧	شوال	يصادف	السبت	٢٢	ايلول	٨٣٧م
١٨	شوال	يصادف	الأحد	٢٣	ايلول	٨٣٧م
١٩	شوال	يصادف	الاثنين	٢٤	ايلول	٨٣٧م
٢٠	شوال	يصادف	الثلاثاء	٢٥	ايلول	٨٣٧م
٢١	شوال	يصادف	الاربعاء	٢٦	ايلول	٨٣٧م
٢٢	شوال	يصادف	الخميس	٢٧	ايلول	٨٣٧م
٢٣	شوال	يصادف	الجمعة	٢٨	ايلول	٨٣٧م
٢٤	شوال	يصادف	السبت	٢٩	ايلول	٨٣٧م
٢٥	شوال	يصادف	الأحد	٣٠	ايلول	٨٣٧م
٢٦	شوال	يصادف	الاثنين	٣١	ايلول	٨٣٧م
٢٧	شوال	يصادف	الثلاثاء	١	تشرين الأول	٨٣٧م
٢٨	شوال	يصادف	الاربعاء	٢	تشرين الأول	٨٣٧م
٢٩	شوال	يصادف	الخميس	٣	تشرين الأول	٨٣٧م
٣٠	شوال	يصادف	الجمعة	٤	تشرين الأول	٨٣٧م
١	ذي القعدة	يصادف	السبت	٥	تشرين الأول	٨٣٧م

(جـ)

تقويم شهر صفر ٢٢٣ هـ/كانون الثاني ٨٣٨ م

٣٠	محرم	يصادف	الثلاثاء	١	كانون الثاني	٨٣٧م	
١	صفر	يصادف	الاربعاء	٢	كانون الثاني	٨٣٧م	
٢	صفر	يصادف	الخميس	٣	كانون الثاني	٨٣٧م	(وصول بابك سامراء)
٣	صفر	يصادف	الجمعة	٤	كانون الثاني	٨٣٧م	(إعدام بابك)
٤	صفر	يصادف	السبت	٥	كانون الثاني	٨٣٧م	
٥	صفر	يصادف	الأحد	٦	كانون الثاني	٨٣٧م	
٦	صفر	يصادف	الاثنين	٧	كانون الثاني	٨٣٧م	
٧	صفر	يصادف	الثلاثاء	٨	كانون الثاني	٨٣٧م	
٨	صفر	يصادف	الاربعاء	٩	كانون الثاني	٨٣٧م	
٩	صفر	يصادف	الخميس	١٠	كانون الثاني	٨٣٧م	
١٠	صفر	يصادف	الجمعة	١١	كانون الثاني	٨٣٧م	
١١	صفر	يصادف	السبت	١٢	كانون الثاني	٨٣٧م	
١٢	صفر	يصادف	الأحد	١٣	كانون الثاني	٨٣٧م	
١٣	صفر	يصادف	الاثنين	١٤	كانون الثاني	٨٣٧م	
١٤	صفر	يصادف	الثلاثاء	١٥	كانون الثاني	٨٣٧م	
١٥	صفر	يصادف	الاربعاء	١٦	كانون الثاني	٨٣٧م	
١٦	صفر	يصادف	الخميس	١٧	كانون الثاني	٨٣٧م	
١٧	صفر	يصادف	الجمعة	١٨	كانون الثاني	٨٣٧م	
١٨	صفر	يصادف	السبت	١٩	كانون الثاني	٨٣٧م	
١٩	صفر	يصادف	الأحد	٢٠	كانون الثاني	٨٣٧م	
٢٠	صفر	يصادف	الاثنين	٢١	كانون الثاني	٨٣٧م	
٢١	صفر	يصادف	الثلاثاء	٢٢	كانون الثاني	٨٣٧م	
٢٢	صفر	يصادف	الاربعاء	٢٣	كانون الثاني	٨٣٧م	
٢٣	صفر	يصادف	الخميس	٢٤	كانون الثاني	٨٣٧م	
٢٤	صفر	يصادف	الجمعة	٢٥	كانون الثاني	٨٣٧م	
٢٥	صفر	يصادف	السبت	٢٦	كانون الثاني	٨٣٧م	
٢٦	صفر	يصادف	الأحد	٢٧	كانون الثاني	٨٣٧م	
٢٧	صفر	يصادف	الاثنين	٢٨	كانون الثاني	٨٣٧م	
٢٨	صفر	يصادف	الثلاثاء	٢٩	كانون الثاني	٨٣٧م	
٢٩	صفر	يصادف	الأربعاء	٣٠	كانون الثاني	٨٣٧م	
١	ربيع الأول	يصادف	الخميس	٣١	كانون الثاني	٨٣٧م	

هوامش الملاحق

(١) ذكر الجهشياري ، وجدت في كتاب عمله أبو الفضل محمد بن أحمد بن عبد الحميد الكاتب ، في أخبار خلفاء بني العباس ، بخط أبي الفضل ، يقول ، أنفذ الي أبو القاسم جعفر ابن حفص رقعة ، انتسخها من دواوين الخراج الكاتب ، ذكر فيها أن أبا الوزير عمر بن مطرف من أهل مرو وأنه كان يتقلد ديوان المشرق للمهدي ، وهو ولي للعهد ، ثم كتب له في خلافته ، ولموسى ولهارون . وأنه عمل في أيام الرشيد تقديراً عرضه على يحيى بن خالد ، لما يُحْمَلُ إلى بيت المال من جميع النواحي من المال والأمتعة نسخته .

(٢) الطبعة الأولى ـ القاهرة ١٣٥٧ هـ ـ ١٩٣٨ م .

(٣) طبعة ليدن ، ١٣٠٦هـ-١٨٨٩م .

(٤) خراج خراسان والأعمال المضمونة لأبي العباس عبد الله بن طاهر لسنتي ٢١١هـ و٢١٢هـ ، ص٣٩ .

(٥) العلي ، صالح أحمد ، بغداد ، ١٩٥٣م .

(٦) ملحق بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة باسم ، نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لأبي الفرج قدامة ابن جعفر الكاتب البغدادي ، ليدن ، ١٣٠٦ هـ/١٨٨٩ م .

(٧) لا بد أن العلي نقل هذا الرقم عن وارد خراسان وظن أن هذه قائمة ابن خرداذبة ـ انظر القائمة رقم٣ .

(٨) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ ١ ، القاهرة ١٢٨٤ هـ ، ص ١٥٠ ـ ١ ، وطبع القاهرة ١٩٥٥ م ، ص ١٧٩ ـ ١٨١ . ذكر ابن خلدون في ص ١٥٠... وكذلك وجد بخط أحمد ابن محمد بن عبد الحميد عمل بما يحمل إلى بيت المال ببغداد أيام المأمون من جميع النواحي نقلته من جراب الدولة . ولابد أن ابن خلدون قد نقل هذه القائمة عن الجهشياري . ولكنه وقع في أخطاء كثيرة ولهذا أوردنا ما جاء لدى الجهشياري مع العلم أن الجهشياري اعتبر القائمة مقدمة أيام الرشيد ، وابن خلدون قد ظنها أيام المأمون . ولقد نقل زيدان ، جرجي عن قائمة ابن خلدون (التمدن الاسلامي ، جـ ٢ ، مصر ، ١٩٠٢ ، ص ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥) واعتبرها برغم اخطائها ممثلة لعهد المأمون ، وكذلك اعتبرها حتي ، فيليب (تاريخ العرب ، مطول ، جـ ١ ، ط ٣ ، ص ٣٩٦) -بالرغم من اعترافه بعدم جلائها وضبطها ـ ممثلة لعهد المأمون . والملاحظ على قائمة ابن خلدون ذكره كلمة مرتين ولاندري ما المقصود بها هل المبلغ مضاعف أم يُدفع على وجبتين بالسنة ؟ ومن أين جاء بهذه الكلمة ؟

(٩) بلوغ الأرب ، جـ ١ ، ص ١٧٧ .

(١٠) العقيدة والشريعة في الإسلام ، ص ٢٧٩ .

(١١) محفوظ ، حسين علي ، رسالة في تحقيق لفظ الزنديق لابن كمال باشا (متوفى ٩٤٠ هـ) ، بغداد ،

١٩٦٢ . وفي هذه الكراسة بحث لمختلف آراء العلماء والفقهاء والمؤرخين المسلمين حول كلمة زنديق ، وخاصة في الصفحة الأولى من الكراسة حيث نقلنا رأي ابن كمال باشا .

(١٢) م .ن . ، هامش الصفحة الأولى .

(١٣) حيدر أباد الدكن ، ١٣٤٥ هـ ، جـ ٣ ، ص ٥٠٤ .

(١٤) محفوظ ، رسالة في تحقيق لفظ الزنديق لابن كمال باشا ، هامش ص ١ .

(١٥) بغداد ، ١٩٤٥ .

(١٦) بيروت ، ١٩٦٢ .

(١٧) بغداد ، ١٩٤٩ .

(١٨) بوسطن ، ١٩٦٢ .

(١٩) طبع القاهرة (؟) .

(٢٠) القاهرة ، ١٣٥٧ هـ ـ ١٩٣٨م .

(٢١) القاهرة ، ٤ أجزاء ، ١٩٥٨ م .

(٢٢) القاهرة (؟) .

(٢٣) القاهرة ، ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦١ م .

(٢٤) بيروت ، ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠ م .

(٢٥) بيروت ، دار الكشاف ، ١٩٦١ م .

(٢٦) ترجمة حمزة طاهر ، القاهرة .

(٢٧) القاهرة ، ١٩٥٤ .

(٢٨) طبع القاهرة . (؟) .

(٢٩) طبع القاهرة ، ١٣٨١ هـ ، ١٩٦١م .

(٣٠) ليبزك ، ١٨٧٨ م .

(٣١) ترجمة يحيى الخشاب ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

(٣٢) م .ن .

(٣٣) الحضارة الإسلامية ، ترجمة حمزة طاهر ، ص ١١ ـ ٢ .

(٣٤) م .ن . ، ص ١١ ـ ٢ .

(٣٥) بغداد ١٩٤٥ م ، ص ١١٢ .

(٣٦) ترجمة فارس ، د . نبيه امين ، وبعلبكي ، منير . جـ ١ ، ط ٢ ، بيروت ١٩٥٣ ، ص ١٠٨ .

(٣٧) ديوان علي بن الجهم ، عني بتحقيقه خليل مردم بك ، دمشق ، ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٤٩ م . والمعتصم بالله ، الخليفة العباسي .

(٣٨) في الأصل (ولم) والفاء في هذا الموضع أحكم .

(٣٩) السحوق ـ الطويل ، ويريد بالنصارى هنا الروم والذي صلب منهم ناطس (وسماه الطبري باطس) .

(٤٠) حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي ، لبنان ، ١٩٥١ م ، ص ٥٠٦ .

(٤١) ديوان البحتري ، ط القسطنطينية ، جزءان ، سنة ١٣٠٠٠ ، ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨ ـ ٢٧٩ ، م ٢ .

(٤٢) يقصد القائد محمد بن حميد الطوسي .

(٤٣) المجلد الثاني ، ص ١٨٧ ـ ٨ . واسحاق بن إبراهيم بن مصعب هو القائد الذي انتصر على الخرمية في معركة همذان ٢١٨ هـ ـ ٨٣٣ م .

(٤٤) المجلد الأول ص ١٦٧ ـ ٨ .

(٤٥) ذكر ياقوت الحموي هذا البيت من القصيدة محركاً كلمة درك ، معجم البلدان ، م ١ ، كراسة ٣ ، ص٣٦١ .

(٤٦) ذكره ياقوت محركاً للذل ، معجم البلدان ، م ١ ، كراسة ٢ ، ص ٣٦١ .

(٤٧) المجلد الثاني ، ص ٥٥

(٤٨) تحقيق حسن كامل الصيرفي ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، جـ٢ ، ص ١٧٥٨ ـ ١٧٦٥ ، (هذه الأبيات لم تدرج سابقاً في هذا الملحق وإنما أضيفت فيما بعد) .

(٤٩) القاهرة ، جـ ٥ ، ١٩٣١ ـ ١٩٤٠ م ، ص ٢٣٣ .

(٥٠) م .ن ، هامش ص ٢٣٣ ، وكذلك الطبري ، م ٣ ، جـ٢ ، ص ١١٦٩ ـ ٧٠ .

(٥١) في الطبري ، علائقها .

(٥٢) في الطبري ص ١٦٩ .

(٥٣) في الطبري ، ص ١١٧٠ .

(٥٤) في الطبري ، ص ١١٧٠ .

(٥٥) القاهرة (؟) ، ص ٣٤١ .

(٥٦) م . ن . ص ٣٤١ .

(٥٧) م . ن . . ص ٣٣٩ .

(٥٨) الجزء الرابع ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٨م ، ص ٥٨ ـ ٥٩ ، ورد في كتاب بابك لمؤلفه سعيد نفيسي المترجم عن الفارسية إلى الأذربيجانية ذكر هذا الشعر محرفا ، يا أمير المؤمنين بدلاً من يا أمين الله ، ظهيراً بدلاً من ظهيراً ، ص ٨٠ ، وهنأ الله بدلاً من هيأ الله ، وهو فتح بدلاً من فهو فتح ، نطيرا بدلاً من نظيرا ، قهطريرا بدلاً من قمطريرا ، السيك بدلاً من السيف ، والبيت الأخير على هذه الصورة ،

ضربة أبقت على الد هر في الوجه نورا

ص ٨١ ، ونعتقد أن لجهل الطباع الباكوي أثراً في هذا التحريف .

(٥٩) ليدن ، ١٣٠٦ هـ ـ ١٨٨٩ م ، ص ٢٢٠ .

(٦٠) طهران ، جـ٦ ، ١٩٦٢م ، ص ١١٧ .

(٦١) تاريخ الرسل ، م٣ جـ٢ ، ليدن ، ٨٨١ م ، ص ١٢٣٠ .

(٦٢) (لم تدرج ابيات الحسين بن الضحاك التي أوردها المسعودي في التنبيه والاشراف ، فالملحق سابقٌ وأضيفت فيما بعد) .

(٦٣) ترجمة براون إلى الانكليزية ، ليدن ، لندن ١٩٠٥م .

(٦٤) م . ن .ص١٥٣ .

(٦٥) ديوان أبي تمام ، بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام ، مصر ، ١٩٥١ م ، م ١ ، ص ٢٠٥ ، ٢١٨ ، وأيضاً ديوان أبي تمام ، القاهرة ، ١٩٤٢ م ، ص ٣٥ . أرشق قال ياقوت الحموي ، جبل بأرض موقان من نواحي اذربيجان عند البذ مدينة بابك الخرمي ، معجم البلدان ، م ١ ، كراسة ٢ ، ص ٦٥٢ (طبعة بيروت ، ١٩٥٧) .

(٦٦) ديوان أبي تمام ، مصر ١٩٥١ ، م ١ص ٣٢٣ ، ص ٣٢٩ ، وطبعة القاهرة ١٩٤٢ ، ص٥٣-٥٤-٥٥ .

(٦٧) ط القاهرة ، ١٩٤٢ ، ص ٥٤ .

(٦٨) الثبج : الظهر ، وثبج كل شيء معظمه .

(٦٩) ارشقت المرأة والظبية إذا أدامت النظر .

(٧٠) مرج الدين : اضطرب .

(٧١) طبعة ١٩٤٢ ، ص ٥٤ .

(٧٢) (أبو النصر) : قيل هو بابك ، وقيل من أصحابه ، أي لجا مسلوبا ، وطبعة القاهرة ، ١٩٤٢ ، ص٥٥ .

(٧٣) ديوان أبي تمام ، ط القاهرة ، ١٩٤٢ ، ص ٨١ - ٨٤ .

(٧٤) ديوان ط ١٩٥١ ، ص ٢٢ -٣١ .

(٧٥) طبعة ١٩٤٢ ، ص ٧٦- ٧٩ وأورد ياقوت تسلسل ١١- ١٤ -١٥ ، معجم م ١١ ، ص ٢٦٧ ، وجاء في ديوان ١٩٤٢ بابكا وجيوشه ، ص ٧٧ ، وورد في كتاب بابك لسعيد نفيسي المترجم إلى الأذربيجانية عن الفارسية بفاصمة بدلاً من بقاصمة ، ص ٦٩ وهذا خطأ مطبعي .

(٧٦) المعرد الهارب ، ط ١٩٤٢ ، ص ٧٧ ، وفي ترجمة بابك للاذربيجانية بهياته بدلاً من بهيابة ، ص ٦٩ ، وهذا خطأ مطبعي ولا شك .

(٧٧) ورد في ط ٤٢ والمنايا مشيحة ، ص ٧٧ .

(٧٨) الغط الشق والأتحمي ضرب من البرد والمعضد الذي فيه خطوط تخالف لونه ، ورد هذا البيت في ط ١٩٤٢ ، ص ٧٧ .

(٧٩) الكذج بالفارسية البيت المسكون فكأن هذا الموضع سمي بذلك . ورد هذا البيت في ط ١٩٤٢ ، ص ٧٨ . وورد في معجم البلدان ، م ١٦ ، ص ٤٤٢ ، وأورد ديوان ط ١٩٤٢ بيتا (حططت بها يوم العروبة عزه . وكان مقيماً بين نسر وفرقد) بيت ٢٤ ص ٧٧ .

(٨٠) ديوان أبي تمام ، ط القاهرة ، ١٩٤٢ ، ص ١٠٢ - ١٠٥ .

(٨١) مأزق كمجلس المضيق .

(٨٢) ديوان أبي تمام ، ط ١٩٥١ ، م٢ ، ص ١٠ ، و ط القاهرة ، ١٩٤٢ ، ص ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، وقد ورد في ص ٧٥ تسلسل ٢٧ ما يلي :

٢٧- أعيا عليه وما اعيا بمشكلة   بسندبايا ويوم الروع محتشد - ٧٥

(٨٣) أورد ياقوت هذا البيت في معجم ، م ٣ ، ص ٣٦٠ ، وفي ديوان أبي تمام ، ط ١٩٤٢ ، الأبيات تسلسل ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٣ ، في ص ٧٥

(٨٤ ، ٨٥) تقابل ص ٧٥ . وقد وردت كلمة تنبت بدلاً من تتب ، تسلسل ٤٤ ، ط ١٩٤٢ ، ص ٧٥ .

(٨٦) ص ٧٦ ، والببر جنس من العجم .

(٨٧) ديوان ط ١٩٥١ ، م٢ ص ٣٢ ـ٤١ ، وط ١٩٤٢ ، ص ٧٩ ـ٨١ ،

(٨٨) طبعة ١٩٤٢ ، ص ٨٠ ومعجم ، م ٢ ، ص ١٥٢ ، والنحب النذر .

(٨٩) ط ١٩٤٢ ، ص ٨٠ ومعجم ، م ٢ ، ص ١٥٢ ، ورد فيه ـ إلى موقان . وبالكديد ، بالكسر .

(٩٠) ط ١٩٤٢ ص ٨٠ ومعجم م١ ، ص ٦٥ .

(٩١) ط ١٩٤٢ ص ٨١ وأنصاع ذهب في ناحية .

(٩٢) ط ١٩٤٢ ، ص ٨١ ، والبليد المتباطىء المتحير أي حامت نفسه على أجله البليد حتى لم يقتل يومئذ .

(٩٣) هرجام اسم رئيس ، وفي ط ١٩٤٢ ، كان على القعود . وهرجام ملك الصيادنة ولقد روى هذا البيت بعد... وقائع قد سبكت بها ، ص ٨١ .

(٩٤) اشار في الهامش (كان البريد إذا جاء وعليه السواد كان ذلك دليل الظفر وإذا كان عليه الحمرة كان ذلك خلاف الظفر) ، وفي ط ١٩٤٢ ، وقائع قد سبكت ، ص ٨١ .

(٩٥) ط ١٩٥١ ، م٢ ، ص ١٩٨ ـ٢٠٨ ، وط ١٩٤٢ ، ص ١١٣ ـ١١٦ ، والافشين هو حيدر بن كاووس .

(٩٦) أورد اليعقوبي هذا البيت وفيه (والسيوف عواري) ، التاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٠٣ .

(٩٧ ، ٩٨) أوردهما اليعقوبي ، التاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٠٣ ، ديوان ط ١٩٤٢ ، ص ١١٥ .

(٩٩) جاء في شرح هذا البيت (عن العبيدي) ـ : (ناطس) بطريق عمورية ، وفي نسخة (ياطس) بالياء ، ملك . وفي الهامش قال المرزوقي : يعني بابك والمازيار ، وكانا لما صلبا قرب احدهما من الآخر وتنحى عنهما ناطس الرومي فقال كأنما تنحيا عن ناطس ليكتما عنه سرا ويطويا دونه خبرا ولا يريدان وقوفه عليه . ورواية الصولي (ناطس) وجاء في حاشية الخارزنجي أبو يحيى : حكي أن جذعي مازيار وافشين كانا فوق جذع باطس وكلا الجذعين مائل وفي أصل الخارزنجي (ياطس) بالياء آخر الحروف... هامش ص ٢٠٧ ، وفي طبعة ١٩٤٢ ورد هذا البيت :

وكأنما ابتدرا لكيما يطويا   عن باطس خبرا من الأخبار ـ ١١٥

(١٠٠) المقصود... الافشين وبابك والمازيار . وأراد بسواد ثيابهم اسوداد جلودهم بالشمس والرياح . وورد هذا البيت في ط ١٩٤٢ سود اللباس بدلا من سود الثياب ـ ١١٥ .

(١٠١) ديوان ط ١٩٥١ ، م ٢ ، ص ٣٥٩ ـ ٣٨٥ ، وط ١٩٤٢ ، ص ١٥٠ ـ ١٥٣ .

(١٠٢) شأنيك تثنية شأن وهي مجاري الدمع ، ويروى عن (شانيك) ، ورد في ط ١٩٤٢ ، ص ١٥٢ .

(١٠٣) ورد في ط ١٩٣٢ ـ ومر بابك مر الريح منجذبا ـ ص ١٥٢ .

(١٠٤) (ازرت) من الزيارة وازرت بتشديد الزاي أي جعلت لها كالازار و(الغيابة) كالغمامة (والمقورة) الخيل الضامرة وتكون من صفات السمين وهو من الأضداد (الشسف) من قولهم شسف الفرس إذا ضمر ضمراً شديداً . وورد في ط ٤٢ والمقورة الشنفا ـ ص ١٥٢ .

(١٠٥) جاء في معجم البلدان ابرشتويم . وهو جبل بالبذ من أرض موقان من نواحي اذربيجان ، كان يأوي إليه بابك الخرمي .

(١٠٦) ورد في ط ١٩٤٢ (فظل بالظفر الافشين...) ، ص ١٥٣ .

(١٠٧) ديوان ط ١٩٤٢ ، ص ١٤٢ ـ ١٤٤ والابيات غير محركة ، واعتمدنا تحريكها على ياقوت الحموي .

(١٠٨) ذكره ياقوت ، معجم ، م ١ ، ص ٦٥ .

(١٠٩) ذكره ياقوت (شفقت إلى جباره)، معجم، م ١، ص ٦٥.

(١١٠) ذكره ياقوت (يزعزع)، معجم، م ١، ص ٦٥.

(١١١) ذكره ياقوت (والكذاج)، معجم، م ١، ص ٦٥.

(١١٢) ديوان ط ١٩٤٢ ص ١٨٦ ـ ١٨٨.

(١١٣) ديوان ط ١٩٤٢ ص ١٩٦ ـ ٢٠٠.

(١١٤) نقل هذا البيت في شرح تاريخ اليعقوبي، جـ ٣، ص ٢٠٠.

(١١٥) جاء في شرح تاريخ اليعقوبي، ط النجف ص ٢٠٠:

لـولا الظـلام وقلـة علقـوا بها　　باتت رقابهم بغير قـلال

فليشكروا جنح الظلام ودروذا　　فهم لدروذ والظلام موال

وورد في كتاب بابك لسعيد نفيسي المترجم إلى الاذربيجاية عن الفارسية هذا البيت:

فهم لدورذ و　　الظلام موالي

ص٦٩ وسببه كما نظن جهل الطباع الباكوي باللغة العربية.

(١١٦) ديوان ط ١٩٤٢، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٥.

(١١٧) م. ن.، ص ٢٢٨ ـ ٢٣١.

(١١٨) م. ن.، ص ٢٣١ ـ ٢٣٤.

(١١٩) م. ن.، ص ٢٤٧ ـ ٢٤٩.

(١٢٠ـ ١٢١) الطبري، م ٣٠، جـ ٢، ص ١٢٣٣. وقد كتب الطبري هذا البيت وذكر العجز: ما أن بها... بدلاً من (به).

(١٢٢) ذكره الطبري قد كان عذرة سؤدد فاقتضها، م ٣، جـ ٢، ص ١٢٣٣ ـ ٤.

(١٢٣) الطبري، ص ١٢٣٤.

(١٢٤) رواه الطبري ـ هطلت عليها من جماجم أهلها، م ٣، جـ ٢، ص ١٢٣٤.

(١٢٥) رواه الجاحظ: وكأنه الضحاك في فتكاته بالعالمين وأنت افريدون، المحاسن والأضداد طبع القاهرة، ١٣٥٠ هـ ـ ١٩٣٢م، ص ٢٧٤.

ثبت بأسماء المصادر والمراجع

ابن الاثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الجزري :
الكامل في التاريخ ، ٩ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٣١ ـ ١٩٤٠
أحمد امين ، (الدكتور) :
فجر الإسلام ، القاهرة ، ١٩٥٠ . ضحى الإسلام ، ٣ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٥٦ .
ظهر الإسلام ، ٤ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٥٣ ـ ١٩٥٨ . يوم الإسلام ، القاهرة ،١٩٥٨ .
أحمد ، محمد حلمي محمد :
الخلافة والدولة في العصر العباسي ، القاهرة ، ١٩٥٩ .
أربري ، أ . ج :
تراث فارس ، نقله إلى العربية محمد كفافي وجماعته ، القاهرة ، ١٩٥٩ .
الاسفرائيني ، أبو المظفر محمد بن طاهر :
التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية من الهالكين ، القاهرة ، ١٩٤٠ .
الاشعري ، أبو الحسن علي بن اسماعيل :
مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، باعتناء هلموت ريتر ، الطبعة الثانية ، ويستبادن ، ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٣م .
الأصفهاني ، أبو عبد الله حمزة بن الحسن :
كتاب تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ، برلين ، ١٣٤٠ هـ ، ليبزك ،١٨٤٤م .

الاصفهاني . ، أبو الفرج علي بن الحسين :
الأغاني ، ٢١ جزءاً ، القاهرة ، ١٩٠٤ م .
الأصفهاني : أبو نعيم أحمد بن عبد الله :
ذكر أخبار أصبهان ، مجلدان ، ليدن ، ١٩٣١ م ، ١٩٣٤م .
الاصطخري ، أبو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي :
مسالك الممالك ، ليدن ، ١٨٧٠ م .
الآلوسي ، محمود شكري :
بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، باعتناء الأثري ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ، ١٩٢٣ .
بارتولد ، فاسيلي فلاديميروفيتش (المستشرق) :
تاريخ الحضارة الإسلامية ، نقله من التركية إلى العربية حمزة طاهر ، القاهرة .
تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ترجمة أحمد العيد سلمان ، القاهرة ،١٩٥٨ .
المؤلفات ، مجلدات (باللغة الروسية) .
البحتري ، أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى ، (الشاعر) :
ديوان البحتري ، الطبعة الأولى ، القسطنطينية ، ١٣٠٠ هـ ، وتحقيق حسن كامل الصيرفي ، القاهرة ١٩٦٣ ـ ٤ .
براون ، ادوارد جرانفيل :
تاريخ الأدب في إيران ، (من الفردوسي إلى سعدي) ، ترجمة د . ابراهيم ايمن الشواربي ، القاهرة ، ١٩٥٤ .
بروكلمان ، كارل :
تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة د . نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، بيروت ، ١٩٥٣ .
البستاني ، بطرس :
دائرة المعارف الإسلامية ، ٩ أجزاء ، بيروت ١٨٧٦ ـ ١٨٨٧م .

البغدادي ، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله الاسفرائيني :
الفرق بين الفرق ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة .
البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود :
فتوح البلدان ، ليدن ، ١٨٦٦م .
أنساب الأشراف ، الجزء الأول ، تحقيق محمد حميد الله ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٩ .
٤ أجزاء ، القدس ، ١٩٣٨ .
الجزء الحادي عشر ، باعتناء اهلوارت ، ليدن ، ١٨٨٣ .
البيروني ، أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي :
الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ليبزك ، ١٨٧٨ .
ترتون ، ا ، س :
أهل الذمة في الإسلام ، ترجمة حسن حبشي ، القاهرة ، ١٩٤٩ .
ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الاتابكي :
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ١٢ جزءا ، القاهرة ، ١٩٢٩ ـ ١٩٥٦ .
أبو تمام ، حبيب بن أوس الطائي :
ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام ، مجلدان ، مصر ١٩٥١ .
ديوان أبي تمام ، قدم له الاستاذان عبد الحميد يونس وعبد الفتاح مصطفى ، القاهرة ، ١٩٤٢ .
ديوان الحماسة ، مختصر شرح العلامة التبريزي ، جزءان ، القاهرة ، ١٩٥٥ .
التنوخي ، أبو علي المحسن بن علي بن محمد ، القاضي :
جامع التواريخ ، مصر ١٩٢١ .
الفرج بن الشدة ، جزءان ، مصر ١٩٠٣ ـ ١٩٠٤ .
توما ، أميل :
العرب والتطور التاريخي ، ترجمة جبر نقولا ، حيفا ، ١٩٦٢ .
الثعالبي . أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل :
غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ، طهران ، ١٩٦٣ .

الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب :
البخلاء ، تحقيق طه الحاجري ، القاهرة ، ١٩٤٨ ، وإلى الروسية ، ترجمة بارانوف ، موسكو ، ١٩٦٥ .
البيان والتبيين ، ٤ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٤٨ ـ ١٩٥٠ .
ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي :
المنتظم من تاريخ الملوك والأمم ، الأجزاء ٥ ـ ١٠ ، حيدر آباد ، ١٣٥٩ هـ ،
تلبيس ابليس ، القاهرة .
جوزي ، بندلي صليبة :
من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام ، دار الروائع ، بيروت .
الجهشياري ، ابو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري :
الوزراء والكتاب ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٥٧ هـ ، ١٩٣٨ م .
حتي ، فيليب ، وجرجي ، ادورد ، وجبور ، جبرائيل (الدكاترة) :
تاريخ العرب (مطول) ، جزءان ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٦١ .
حتي ، فيليب (الدكتور) :
العرب (تاريخ موجز) الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٥٤ .
حسن ، حسن ابراهيم (الدكتور) :
تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ٣ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٥٣ .
حمزة ، عبد اللطيف :
ابن المقفع ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٤٠ .
ابن حوقل ، أبو القاسم محمد الحوقلي :
المسالك والممالك ، ليدن ، ١٨٧٣ .
خدابخش ، المؤرخ الهندي :
الحضارة الإسلامية ، ترجمة الخربوطلي ، علي حسني ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
ابن خرداذبة ، ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله :
المسالك والممالك ، ليدن ، ١٣٠٦ هـ ـ ١٨٨٩م

الخربوطلي ، د . علي حسني :
تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي ، القاهرة ، ١٩٥٩ .
الدولة العربية الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
الخزرجي ، أبو دلف مسعر بن المهلهل :
الرسالة الثانية ، تحقيق بولغاكوف ، بطرس وخالدوف ، انس ، موسكو ، ١٩٦٠ .
الخضري ، الشيخ محمد
الدولة العباسية ، الطبعة التاسعة ، القاهرة ، ١٩٥٩ .
ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد المغربي :
العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ٧ أجزاء ، القاهرة ، ١٢٨٤ هـ ، ١٩٥٦ ، المقدمة ، بيروت .
خليلي ، عباس :
ايران واسلام ، طهران ، ١٣٣٦ ش (باللغة الايرانية) .
دنت ، دانيل :
الجزية والإسلام ، ترجمة جاد الله ، فوزي فهيم (الدكتور) ، بيروت ، ١٩٦٠ .
الدوري ، عبد العزيز (الدكتور) :
العصر العباسي الأول ، بغداد ، ١٩٤٥ .
دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، بغداد ، ١٩٤٥ .
مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ، بغداد ، ١٩٤٩ .
الجذور التاريخية للقومية العربية ، بيروت ، ١٩٦٠ .
الجذور التاريخية للشعوبية ، بيروت ، ١٩٦٢ .
تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، بغداد ، ١٩٤٨ .
بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، بيروت ، ١٩٦٠ .
الجذور التاريخية للاشتراكية العربية ، مجلة الآداب ، العدد الثالث (آذار) ، ١٩٦٥ .

الدينوري ، أبو حنيفة أحمد بن داود :

الأخبار الطوال ، تحقيق جرجاس ، ليدن ، ١٨٨٨ ، وطبعة القاهرة .

الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد :

دول الإسلام ، جزءان ، الطبعة الثانية ، حيدر اباد ، ١٣٦٥ هـ .

تاريخ الاسلام ، ٥ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٤٨ ـ ١٩٥٠ .

المختصر المحتاج إليه من (تاريخ الحافظ ابي عبد الله محمد بن سعيد بن محمد بن الدبشي) ، وهو بانتقاء الذهبي ، تحقيق مصطفى جواد (الدكتور) ، جزءان ، بغداد ، ١٩٥١م ، ١٩٦٣ م .

الرازي ، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين :

اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، القاهرة ، ١٩٣٨م .

رستم ، أسد :

الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ، جزءان ، بيروت ، ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ .

ابن رسته ، أبو علي أحمد بن عمران :

الأعلاق النفيسة ، المجلد السابع ، ليدن ، ١٨٩١ .

زيدان ، جرجي :

تاريخ التمدن الإسلامي ، ٥ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٠٢ ـ ١٩٠٦ .

زيدان ، د . عبد الكريم :

أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام ، بغداد ، ١٩٦٣ .

ابن الساعي ، تاج الدين أبو طالب علي بن انجب :

نساء الخلفاء ، تحقيق وتعليق د . مصطفى جواد ، دار المعارف بمصر .

مختصر أخبار الخفاء (منسوب اليه ، يقول مصطفى جواد في كتاب نساء الخلفاء ـ وأما هذا المطبوع المسمى (مختصر أخبار الخلفاء) فهو مدسوس عليه ، نحله إياه بعض المزورين الذين اعتادوا التزوير في كل أمورهم وشؤونهم ـ ص ٢٤) ، بولاق ، القاهرة ، ١٣٠٩هـ .

السجستاني ، أبو حاتم سهل بن محمد :

كتاب المعمرين ، ليدن ، ١٨٩٩ .

ابن ابي السرور(*) :

عيون الأخبار (ونزهة الأبصار) ـ مخطوط ـ المتحف البريطاني ، الرقم ٥٦٣٣ ، الشرق ، لندن .

السمعاني ، عبد الكريم بن محمد :

الأنساب ، نشره مرغليوث ، ليدن ، ١٩١٢ .

شاكر ، مصطفى :

في التاريخ العباسي ، الجزء الأول ، دمشق ، ١٩٥٧ .

شريف ، محمد بديع (الدكتور) :

الصراع بين الموالي والعرب ، القاهرة ، ١٩٥٤ .

شلبي ، أحمد جاب الله (الدكتور) :

في قصور الخلفاء العباسيين ، القاهرة ، ١٩٥٤ .

الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم :

الملل والنحل ، جزءان ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، القاهرة ، ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦١م .

الصولي ، محمد بن يحيى :

ادب الكتاب ، تحقيق محمد بهجت الاثري ، القاهرة ، ١٣٤١ هـ .

الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير :

تاريخ الرسل والملوك ، طبعة دي غويه ، ليدن ـ بريل ١٨٧٩ ـ ١٨٨٥ ، طبعة القاهرة ، بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ١٩٦٠ .

اختلاف الفقهاء ـ نشره شاخت ، ليدن ، ١٩٣٣ م .

ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا :

الفخري في الآداب السلطانية ، بيروت ، ١٩٦٠ م .

(*) ورد اسمه في مخطوطة لندن (ابن ابو السرور) ، فقط ، وذكره الدكتور مصطفى جواد ، معتمداً على مخطوطة دار الكتب الوطنية بباريس (رقم ١٥٦٠) ، الشيخ محمد بن محمد بن ابي السرور التيمي البكري الصديقي المتوفى ١٠٢٨ هـ . مجلة سومر ، م ١٤ ، جـ ١ ، ٢٢ بغداد ، ١٩٥٨ ، ص ٢٤ . وعلى هذا الأساس لا يمكن افتراض اسم المؤلف بـ (الروحي ، محمد بن أبي السرور بن عبد الرحمن ، صاحب كتاب بلغة الظرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء ـ القاهرة ١٩٠٩) .

ابن طيفور ، ابو الفضل أحمد بن طاهر :
كتاب بغداد ، القاهرة ، ١٩٤٩ .
طه حسين ، (الدكتور) :
مرآة الإسلام ، القاهرة ، ١٩٥٩ .
الشيخان ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
الفتنة الكبرى ، جزءان ، القاهرة ، ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ .
ابن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد :
العقد الفريد ، ٨ أجزاء ، بتحقيق محمد سعيد العريان ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٥٣ .
عبد العال ، محمد جابر (الدكتور) :
حركات الشيعة المتطرفين ، القاهرة ، ١٩٥٤ .
ابن العبري ، ابو الفرج غريغوريوس بن هارون (الاب القديس) :
تاريخ مختصر الدول ، طبعة اوكسونيا ، ١٦٦٣ ، بيروت ، ١٨٩٠ .
أبوعبيد ، القاسم بن سلام :
الأموال ، تحقيق محمد حامد الفقي ، القاهرة ، ١٩٥٣ .
العدوي ، د . ابراهيم أحمد :
الدولة الإسلامية وامبراطورية الروم ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .
العزيز ، حسين قاسم :
الشعوبية ، مجلة الغد ، العدد الثالث ، براغ (تموز) ١٩٦٤ .
العلي ، د . صالح أحمد :
التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري ، بغداد ، ١٩٥٣ .
علي بن الجهم ، أبو الحسن علي بن الجهم بن بدر بن الجهم بن مسعود :
ديوان علي بن الجهم ، بتحقيق خليل مردم بك ، دمشق ، ١٩٤٦ .
العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، الجزء الثالث ، (خلافة المعتصم) ، المؤلف مجهول) ، باعتناء ماتهسين ، ليدن ، ١٨٤٩ .

الغزالي ، أبو حامد محمد :
فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ، القاهرة ، ١٣٢٥ هـ ـ ١٩٠٧ م .
الفاخوري ، حنا :
تاريخ الأدب العربي ، لبنان ، حريصا ، ١٩٥١ .
ابن كثير ، أبو الفداء اسماعيل بن علي :
المختصر في أخبار البشر ، ليبزك ، ١٨٣١ ، بيروت ، ١٩٥٦ ـ ١٩٦٠ .
أبو الفداء ، عماد الدين ، اسماعيل بن عمر :
البداية والنهاية ، ١٤ جزءا ، القاهرة ، ١٩٣١ م .
فروخ ، عمر (الدكتور) :
ابن المقفع ، بيروت ، ١٣٦٠ هـ .
ابن فضلان ، أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد :
رسالة ابن فضلان ، بتحقيق الدهان ، سامي (الدكتور) ، المطبعة الهاشمية دمشق ، ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٦٠ م .
ابن الفقيه ، أحمد بن محمد الهمذاني :
مختصر كتاب البلدان ، باعتناء دي خويه ، ليدن ١٣٠٢ هـ ـ ١٨٨٥ م .
ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري :
عيون الأخبار ، ٤ أجزاء ، طبعة كوتنكن ، ١٨٩٩ ، وطبعة القاهرة ، ١٩٢٥ ـ ١٩٣٠ .
المعارف ، ط كوتنكن ، ١٨٥٠ م والقاهرة ، ١٩٦٠ .
انساب العرب في كتاب المغرب وملوك الشام والحيرة ، كوتا ، ١٧٧٥ .
أدب الكاتب ، ليدن ، ١٩٠٠ ، مصر ، ١٣٠٠ هـ .
الإمامة والسياسة (منسوب إليه) ، الطبعة الثالثة ، مصر ١٩٦٣ م .
فضل العرب ، نشره كرد علي ، محمد ضمن كتاب رسائل البلغاء .
قدامة بن جعفر الكاتب ، أبو الفرج :
كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، نشر دي خويه نبذة منه والحقه بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة ، ليدن ١٣٠٦ هـ ـ ١٨٨٩ م .

القلقشندي ، أبو العباس أحمد :
صبح الأعشى ، ١٢ جزءا ، القاهرة ، ١٩١٣ ـ ١٩١٨ .
كرد علي ، محمد :
الإسلام والحضارة العربية ، جزءان ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٥٠ ، ١٩٥٩ .
رسائل البلغاء ، القاهرة ، ١٩١٣ .
كريستنسن ، آرثر :
ايران في عهد الساسانيين ، ترجمة يحيى الخشاب ، القاهرة ، ١٩٥٧ .
كريمر ، فون :
الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية ، ترجمه من الألمانية خدابخش إلى الانكليزية ، وعربه الدكتور مصطفى طه بدر ، القاهرة ، ١٩٤٧ .
كولدتسهير ، إجناس :
العقيدة والشريعة في الإسلام ، ترجمة الدكتور يوسف موسى وجماعته ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٥٩ .
لوبون ، غوستاف (الدكتور) :
حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٩٥٦ .
لويس ، برنارد (الدكتور) :
أصول الاسماعيلية ، ترجمة جلو ، خليل أحمد والرجب ، جاسم محمد ، القاهرة ، ١٩٤٧ .
العرب في التاريخ ، ترجمة فارس ، نبيه امين وزايد ، محمد يوسف ، بيروت ، ١٩٥٤ .
ليسترانج ، كي :
بغداد في عهد الخلافة العباسية ، ترجمة بشير فرنسيس ، بغداد ، ١٩٣٦ م .
ماجد ، عبد المنعم (الدكتور) :
التاريخ السياسي للدولة العربية ، جزءان ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
مارغيليوث ، د . س . :
دراسات عن المؤرخين العرب ، ترجمة حسين نصار (الدكتور) بيروت .

المافروخي ، مفضل بن سعد بن الحسين المافروخي الاصفهاني :
محاسن أصفهان ، طهران ١٣١٢ شمسي ، ١٩٣٣ م .
الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي :
الأحكام السلطانية ، مخطوط في قسم الكتب النادرة بمكتبة علي شير نوائي ، طاشقند ، رقم .PB63 والطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠ م .
المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد :
الكامل في اللغة والأدب ، ليبزك ، ١٨٦٤ م ، والقاهرة ، ١٩٥٦ ، بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم والسيد شحاتة .
محفوظ ، حسين علي (الدكتور) :
حمزة بن الحسن الاصفهاني ، مجلة سومر العراقية ، المجلد التاسع عشر ، الجزء الأول والثاني ، بغداد ، ١٩٦٣ .
رسالة في تحقيق لفظ الزنديق ، كمال باشا (متوفى سنة ٩٤٠ هـ) ، بغداد ، ١٩٦٢ .
المدور ، جميل نخلة :
حضارة الإسلام في دار السلام ، بولاق ، القاهرة ، ١٩٣٦ .
المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسن بن علي :
مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ٤ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٤٧ ، وطبعة ١٩٥٨ .
التنبيه والاشراف ، ليدن ، ١٨٩٣ .
اخبار الزمان ومن اباده الحدثان وعجائب البلدان ، القاهرة ، ١٩٣٨ .
مسكويه ، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب :
تجارب الامم ، ٣ أجزاء ، القاهرة ، ١٩١٤ ـ ١٩١٥ .
ومخطوط في مكتبة الاستشراق في طقشند ، رقم ٤١ .
المقدسي ، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن أحمد :
أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ليدن ، ١٨٧٧ .
المقدسي ، المطهر بن طاهر :
البدء والتاريخ ، طهران ، ١٩٦٢ م .

المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي :
اغاثة الأمة بكشف الغمة ، القاهرة ، ١٩٤٠ .
كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، القاهرة ، ١٩٠٦ ـ ١٩٠٨ و ١٩١٣م .
الملطي ، أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن :
التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، استانبول ، ١٩٣٦م .
المودودي ، أبو الأعلى :
مسألة ملكية الأرض في الإسلام ، ترجمة محمد عاصم الحداد ، دمشق ، ١٩٥٧ .
الانتخابات البهية من الكتب العربية والفارسية والتركية فيما يتعلق بتواريخ طبرستان وكيلان وجغرافية تلك النواحي ، جمعها ونقحها ايرنهارد دارن ، بطرسبورغ ، ١٢٧٤ هـ .
النجار ، محمد الطيب :
الموالي في العصر الأموي ، القاهرة ، ١٩٤٩ .
ابن النديم ، محمد بن اسحق :
الفهرست ، باعتناء فلوكل ، ليبزك ، ١٨٧١ ـ ١٨٧٢ . وطبعة القاهرة .
أبو النصر ، عمر :
الخوارج في الإسلام ، بيروت ، ١٩٥٦ .
نظام الملك ، أبو علي حسن الطوسي (الوزير) :
سياست نامه (بالفارسية) باهتمام هيوبرت دارك ، طهران ، ١٩٦٢ .
نفيسي ، د . سعيد :
اذربيجان قهرماني بابك خرم دين (بالاذربيجانية) ، باكو ، ١٩٦٠ .
ولهاوزن ، يوليوس :
الدولة العربية وسقوطها ، تعريب العش ، يوسف (الدكتور) ، دمشق ، ١٩٥٦ .
ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي :
معجم البلدان ، خمس مجلدات ، دار صادر ـ بيروت ، ١٩٥٥ ـ ١٩٥٧ .

يحيى بن آدم بن سليمان القرشي الأموي :
الخراج ، القاهرة ، ١٣٤٧ هـ .
اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر :
تاريخ اليعقوبي ، جزءان ، ليدن ، ١٨٨٣ م ، ٣ أجزاء ، النجف ، ١٣٥٨ هـ .
أبو يعلي الحنبلي ، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء :
الأحكام السلطانية ، القاهرة ، ١٣٥٧ هـ .
أبو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم (القاضي) :
الخراج ، القاهرة ، بولاق ١٣٠٢ هـ ، والسلفية ١٣٤٦ هـ (١٩٢٨ م) ، والطبعة الثالثة ١٣٨٢ هـ .

الفهرس

المقدمة 5

الفصل الأول : تحليل المصادر 11

الفصل الثاني : الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للبلدان الشرقية الخاضعة للنفوذ العباسي (إيران ـ أذربيجان وأرمينيا) : 47

١ ـ الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي قبل الفتح الاسلامي 50

٢ ـ الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في العهدين الراشدي والأموي 58

٣ ـ الاقطاع (الاقطاع ، الضرائب ، الخراج والجزية) 70

٤ ـ التجارة والحرف 87

٥ ـ نظرة العرب إلى سواهم من الأمم المغلوبة (الموالي وأهل الذمة ، الشعوبية) 90

٦ ـ مدى تطبيق العباسيين للشعارات التي رفعوها إبان الدعوة حول اعادة الحقوق الاجتماعية للموالي ورفع الحيف عنهم وانقاذهم من الضائقة الاقتصادية 101

الفصل الثالث : المبادىء الايديولوجية والحركة البابكية : 125

١ ـ المبادىء الايديولوجية للبابكية 127

أ ـ الآراء السائدة قبل الانتفاضة 127

ب ـ الديانة الايرانية والفرق المناهضة لها وما نشأ عنها من آراء في المشاكل والقضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية : 130

١) الديانة الايرانية 130
٢) الفرق المناهضة للديانة الايرانية : المانوية ، والمزدكية 131
جـ ـ الخرمية : 146
الفعاليات والانتفاضات الخرمية : 155
١ ـ حركة سنباذ 156
٢ ـ حركة استاذسيس 157
٣ ـ حركة يوسف بن ابراهيم البرم 157
٤ ـ انتفاضة المقنع 157
٥ ـ انتفاضة جرجان 158
٦ـ انتفاضة خرمية اذربيجان 159
د ـ أهم التهم التي الصقت بالمبادىء والحركة الخرمية 159
٢ـ التنظيمات البابكية 163
أ ـ المشكلة الفلاحية ومعالجة قضية الأراضي 163
ب ـ وضع المرأة في المجتمع وتحريرها 165
جـ ـ أمور عامة : 167
١) الحريات العامة 167
٢) العبادة 169
٣ ـ القاعدة الاجتماعية والسياسية للحركة البابكية : 170
أ ـ التركيب الطبقي للمتنفضين 172
ب ـ مساهمة شعوب مختلفة أخرى : العرب ، الأكراد ، الايرانيون ، الديالمة ، الأرمن . 174
الفصل الرابع : الانتفاضة البابكية المسلحة ضد الخلافة العباسية : 201
العوامل التي ساعدت على قيام ونجاح الانتفاضة المسلحة 203
أ ـ ضعف جيش الخلافة 203
الحرب الأهلية ، فتنة الأمين والمأمون وعصيان ابراهيم ابن المهدي 204
انتفاضات الفلاحين في مصر 205

انتفاضة الزط في العراق 206
حروب الروم 207
انتفاضات خرمية ايران 209
اضطرابات متعددة 209
ب ـ الموقع الجغرافي وطبيعة البلاد وحسن الاستفادة منها 210
جـ ـ أساليب القتال : 212
د ـ الحلفاء الذين ساندوا الانتفاضة 216
٢ ـ أسباب اندحار الانتفاضة المسلحة في الدور الثاني : 216
أ ـ العوامل العسكرية : 216
عزل خرمية الجبال عن منتفضي اذربيجان 216
استخدام جماعات متمرسة بقتال الجبال 219
طول الحصار 220
استمالة جواسيس بابك 221
شدة اهتمام الخليفة المعتصم بأمر الخرمية وحسن تجهيزه للجيش . 221
ب ـ موقف الاقطاعيين المعادي للانتفاضة 223
هروب الاقطاعيين من صفوف الانتفاضة والتجاؤهم إلى صفوف جيش الخلافة 223
جـ ـ العناصر الانتهازية ودورها التخريبي في سير الحركة 224
المترددون والطامعون 225
عدم مساهمة جميع فلاحي مناطق الانتفاضة 225
تباطؤ الروم في مساعدتهم للمنتفضين 226
٣ ـ فترة النضال المسلح تحت قيادة بابك ومجريات الحوادث (الفترة بين : ٢٠١هـ ـ ٢١٨ هـ/ ٨١٦ م ـ ٨٣٣ م) . 228
١ ـ معركة هشتادسر الأولى 229
الفترة بين ٢١٨ ـ ٢٢٢ هـ/ ٨٣٣ ـ ٨٣٧ م 231
معركة همذان ٢١٨/ ٨٣٣ 231

جبهة اذربيجان ٢١٨ ـ ٢٢٠ هـ 232
(١) هزيمة القائد معاوية . (٢) اسر عصمت الكردي 232
٢ ـ الفترة ٢٢٠ ـ ٢٢٢ هـ/ ٨٣٥م – ٨٣٧م : 233
(١) معارك سنة ٢٢٠هـ / ٨٣٥م 233
معركة ارشق 233
مهاجمة قوافل المسلمين 235
(٢) معارك سنة ٢٢١ هـ/٨٣٦ م 236
معركة هشتادسر الثانية 236
مصرع طرخان 239
(٣) معارك سنة ٢٢٢ هـ/٨٣٧م 239
معركة نهر كلان روذ 240
حصار قلعة البذ والهجوم عليها 241
الحركات التمهيدية 241
احتلال البذ 245
الزحف الأول 245
الزحف النهائي 246
الفصل الخامس : حياة بابك وآثار الانتفاضة 267
اتصال بابك بالقادة الخرميين 273
زوجات بابك 275
هروب بابك 276
علاقة المازيارية بالباكية 285
علاقة منكجور الفرغاني خال ولد الافشين بالباكية 290
نهاية الافشين 291
اثر الانتفاضة في النظام الاجتماعي والسياسي للخلافة 294
نشوء وتوطد الامارات الاقطاعية وتطور الاقطاع 295
تسلط الاتراك على الخلفاء 296

انقسام الامبراطورية الاسلامية العظيمة 297
سقوط هيبة الخلافة 298
بقايا الخرمية 299
الخاتمة 303
الملاحق 319
أ ـ قوائم الخراج 321
ب ـ الزنادقة والغنوص 332
جـ القصائد 338
د ـ جداول أيام شهري رمضان ٢٢٢ هـ وصفر ٢٢٣ هـ 361
ثبت بأسماء المصادر . 371

فهرس الخرائط

١ ـ أراضي الخلافة
٢ ـ مناطق الانتفاضة
٣ ـ خارطة ولايات الجبال وجيلان
٤ ـ خارطة ولايات الشمال الغربي
٥ ـ خارطة معركة هشتادسر الثانية
٦ـ خارطة حروب بابك

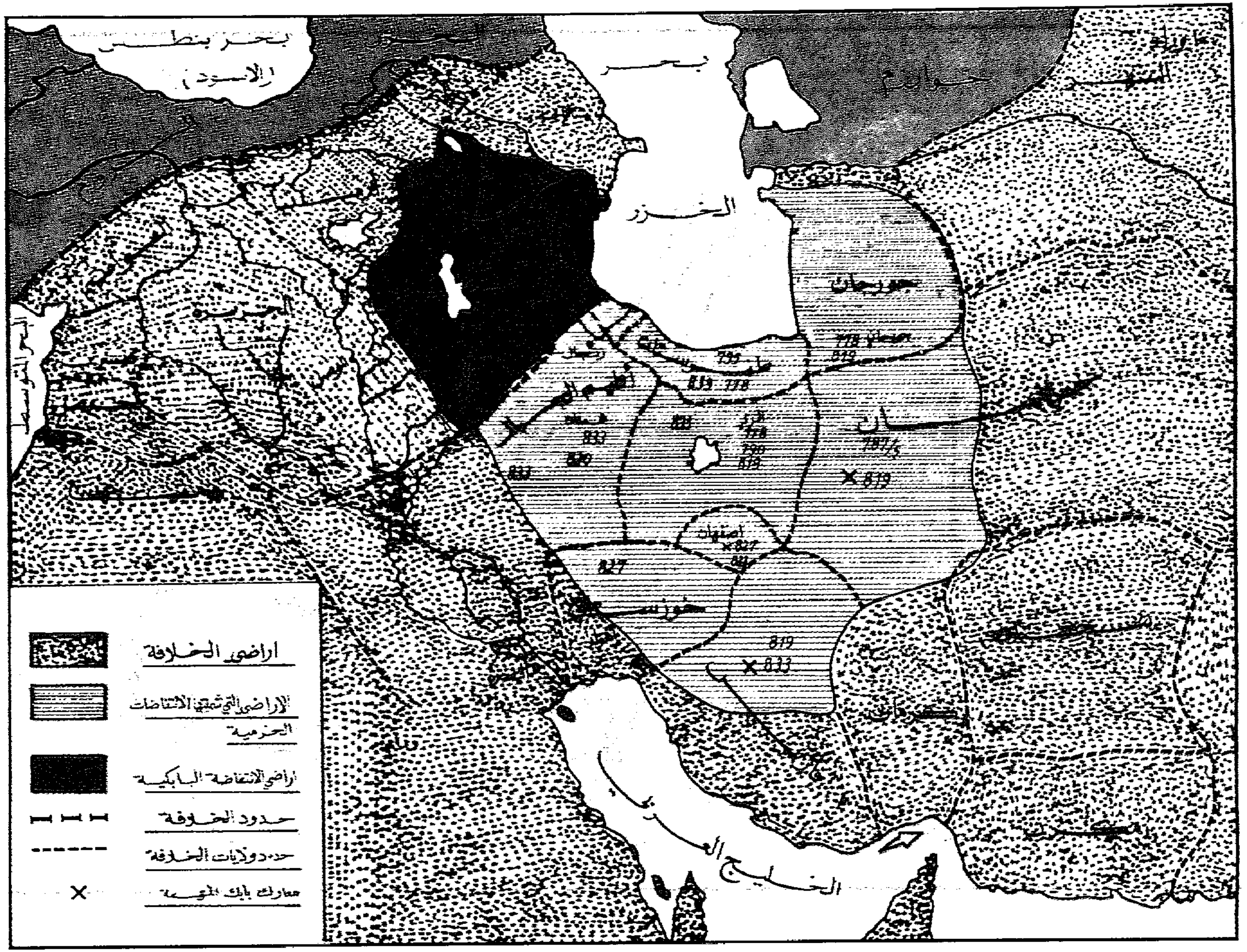
بحر بنطس
(الأسود)
بحر
الخزر
خوارزم
جرجان
خراسان
اصفهان
خوزستان
الخليج العربي
اراضي الخلافة
الاراضي التي شملتها الانتفاضات الخرمية
اراضي الانتفاضة البابكية
حدود الخلافة
حدود ولايات الخلافة
معارك بابك المهمة
819
833
827

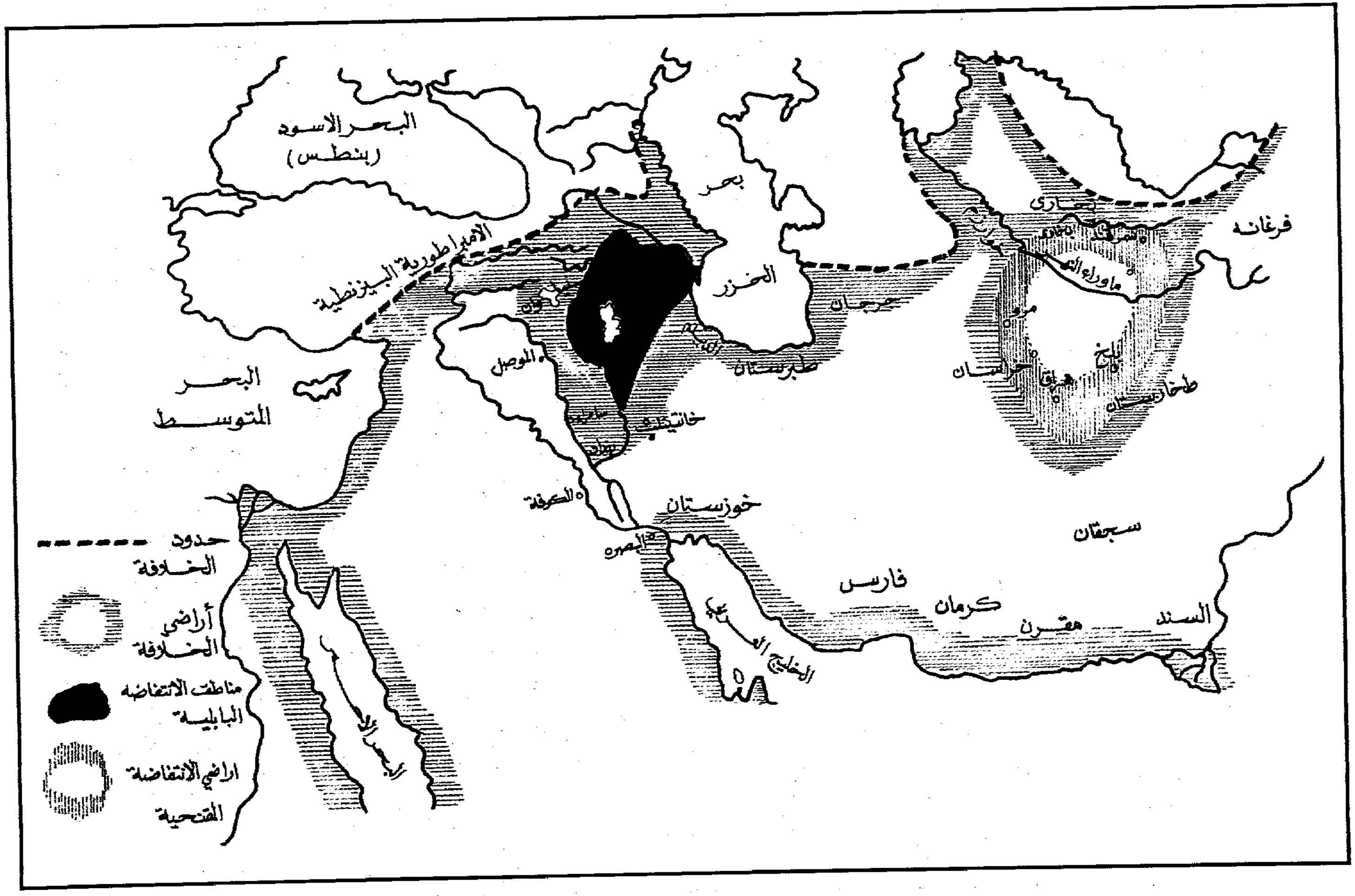
البحر الاسود
(بنطس)
الامبراطورية البيزنطية
بحر
الخزر
جرجان
طبرستان
فرغانه
بخارى
ماوراء النهر
مرو
بلخ
خراسان
طخارستان
البحر
المتوسط
الموصل
خانقين
الكوفة
البصرة
خوزستان
سجستان
فارس
كرمان
مكران
السند
الخليج العربي
البحر الأحمر
حدود
الخلافة
أراضي
الخلافة
مناطق الانتفاضه
البابليـة
اراضي الانتفاضة
الفتحية

خارطة ولايات الجبال وجيلان ومازندران (طبرستان) وقومس وجرجان

(عن كتاب أراضي الخلافة الشرقية لمؤلفه كي ليسترانج بين صفحتي ١٨٤ - ١٨٥)

The Lands of The Eastern Caliphate by G. le Strange Cambridge at the University press 1905 P 184 - 185

مقياس الميل الانكليزي

٠ ١٠ ٢٠ ٣٠ ٤٠ ٥٠ ٦٠ ٧٠ ٨٠

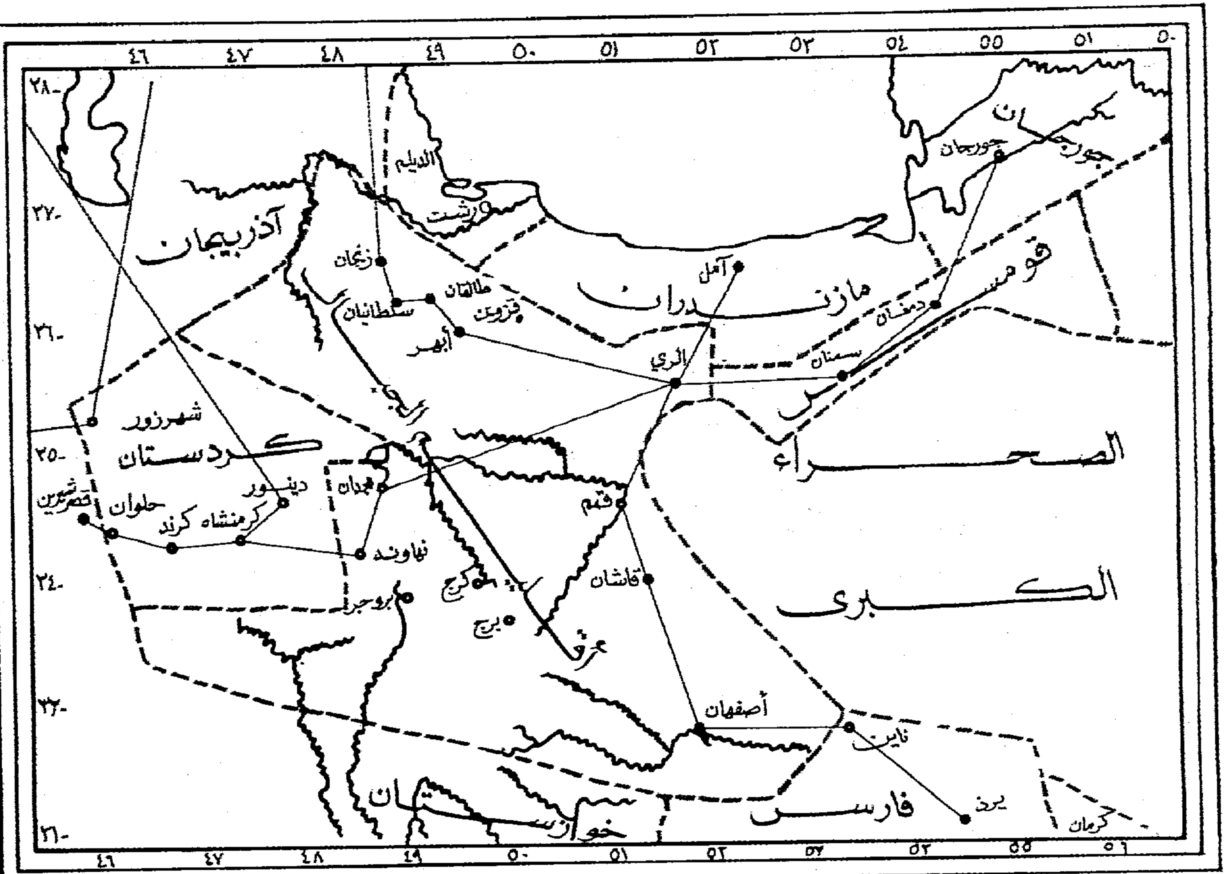

خارطة ولايات
الشمال الغربي
مع الجزيرة
وآذربيجان
منقولة عن كتاب
أراضي الخلافة الشرقية
لمؤلفه كي ليسترانج
بين صفحتي ٨٦ـ ٨٧

The Lands of The Eastern Caliphate by G. Le strange Cambridge the University press 1905 P. 86-87

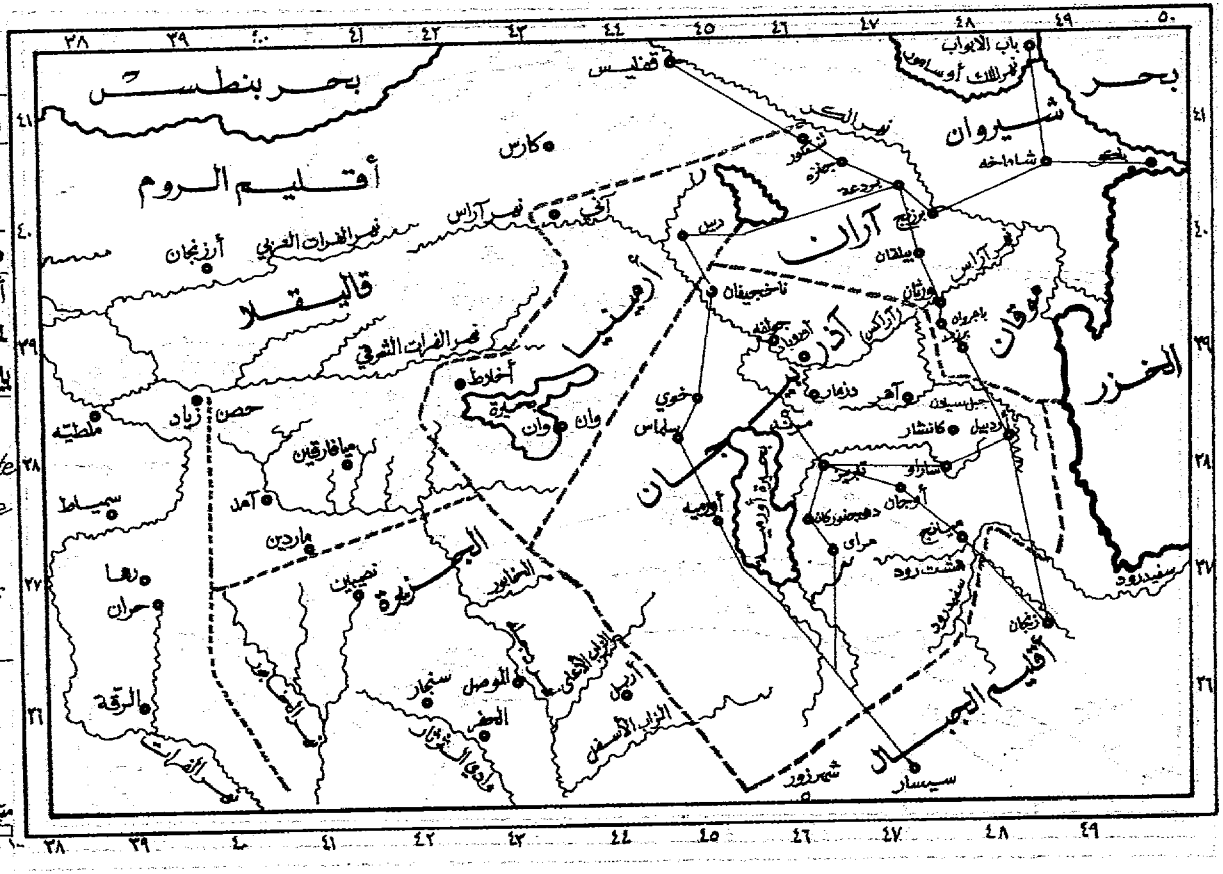

مقياس الميل الانكليزي
١٠ ٢٠ ٣٠ ٤٠ ٥٠ ٦٠ ٧٠ ٨٠ ٩٠ ١٠٠

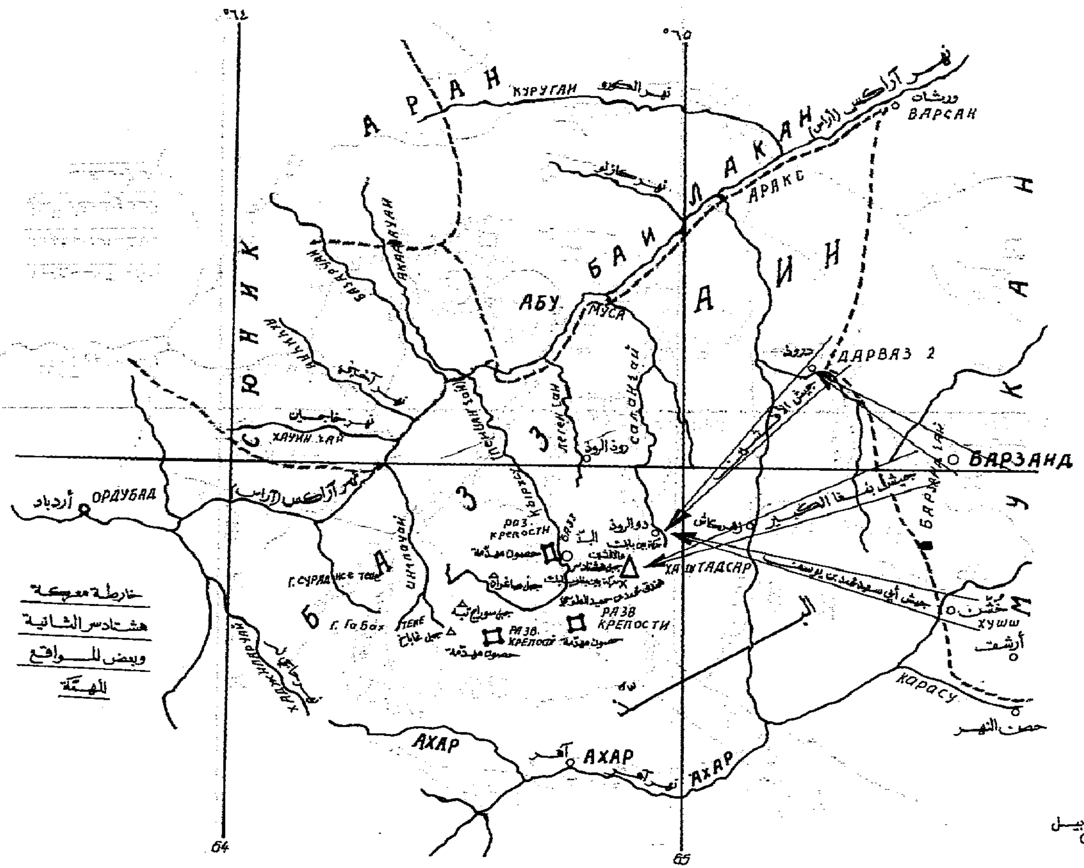

خارطة معركة
هشتادسر الثانية
وبعض المواقع
المهمة

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

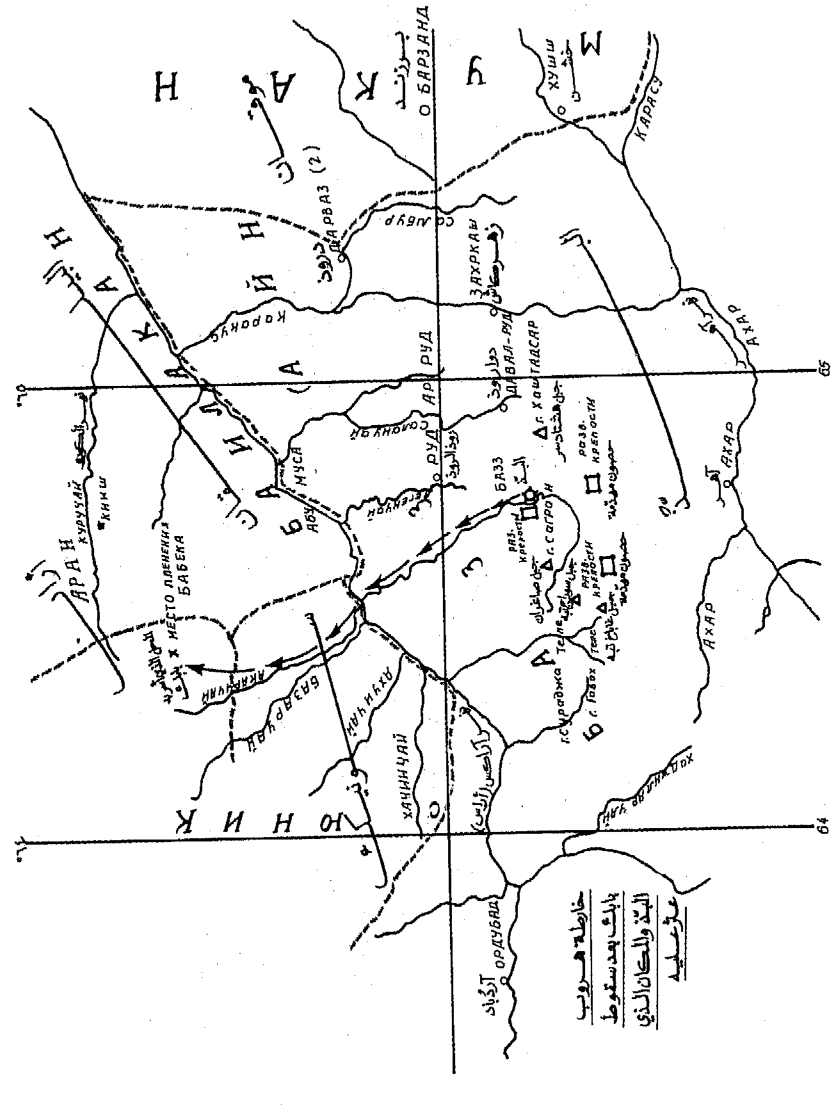

البابكية

لقد كان بابك ،العراقي الأصل الأذربيجاني الأم والمولد والمنشأ المسلم في حداثته، رئيساً روحياً وفكرياً وقائداً سياسياً وعسكرياً لفرقة الخرمية ولم يصبح ملكاً أو أميراً إقطاعياً ولم يباشر تعدد الزوجات، ولم يعتد على الآمنين المسالمين، وإنما حارب المستغلين والسلطة ومن تعاون معها من اقطاعيي أذربيجان وأرمينيا وإيران، فهو لم يحارب الإسلام أو العروبة ولم يسع لاعادة مجد الأكاسرة أو دين المجوس، وإنما حارب الخلافة وحارب الاستغلال والتسلط. ففي صفوف الانتفاضة كان العرب والديالمة والإيرانيون والأكراد والأرمن، كما أنه لم يتهاون مع القائد الطامع الأمير التركي الأفشين ولم يتفق معه سراً ولا علانية حيث لم ترد في محاكمة الأفشين الاشروسني أية اشارة الى ذلك، ولكن المؤرخين دسوا ذلك ليبرروا إعدام القائد الطموح. لا يمكن قبول افتراض تفاهم بابك مع الأفشين لأن بابك قاوم الاقطاع والسلطة الممثلة لمصالحه والأفشين خير ممثل وأداة لمصالح الارستقراطية

ISBN => 2-84305-323-4
EAN => 9782843053238